الوائلي

تراثٌ خالدٌ

سيرته الذاتية - مقالات - لقاءات - شعر - وثائق وصور تنشر لأول مرة

سليم الجبوري

دار المحجة البيضاء

الوائلي

تراث خالد





سيرته الذاتية - مقالات - لقاءات - شعر - وثائق وصور تنشر لأول مرة



دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م



حارة حريك - شارع الشيخ راغب حرب - قرب نادي السلطان

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com



رسمت ملامحي ليظلّ شكلي مع المضمون في قلب الكتاب
فجسمي سوف يبلى بعد حين وامحى مثل غيري بالتراب
وفوق الترب ليس يبين حُسنٌ ولا قبح لشيخ أو شباب
بلى سيظلّ من فعلي وقولي حضور رغم أني في غياب
فيا متأملاً رسمي ترحّم عليّ بيوم أُدعى للحساب
وقل ربي تلطّف في فقير لرحمتك الكبيرة والثواب

أحمد الوائلي



الإهداء

إلى بلدتي الحبيبة النجف الاشرف.

إلى عشاق الدكتور الوائلي.

إلى الّذين ألهموا الوائلي العاطفة والحب والحنان.

إلى أبنائه وبناته، وخصوصاً إلى روح الشهيد محمد حسين الوائلي[1].

وإلى أحفاده وأسباطه ذكوراً وإناثاً

أهدي هذا الجهد المتواضع

المخلص سليم الجبوري

بيروت حارة حريك ١/١/ ٢٠٠٥

---

(١) الولد الأكبر للشيخ الوائلي ماجستير علوم أعدمه النظام العراقي بتهمة انتمائه لحزب إسلامي معارض.

ناعية الطف

د.جودت القزويني

حيّتكَ في الحفل أرواحٌ وأبدانُ يا ناعيَ الطف منك الحفل يزدانُ
حيّتك كل قوافي الشعر باسمة لها من الوجد والأشواق عنوانُ
لك القلوب سعت تلتفُ من وهج كما يلف بقايا العطر بستانُ
هذا حصادك فاَهنأ إذ سعدت به فقد مشيتَ، وفي يمناك ميزانُ
وذي جهودك لم تنفكُّ مزهرةً يُضيءُ فيها لدى الأجيال (قرآنُ)
كلٌّ يرى فيك تاريخاً ومعتقداً وموطناً، إذ تعزُّ اليوم أوطانُ
فأنت مرآةُ عصر إذ يلوح بها على الملامح أفراحٌ وأحزانُ
قد جئتنا كنسيم الفجر فاَنتعشت منك القلوب وسُرّتْ فيك أجفانُ
فكلُّ جيل إلى مغناكَ منقطعٌ وكلُّ نَسرٍ له في الأفق ميدانُ
وجئتُ (منبَركَ) الزاهي أطوفُ به فكم تَزاحمُ أشياخٌ وشبّانُ
كلُّ النزاهة من أشذائه عبقتْ وكلُّ عزّته للفخر تيجانُ
خمسون عاماً، وأنتَ السيفُ منجرداً وصوتُ نهجك في التاريخ مرنانُ
أنت الأصالةُ إذ عادت مباهجُها والرمزُ أنتَ، وهذا العمر برهانُ
إذا دجتْ في ثنايا الفكر نازلةٌ يلوحُ من شفة الإخلاص إيمانُ
وإنْ تشرذمَ قومٌ بالحجى سفهاً أتيتَ أنت وكأسُ العلم ملآنُ
زرعتَ في كلّ بيت للولا طنباً حتى تسامى لأهل البيت بنيانُ
فالعمرُ رحلة مجد أنتَ تقطعها وكلُّ شيء له في الدهر أثمانُ

يا رائدَ الجيل، إني قد أبحتُ هوى ما عاد يُوسعني في الصمت كتمانُ
فجئتُ أنسجُ من خيط السنا شهباً تفيضُ منها على القرطاس ألحانُ
الأمسُ واليومُ والآتي على شفتي لكنني رغم هذا الموج ظمآنُ
هذا أنا، وبقايا الصمت تخرسني وذاك أنتَ، نجيَّ الصمتِ سيّانُ
هَبْ لي من الروح بقيا أستعينُ بها بيني وبينك تاريخٌ وأزمانُ
بيني وبينك تاريخ وأزمنةٌ وساحلٌ ما له في الدهر شطآنُ
نادمتُ حزنك حتى هالني عجباً هل أنه قبسٌ أم ذاك فرقان؟
كلُّ الفضائل في طياته عبقتْ وكلُّ أسراره في الغيب تبيانُ
نثرتَ شعرك أنساماً ورُبَّ هوى أحيى المحبين شوقاً وهو بركانُ
هذي قوافيك تحكي فكرةً حكمتْ وأنتَ فيها سليلَ النجم سلطانُ
الشعرُ والفكرُ والتاريخُ تملكه وعالمُ المجد في كفّيكَ مزدانُ
فاَسحبْ بكفّكَ هذا الغيمَ إنّ يداً تؤججُ البحرَ ناراً لهي طُوْفَانُ
واَقبلْ تحيةَ ودّ في خمائلها صمتٌ، وفي نشرها الفوّاح إعلانُ
فكلُّ حرف بها نبعٌ وقافيةٌ وكلُّ بيت مدى الأيام (ديوانُ)!



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

للإنسانية تاريخ طويل مشرق ومبدع حافل بالأمجاد والأعلام والعباقرة الأفذاذ والشخصيات العلمية العملاقة ذوي المواهب والآفاق الواسعة والعقول النيرة والذهنية الصافية والنبوغ الأصيل والنضوج الذي تأصل بالموضوعية والانفتاح حول الفكر والعلم في كافة المجالات بعيداً عن الانطواء والتزمت والتعصب والانحياز لفكرة دون فكرة.

لقد أشرق نور الإنسانية بالعلماء والمفكرين والمصلحين غاية الإشراق من خلال إنجازاتهم ومسيرتهم الوضاءة بالفكر والإصلاح والانجذاب نحو العلم والمعرفة وحب الاطلاع والتنوع الفكري.

لقد حفل تاريخ أعلامنا بالفكر والأدب والتجديد وتهذيب النفوس واخراج الناس من الضلالة الى الهدى، لذلك رأيناهم بذلوا جهودهم المكثفة لدعم الإنجاز العلمي والديني في آن واحد.

وسجل التاريخ لهم صوراً مشرقة في سجل تراثهم المبدع في الصفحات الذهبية من تاريخهم الذي أطل على مسرح الفكر الإنساني والإسلامي بالمواقف والأحداث.

ومن أجل ذلك نرى التاريخ يفتخر بأعلامه ورجاله الذين أسسوا دعائم العطاء العلمي بالزاد الوافر أدباً وفكراً وإصلاحاً.

شعب دعائمه الجماجم والدم تتحطم الدنيا ولا يتحطم

لقد ساهم أولئك العلماء في دعم النهضة الفكرية والعلمية في مختلف

المجالات وبأدوار متنوعة في المساجد والمراكز العلمية وكان للمدرسة الإسلامية دور فعال ومشهود في تثقيف الشعوب المسلمة وكانت المساجد والجامعات والندوات والمهرجانات القواعد الأساسية لهم ويعتبر دور المدارس الإسلامية دوراً مشرفاً في إيجاد عناصر علمية وفكرية واهتمت المدرسة الإسلامية بنشر الفكر والعلوم المختلفة، لذلك المساهمة جديرة بالذكر والاحترام والافتخار والاعتزاز وتفوقت المدرسة الإسلامية عن باقي المدارس الأخرى بالمنهجية والموضوعية والأطر الفكرية وتنوعت المدارس الإسلامية في الأقطار والأمصار وكل اتخذت لها منهاجاً خاصاً بها فمدرسة الأزهر والزيتونة ومدارس جبل عامل ومدرسة كربلاء المقدسة ومدرسة بغداد والكوفة ومدارس بلاد فارس مثل مدرسة قم المقدسة وأصفهان وشيراز وغيرها.

إلا ان هذه المدارس هي أشبه بالجداول تصبّ في بحيرة النجف الأشرف فقد واكبت هذه المدرسة الاجتهاد والتجديد والإصلاح الفكري واستيعاب التراث والمعاصرة.

وعرفت مدرسة النجف بأنها واكبت الصحوة الإسلامية وقدمت لها الدعم الفكري والحضاري.

وفي النجف الأشرف علاوة على الثروة العلمية الغزيرة ثروة أدبيّة قيمة هي ينبوع غزير لا ساحل ولإقرار وعين للآداب فوارة يمكن أن يرتوي منها أبناء الضاد وان يخلقوا منها للعراق كياناً أدبياً جديداً يتناسب مع العصر الحاضر من باب مصر تكتب وبيروت تطبع والعراق يقرأ.

لمدرسة النجف من الناحية الأدبية خصائص ومميزات قلما توجد في مدينة أخرى فقد عجنت بالآداب واختمرت بها إلى درجة عالية جداً فأنّى سرت وأين حللت رأيت وسمعت ما يطربك ويعجبك من نثر رائق وشعر فائق ونكات مليحة ونقد نزيه علاوة على الذكاء الفطري المحبب في سائر الطبقات في النجف.

والنجف التي تعهدت بصنع العلماء والأدباء فقد أنجبت الكثير من المصلحين

الذين هزّوا العالم الإسلامي بتراثهم الجم رغم التقيد الديني هناك الذي يعيشه المثقف في هذه المدينة إلا ان هذه المدرسة واكبت التطور العلمي وازدهار الأفكار المتنوعة والتفوق نحو الافضل بكل جدارة وكفاءة. وعرف كذلك عن هذه المدرسة الموضوعية ورحابة الصدر والانفتاح نحو الآخرين كما انها تدرس المذاهب الإسلامية الأخرى بخلاف تلك المدارس التي لا تود التعرف عليها وهذا ما شاهدناه في ثمرات كلية الفقة التي أنشأها الحجة الشيخ محمد رضا المظفر ويأتي دور الصحافة في النجف فقد أصدرت العديد من الصحف والمجلات منذ زمن بعيد مثل الغري والنجف والأضواء والإيمان والاعتدال والبيان والبذرة والهاتف. . . الخ.

وفي الواقع والحقيقة ان كل درب من دروب هذه المدينة يعد مصدراً للغة العربية والثقافة الإسلامية. ثم اذهب إلى مكتباتها القيمة العامة والخاصة وهناك مكتبات فيها كتب قيمة وموسوعات راقيه وفيها نفائس المخطوطات الضخمة يقصدها المثقفون وطلاب العلوم الإسلامية وطلاب الدراسات العليا وبرزت شخصيات عديدة في هذه المدينة تقرأ فيهم علامات النبوغ والعبقرية والتفوق العلمي فهذا أمين الريحاني يقول عند زيارته للنجف عندما زار الإمام كاشف الغطاء ان الشيخ من أعز أصدقائنا ولكن أفسده الدين علينا كما ظهرت شخصيات أخرى كانوا مصدر الإشعاع الفكري امثال الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد جواد البلاغي والشهيد محمد باقر الصدر وشخصيات أخرى غنية عن التعريف وكان ثمرة أولئك العلماء هو العلامة والمفكر الإسلامي الخطيب الراحل الشيخ أحمد الوائلي. والوائلي شخصية إسلامية قوية عرفته الساحة الإسلامية في كافة الاقطار فهو الخطيب البارع والأديب المبدع والكاتب الإسلامي القدير أحبّه الملايين من الناس على اختلاف الطبقات والانتماءات وتأثر به كثير من الناس وشهد له العلماء بالفضل والعلم فهو المدرسة المتنقلة في العالم ولسان الشيعة الناطق وأمير المنبر الحسيني أجل لقد كنت مولعاً منذ أيام الصبا وتأثرت به

غاية التأثر وأجلّه غاية الإجلال وأحفظ الكثير من أفكاره وأشعاره ولا زالت معلقة في أعماقي حتى راح البعض يقول عني: أنت مجنون الوائلي.

رأيت من الوفاء المتواضع ان اجمع آثاره غير المنظمة وبذلت قصارى جهدي بالبحث والتنقيب والتجوال في البلدان فانا طالب كالحيران لا ادري أين احصل على آثاره وضمن جولة طالت ثلاث سنوات أَتنقل من إيران إلى العراق وسورية ولبنان ورسائل بعثتها إلى الخليج ومصر ولندن لذلك تم الحصول على جهد متواضع حيث اني اعيش اجواء حادة منذ ١٢ عاماً بالغربة / والاغتراب والهجرة وقد اسميت الكتاب الوائلي تراث خالد وقسمته إلى فصول:

الاول: السيرة الذاتية للوائلي.

الثاني: مقالاته وأبحاثه المكتوبة.

الثالث: لقاءاته مع الصحف والمجلات.

الرابع: أشعاره التي لم يحوها الديوان.

الخامس: أرشيف الوثائق والصور.

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل والثناء لكل من قدم لي يد العون في ايران والعراق وسورية ولبنان ومصر والخليج.

١- مكتبة أمير المؤمنين النجف الأشرف.

٢- مكتبة آية الله الشيخ سلمان الخاقاني المحمرة - خرمشهر -.

٣- مركز الإمام الخميني الثقافي بيروت.

٤- مكتبة المعهد الألماني بيروت.

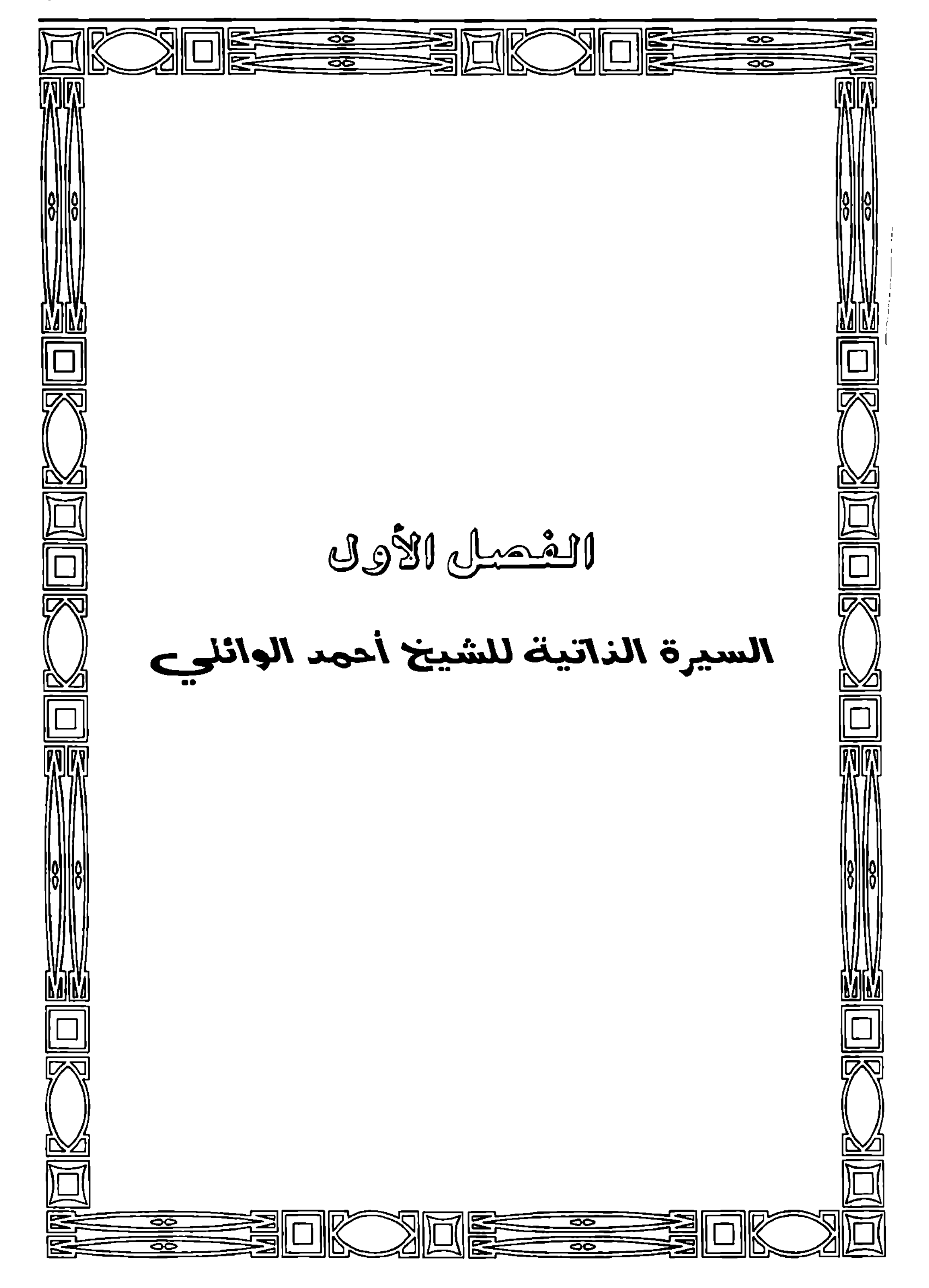
٥- مكتبة آستانه قدس رضوي مشهد الرضا عليه السلام.

٦- مكتبة الأسد دمشق.

٧ - الدكتور جودت القزويني.

والحمد لله أولاً وآخراً

سليم الجبوري/بيروت



الفصل الأول

السيرة الذاتية للشيخ أحمد الوائلي

الوائلي سيرة وعطاء

نسبه وولادته:

هو الشيخ احمد ابن الشيخ حسون ابن الشيخ سعيد بن حمود الليثي الوائلي النجفي ولد في النجف الأشرف يوم الجمعة ١٧ ربيع الاول يوم ميلاد الرسول الاعظم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام عام ١٣٤٧ هجري ١٩٢٨ ميلادي وفي ذلك اليوم استقبلت مدينة النجف الاشرف وليدها البار أجل استقبلته بكل حفاوة وتقدير واجلال واحترام. لقد قرأت في وليدها الجديد العبقرية والنبوغ والذكاء الحاد ليكون خطيبها المفوّه ولسانها المعبر وصوتها المدوي وكانت العادات والتقاليد في البيوت العلمية في النجف الأشرف اذا جاءهم مولود يلجأ الآباء إلى القرآن الكريم لاختيار اسماء أبنائهم تيمناً بكلام الله العزيز ولما بشر والده قرأ المأثور من الدعاء وفتح القرآن فإذا بالآية الكريمة: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] بهذه الآية الكريمة المبشرة افتتح مسيرة الحياة وفي رحابها عاش والده حين ولادته الامل والتفاؤل بمستقبل واعد لوليده المبارك الذي انتزع اسمه من القرآن وهو الولد الوحيد لوالده.

نجفي يا خميلة في الفيافي وربيعا يهتز وسط محول
وترابا معنبراً لست أرضى عن حصاه نجم السما ببديل
يا مغاني العلا ويا مهبط الفكر ومحراب نابغات العقول
يا مهادي الوثير يوم قدومي ووساداً أرجوه يوم رحيلي
نام فيه أبي وشيخي وإخواني جميعاً في ظل حامي الدخيل

أسرته:

الليثي بفتح اللام وسكون الياء وفي آخرها ثاء مثلثة هذه النسبة إلى ليث بن

كنانة وهذه النسبة تؤكد مشايخ القبيلة ولها اليوم فروع كثيرة في الفرات الاوسط وناحية الحمّار من قضاء سوق الشيوخ ويعرفون بآل حطيط وقسم الحي ويعرفون بآل باشا آغا ولّليثيين فروعٌ تتصل بالموصل وبلاد الجزيرة العربية وقديماً كانوا زعماء البطائح بين البصرة وواسط وكانت لهم ولاية البطحية فيما قبل القرن الخامس الهجري وبعده وكان أبو علي متقدما في بعض نواحي البطائح وقد عصى أيام طغرلبك وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه وبقيت إمارتهم إلى ما بعد سنة ٥٦٥هـ. والوائلي هذه النسبة إلى عدة قبائل تزيد على عشرة والواقع إن صلة بني ليث ببني وائل غير واضحة تماماً ولعل مرد ذلك لبعض الأمور.

١ - لأنهم يجتمعون مع وائل بالجد الخامس.

٢ - لأن أمهم زوجة بني ليث جدهم الأعلى بيت بكر بن وائل مباشرة.

٣ - إن اسرة الوائلي بني ليث عرب اقحاح وتاريخهم واعلامهم تملأ الكتب وكتب الوائلي بحثاً حولهم (منتجع الغيث الصحابة من بني ليث) وقد اخطأ الكثير ممن ترجم للشيخ الوائلي مدعياً ان اصلهم من الغراف وهذا ما ينفيه الشيخ فاهم الوائلي نسابة الوائليين في النجف الأشرف ينفي هذا الرأي لان اسرة الوائلي تقطن مدينة الحيرة التابعة للنجف الأشرف وتعتبر اسرة الوائلي من الاسر العريقة في العروبة والشهامة والكرامة والعزة والشجاعة والأريحية ولكن لم يشتهر من أسرة الوائلي اعلام وأدباء إلا الشيء النادر، ولكن الوائلي هو الذي اعطى مكانة مرموقة لاسرته من خلال جهوده الجبارة في الساحة الإسلامية.

أعلام من اسرة الوائلي:

١ - الدكتور إبراهيم الوائلي: أستاذ الادب العربي في العراق المولود ١٣٣٢هـ المتوفى عام ١٤٠٨هـ.

٢ - إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبد الحسين ولادة ١٩١٤م. كاتب قدير وشاعر وأديب.

٣ - عبد الامير ابن الشيخ علي بن محسن الوائلي المولود ١٩٢٨م كاتب وأديب فاضل.

٤ - محمد تقي ابن الشيخ موسى بن عبود المولود ١٩١٦م. أديب وفقيه.

٥ - الدكتور فيصل الوائلي المولود ١٩٢٢م. يعد من علماء العراق وتولى منصب مدير الآثار العامة بغداد.

٦ - قاسم ابن الشيخ محمد المولود سنة ١٩٠١م. وكان من رجالات ثورة العشرين ومن الأدباء.

٧ - محسن ابن الشيخ علي المتوفى ١٣٣٦هـ. عالم فاضل زاهد عابد.

٨ - باقر الشيخ محسن المتوفى ١٣٥٤هـ من أهل العلم والصلاح.

٩ - عبد الحسين بن محمد بن حرج المتوفى ١٣٤٩هـ كان من الزهاد العباد.

١٠ -علي ابن الشيخ محسن المولود ١٣١٧هـ من علماء النجف واهل الوعظ والارشاد.

١١ -يوسف عمرو الوائلي عالم وقاضٍ لبناني.

والده:

هو الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي ولد في مدينة الحيرة عام ١٣١٠هـ. يقول الوائلي عن والده قضى نصف عمره يشتغل بتجارة الحبوب والتمور ويخرج إلى الحيرة لشراء كميات منها ووضعها في خان معد لذلك ثم يصرفها تدريجياً وكانت حالته المالية لا بأس بها وكان صهره زوج عمتي الخطيب

الجليل الشيخ محمد علي قسّام خطيب الثورة والمعروف بعدائه للانجليز رأى في والدي القابلية الجيدة في ممارسة الخطابة وكنت حينها أتمنى على والدي الانخراط بسلك الخطابة وخدمة الإمام الحسين عليه السلام وترك تجارة الحبوب فأقنعته بذلك وانصرف والدي عن التجارة مقتنياً تجارة لن تبور فبدأ بدرس المقدمات ومبادئ النحو والصرف والفقه الإسلامي وكان كثير الحفظ ولوعاً بالتاريخ وواقعة الطف ومنكباً على استظهار خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والشيخ حسون خطيب مقلّ وشاعر له بعض النتاجات الشعرية ذكرها المرجاني في كتابه خطباء المنبر الحسيني:

سمعاً أما سمعك الواعي لنا سمعا ... ندبا له جزعا قلب الصفا انصدعا
لله حلمك لو ان الجبال بها ... من بعضه لغدت فوق الربا قطعا
في الطف منك رجال قد قضت عطشا ... صبرا وغاشى لهم قلبك انفجعا
ان كان ذنب لها من اجله قتلت ... يوم الطفوف فما ذنب الذي رضعا.

ويقول فيها:

لو ان صبرك يابن المرسلين على ... متون اجبلها العظمى هوت فزعا
كم نادب لك في الدنيا ونادبة ... تدعو وناع له قلب الهدى جزعا
ينعي دماءَ أريقت منكمُ ... ولها ما قمت منتظماً غضباً ومداعا
أعيذ سمعك ان يحتله صمم ... أما لواعية الناعين قد سمعا
فكم لكم في سما الهيجاء من قمر ... بالطف غاب بظل البيض ما طلعا
ونادبات بدت من خدرها وعلى ... الرؤوس منها تراب الذل قد وقعا

وفاته:

توفي في النجف الأشرف عام ١٣٨٣هـ. ودفن في النجف إلى جانب زوجته في شارع الرسول.

والدته:

هي الحاجة ببي بنت الشيخ عواد بن محمد بن حسين ابن الشيخ علي زين العاملي وآل زيني أصلهم من جبل عامل يفتخر الوائلي دائماً بهم قائلاً:

أن لي في تراب لبنان جذراً انا مدى الزمان فيه فخور
قد نماني له شد عروقي فيه جد حبر وبيت وقور
نسبة قد عرفتها بدمائي عنفوانا يجري وحبا يمور

وكانت والدة الوائلي من الشاعرات تنظم في رثاء أهل البيت عليهم السلام.

نشاته ودراسته:

نشأ الوائلي في النجف الأشرف نشأة صالحة فاضلة عاش فيها موفور الكرامة شديد الاعتداد بشخصيته متفوقاً على أقرانه معتزاً بشخصيته الفذة يسودها الهدوء والطموح نحو الخطابة والتفوق العلمي وخاض التجارب في هذه النشأة وحاكته الظروف العصيبة بالهموم والغموم فباشرها بصمود هادىء بعيداً عن التهريج والضوضاء لقد عاش الوائلي في مدينة تجل العلم وتعتبره وساماً محلقاً في ضمير الأمة لقد كانت النشأة النجفية لها الدور الفعال في نمو عقليته وصقل موهبته فكان الوائلي في صباه يحكي عن أمور كانت لا تتلاءم مع عمره وقد تميزت البيئة النجفية بأنها موئل العلم ومركز الحوزة العلمية والدراسات الإسلامية ومن صميم هذه

المدرسة المزيدة بأساطين الفقهاء وعمالقة الفكر وأئمة الأدب والفكر ومن تلك الشخصيات التي أحرزتها هذه المدينة شخصية الوائلي علماً وأدباً وفكراً وخطابة فقد نشأ الوائلي في رحاب أمير المومنين منذ طفولته المبكرة في أجواء الولاء والايمان والنجف حية خالدة في ضمير الوائلي كما يقول في كتابه «تجاربي»: أنا عندما أخرج من النجف أفقد الجو العلمي.

ويقول: إن عشرين عاماً درستها في النجف أتشرف بها أكثر من شهادة الدكتوراه.

لقد استفاد الوائلي من الجو النجفي علماً وفكراً وأدباً فقد واكب حركة النجف العلمية وأصبح قطب رحاها والنجف التي تعهدت بخلق العلماء والادباء والتي تعتبر عاصمة العلماء ومصدر الفقهاء ومرتع الشعراء ومأوى الضعفاء يقول فيها الشيخ محمد جواد مغنية: النجف لغز محير يدخلها واحد من الناس لا يعرف له أصل ولا فرع ولا مالٌ له ولا كفيل من إنسان ولا شغل ولا تجارة أو مهنة أو إقامة أو غير ذلك ولا شيء على الاطلاق إلا القصد لطلب العلم ثم تمضي الايام وإذا بهذا النكرة المعدم يصبح علماً من الأعلام ونابغة من النوابغ، أليس هذا في ظاهره خارق للمعتاد؟

دراسته:

ابتدأ مرحلته الأولى في مكاتب القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة ويلتقط آيات القرآن الكريم حفظاً واختزاناً وهو لم يزل في السابعة من عمره وكان أول شيخ لهُ في التعليم الشيخ عبد الكريم قفطان في مسجد الشيخ علي نوايه والشيخ قفطان أشرف على تربيته وتعليمه ثم ولج في المدارس الرسمية ثم دخل مدرسة الملك غازي وبعدها انتسب إلى مدارس منتدى النشر وكلية الفقه فتخرج

منها عام ١٩٦٢ م وكانت عناية أساتذته كل من الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبد المهدي مطر فتحت له الآفاق لانهم رأوا فيه النضوج والتفوق العلمي فكانت بصماتهم واضحة في صقل موهبته. وبعد نيله شهادة البكالوريوس ذهب إلى بغداد لنيل الماجستير في أطروحته الموسومة (أحكام السجون في الإسلام) وبعد نيله الماجستير ذهب إلى القاهرة لنيل شهادة الدكتوراه حيث درس في كلية دار العلوم في القاهرة ونال منها درجة الدكتوراه عام ١٩٧٨ م وكانت رسالته تحت عنوان (استغلال الاجير في الشريعة الإسلامية) كما إنه نال شهادة الدبلوم في الاقتصاد الإسلامي في معهد الدراسات العليا التابع لجامعة الدول العربية خلال فترة وجوده في القاهرة وكان من أساتذته في الاقتصاد الدكتور علي لطفي رئيس الوزراء المصري السابق. أما مصر فللوائلي فيها ذكريات يقول فيها:

ومصر كفاءات وحشد مواهب بكل مجال رائع عندها جذر
ومصر من الفصحى لسان معبر ومن غرر الافكار منبعها الثر
ومهد حضارات تصدى قديمها إلى حدثان الدهر فانهزم الدهر
ونضرها الإسلام فهي لوامع تموج في أبعادها النور والنور
ومصر وأرض الرافدين توائم وما توأم إلا لتوأمه شطر
يشدها عمق الحضارة موئلاً وينميهما للمجد من يعرب نجر
ومن فوق هذا شرعة الله وحدت مسارها فاستحلم الشفع والوتر

أساتذته:

الشيخ علي ثامر.

الشيخ عبد المهدي مطر.

الشيخ علي سماكة.

الشيخ هادي شريف القرشي.

السيد حسين يوسف مكي العاملي.

السيد محمد تقي الحكيم.

الشيخ علي كاشف الغطاء.

الشيخ محمد حسين المظفر.

الشيخ محمد رضا المظفر.

الشيخ محمد تقي الايرواني.

الشيخ محمد سعيد المانع.

الشيخ جليل العادلي.

الشيخ كاظم الحبوبي.

السيد كاظم كشكول.

السيد باقر سليمون.

الشيخ مسلم الجابري.

الشيخ محمد علي قسام.

الشيخ محمد علي اليعقوبي.

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين.

مؤلفات الوائلي:

١ - هوية التشيع - مطبوع.

٢ - أحكام السجون - مطبوع ترجم لعدة لغات.

٣ - نحو تفسير علمي للقرآن - مطبوع.

٤ - تجاربي مع المنبر - مطبوع.

٥ - دفاع عن الحقيقة - مطبوع.

٦ - استغلال الأجير رسالة دكتوراه - غير مطبوع.

٧ - من فقه الجنس في قنواته المذهبية - مطبوع.

٨ - الأوليات في حياة الإمام علي - مخطوط.

٩ - الخلفية الحضارية للنجف قبل الإسلام - مخطوط.

١٠ - منتجع الغيث الصحابة من بني ليث - مخطوط.

١١ - جمعيات حقوق الحيوان في الشريعة الإسلامية - مخطوط.

١٢ - رسالة في الأدب العربي - مخطوط.

١٣ - رسالة في الشبيبي - مخطوط.

١٤ - الاقتصاد الإسلامي - مخطوط.

١٥ - الشعر الواله في النبي وآله - مطبوع.

١٦ - إيقاع الفكر ديوان شعر - مطبوع.

١٧ - الديوان الاول والثاني - مطبوع.

الوائلي بأقلام معاصريه

١ - واستمر الوائلي يتجلى بفنه تجلياً مما دعا أساتذته أن يعجبوا به وينظرونه نظرة الاكبار والاحترام وسار قدماً دون أن يثنيه شي سوى تحقيق هدفه الذي رسمه لنفسه وهو التفوق في الخطابة واعطاء صورة عنها تماشي فن الخطابة عند الفرس لتركزها على الأسس العلمية والمواضيع الفلسفية وهو بدوره استطاع أن يبدع ويسحر في أسلوبه وفنه. حضرت له عدة مجالس كانت أشبه بالمحاضرات دلت على سعة اطلاع وحسن إلقاء والتفاتة كانت تسترعي أذهان المثقفين قبل السذج، وقد وفق كل التوفيق فيها فقد ماشى فيها متطلبات الزمن ومقتضيات العصر ونال بها اعجاب المعظم إن لم أقل الجميع وفي سن مبكر استكثرها عليه كثير من أخدانه بل وحتى أساتذته كما قدمنا والوائلي شاب يرضيك بسلوكه ويقظته ونقاء أسلوبه وإرهاف حسه مع زهو بسيط قد قرأ أحدث الآراء التي تسالم على صحتها قادة الفكر يتحسس الحياة تحسساً ضمن إطار من الاتزان والهدوء النفسي ويشعر أن الزمن يسير بخطوات سريعة جداً لذا تراه في سيره يحاول أن يواكب الزمن مواكبة المودع الذي يحرص على تحقيق هدفه دون ضوضاء ويفكر أن يضمن وجوده على طرق الحق والاستحقاق وقد أفلح في تحقيق ذلك على الأكثر والوائلي بالإضافة إلى تفوقه في الخطابة فهو شاعر رقيق الشعور مليح القول مشرق الديباجة وقد نظم عدة قصائد كلها ناجحة تصور نفسيته وروحه وعقيديته وتظهر براعته في هذا الفن.

٢ - الوائلي شاعر مجرد وعبقري وأديب وخطيب رائد خدم الثورة الحسينية وصور أبعادها بأسلوب ممتع وقد اتجه الوائلي بمعالجة قضية فلسطين اتجاهاً عربياً إسلامياً وحاول بذلك تصوير المأساة للعرب والمسلمين كمشكلة لا يمكن حلها إلا عن طريقهم وبجهودهم وبالوقوف صفاً واحداً إلى جنب الشعب الفلسطيني الجريح

عارضاً مشاهد وصوراً وخلالاً من مآسي اللاجئين وطيوف النازحين [الدكتور محمد حسين علي الصغير، فلسطين في الشعر النجفي المعاصر].

٣ - الوائلي جدول صاف ومنهل عذب يتسلسل هادئاً فترتوي منه القرائح وتصدر عن أدب رفيع ريانة بالثقافة الإسلامية والمعاني السامية الوائلي النغم العذب في أذن كل أديب ناضج والوتر الحنون في ضمير كل انسان مرهف الاحساس والشعور. الوائلي الشعلة المتقدة من نور يشع فينبض بالحرية والسمو ويتلألأ في دنيا الفكر فتسطع في الجمال والجلال. الوائلي أمير المنبر الحسيني حين يأخذ مكانه من منبر نهج البلاغة يرسل منه أشعة بيضاء ناصعة تنفذ إلى قرارة النفوس هذا هو الوائلي الخطيب الاديب الشاعر الكاتب بكل ما في هذه من معنى رفيع ودلالة سامية [الأستاذ محمد سعيد الطريحي، مجلة الموسم].

٤ - لقد فجع العالم الإسلامي بعالم جليل ومفكر إسلامي كبير وخطيب بارع وعميد لمؤسسة المنبر الحسيني وعبقري فتح آفاقاً جديدة للخطباء الحسينيين وسيبقى نهجه الخطابي مثالاً رائعاً يقتدى وأن تجاوب الجماهير الشيعية المؤمنة بالحزن والأسى على وفاته خير دليل على تعلق المخلصين بمبادئه، تغمد الله الفقيد الراحل برحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جنانه ونسأل الله أن يجمعنا معه في رحاب آل محمد إنه سميع مجيب [الدكتور الشيخ باقر المقدسي، دور المنبر في التوعية الإسلامية].

٥ - أخذ الخطابة على يد المرحوم السيد باقر الموسوي فكان من نوابغ الخطباء حتى نبغ وحلّق وانفرد بنفسه واشتهر بحسن الخطابة حيث الاسلوب العلمي الجديد مع التفنن المنبري الحديث وتراه إذا رقى المنبر في أي بلد يسحرك بجمال أسلوبه وسحر بيانه وعذوبة منطقه ويحدث في السامع لذة ومتعة وتجد ارشاداته ونصائحه الذي يغذي بها المشاعر فتأخذ مفعولا من النفوس لانعكاسها في القلوب فهو منبري لوذعي وعالم عبقري وأديب وشاعر وخطيب فنان قد وفق بين

متطلبات الظرف ومقتضيات العصر فهو خطيب يرضيك بفعله واستقامته ونقاء أسلوبه فهو بحق الخطيب المجدد في المنبر كما أنه مفخرة لإخوانه الخطباء في العراق وخارجه بثقافته الجديدة ومنبره الجديد وأسلوبه الحديث حيث وقوفه على أهم التفاسير والشروح للقرآن مع الشواهد الشعرية لأكابر الشعراء فمنبره مدرسة كبيرة ذات فائدة عامة والوائلي شاعر فحل رقيق مليح القول قليل النظم إلا في المناسبات وقد نظم قطعاً شعرية في مناسبات عديدة وإذا قرأت هذه القصائد أو القطع يظهر لك براعته في هذا الفن كما ظهرت براعته في فنه الخطابي وبراعته في خلق نفسه وإذا قرأت شعره تهتز له النفوس طرباً وخصوصاً شعره الوطني [الشيخ حيدر صالح المرجاني، خطباء المنبر الحسيني].

٦ - عالم جليل خطيب متكلم شاعر مجيد أديب متضلع عرف بجودة البيان والاطلاع الواسع والاسلوب العلمي وعذوبة المنطق والتحدث حسب متطلبات الظرف ومقتضيات العصر بكل ما في هذه الالفاظ من معنى رفيع ودلالة جامعة ولد في النجف وواصل دراسته بجد واجتهاد في المدارس الرسمية ثم التحق بكلية الفقه وتخرج منها وانتقل إلى بغداد لمواصلة دراسته في معهد العلوم الإسلامية ونال منه شهادة الماجستير ثم سافر إلى القاهرة وحصل على شهادة دكتوراه في العلوم الإسلامية وهو جمع هذه المراحل الدراسية الشاقة كان يصعد أعواد المنابر للتوجيه والارشاد والدعوة ويساهم في المؤتمرات والمهرجانات الادبية ويستشق الاسماع بأدبه الجم وقريحته الوقادة وشاعريته الحية التي تهز النفوس وتطرب المشاعر [الدكتور محمد هادي الأميني، معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف].

٧ - للوائلي تاريخ عريق ومجد أصيل في خدمة المنبر الحسيني فقد تدرج منذ بواكير حياته في هذا الاتجاه وتبلورت في شخصيته امارة النبوغ وسمات التفوق العلمي ومنذ عهد بعيد حسب ما تنص الوثائق والمستندات التاريخية والاجتماعية حتى أصبح ركناً من أركان الخطابة الحسينية وعلماً من أعلامها إلى أن ألقت إليه

زمامها وسلمته قيادتها فكان الوريث لميدانها بحق وجدارة ومقياس للخطيب الناجح فإذا ما أرادت الجماهير الحسينية أن تقوّم خطيباً بارعاً تقول انه كالوائلي فهو الخطيب الاول الذي أنسى من سبقه وأتعب من لحقه. الوائلي من الخطباء النوادر الذين لم يخفقوا ولم يتعثروا في مسيرة حياتهم المنبرية فلقد بقي محافظاً على المستوي الرفيع لخطابته طيلة حياته. لا شك أن الأستاذ الوائلي رمز من رموز المنبر الحسيني وواجهة من واجهات جامعة النجف الدينية ومؤسس المدرسة المعاصرة للخطابة الحسينية والعميد الفعلي للسلك الخطابي إن صح التعبير فهو الأكبر سناً والأجدر كفاءة وثقافة أن يتسنم الذرى في عمادة المنبر الحسيني المعاصر فهو الذي لم يقارعه خطيب في قوة شخصيته وتأثير أسلوبه وسحر بيانه لذا انتسبت لمدرسته الطلائع اللامعة من أرباب الفن المنبري [سيد داخل، معجم الخطباء].

٨ - هو الدكتور أحمد الوائلي الشاعر والعالم والمفكر الذي حظي بدعم المرجعية الدينية وكان وليدها الواعي المبدع واستطاع ان يقدم خدمة كبرى للمنبر الحسيني ولأبناء الأمة الإسلامية في عصرنا هذا والوائلي يعد بحق عميد المنبر وأميره منذ منتصف هذا القرن.

احتل الوائلي مركز الصدارة في الخطابة الحسينية فلم يستطع أن ينافسه منافس ولم يتمكن خطباء المنبر أن يجاروه في قدراته الخطابية والفكرية والادبية فهو صاحب مدرسة مستقلة خاصة في الخطابة، وذاك أمر لم يتيسر للكثيرين ومدرسة رائدة في منهجها وأسلوبها لذلك جاءت متفردة في عطاءاتها وأبعادها ولأن مدرسته كانت كذلك فقد جاء من بعده يسيرون على نهجه ويقتبسون من شعاع مدرسته وليس في ذلك منقصة لهم بل إني أرى ذلك فخراً لهم لأن مدرسة الوائلي هي المدرسة الحسينية التي انطلقت من اصلاحات المصلح الفذ الشيخ محمد رضا المظفر فلقد استقى من معينها الصافي وكان نتاجها الطيب كما كان الخطباء الذين

جاؤوا بعد الوائلي من نفس النتاج حاول البعض أن يقلّده وهو على المنبر أو يقارب صوته عن صوته وما ذلك إلا دليل على عبقرية هذا الخطيب غرس أبي تراب [السيد حسين الشامي، المرجعية الدينية].

٩ - رائد علم من أعلام العراق، وعالم من علماء النجف الأشرف. خطيب وأديب تشهد له رابطة الأدباء في النجف، ورائد من رواد التجديد في المنبر الحسيني يعتبر بحق أمير الخطباء عرفته حلبات الخطابة على كافة مستوياتها الثقافية والأدبية في مختلف بقاع العالم منذ اكثر من نصف قرن حتى صار رمزا للتجديد والابداع والخط المتميز في خدمة أهل البيت عليهم السلام يعتبر رائدا من رواد الحركة الفكرية المعاصرة، وللشيخ الوائلي مقام كبير في نفوس ابناء العراق في داخل الوطن فلا زالت في ذاكرة الشعب تلك المجالس الرائعة التربوية والثقافية التي كان يلقيها من فوق اعواد المنابر في النجف الاشرف والديوانية والبصرة وباقي المحافظات وهو في اوج قوته وفتوته يعتلي المنبر ليصدح بذلك الصوت الشجي المؤثر في النفوس، تفاعلت معه جميع طبقات المجتمع من المثقفين وسائر الناس حتى صار حديث الساعة والرجل والخطيب الاول في مجالس سيد الشهداء.

وبقيت تلك الصورة جميلة في نفوس محبيه نقية بيضاء ناصعة، حيث لم يدنس هذا الطود الشامخ نفسه بحطام الدنيا، وحفظ للمنبر كرامته ولم يستعمل المنبر لاغراض رخيصة كالدعايات الشخصية وكسب المال بل ابتعد عن ذلك حتى بقي في القمة محترماً، لم يذل نفسه لغير حقه ولم يعرف عنه سقطة في قول أو انحراف في سلوك او محاربة لاحد، وغادر العراق وبقيت هذه الصورة مشرقة في نفوس الملايين من أبناء الشعب العراقي حتى وصل الحب إلى درجة التقديس ونسج بعض صور من كرامات قد لا يرضى بنشرها هو نفسه.

وقد انتجت تلك الصورة شوقاً في نفوس محبيه لرؤيته والتمتع بالنظر إليه يتمثل في قول احدهم إذا ذكر اسمه عنده (اني مشتاق لرؤيته، وهل يمكن أن أراه)؟

وفي صيف ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م رأيت الوائلي في مقام السيدة زينب وبمجرد أن رآه العراقيون المقيمون والقادمون من بلدان العالم حتى ارتفعت أصواتهم بالصلوات على محمد وآل محمد. واندفع الجميع حوله يسلمون عليه وهو يحيّهم ويبتسم في وجوههم، وما جاء هذا عن عاطفة عفوية بل عن سلوك خاص ما استطاع أن يصل اليه إلا بعد سعي دائم في المحافظة على شخصية إسلامية [الشيخ عبد الجليل الديواني، مجلة آفاق حسينية].

١٠ - تعرفت على الشيخ أحمد الوائلي منذ بداية الستينيات الميلادية حينما انتخبت عضوا في جمعية منتدى النشر في النجف الاشرف سنة ١٩٦٢، فربطت بيننا أواصر الاخوة والمحبة من أول اجتماع.

الشيخ أحمد الوائلي: من عائلة عربية عريقة، ولد في النجف الاشرف في أوائل الثلاثينيات الميلادية ودرس على أبيه المرحوم الخطيب الشيخ حسون النحو والصرف وفنون الخطابة، ثم دخل كلية الفقه لجمعية منتدى النشر، وتخرج منها بتفوق، وأخذ طريقه إلى الجامعات العلمية في بغداد والقاهرة، وحصل على عدة شهادات دكتوراه بدرجات ممتازة، وما ترك الخطابة والمنبر الحسيني طيلة هذه الفترة، لانه كان خطيباً مفوها وذا صوت رنان، واسلوب رائع في الخطابة والبيان، كان نسيج وحده، بالإضافة إلى متابعته لمراقي درجات العلوم.

الشيخ أحمد الوائلي: يمتلك نفسية زكية كريمة لا تعرف الحقد والحسد، ومتديناً، وما شاهدت خطيباً يخرج الحقوق الشرعية من فائض امواله التي يحصل عليها عن طريق الخطابة والمنبر الحسيني. وكان مقلداً للإمام السيد الخوئي، واتذكر انه دفع مرة اموالاً طائلة من حقوقه الشرعية إلى من يعتقد ويجزم بحاجتهم الماسة اليها، ولما قدم حساباته للسيد الخوئي رفضها ولم يرها لازمة لصرفها في هذا الباب، وعاد من جديد ودفع المبلغ بكامله للسيد الخوئي وابرأ ذمته، وما كان احد يفعل ذلك حتى ولو كان تاجراً مثرياً، لولا ايمانه العميق وكرم نفسه.

الشيخ أحمد الوائلي: يمتلك خصلتين ما شاركه بهما احد إلا نادراً، بره لوالديه وخاصة المرحوم والده الذي كان عصبي المزاج وشديد الوقع، ولكنه تفانى في خدمته حتى النفس الأخير من حياته رحمه الله.

والخصلة الثانية اتصاله الروحي بسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام اتصالاً وثيقاً ما انفصمت عراه.

وهاتان الخصلتان هما بسبب توفيقه، والذي أصبح من خلالها أبرز خطباء المنبر الحسيني في عصره بلا منازع.

هذا قليل من صفاته الحميدة وسجاياه الفاضلة التي عشتها معه طيلة المدة ذكرياتي. [الحاج حسين الشاكري]



الوائلي والخطابة

تعريف الخطابة لقد عرف اللغويون الخطابة بأنها اسم للكلام أو كلام منثور مسجع ونحوه هكذا عرفها صاحب لسان العرب والمنجد وغيرهما في مادة خطب أما علماء المنطق فقد عرفوها بأنها صناعة علمية يمكن بسمعها إقناع الجمهور في أمر يتوقع حول التصديق قدر الامكان وبنفس هذا التعريف فقد عرفها الحجة العلامة المظفر في كتابة المنطق قائلا: والخطيب في كتاب اللغة والخطيب عند علماء اللغة هو ناقل الكلام أو حسن الخطبة.

ويتوخى من الخطابة تهيئة النفوس لقبول ما يراد إقناعه به اما الفيلسوف ارسطوطاليس فقد قال الريطورية تتكلف الإقناع الممكن في آن واحد والريطورية في اللغة اليونانية تعني الخطابة اما الفيلسوف الفارابي فقد عرفها صناعة قياسية غرضها الإقناع في جميع الأجناس العشرة اما الدكتور أحمد الحوفي فقد عرفها في كتابه فن الخطابة (الخطابة فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته) ويقول الرئيس ابن سينا: صناعة الخطابة عظيمة النفع جداً.

أنواع الخطابة:

١ - الخطب الدينية ويلحق بها مجالس التعزية.

٢ - الخطب السياسية ويلحق بها الخطب البرلمانية.

٣ - الخطب العسكرية ويلحق بها خطب الفتوحات.

٤ - خطب المناظرات والمفاخرات.

٥ - خطب المناسبات والأعياد وتشمل خطب المحافل وخطب التكريم وخطب النكاح والأصهار وخطب الرثاء والعزاء.

٦ - الخطب الشرعية وتشمل خطب صلاة الجمعة خطب الأعياد وعيد الأضحى وعيد الفطر.

٧ - خطب المرافعة والاتهام وتشمل الخطب القضائية.

٨ - الخطب العلمية وتشمل خطب المناظرات.



رحلة الوائلي مع المنبر الحسيني

ولد الوائلي في بيت تشم فيه رائحة من روائح المنبر وينطلق منه عبق من نهج البلاغة وتسمع فيه صوت الحماسة الحسينية فوالده الخطيب الشيخ حسون الوائلي خطيب وأديب ووالدته الحاجة بيبي آل جدي شاعرة تنظم الشعر في رثاء الحسين وزوج عمته الخطيب الشهير محمد علي قسام خطيب الثورة لقد ولج الوائلي في مدرسة المنبر وهو ابن عشر سنين وكانت بدايته الاولى مع المنبر الحسيني مع والده الشيخ حسون ثم اخذ يتعلم الخطابة التقليدية وهي كما تعرف في المحيط النجفي بقراءة المقدمة حيث لابد للخطيب ان يتصنع على أستاذ ناجح لمدة معينة.

وقطع الوائلي في هذه المدة شوطا مع ثلة من الخطباء البارزين مثل السيد باقر سليمون والشيخ مسلم الجابري والشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ جواد قسام والشيخ محمد الكاشي واستمر الوائلي في قراءة المقدمة مع هؤلاء الخطباء لمدة سبع سنوات بحسب ما ذكره الوائلي نفسه، وكان في تلك الفترة يسجل كل شاردة وواردة ثم استقل بطريقته الخاصة وانفرد بنفسه بأسلوب جديد أشبه بالمحاضرات الموضوعية فنال إعجاب أساتذته بأسلوبه الجديد الشيق والممتع واخذ يحلق يوما بعد يوم حتى هيمن على الساحة الإسلامية وأصبح ركناً هاماً في مدرسة الخطابة وضمها بعباءته بكل جدارة وكفاءة وأسس مدرسة جديدة في الخطابة الحسينية وأصبح ركناً هاماً وقطباً من أقطاب المنبر.

حمل الوائلي في هذه المرحلة حمل الرسالة بصورة موضوعية بعيداً عن التزمت والانغلاق عن الواقع المعاصر فلقد تبنى الواقع وتصدى للدفاع عن هموم الأمة الإسلامية وحدثت في عصره مشاكل ومحن وآلام قابلها برد موضوعي علمي يستفيد منه العالم والجاهل. لقد كانت تلك المجالس لها الدوي في عروش المد

الأحمر الذي هيمن على العراق آنذاك حتى ذاع صيته وأصبح الوائلي أمير المنبر الحسيني من خلال مجالسه الشيقة التي تفوح منه رائحة المسك والعنبر.

ابتدأت مجالسه في البداية في النجف واخذت تتسع ثم الجماهير الحاشدة التي قل نظيرها في جانب الحضور وناهيك عن بغداد العاصمة العراقية في مسجد الخلاني ومسجد الهاشمي في الكاظمية ومسجد الصفار في الكرادة وجامع براثا في العطيفية ثم اخذ الوائلي يتجول بين البصرة والديوانية والناصرية والكاظمية وكربلاء ثم اتسعت مجالسه إلى الخليج في الكويت والبحرين وعمان وقطر وسوريا ولبنان ولندن.



مكونات شخصية الوائلي الخطابية

أولاً: درس الوائلي العلوم الإسلامية في الحوزة العلمية النجفية من فقه وأصول ولغة وكلام وسيرة وتاريخ وتفسير للقرآن فاكتسب عمقاً واسعاً ومعرفة واقعية حتى صقلت هذه المدرسة عقليته وكونت شخصيته الثقافية وتعهدت بتكوينه فكرا وأدباً ومنهجا لذلك استفاد الوائلي في هذا الجو المشحون بالعلم والمعرفة.

ثانياً: دراسته الأكاديمية وانفتاحه نحو الافكار المتنوعة وهذه الخطوة التي خطاها الوائلي هي الأولى من نوعها حيث لم يعرف عن الخطباء انهم يسلكون السلك الجامعي والأكاديمي بل راح يقول احدهم مستهزئاً بمهنة المنبر: أجلكم الله هذا روزخون.

دخل الوائلي أول كلية وهي كلية منتدى النشر ثم تحولت إلى كلية الفقه فحصل على شهادة الليسانس منها بالعلوم الإسلامية واللغة العربية ولعل هذه الكلية ساهمت في نمو شخصيته وفتحت له الآفاق نحو الأفضل وان كان هذا الفضل عظيما فيعود إلى الحجة العلامة المظفر مؤسس كلية الفقه في النجف الاشرف.

ثم غادر الوائلي النجف متجهاً إلى بغداد لنيل شهادة الماجستير في معهد الدراسات التابع لجامعة بغداد فنال شهادة الماجستير منها تحت عنوان أحكام السجون في الإسلام وفي هذه المدة لم يترك الوائلي الخطابة بل كان يوفق بين الدراسات العليا ومنبره في بغداد ثم ذهب إلى القاهرة لنيل شهادة الدكتوراه في كلية دار العلوم وقدم أطروحته الموسومة استغلال الأجير في الشريعة الإسلامية وهي أول شهادة تعطى لخطيب شيعي عراقي من الأزهر الشريف.

ثالثاً: اطلاعه الواسع على مؤلفات كبار علماء السنة في السيرة والتاريخ والحديث وكذلك التفاسير القرآنية المألوفة المشهورة كالرازي والزمخشري

والقرطبي وسيد قطب والطنطاوي وكان كثير الاستشهاد بالتفسيرين الكبيرين التفسير الكبير للرازي والكشاف الزمخشري إضافة إلى ذلك انه درس المذاهب الإسلامية الأربعة إلى جانب الفقه الجعفري في آن واحد.

رابعاً: نشأته في البيئة النجفية: هي بيئة غنية بالفكر والفقه والأدب والمعرفة وتموج بتيارات فكرية وثقافية وشعرية وحفل عصره بشخصيات فذة امثال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والسيد محسن الحكيم والشهيد محمد باقر الصدر والسيد أبو القاسم الخوئي والشيخ الحلي.

خامساً: شاعريته:

الوائلي شاعر مبدع محلق رهيف الإحساس والشعور وشاعر مبدع محترف لا يتنفس إلا من خلال الشعر فمنبره لا يخلو من شواهد شعرية بديعة قديمة وحديثة ولعل ابرز ما يقرأه في محاضراته من شعره الخاص وهذه سمة نادرة في عالم الخطابة

سادساً: علاقته مع النظريات العلمية: الوائلي مثقف متابع جيد لأحدث النظريات العلمية وخاصة في مجال الطب والفلك والكيمياء والمخترعات العلمية وكان يوظف اغلب هذه المعلومات في محاضراته لتدعم الفكرة التي يناقشها كما ناقش الوائلي نظريات عديدة في علم النفس والفلسفة والاجتماع ونظريات أخرى مثل نظرية تشارلز دارون ونظرية التطور ونظريات جان بون سارتر وهيكل وفرويد، والنظريات العلمية التي ترتبط بواقع الإنسان والكون.

سابعاً: كان الوائلي مطّلعاً على الأفكار والفلسفات الغربية والعلمانية والاشتراكية والشيوعية، الأمر الذي مكنه من عقد مقارنات موفقة ساهمت في إفشال النظريات الفاسدة.

ثامناً: للوائلي ملكات شخصية انفرد بها وميزته عن الخطباء الآخرين

كالحضور الفكري وسرعة البديهة واقتناص الشاهد التاريخي والإسلامي وبلاغة في الكلام وعبارات مسبوكة.

تاسعاً: علاقاته الواسعة: لقد كان للوائلي علاقات واسعة مع رجالات الفكر والأدب مما جعله يستفيد من طروحاتهم ومناهجهم ولم يقتصر الوائلي في علاقاته بشخصيات معدودة بل كانت واسعة النطاق مثل علاقته بالأب المسيحي انستاس الكرملي والدكتور علي الوردي والشيخ أحمد عارف الزين والدكتور محمود البستاني والشيخ محمد جواد مغنية والشيخ أسد حيدر والشيخ محمد مهدي شمس الدين ومراجع الشريعة العظام.



كيفية تأليف المحاضرة

بقلم الوائلي

كثيراً ما يوجه إليّ السؤال من بعض أخواني من الخطباء وممن هم خارج دائرة الخطابة ولكن يعنيهم هذا الموضوع لسبب وآخر حول طريقة كتابة الموضوع وكيف يتم البدء به والسير في مراحله. ولا بد من شرح ذلك وذكر مراحله ثم يتم إيراد أمثلة على ذلك.

لا بد بادىء ذي بدء من تصور نوع الموضوع وهدفه مثلاً هل هو موضوع خاص وعام لا يرتبط بمناسبة ويصلح لأن يقرأ دائماً ثم يتعين تحديد الهدف من الموضوع حتى يتم على ضوئه البحث عما يرتبط به أي هل هو سيرة لشخص يراد البحث عما يرتبط به سلباً وإيجاباً، أو هو تقديم مثل أعلى يراد دفع الأمر نحوه والنسج على منواله أو هو شحن وتعبئة لتحرك معين في بعد من الأبعاد وما إلى ذلك من الأهداف. إن تصور نوع الموضوع وتحديد هدفه هن من أوليات تأليف الموضوع وبعد هذا التصور نشرع بالمراحل التالية:

١ - اختيار نص يكون صدراً للموضوع وعنواناً له تدور أجزاء الموضوع حوله كأن يكون هذا النص آية من كتاب الله تبارك وتعالى، أو حديثاً نبوياً شريفاً أو رواية عن أهل البيت عليهم السلام أو بيتاً من الشعر يتضمن الهدف وهكذا.

٢ - بعد اختيار النص نتوجه للتأمل في مفاده وجوّه العام ثم نجزئه إلى مفرداته المكونة له لنرى ما ترتبط به هذه المفردات من معنى يتضمن حكماً شرعياً أو قاعدة علمية أو نكتة أدبية أو توجيهاً أخلاقياً فنشير لذلك وندعم به المفردة من باب التأييد لمعناها أو التنظير لها أو غير ذلك.

٣ - نستدعي هذه المضامين المشابهة لضمها إلى المفردة ودمجها في صلب الموضوع.

٤ - ملاحظة وجود الرابط بين مفردات هذا النص وعدم الغفلة عنه.

٥ - نختتم هذا الموضوع بصورة عضوية منسجمة مع جانب من جوانب الطف ولعل هذه العملية الأخيرة أصعب ما في تأليف الموضوع عند البعض لتباعد مضامين معظم البحوث عن الارتباط بمعنى أو جانب من جوانب واقعة الطف وهذه المسألة مما لم يعد لها مكان في اهتمام المنبر الفارسي أو الهندي أو غيرهما فإن تلك المنابر لا تحرص على ربط واقعة الطف ربطاً عضوياً بالموضوع بل تورد شيئاً من فصول مأساة الطف بعيداً عن سنخ ونوع الموضوع للجمع بين الفائدة العلمية بالموضوع وبين الحصول على الأجر في سكب الدموع مواساة لأهل البيت وللتخلص في الوقت نفسه من الإحراج في عدم حصول الإنسجام والتناسب بين الموضوع والخاتمة والذي قد يأتي أحياناً هزيلاً. لعل هذه أبرز مراحل تكوين الموضوع.

الأشياء المتممة لتأليف الموضوع وإن لم تكن بنفس الأهمية التي ذكرناها للأمور السابقة ولكنها مما يفتقر إليها الموضوع وقد تكون عند البعض أهم مما ذكرنا وهذه الأشياء هي:

١ - القدرة على هندسة هيكل الموضوع بحيث يبدو الانسجام بين أجزائه وعدم وجود نتوءات يعثر بها الذوق، والحقيقة أن هذه المهارة تأتي من الدُربة الطويلة وممارسة كتابة المواضيع التي تتحول تدريجياً إلى خبرة راسخة.

٢ - اختيار المفردة المناسبة للمعنى بحيث لا تكون فضفاضة ولا ضيقة بل تكون ثوباً مناسباً للموضوع ومنسجماً مع سنخه ويتم ذلك بالبحث عن اللفظة المناسبة.

٣ - البعد بالموضوع عن المبالغات وعما لا يُهضم من قبل الجمهور لأنه فوق قدراتهم الذهنية ولا يرتبط بتياراتهم المعرفية وقد أشرت لشيء من ذلك خلال الكتاب وهذه التي ذكرتها موضوعية وهنا أمور تتمازج فيها الموضوعية مع الذات وترتبط بسنخية الموضوع ومن أهمها:

أ - أن لا نخلع ذاتنا على الموضوع عن طريق التحدث عما يخصنا أو يخص تجاربنا الذاتية مما له صلة بالأنا، فإن ذلك مما يستثقله السامع فينبغي أن يحسب له ألف حساب.

ب - أن نهيىء أنفسنا للطوارىء وذلك بضرورة وجود أرضية غنية عند الخطيب بالمطالعات العامة التي تكوّن رصيده الذهني الذي يسعفه عند الحاجة ويجعله قادراً على الاستطرادات التي تبعث أحياناً الحيوية في هيكل الموضوع ثم يعود من بعدها لصلب الموضوع. وأهم شيء في هذه الأرضية العامة استحضار بعض النقاط البارزة التي يعرف الخطيب أهميتها من خلال ممارسته للقراءة ويعرف مدى الحاجة لها في مقام خدمة دينه وعقيدته. وبتعبير آخر أن يكون مخزون الذاكرة كبيراً ومنوعاً فإن لكل لون من المعرفة مكاناً من المحاضرة تحتاجه.

ج - التنوع في مواد المحاضرة أمر ضروري فلا ينبغي أن يطغى عندنا جانب الاختصاص. وللتوضيح أقول: قد يكون الخطيب مهتماً بالتاريخ وهنا يملأ المحاضرة بالتاريخ أو قد يكون من المعنيين بالعلوم العقلية فيضع المحاضرة في ذلك القالب وهكذا وإذا فعل الخطيب ذلك يكون قد عمل على فشل الوضوع ثبوتاً وإثباتاً. وبعد هذه المقدمة التقريبية لطريقة تأليف المحاضرة أود الإشارة إلى أن كل ما ذكرته مرتبط بالذوق والمزاج عند مؤلف المحاضرة فينبغي أن تكون هذه الملاحظة مفهومة. والآن سأشرح طريقة تأليف الموضوع كما درجت عليها وتكاد تكون موحدة مع مختلف أنواع النص الذي أجعله صدراً للموضوع كما سيتضح:

المحاضرة الأولى تفسير آية من كتاب الله تعالى وهي قوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا

حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

بعد قراءة الآية الكريمة تأملت في جوها العام الذي هو المناط وراء المضمون فاتضح أنه رفع الحرج والضرر وتأكيد كون الشريعة يسراً لا عسر فيه فينبغي أن تدور المفردات في نطاق هذا الهدف. رجعت بعدها إلى مفردات النص وأولها قوله تعالى: إنما حرم، والجملة تفيد الحصر لوجود أداة الحصر وهي إنما فراجعت كتب الفقه للبحث عما إذا كان هذا العموم وهو مفهوم الميتة على عمومه أم أنه مخصوص بالحلال من الميتة الذي وردت به روايات وأشير هنا إلى أن المعالجة على المستوى الإسلامي لا مستوى الفقه الإمامي فقط فرأيت أن النص ليس على عمومه فأشرت لذلك. ثم رجعت إلى لفظ الميتة بالتخفيف لأرى هل هناك فرق بينها وبين صيغة التشديد وهي الميتة فرأيت أن الفرق هو أن الميت بالفعل يطلق عليه اللفظان مَيْتْ ومَيّت أما الحي فقط يطلق عليه أنه ميّت بالقوة أو الصيرورة، ومنه قوله تعالة مخاطباً النبي ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، ومنه قول الشاعر:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

فانطلقت من ذلك إلى بحث تفسير القرآن بلغة العرب، لأن القرآن نزل بهذه اللغة فلا بد من اعتبارها أحد مصادر التفسير في توضيح المعنى ومن هنا اعتبر التفسير بلغة العرب أحد مصادر وأقسام التفسير كما ينبغي أن يراعى ما هو خلف السطور من تعبيراتهم فإنك عندما تقرأ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٧٩] تستوقفك العبارة لأن ذلك من الأمور المعروفة فلا داعي لأن يقول القرآن الكريم - بأيديهم - وهل يكتب الكاتب برجله مثلاً، فما وراء السطور إذاً هو المراد وهو تأكيد مسؤوليتهم عن الافتراء وهكذا. وفي هذا الموضوع - أعني تفسير القرآن بلغة العرب - باب واسع افاضت به كتب التفسير ومن أكثرها

روعة في ذلك كتاب الغرر والدرر للشريف المرتضى قدس سره، ثم أشرت إلى أن الميتة هنا ما عرفه الفقهاء: ما فارقته الروح من غير ذكاة، انتقلت بعدها إلى محاولة تسليط الضوء على سر تحريم الميتة أو الحكمة التقريبية - والله أعلم بمراده - مع أن ما يذبح وما يتردى فيموت دون أن يذكى هو بنتيجة واحدة فذكرت بعض ما يقال هنا وأشرت إلى إشكال أهل الجاهلية على المسلمين بقولهم: إنكم تأكلون ما يقتله الإنسان ولا تأكلون ما يقتله الله تعالى دون أن يتلفتوا إلى أسرار التحريم واستعرضت ما يقال في الدم ولحم الخنزير من أضرار قد تكون هي العلة في التحريم أم أنها ليست بالعلة لأنه ليس من الضروري أن تكون العلة كامنة في الشيء المحرم ذاته بل لسبب خارج عنه كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا﴾ [النساء: ١٦٠].

ووقفت بعدها عند قوله تعالى: ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] فانتهيت إلى أن سر التحريم ليس في ذات ما أهل به لغير الله بل لسبب خارج هو تنزيه العقيدة وكانت عادتهم أن يرفعوا الصوت باسم من يذبحون له سواء أكان صنماً أو ناراً أو غيرهما ثم استعرضت أدلة الفقهاء في معنى ما أهل به لغير الله هل هو ذكر اسم غير اسم الله تعالى أم التوجه بنية الذابح لإرادة غير الله تعالى فذكرت أن هنا مذهبين للفقهاء في ذلك واستعرضت حادثة سحيم الريحي التميمي مع غالب والد الفرزدق في أيام المجاعة بالكوفة عندما تفاخرا وتباريا في العصبية حتى ذبح غالب ثلاثمائة بعير وألقى لحمها على الكناسة لأن الناس استفتوا أمير المؤمنين عليه السلام في جواز الأكل منها فمنع كما يروي وقال **إنها مما أهل به لغير الله** والقصة مذكورة في كتب التاريخ، واستطردت من لفظة: ﴿أُهِلَّ بِهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] إلى استهلال الصبي عندما يولد ويرفع صوته بالبكاء واستغلال الأدباء والفلاسفة والأطباء لتفسير هذه الظاهرة كل من زاويته، عدت بعدها لشرح قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ [المائدة: ٣] فاستعرضت الأقوال في معنى الاضطرار وأنه يعم ما يخاف معه

الإنسان على نفسه من التلف كالجوع، وما يُكره الإنسان على تناوله، فاوردت ما يدعم هذا الحكم من أدلة أخرى من الآيات والأحاديث وحكم العقل. ورجعت بعدها للاستثناء المتمثل بقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ﴾ [البقرة: ١٧٣] فاستعرضت المعاني في كلمتي باغ وعاد وانتهيت إلى أن أهمها أن يكون باغ للذة وعاد أي مستكثر بحيث يتعدى مقدار حفظ النفس إلى الامتلاء وذلك أن الضرورة تقدر بقدرها فلا يأكل من المذكورات. إلا ما يسد الرمق وذلك إذا لم يجد طعاماً آخر يأكل منه قبل أن يضطر إلى المذكورات أما إذا وجد طعاماً لغيره فيأكل منه قدر الحاجة فإذا منعه صاحب الطعام فله أن يقاتله ويعتبر هنا قتاله دفاعاً عن النفس فإذا قتل صاحب الطعام فدمه هدر وإذا قتل المضطر فديته على صاحب الطعام أو القصاص، وانطلقت من هنا إلى مساحة كبيرة يتبناها المشرع في التأكيد على المصلحة العامة وموقفها من ثورة الجياع. عدت بعد ذلك إلى جمع المفردات في إطارها تحت الهدف العام للآية الكريمة وهو نفي العسر والحرج فهو أصل عام وهو حاكم غير محكوم عليه ومطلق لا ينفى وينتفى به كل عسر وحرج وأشبعت ذلك بإيراد أدلة أخرى من النصوص كقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكقوله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**»، وكقوله: «كلما غلب الله عليه فهو أولى بالعذر»، وأشرت إلى أن معنى لا إثم عليه هو سقوط خطاب التكليف أما الخطاب الوضعي فلا يسقط لأنه يتعلق بحق الغير

وماله، وبعد ذلك كله ربطت الموضوع بواقعة الطف من زاوية أن الأمويين استهدفوا تجويع المسلمين بنهب أرضهم ومزارعهم ومنعهم حتى من الماء فكان لا بد من الوقوف بوجههم وكان قتالهم مما هو في نطاق الشرع وإن أدى الأمر إلى التضحية.. الخ[١].

النموذج الثاني:

وصدر الموضوع في هذا النموذج حديث شريف وهو قوله ﷺ: «**من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة إلى الله تشخب أوداجه دماً عبيطاً يقول يا رب سل هذ فيما قتلني لم ينتفع بلحمي ولم يتركني آكل من خشاش الأرض**». في مواجهة هذا الحديث الشريف لا بد باديء ذي بدء من التعرف على الجو العام للحديث كما صنعنا في الآية الشريفة وبالتأمل اليسير يتضح الهدف وهو أهمية حفظ الدماء وعدم سفكها إلا فيما أرشد إليه الشرع وهو مضمون يزرع معنى السلام في داخل نفس المسلم لما يحمله من التلويح بفداحة المسؤولية المترتبة على سفك الدماء بدون حق ولا يكون مثل شعارات السلام التي تعيش على الألسنة فقط دون الالتزام بمضمونها وأحياناً دون تشريع ما يناقضها فكثيراً ما رأينا من التشريعات التي تتبنى السلام لفظاً وتشرع ما يناقضه في أكثر من مادة. وقد تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة الكثير من النصوص في ذلك ودعمها بالسير العملية والتطبيق برغم تهريج المهرجين ويتضح ذلك بالرجوع إلى الإحصائيات عن مجموع ما قتله المسلمون في كل حروبهم ومقارنته بحرب من حروب منتقدي الإسلام وعموماً شرحت هذا الغطاء الحديث أولاً وجعلته الملاك الذي تنتظم به المفردات كلها ثم

(١) مصادر البحث: كتب الفقه باب الإضطرار، وتفسير الآيات المذكورة عند القرطبي ومجمع البيان والرازي.

عدت لألفاظ الحديث فذكرت أن المراد بالقتل الصيد لأن الصيد يطلق ويراد به معاني متعددة والذي يهمنا منها هنا هو: محاولة الاستيلاء على حيوان ممتنع بأصله سواء أكان بحرياً أو برياً طائراً أو غير طائر وهو إلا ما خرج بالدليل جائز للنص والإجماع وسيأتي ما يخرج عن هذا الجواز، وللصيد المقتول بالآلة شروط ذكرتها وهي كون الصائد مسلماً، وكونه عاقلاً مميزاً، وكونه قاصداً للصيد عن الرمي لا أنه جاء عفواً، وكون الصيد قد قتل بالآلة بسبب آخر، وذكرت للبعض شرطاً آخر لم يأخذ به الفقهاء، كما أن شروط قتل الصيد بالكلب المعلّم ذكرتها وهي خمسة: أولها أن يكون الكلب معلماً وقد بينت معنى التعليم، وثانيها أن يرسله صاحبه بقصد الصيد وثالثها أن يكون مرسل الكلب مسلماً لأن الإرسال هنا من أنواع التذكي، ورابعها التسمية عند إرسالها الكلب، وخامسها أن يدرك الكلب الصيد وهو حي ويستند موت الصيد إلى جرح الكلب. أما الحيوان المصاد فشروطه أولاً أن يكون مما يقبل التذكي، وثانياً أن يكون برياً، أو أهلياً تحول إلى بري، وثالثاً أن يكون قادراً على الامتناع، وبالجملة أشبعت جوانب موضوع الصيد، رجعت بعدها إلى كلمة عُصفور للتعرف عما إذا كانت التسمية مشتقة وفيها معنى الوصف مما قد يكون له صلة بالحكم أم غير ذلك فاستعرضت القولين في ذلك، عدت بعدها إلى كلمة عبثاً وهي من مراكز الثقل في الموضوع لأن لها مفهوماً يشير له المنطوق الذي هو العبث فانطلقت منه إلى الصيد المباح وأقوال الفقهاء فيه والصيد المحرم وأدلته من النقل والعقل فإن مفاد كلمة عبث أنه لم يقتله لفائد من الفوائد التي أباح الله تعالى معها سفك دم هذا الحيوان وهي الصيد للتجارة والصيد من أجل القوت بل أقدم على ذلك لمجرد التلهي بقتل الحيوان وهذا القسم من الصيد محرم والأدلة على ذلك كثيرة ومن هذه الأدلة ما روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام **سألته عمن يخرج بأهله بالصقورة والبزاة والكلاب يتنزه الليلتين والثلاث هل يقصر من صلاته أم لا قال لا إنما خرج في لهو فلا يقصر** ومنها ما رواه اسماعيل بن أبي زياد عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال **سبعة لا يقصرون وعدّ منهم الرجل يطلب الصيد يريد به**

لهو الدنيا. ومنها ما ورد في معتبرة عبيد بن زرارة قال: **سألت أبا عبد الله** عليه السلام **عن الرجل يخرج إلى الصيد أيقصر أو يتم قال: لأنه ليس بمسير حق**. والإطلاق في هذه الرواية مقيّد لخروج صيد التجارة وصيد القوت عنه فتكون الرواية مختصة بصيد اللهو، والتعليل الوارد بالروايات يجعل خروجه لهذا الصيد سفر معصية يتم معه الصلاة وما ذاك إلا لقتل حيوان عبثاً، وانطلقت بعد ذلك من هذا العنوان ومن نظائر له في النهي عن قتل وتعذيب الحيوان إلى أن الفقه الإسلامي كان رائداً في حماية الحيوان ووضع الضوابط وأنواع التعامل معه، وبدليل الأولوية فهو رائد في تشريع حقوق الإنسان وأوردت بعض المقاطع في هذا المعنى رجعت بعدها إلى جملة - يقول: يا رب سل هذا - والجملة تحتمل معنيين المعنى الأول أنه يقول ذلك بلسان الحال وهذا اللون من الفهم استعماله شائع بلسان العرب، أما المعنى الثاني فهو أنه له لغة خاصة يعبر بها عن المعاني فهو يتكلم بها مع خالقه الذي جبله عليها وهناك جملة من الآيات والروايات تصرح بوجود لغة للحيوانات وفيما يخص هذا الموضوع بالذات يروي صاحب حلية الأولياء بسنده عن أبي حمزة قال كنت جالساً عند الإمام زين العابدين فإذا عصافير يطرن حوله ويصرخن فقال يا أبا حمزة هل تدري ما تقول هذه العصافير قلت لا قال إنها تقدس ربها جلّ وعلا وتسأله قوت يومها، وقبل ذلك يصرح كتاب الله عن نبيه بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا﴾ [النمل: ١٦] الخ.

وعدت بعد ذلك لجملة: **ولم يتركني آكل من خشاش الأرض**، فانطلقت منها إلى بحث في التوازن البيئي لأن نظام التعامل ما بين الحيوانات دخيل في توازن البيئة مما قد أصبح معروفاً وكتب فيه الكثير فشرحت شيئاً من ذلك، ثم ختمت الموضوع بقوله: جاء يوم القيامة فذكرت فصلاً في حشر الحيوانات وأهداف هذا الحشر ومنها القصاص والأحاديث والروايات الواردة في ذلك وخلصت من ذلك إلى حشر الحسين عليه السلام وقتلته والاقتصاص منهم.

النموذج الثالث:

كان صدر البحث في هذا الموضوع رواية ذات صلة بواقعة الطف وهي ما رواه أبو مخنف في المقتل، والبلاذري في ترجمة الحسين عليه السلام من كتاب أنساب الأشراف بسنده عن عقبة بن أبي العيزار قال لما وصل الحسين عليه السلام إلى البيضة بالكسر وهي موقع لبني يربوع وهي متصلة بالحزَنَ (مقابل السهل) وهي غير البيضة بالفتح فهي لبني دارم وتقع ما بين واقص وعذيب الهجانات، والظاهر من الروايات أن المقصود بها الثانية وهي التي خطب بها الحسين عليه السلام أصحابه فقال: مصدراً خطبته بحديث للنبي صلى الله عليه وآله وهو: **من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**، ثم قال الحسين عليه السلام: **إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمان وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله وأنا أحق من غير..**

وبعد التأمل في هذا النص للتعرف على هدفه العام وملاحظة استشهاد الحسين عليه السلام بحديث الرسول صلى الله عليه وآله اتضح أن الهدف هو تعبئة الفرد المسلم وإيقاظ المسؤولية في نفسه للوقوف بوجه الحاكم الظالم الذي نعته الحسين عليه السلام بالاستناد إلى الحديث الشريف بالنعوت التي تجرده من العدالة وتدفع إلى الوقوف بوجهه ومنازلته وحماية الأمة من جوره واستبداده، بدا ذلك واضحاً أشد الوضوح، رجعت بعد ذلك إلى تجزئة مقاطع الحديث والرواية فانتهيت من مجموع مقاطع الحديث الشريف إلى أن ذلك مشرب الإسلام ومنهجه فهو لا يقر الجور بحال من الأحوال ولا يسمح بالسكوت عن الظالم وباعتبار الحسين عليه السلام جزءاً من جده وهو منه فهو يحمل نفس المزاج وبحكم كونه على قدوة يقتدى به فقد أصبح هذا الاتجاه وهذه الفكرة من سمات شيعته حتى عرفوا به ومن أجل ذلك قال معاوية لابنه يزيد لو طلب منك أهل العراق أن تعزل عنهم في كل يوم عاملاً فافعل فإن

ذلك أيسر من أن يسل عليك مائة ألف سيف، وانطلقت من هنا إلى أن ذلك سبب من أسباب مكافحة التشيع عبر العصور الأمر الذي أسسه الحكام ثم راح يمشي للآخرين بقوة الاستمرار واخترعت له المبررات التي لا تمت إلى الحقيقة بصلة مثل أن الشيعة يطولون ألسنتهم على أم المؤمنين عائشة، وأنهم يرمون جبرئيل بالخيانة ويعتقدون أنه بعث لعلي بن أبي طالب ولكنه خان وذهب بالوحي للنبي ﷺ ومثل قولهم: إن الشيعة لا يأخذون أحكامهم من هذا القرآن لأنه في نظرهم محرف وعندهم روايات تذهب إلى أنه محرّف وأمثال ذلك مما يعزفون عليه منذ عشرات ومئات السنين ولم يستطيعوا إثباته بدليل واحد عدا مجرد الادعاء وجل ما رموا به الشيعة هو عندهم فهو مصداق المثل - رمتني بدائها وانسلت -- وفي الجانب المقابل لموقف الشيعة من الحكام الجائرين وقف الفكر السني يهادنهم ويبرر تلك المهادنة بالروايات التي هي غير موثوقة ومخترعة وبآراء لا تصمد أمام المناقشة فقد رووا بسندهم عن حذيفة: ليس من السنة أن تشهر السلاح بوجه السلطان، فقد قال النبي ﷺ: **سترون فتناً وأثرة. قيل: فما تأمرنا بعد يا رسول الله قال: أعطوا الحق الذي عليكم وسلوا الله الذي لكم**، وعقب الراوي بقوله وهذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام ومذهبه هذا مذهب المحدثين من أهل السنة وإليه يميل الصوفية والمعتدلون، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: إن مخالفة ولي الأمر عند أهل الجاهلية وعدم الانقياد له فضيلة والسمع والطاعة ذل ومهانة فخالفهم رسول الله وأمرنا بالصبر على جور الولاة وأمر بالسمع والطاعة لهم والنصيحة وغلّظ في ذلك وأبدى وأعاد، وقال الطحاوي لا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا علينا ولا تدعوا عليهم ولا ننزع يداً عن طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل ما لم يأمروا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة. وألفت النظر هنا إلى التهافت في هذه المقتطفة فإنه يقول أمرنا بالصبر على جور الولاة والجور خروج عن طاعة الله تعالى لأنه أمر بالعدل ثم يقول ما لم يأمروا بمعصية وقد أمروا اتباعهم

بالجور على عباد الله وأي معصية بعد هذا، ويقول التفتازاني: لا ينعزل الإمام بالفسق أو بالخروج عن طاعة الله والجور أي الظلم على عباد الله لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والأعياد بإذنهم ولا يرون الخروج عليهم، وإلى أمثال ذلك من الآثار التي تتسم بالركة والتهافت وهي تشكل قاعدة في هذا الفكر من أجل ذلك كله لم يتعرض هذا القسم من الناس إلى أي مضايقة من الحكام. بعد ذلك انطلقت للتأكيد على أن نهضة الحسين عليه السلام ذات أبعاد اجتماعية وإن حاول كثير من الكتاب لسبب وآخر أن يفرغوها من المحتوى الاجتماعي ويصوروها بأنها ذات بعد شخصي أو حركة ارتجالية ليست بذات أهداف أو غير ذلك وأوردت الأدلة على فساد قول هؤلاء وأشرت بعد ذلك إلى أن النهضة تحمل معها مبرراتها بغض النظر عن كون القائم بها الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة، بل لأن الكتاب والسنة طافحان بما يؤيد موقف الحسين عليه السلام وختمت البحث بمفاد قول الحسين عليه السلام: **وأنا أحق.** لأنه الرأس الذي يواجه قبل غيره مسؤولية النهضة لموقعه من الأسرة والنبوة ولكونه الامتداد للنبي صلى الله عليه وآله الذي تشخص إليه الأبصار ويؤهل لأداء هذا الواجب فانطلق رافعاً شعار الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف بوجه الجور ومقارعة الظلم.

وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

النموذج الرابع:

صدر المحاضرة فيه بيتان من الشعر هما للشريف الرضي:

يابنت النبي ضيعت العهد رجال والحافظون قليل

ما أطيع النبي فيك وقد مالت بأرماحهم عليك الذحول

بعد التأمل في هذين البيتين انتهيت إلى أن الشريف الرضي رضوان الله عليه يريد من البيتين لفت النظر إلى أن الله تبارك وتعالى لم يطع ولم يلتزم بعهده الذي أخذه على الأمة بكتابه الكريم بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] وآيات أخرى بنفس المضمون وأخذه النبي ﷺ على الأمة بقوله: **إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً**. وبأحاديث أخرى مماثلة، فالألف واللام في لفظ العهد للعهد. ومن طاعة الله تعالى إطاعة مضمون الآيات والأحاديث ولكن القوم أطاعوا إله الهوى وهو الحقد وتركوا طاعة الله، فالشريف الرضي يصور هذا الجو بهذين البيتين ويؤكد على الصراع بين عبادة الله المتمثلة في إطاعة أوامره مباشرة أو بواسطة النبي ﷺ وإطاعة النفس الأمارة بالسوء والمتمثلة في الإنسياق مع الذحول والأحقاد، وبعد تأمل هذا الجو العام للبيتين رجعت إلى المفردات وأولها قوله يابن بنت النبي. وأنا أقطع هنا أن الشريف الرضي لا تعوزه القدرة على قول يابن النبي بدل قول يابن بنت ويمكنه تغيير البيت كله فما الذي دعاه لذلك خصوصاً وهو في عصر يحتدم فيه الصراع حول ذلك ويصر العباسيون ومن قبلهم الأمويون يصرون على هذا التعبير يابن بنت النبي ويعاقبون من يقول إن الحسن والحسين ولدا رسول الله ﷺ ومن أجل ذلك دفعوا شعراءهم وأدباءهم لتبني هذه الصيغة فيقول أحد شعرائهم:

وما لبني بنات من تراث   مع الأعمام في رق الزبور

ويقول أبو بكر الصولي: عاتب ابان الشاعر البرامكة وقال إن الرشيد يعطي الأموال للشعراء في حين هو فقير مع خدمته لهم وموضعه منهم فقال له الفضل إن سلكت مذهب مروان بن أبي حفصة - وكان مذهبه هجاء آل أبي طالب وذمهم - أوصلت شعرك وبلغت إرادتك فقال إني والله ما استحل ذلك فقال له الفضل كلنا نفعل ما لا يحل له ولك بنا وبسائر الناس أسوة فعندها قال أبان:

نشدت بحق الله من كان مسلماً اعم بما قد قلته العجم والعرب

أعم نبي الله أقرب زلفة إليه أم ابن العم في رتبة النسب

إلى قوله:

فأبناء عباس هم يرثونه كما العم لابن العم في الإرث قد حجب

فجاء بالأبيات للفضل وقال قد اقترحت فوفر على الجاري فقال الفضل ما بقيت- يعني سيجري عليك العطاء طول عمرك- فركب الفضل وابان وأنشد ابن ابان الأبيات للرشيد فأمر له بعشرين ألف درهم واتصل به بعد ذلك. وواضح من القصة أن العباسيين يريدون دفعهم عن صيغة أبناء رسول الله ويعبرون عنها تارة بأبناء عم وتارة بأبناء بنت وهو نفس منطوق أبيات عبد الله بن المعتز العباسي وهي:

لكم رحم يا بني بنته ولكن بنو العم أولى بها

قتلنا أمية في غابها فنحن أحق بأسلابها

ونحن ورثنا ثياب النبي فكم تجذبون بأهدابها

وفي الوقت ذاته تصدى شعراء الشيعة للرد على هؤلاء مؤكدين على بنوة الحسين عليه السلام للنبي، وحتى غير الشيعة من الشعراء تصدوا للرد على ذلك وتأكيد بنوة الحسن والحسين عليهما السلام لرسول الله كقول القاضي التنوخي في الرد على ابن المعتز (من ابن رسول الله وابن وصيه إلى مدغل في عقدة الدين ناصبي) إلى آخر أبياته، وقد عقد العلامة الجليل المرحوم الأميني في هذا المعنى فصلاً رائعاً في كتابه الغدير، وعلى العموم نعود فنسأل ما الذي دفع الشريف الرضي أن يخرج عن أجواء قومه في تبني نظريتهم في هذه المسألة والظاهر أن الشريف الرضي يريد أن يوضح أن النسبة لفاطمة لا تقل شرفاً عن النسبة لعلي عليه السلام وعلى هذا المنوال جرى الأدباء كقول بعضهم يابن الترائك والأرائك والفواطم والعواتك ثم انتقلت بعدها إلى قوله ضيعت العهد رجال والتعبير هنا مجازي فالعهد ما ضاع منهم

ولكنهم تناسوه لدافع آخر وحفظه القليل منهم فانطلقت استطراداً إلى موضوع العهد وهل هو من العقود أم لا وآراء الفقهاء في ذلك وأن الوفاء بالعهد واجب للأمر الوارد بقوله تعالى وافوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً، ولأنه لا يسأل عن غير الواجب وأوردت جملة من الآثار التاريخية حول الوفاء بالعهد وخصوصاً في تاريخ العرب قبل الإسلام وكيف كانوا يؤكدون على ذلك، وقد تطرفوا حتى التزموا بوفاء العهد والمحافظة عليه حتى مع الحيوان ولعل من أروع الآثار في ذلك قصة زياد الأعجم عندما وفد على المهلّب بن أبي صفره فأوكل المهلب ضيافته لابنه حبيب فبينما هما يوماً على سفرة الطعام إذ وقعت حمامة على السفرة وأخذت تغرد وتلقط الحب فقال لها زياد:

تغني أنت في ذممي وعهدي ... وحرمة والدي أن لا تطاري

وبيتك أصلحيه ولا تخافي ... على حجر المزغبة الصغار

فإنك كلما غنيت بيتا ... ذكرت أحبتي وذكرت داري

فإما يقتلوك طلبت ثارا ... له نبأ لأنك في جواري

فمازحه حبيب ورمى الحمامة فقتلها فقام زياد يهتز وقال قد خفرت ذمامي فإن لم تعد لي حقي لأعيدنها بسوساً ثانية فتلافى المهلب الأمر وأعطاه ديتها كدية الحر إذا قتل وأرضاه فخرج زياد وهو يقول:

فلله عيناً من رأى كقضية ... قضى لي بها شيخ العراق المهلب

رماها حبيب بن المهلب رمية ... فاقصدها والسهم يُحظى ويقرب

فألزمه عقل القتيل بن حرة ... فقال حبيب إنما كنت ألعب

فقال زياد لا يروع جاره ... وجارة جاري مثل جاري وأقرب

والأمثلة على ذلك في تراثهم كثيرة لا حاجة لإيرادها. عدت بعد ذلك إلى قوله ما أطيع النبي فيك، فذكرت أن هذا المقطع يحتمل وجهين الأول أن معنى

كلمة فيك أنك امتداد النبوة فإطاعتك إطاعة لها لأن معنى النبوة ومضمونها - عدا الوحي - ممتد في الإمامة ولذا يقول المتكلمون إن العلة في نصب الإمام هي نفس العلة في إرسال النبي ﷺ وهي عبارة عن إدارة شؤون الدين والدنيا فأفضت قليلاً في هذا المعنى لإيضاح هذا الموضوع ولعل الشعراء لم يفتهم ذلك ومن هذا قول بعضهم على لسان الحسين عليه السلام.

يا مسلمين خذوا دماء نبيكم من هامتي إن الحياة حرام

أما الوجه الثاني فظاهر ومعناه أنه ما أطيع النبي ﷺ فيما أمر به من مودتك ومودة باقي ذوي القربى كما أسلفنا ذلك في تحديد الجو العام الذي تضمنه البيتان ثم انتقلت بعد ذلك إلى قوله: وقد مالت بأرماحهم عليك الذحول فأشرت إلى أن ليس من قاتل الحسين من الجيش حمل الذحول برمحه بل إنهم قاتلوه لغيرهم فإن الذحول المذكورة هي دين الأمويين وعامة الجيش لم يكن كذلك فانطلقت من حيث المعنى إلى أن الأمم الجاهلة قد تقتل قادتها بأيديها لحساب غيرها فتحمل الوزر وتعطي المكسب لسواها وهي مسألة حفل بها التاريخ القديم والحاضر الفعلي والشواهد على ذلك كثيرة مستفيضة. وهذا الأمر هو الذي دفع الحسين عليه السلام ليبين للجيوش التي جاءت لقتاله فداحة ما هي قادمة عليه وفداحة خسارتها دنيا وآخرة. وآخر موقف له في هذا المعنى يوم العاشر حين ركب فرسه وقرب منهم وخطبهم بخطبته الشهيرة وهي التي وردت في اللهوف على قتلى الطفوف ومقتل الخوارزمي وتحف العقول في ألفاظ مختلفة ومعان تكاد تكون موحدة وقال فيها: تباً لكم أيتها الجماعة وترحا أحين استصرختمونا والهين فأصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم.. الخ.. لقد كانت مقاطع هذه الخطبة تنم عن مضامين منوعة وتكشف عن جوانب لا يستغني عنها باحث في تاريخ الطف ويصل منها إلى وضع يديه على مفارقات غريبة ما كانت متوقعة فإن جور الأمويين كان ينبغي أن يدفع أولئك الناس للالتفاف حول هذه النهضة والانتصاف لأنفسهم ولكن

الذي حدث هو العكس. إنك لتلمس اللوعة في قوله عليه السلام: أعنا تتخاذلون وهؤلاء تنصرون وفي قوله: من غير عدل أفشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم الخ. . إن هذه الخطبة كتاب مشحون بحقائق مرة، وتابعت بعد ذلك ما جرى بعد الخطبة من رشق الحسين عليه السلام بالسهام من قبل الجيش واستيعاب الجراحات لجسمه ونزف دماه وبذلك ختمت هذا المجلس.



الوائلي والشعر

الشعر هو ثورة العواطف وصورة النفس وغذاء الروح والقوة الساحرة ومزمار الطبيعة التي تنفخ فيه لتبعث ميت الهمم بل هو الذي يفعل بالألباب ما تفعله الشمول بالعقول وشعر الشاعر مرآة عواطفه وخلائقه وترجمان نفسه وللعاطفة شأن كبير واضح الأثر في جودته وحسن تأثيره وانه لفيض في ثورة النفس ويتمشى مع هذه الثورة فشعر الحزين مثلا ممزوج بالرقة ولواعج الحزن وحركة الأدب والشعر في النجف الأشرف حركة متأصلة قبل انبثاق الحوزة العلمية بل يعود تاريخ تلك الحركة إلى عهد آدم ونوح وهود وصالح وجامع الكوفة الكبير ثم جاء دور الحوزة العلمية وانبثق فيها الشعر والأدب منذ قرون عديدة حيث لابد لطلبة العلوم الدينية من حفظ الشواهد والاستشهاد بها والتوغل في معانيها وخصوصا شواهد النحو والبلاغة والبيان التي تعتبر من اوائل ما يتفاعل معها طلبة العلوم الدينية في الحوزة النجفية.

ومن ثم يتمركز الذوق الشعري وينقدح الشعور الأدبي هذا فضلا عما يرفده المنبر ومأساة الطف ومن غرر القصائد وأجزل الأشعار إضافة إلى النوادي الشعرية والحلقات الادبية في المناسبات العامة التي كانت تعقد في النجف فيتبارى فيها الادباء ويتسابق فيها الشعراء فيدلي كل بدلوه ويطرح بضاعته في تلك الأسواق الأدبية وحفلت مجالس الادب النجفية بشخصيات عديدة والمعروف عن النجف انها تتنفس من خلال الشعر ولعل الشعر لا يبارحها حتى في الطعام والشراب.

لذلك ازدهرت الحركة الادبية في النجف وتخرج منها شعراء امتازوا بالاصالة والتجديد امثال محمد مهدي الجواهري والشيخ علي الشرقي والشيخ محمد جواد الجزائري وعبد المهدي مطر والشيخ علي الصغير والشيخ محمد أمين زين الدين

والسيد محمد جمال الهاشمي وعبد الغني الخضري والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ أحمد الوائلي الذي كان بلبل المحافل الأدبية يصدح بشعره. والوائلي شاعر محترف مجرب خاض الشعر بكل جوانبه فأصبح أديباً لامعاً ولعل اغلب قصائده يحفظها محبّوه وبالأخص قصيدة بغداد. و الوائلي شاعر ينظم باللغتين الفصحى واللغة الدارجة لذلك اخترنا بعض قصائده الرائعة.



إلى أبي تراب

نظمت في النجف الأشرف ١٩٧٧م

غالى يسارٌ واستخفَّ يمينُ بك يا لكنهك لا يكاد يبينُ
تُجفى وتُعبد والضَّغائن تغتلي والدَّهر يقسُو تارةً ويلين
وتظلّ أنتَ كما عهدتُكَ نغمةً للآن لم يرقى لها تلحين
فرأيتُ أن أَرويك محضَ روايةٍ للنَّاس لا صوَرٌ ولا تلوين
فلأنتَ أروع إذ تكون مجرَّداً ولقد يضرُّ بروائِعٍ تثمين
ولقد يضيق الشَّكل عن مضمونه ويضيع داخلَ شكلِهِ المضْمون

إنِّي أَتيتك أجتليك وأَبتغي وِرداً فعندكَ للعطاش مَعين
وأَغضُّ من طرفي أمام شوامخٍ وقع الزَّمان وأُسُّهُنَّ متين
وَأَرَاكَ أكبر من حديث خلافةٍ يستامها مروان أو هارون
لك بالنُّفوس إمامةٌ فيَهُون لو عصفت بك الشُّورى أَو التعيين
فدع المعاولَ تزبئرّ قساوةً وضراوةً إنَّ البناءَ متين

أَأَبا تراب وللتُّراب تفاخرٌ إن كان من أَمشاجه لك طين
والنَّاس من هذا التُّراب وكلُّهم في أَلِه حمأٌ به مسنون
لكنَّ من هذا التُّراب حوافرٌ ومن التُّراب حواجبٌ وعيون
فإذا استطالَ بك التُّراب فعاذرٌ فلأَنت من هذا التُّراب جبين

ولئِن رجعت إلى التُّراب فلم تمت فالجذر ليس يموتُ وهو دفين
لكنَّه ينمو ويفترع الثَّرى وترفُّ منه براعمٌ وغصون

بالأَمس عدت وأَنت أكبرُ ما احتوى وعيٌ وأَضخمُ ما تخال ظنون
فسأَلتُ ذهني عنك هل هو واهمٌ فيما روى أم أنَّ ذاك يقين
وهل الَّذي ربّى أَبي ورضعتُ من أُمّي بكلِّ تُراثِها مأمون
أَم أَنَّه بَعْدَ المدى فتضخَّمت صُوَرٌ وتُخدع بالبعيد عيون
أَم أَنَّ ذلك حاجة الدُّنيا إلى متكاملٍ يهفو له التَّكوين
فطلبت من ذهني يميط ستائراً لَعبَ الغلوُّ بها أَو التَّهوين
حتَّى انتهى وعيي إليك مجرَّداً ما قاده الموروثُ والمخزون
فإذا المبالِغ في عُلاكَ مقصِّر وإذا المبذِّر في ثناكَ ظنين
وإذا بك العملاقُ دونَ عيانه ما قد روَى التَّاريخ والتَّدوين
وإذا الَّذي لك بالنُّفوس من الصَّدى نزرٌ وإنَّك بالأَشدِّ قمين

أَبا الحسين وتلك أَروع كنيةٍ وكلاكما بالرَّائعاتِ قمين
لك في خيال الدَّهر أيّ رُؤَى لها يروي السَّنا ويُترجم النِّسرين
هنَّ السَّوابق شزَّباً وبشوطها ما نال منها الوَهنُ والتَّوهين
والشَّوط مملكة الأَصيل وإنَّما يؤذي الأَصائِل أَن يسود هجين
فسما زمانٌ أنت في أَبعاده وعَلا مكانٌ أنتَ فيه مكين

آلاؤك البيضاءُ طوَّقتِ الدُّنا فلها على ذمَمِ الزَّمانِ ديون

أُفُقٌ من الأبكار كلّ نجومه ما فيه حتّى بالتصوُّر عون
في الحرب أَنت المستحمّ من الدّما والسّلم أَنت التّين والزَّيتون
والصُّبح أَنت على المنابر نغمة واللّيل في المحراب أَنت أَنين
تكسو وأَنت قطيفةٌ مرقوعةٌ وتموت من جوعٍ وأَنت بطين
وترقّ حتّى قيل فيك دعابةٌ وتفحُّ حتى يفزع التِّنِّين
خُلُقٌ أَقلّ نعوته وصفاته أَنَّ الجلال بمثله مقرون
ما عدت أَلحو في هواك متَيَّماً وصفاتك البيضاء حورٌ عين
فبحيث تجتمع الورود فراشة وبحيث ليلى يوجد المجنون
وإِذا سأَلت العاشقين فعندهم فيما رووه مبرِّر موزون
قسماً بسحر رُؤاك وهي إِليَّة ما مثلها فيما أخال يمين
لو رمت تحرق عاشقيك لما ارعووا ولقد فعلت فما ارعوى المفتون
وعذرتهم فلدى محاريب الهوى صرعى ودين مغلق ورهون
والعيش دون العشق أَو لذع الهوى عيش يليق بمثله التَّأبين
ولقد عشقتك واحتفت بك أَضلعي جمراً وتاه بجمره الكانون
وفداء جمرك إِنَّ نفسي عندها توقٌ إِلى لذعاتِه وسكون

ورجعت أَعذر شانئيك بفعلهم فمتى التقى المذبوح والسّكين
بدرٌ وأحدٌ والهرسُ وخيبرٌ والنَّهروان ومثلها صفِّين
رأس يطيح بها وينذر كاهلٌ ويدٌ تُجذُّ ويُجدَع العرنين
هذا رصيدك بالنُّفوس فما ترى أَيُحِبُّكَ المذبوح والمطعون
ومن البداهةِ والدُّيون ثقيلة في أَن يقاضى دائِنٌ ومدين

حقدٌ إلى حسدٍ وخسَّةُ معدنٍ مطرت عليك وكلُّهنَّ هتون

راموا بها أَن يدفنوكَ فهالَهم أَن عاد سعيُهُم هو المدفون

وتوهَّموا أَن يغرقوك بشتمهم أَتخاف من غرَقٍ وأَنت سفين

ستظلُّ تحسبك الكواكبُ كوكباً ويهزُّ سمع الدَّهر منك رنين

وتعيش من بعد الخلودِ دلالةً في أَنَّ ما تهوَى السَّماءُ يكون



دموع قلب

في رثاء الشيخ سلمان الخاقاني رحمه الله:

لا السامرون، ولا الوادي، ولا البان كأنّما الأرض ما كانت ولا كانوا
بدء النهاية في يوم البداية للأعمار فالحل بالترحال إيذان
درب إلى الموت هذا الكون ما برحت من سالف تتوالى فيه أضعان
أنحن في هذه الدنيا حقائق أم ضرب من الوهم عاشت فيه أذهان؟
أهكذا يستحيل الصرح أخيلة وينتهي فإذا الأفراح أحزان؟
وهم ويصحو الخيال الحلو من خدع وتستفيق من الأحلام أجفان
وساعة وإذا الدنيا بآهلها طيف تبدّى وولّى وهو عجلان
هي الأماني على كذب تطيب لنا كما استطاب السراب الآل ظمآن
فقل لأحبابنا ممّن نشيّعهم لنحن من شيّعوا لو صحّ ميزان
أقمتم ورحلنا في مشاعرنا لكم فمن مكثوا منّا ومن بانوا

تساءل البر والمعروف والخلق الرحب الكريم... أحقاً مات سلمان؟
وهل طوى القبر فذّاً من شمائله ومن شمائله علم وعرفان
وطلعة هي روض في مواسمه والروض عطر وأفياء وأفنان
ما أعظم الجنة الفيحاء في أفق تفحّ فيه من الأحقاد نيران
يا واحداً من رعيل سوف يعكسهم صدى على جنبات الدهر مرنان
ممن لدى الروح مثواهم وموطنهم وإن ثوت لهم بالترب أبدان

قد أجهشت ذكريات عشتها معكم فليت ذكراكمُ بالوعي نسيان
وعاد دمعي صمتاً والقلوب لها دمع صموت وبعض الصمت إعلان
يا نازحين عن الدنيا وقد نزحت بهم عهود وأوطار وأوطان
أسلمتمونا إلى صحراء يعزف في أبعادها الذئب والسمار غيلان
لا نبع فيها ولا الأفياء وارفة فأين يطفي أوار القلب حران
وضيعة الروح فيمن ليس يعرفها كضيعة الروض والروّاد عميان

يا من قبيلته التقوى وإن تك قد غثه وافتخرت في ذاك (خاقان)
ما أهون الدم إذ ينميك دون أب من النهي تكتني فيه وتزدان
فمن بنى الصرح من لحم يموت به كما تموت بطين الحقل ديدان
ولحمة الفكر والأخلاق ثوب علاً ولحمة الدم والأعراق أكفان
ولست أبخس من قومي حقوقهم فقد أهون وأيم الحق أنْ هانوا
ولا أعقّ جذوري الشمّ وهي علاً أدنى منازلة الشعرى وكيوان
أعرف الإنسان في قيم لا في دم يستوي فيه وحيوان
ألم يضق بك حضن الدم أمس ومن وشائج الفكر قد ضمتك أحضان
ساء انتماوك أن تقسو وشائجه وأن ينالك من زنديك عدوان
وأن تذاد ودار الأم واسعة ويحتفي برفات منك جيران

تحيّة يا رعيل الأمس من نفر عاشوا وماتوا وهم للفضل عنوان
الصاعدين إلى مجد وسائلهم إليه صبرٌ وإخلاصٌ واتقان
أقصى مطامحهم في أن واحدهم على الشدائد للعافين معوان

مرّوا على هذه الدنيا بمزودهم كأنهم في رباع الأرض ضيفان

لكنهم أثقلوا الأيام من مننٍ لهنّ في الناس برهان وبرهان

يا من وقد رحلوا هيهات يرجعهم حزن ودمع مع الآماق هتّان

دعوا الصدى إن رحلتم كي نعيش به فإن أصداءكم بالسّمع ألحان

وخلّفوا طيبكم فالنتن زاحمنا ومحنة الطيب أن يؤذيه إنتان

(سلمان) لو نبتت بالقبر صالحة وخيرات من التقوى وإحسان

والمترعات ندى عامر وندى والطاهرات سلالات وأردان

فإن قبرك ممّا كان عندك من تلك الكرائم جنّات وأغصان

ولو تسمّعت رملاً ضمّ ثغرك في قبر لغرّد بالآذان قرآن

لقد سألت القوافي الغرّ والفكر الشمّاء أين مضى عنهن ديوان؟

فأنكرت أن يلفّ الفكر في كفن وأن تغطي وميض الروح كثبان

(سلمان) كسرة خبز والحصير وما بالنفس حزن ولا بالثوب أدران

هي السعادة في الدنيا ويكرمها لو تمّ من بعدها لله رضوان

إني وإن أك قد يزهو على كتفي خزّ وملء خواني البر والضان

وألتقي كلّ يوم بالحشود ولي منهم رفاق أناجيهم وأعوان

قد عدت أمضغ روحي في مشاعرها لما الحّ بها جوع وحرمان

فحيث يكثر زاد والكريم به نزر ففي مثله من جاع شبعان

لو يرتضي فضلات الزاد كل فم لما تمايز أحرار وعبدان

كفرت بالأوكس الأدنى وإن خدعت به العيون وبعض الكفر إيمان

فما النعيم سوى روح تناغمها ودار عزّ ولو كوخ وعيدان

مررت عند القبور الدارسات وقد   مـرّت عـلـيـهـنّ آمـاد وأزمـان
فشدّت الذهن أطياف وأخيلة   بهنّ للموت فيما غاله شان
هنا عروس بثوب العرس قد دفنت   وبـرغـم دفـنـوه وهـو ريّـان
على التراب عبير من كمائمه   ومـن عـذاريـه أزهـار وريـحـان
وذوي أمان ذوت في أوج خضرتها   وكم تعود الأماني وهي أشجان
وهامة هي ميدان لمعرفة   أضحى بها للبلا والدود ميدان
وكومة من رماد الحدث أمم   بها وضمّت بها دنيا وأكوان
نام البليد بها والعبقريّ معاً   وحطّ في عفرها (موسى) و (هامان)
والترب حضن كحضن الأم يجمع في   أفنائه من وفوا عهداً ومن خانوا
قرأت أمسي به في صورة لكم   على الثرى فأنا للأمس ولهان
فعدت أقتات منه في مخيلتي   حتى كأنكم بالنفس أعيان
فلا تذودوا عيوني عن طيوفكم   فليس لي غيرها والحق سلوان
أبي وشيخي وإخواني وخالصتي   ترحّلوا فالردى والعيش سيّان

(سلمان) أطناب تلك العرب قام بها   لمعشر من هجان الأصل أيوان
ما فيه من أهلنا ارث فنخوته   زور وأمجاده خمر ونسوان
ومنبت الشيح والقيصوم ليس به   معرس أهله طي وقحطان
وليس للسابحات الغرّ يوم وغى   شوط وللشد قمي الفحل أعطان
والحي ما عاد من طعم ومن كرم   به يلوّح مطعام ومطعان
يشجيك أن متون الخيل أثقلها   عبء وما في متون الخيل فرسان
وأنّ موترة الأقواس قد كثرت   لكنها ما بها نبل ولا زان

وأنَّ ألف عكاظ لا خطيب بها لكنْ بها هذر في القول طنّان
فرائد الضاد أشلاء ممزّقة وما لنظم بديع العقد امكان
عرب ويا غربة الفصحى بموطننا ورهط ضاد وشيخ الحيّ مرطان
أليس تحسد دنيانا القبور إذا ما كان في جوفها (قس) و (سحبان)؟
كم بالقصور رؤوس هنّ منتعل وبالقبور عظام هنّ تيجان



رسالة الشّعر

القيت في مؤتمر الأدباء العرب ببغداد عام ١٩٦٥م

لغدٍ سخيِّ الفتح ما نتجمَّع ومدى كريم العيش ما نتوقَّع

يا مهرجان الشّعر عبئُك مجهد فإذا نهضت به فإنَّك أروع

إنَّا نريدك والأَماني جُسِّدت بك رائداً يبني وفكراً يبدع

أنا إن شدا بك مزهري فلأنَّك اللَّحن المحبَّب والنَّشيد الأَروع

ولأنَّ أَهدافاً توحِّد أو دماً غمر العروق قرابة لا تقطع

بالأَمس والحقد اللّئيم يسومنا فيجفُّ في يده الأَغضُّ الأَينع

فابعث بروح منك في تلعاتنا لترفَّ مجدبة ويورق بلقع

لسنا بمعهود على أبعادنا يَبس فدنيانا الربيع الممرع

أَي الكرائم ليس في أَعناقها مما نسجناه العقود اللُّمَّع

أَم أَي وضَّاء وليس بجذره قبس لنا يجلو الظَّلام مشعشع

سدنا فما ساد الشُّعوبَ حضارة أَسمى ولا خُلُق أَعفّ وأَورع

قدنا الفتوح فما تشكّى وَطْأَنا فكر ولا دين ولا من يتبع

حتَّى الرَّقيق تواضعت أحسابنا كرماً فَأَوليناه مالا يطمع

عفواً إِذا جمح الخيال فلم أُجىء للأمس إمري الضّرع أَو أَسترضع

لكنَّها صور جلوت ليُرسم الفجرُ المشرِّف والأصيل المفجع

وليستبين الشّعر أي رسالة يدعى لها وبأي أَمر يصدع

يدعى إلى وطن يشظّي خصمه أَوصاله بيد الهباة ويقطع
والمبتلى ببنيه في نزواتها تعطيه مزرعة لمن لا يزرع
يدعى ليهدم ما بنوه حواجزاً ويلمَّ ما قد مزَّقوه ووزَّعوا

يا مهرجان الشِّعر حسب جراحنا أَنَّ الهوى ممَّا تعتَّق يكرع
ولقد نغص لما نقول بأَنَّها يلهو بها الآسي ويسخر مبضع
غنَّى بها نفر فآلم حزننا إنَّ التَّغنِّي بالجراح تنطّع
ولَشدَّ ما يؤذي الكرامة أن نرى صوت المساوم بالكرامة يرفع
هذي رحاب القدس منذ ترنحت صرعى إلى زعقاتنا تتسمَّع
تصحو على نوءٍ فتتلع جيدها وتراه من خدع السَّحاب فتهطع
عشرون كفاً حرة ما أَوقفت مهوى يدٍ مغلولة إِذ تصفع
الشَّوط تغرقه السروج وإِنَّه دون السروج لفارس يتطلع
كنا نهبُّ على الزعيق ومذ طغى صرنا ننام على الزَّعيق ونهجع
فأَثر منوَّمة الجراح وقل لها ثوري فمن مثل الجراح يلعلع
لا تشتمنَّ الخطب أو تبكي له فالخطب ليس بمثل ذلك يدفع
فلقد شتمنا الرُّزءَ حتَّى اتخمت آذانه والرزءُ باقٍ مزمع
لكن تصدَّ له فإن أَخضعته تحيا وإن خفت الممات ستخضع
فالمجد يحتقر الجبان لأَنَّه شرب الصَّدى وعلى يديه المنبع

قالوا بأنَّ الشِّعر لهو مرفِّه وسبيل مرتزق به يتذرَّع
وإذا تسامينا به فهو الصَّدى للنفس يلبس ما تريد ويخلع
إن تطرب الأرواح فهو غناؤها وإذا شجاها الحزن فهو الأدمع
فذروه حيث يعيش غرِّيداً على فَنَنٍ وملتاعاً يئِنُّ فيوجع
لا تطلبوا منه فما هو بالَّذي يبني ويهدم أو يضرُّ وينفع
أكبرت دور الشِّعر عما صوَّروا وعرفت رزءَ الفكر في من لم يعوا
فالشِّعر أَجَّج أَلف نار وانبرى يلوي أُنوف الظالمين ويجدع
لو شاء صاغ النَّجم عقداً ناصعاً يزهو به عنق أرق وأَنصع
أو شاءَ ردَّ الرَّمل من نفحاته خضلاً بأنفاس الشذا يتضوَّع
أَو شاء ردَّ اللَّيل في أَسماره واحات نور تستشف وتلمع
أَو شاء قاد من الشُّعوب كتائباً يعنو لها من كلِّ أُفق مطلع
أَنا لا أُريد الشِّعر إِن جدَّت بنا نُوبٌ يُخلُّ ما عناه ويقبع
أو أَن يوشِّي الكأس في سمر الهوى ليضاء ليل المترفين فيسطع
أَو أَن يُباع فيَشتري إكليله تاج من المدح الكذوب مرصَّع
لكن أُريد الشعر وهو بدربنا مجد وسيف في الكفاح وأَدرع

بغداد يا زهو الرَّبيع على الرُّبى بالعطر تعبق والسَّنا تتلفَّع
يا ألف ليلة ما تزال طيوفها سَمَراً على شطآن دجلة يمتع
يا لحن (معبد) والقيان عيونها وصلٌ كما شاء الهوى وتمنُّع

بغداد يومك لا يزال كأمسه ... صورٌ على طرفي نقيضٍ تُجمع
يطغى النّعيم بجانب وبجانبٍ ... يطغَى الشّقا فمرفَّهٌ ومضيَّع
في القصر أُغنيةٌ على شفةِ الهوى ... والكوخ دمعٌ في المحاجر يلذع
ومن الطّوى جنب البيادر صرَّع ... وبجنب زق أَبي نؤاسٍ صرَّع
ويد تُكبَّل وهي مما يُفتدى ... ويد تُقبَّل وهي مما يُقطع
وبراءة بيد الطّغاة مهانة ... ودناءَة بيد المبرِّر تصنع
ويصان ذاك لأنّه من معشرٍ ... ويضام ذاك لأنّه لا يركع
كبرت مفارقة يمثّل دورُها ... باسم العروبةِ والعروبةُ أَرفع
فتبيَّني هذي المهازل واحذري ... من مثلها فوراء ذلك إِصبع
واستلهمي روح الوفود فإِنّها ... شمل يلمُّ وأُسرة تتجمَّع
وترسّمي الرَّكب المغذَّ ولاتني ... فالرَّكب أتفه ما به من يظلع
وإِذا لمحت على طريقك عتمةً ... وستلمحين لأنَّ دربك أَسفع
شدّي وهزّي اللّيل في جبروته ... وبعهدتي أَنَّ الكواكب تطلع

يا مهرجان الشّعر مرَّ بأُفقنا ... وهج يفحُّ من السموم ويفزع
بالحقد تسقى ما علمت جذوره ... وبثوب إِنسانية يتبرقع
يمشي إِلى الهدف الخدوع ولو على ... برَك الدِّما وغليله لا ينقع
أَغرَى الخطايا بالنعوت رفيعة ... ومشى على القيَمِ الكريمة يقذع
فالله وهمٌ والفضيلة كلُّها ... ترفٌ وما رسمت وما تستتبع
ما الفرد إِلا معدة وغريزة ... وسواهما أُكذوبة وتصنّع
ومشى بمعصوب العيون يقوده ... يبكي إِذا أَوحى له ويرجِّع

سوّاه من دنسٍ فماتت عنده | فِطَر سليمات ولُوّث منزع
وأسفَّ فاحتضن المسوخ يربُّها | حتّى تعملق في ذراه الضّفدع
حتّى إذا الطّغيان طاح بأَهله | وكبا بِهِ بغي وأوشك يصرع
أَلقى لنا صوراً تعدَّد نعتها | لكنَّها تنمى إِليه وترجع
فانهد له بالفكر يخضد جذره | فالفكر ليس بغير فكر يقرع
وأَغث جياعَ عقيدةٍ فَهُمُ إِلى | فكر يسدُّد من طعام أجوع
قدهم إلى نبع السَّماء نطافه | عذب وسائغ ورده لا يُمنعُ
واسلك بهم درباً أَضاء محمد | أبعاده وجلاه فهو المِهيع
وأَنا الضَّمين بأَنَّه سيعيدهم | أَلقاً يمتّ إِلى السُّموّ وينزع
وسيعرفون بأَنَّ ما شرع السَّما | يبني الكريم الرَّغد لا ما شرَّعوا

يا مهرجان الشّعر إِنَّ ثمالة | من كأس غيرك عافها المترفع
ما آمنت بك غير أَنَّ ظروفها | تملي ولاءَ بالرِّياء يقنَّع
ولجت حماك وفي الرؤوس مخطَّط | وأُعيذ قومي من لظاه مروِّع
وهي الَّتي إِن أوترت أَقواسها | في غفلة فأنا وأنت المصرع
فتوقَّ أَرقمها فلست بواجدٍ | صلاً على طول المدى لا يلسع
لا تطربنَّ لطبلها فطبولها | كانت لغيرك قبل ذلك تقرع
ما زلت أَعرف في يديها من دمي | علَقاً وهل تنسى ضناها المرضع
أَيَّام نقتسم اللَّظى وصدورنا | تضرى فيمنحها الوسامَ المدفع
ودماؤنا امتزجت سواه فلم تكن | فرقاً يصنِّفها الهوى وينوّع
وتعانقت فوق الحراب أَضالع | منَّا فما ميزت هنالك أَضلع

حتى إذا أَرسَى السَّفين وعافه نوء زحمنا منكبيه زعزع
عدنا وبعض للسفين حباله والبعض حصَّته السَّفينة أَجمع
ومشت تصنِّفنا يد مسمومة متسنِّن هذا وذا متشيِّع
يا قاصدي قتل الأخوة غيلة لمُّوا الشَّباك فطيرنا لا يُخدع
غرس الإِخاءَ كتابنا ونبيُّنا فامتدَّ واشتبكت عليه الأَذرع



الذبابة المسافرة

هذه قصيدة في ذبابة ركبت على كتف الشاعر وهو في طريقه إلى دخول الطائرة، وكل ما دفعها عادت مرة أخرى حتى نزلت معه على أرض المطار المقصود فأوحت له بالأبيات التالية:

وذبابةٍ طارت معي من أرضها طوعاً ... ولم يعصف بها تهجير
صعدت معي طيارةً في رحلةٍ ... كتفاي كرسيٌ لها وسرير
لم تلقَ أيّ موانعٍ في دربها ... بل حيث تشتاقُ المسير تسير
لم يطلبوا منها الجواز ولم يصل ... لِمِزاجها من أجله تعكير
فتنقّلت عبر الحدود طليقةً ... في حيث لا منع ولا تحجير
ونجت فلا رعبُ المباحث سدَّ من ... فمها ولم يعبث بها شرّير
وتصرفت مختارةً في فعلها ... إذ لا رقيب حولَها وخفير
عُرفت بعلمانيّةٍ لا مذهبٌ ... من أجلِه شجبٌ ولا تكفير
لا تجتوى أو تجتبى من أجله ... وينال منها تافهٌ وحقير
تُسبى هويتُها ويُسلبُ قوتُها ... ويأذُ منها النبزُ والتحقير
وصلت لمنأى لا الكلاب تشمُّه ... أبداً وليس يعضه خنزير
وتمتعت بهوية دولية ... فبكفِّها أنّى تشاء مصير
وقعت على أيّ الارائكِ تشتهي ... فلها فراش ما تشاء وثير
إني لأحسدها على حرية ... فيها ابن آدم لو تتاح جدير
إن الحياة بدونها عبءٌ وآلام ... وطعمٌ ما علِمت مرير

أذبابتي أشكو إليكِ هواننا وضياعَنا والباقيات كثير
أترين أنّا من سُلالة آدم أم أننا للسائمات نَصير
أنحى علينا القسر حتى أنّنا هملٌ يُقاد كما يقاد بعير
واجتاحنا قهرٌ فماتت نخوةٌ وذوى شموخ واستكان هدير
وأماتنا الطغيان يصنعنا دمًى موتى يزوّق موتها التصوير
وتأنّق الاعلان يروي بؤسنا نعمى ويُبدع عنده التزوير
نحن الرواحل سِيمَ من أكتافنا ما استنكفت أن ترتضيه حمير
فهي التي عمِلت بأكلِ شعيرها ولكم نكدّ وما هناك شعير
بنت الفتوح دماؤنا وابتزّها مَن عِندَه التطبيل والتزمير
ممن ونحن على اللظى وغطاؤنا البارود وهو سُرادق وحرير
لكنها الأهواء شادت صَرْحَه وفمُ الهوى عفنُ الكلام أجير
وزنودنا وعلى الحقولِ شواهدٌ من كدحها وعلى الربى تعمير
ذابت على المسحاة تفترعُ الثرى فترفُّ فيه غضارة وخضير
فجنى الثمار مرفهٌ وطغت على دنيا الكوادح كِسرةٌ وحصير
واستاقها للصادحين فغرّدوا وشدا لديه فرزدق وجرير
إذا الخنا والسيئات مناقبٌ وإذا الخراب خورنق وسدير

اذبابتي يُهني طَنينكِ أنه حرّ ويُخنقُ عِنْدَنا التعبير
ولديكِ متسِعُ المدى ولنا مدًى بالرغم من سعة المجال صغير
قد صَغّرته نفوسُنا وطباعُنا فتحكم الإيراد والتصدير

أوليس يُضحك أن يطولَ بافقنا الذبّان والانسان فيه قصير
ويسفُّ فيهِ إلى الحضيض بنو الورى وبه الذباب إلى السماء تطير
اسمعت بالكذب الصراح ذبابتي ولكم لدينا كاذبٌ ومبير
رسموا الحدود واعلنوها وحدةً أكذا يكون اللف والتدوير
كتبوا على أبوابهم حريةً من بعضها التكبيل والتدمير
أما اشتراك الكل في الدخل الذي يجنى فأمر ماله تفسير
فالوابلُ الدفّاق رزقُ عصابةٍ أما الشعوب فرزقها التقطير
مدنٌ يغلفها البريق وتحتها عفنٌ رواه النتن والتقذير
يا مَنْ تجذر بالشعوب وباؤهم أن الدواءَ القطع والتجذير
لكم بوعي الشعب أيُّ جرائمٍ لا الحد يغسلها ولا التعزير
وعداك شعبي العذر بعضُ مواقف لا العذرُ ينفعها ولا التعذير
ما أمة قد غيّرت أحوالها ما لم يجيء من عندها التغيير
فيم الهوان وأنت لستَ بقاصر فيما أرى لكنه التقصير

أذبابتي أين انتهى بخيالنا مجدٌ إلى دنيا النجوم سفير
والخالدان بطولةٌ وشهامةٌ والباذخان الفتح والتحرير
وخيولنا تزجي الغبار لهامة النجمات فالنجم الشفيف قتير
فنعود نمسحه بِعَرف خيولنا حتى يعودَ النجم وهو منير
وعلى الثرى مما سنابكُ خيلنا وطئت جِداءٌ شيقٌ وعبير
تختال بالشهداء فوق سروجها لا هاربٌ من فوقها وأسير

لـم تـبـق آفـاق الـشـمـوخ سـمـائـهـا يـرتـدُّ عـنـهـا الـطـرف وهـو حـسـيـر
وكـبـا بـأشـواط الـفـتـوح تـطـلـعٌ فـالـطـرف مُـغـضٍ والـفـؤاد كـسـيـر
ونتاجُ أمِ الصَّقر سقطٌ رغم أوحام شـــداد والـــمـــخـــاض عـــســـيـــر



إلى النجف الأشرف

بلدتي الحبيبة

بعض العتاب فما تركت وفائي ورؤاكِ مشرقة على أَجوائي
تجتاحني شوقاً وتأسر مسمعي وقعاً وتغمرني من الأَضواء
قد عشتها نغماً ولما أن نأت عني دأبت أعيش بالأَصداء
صور أَقمن بمقلتيَّ إقامة المعمود في ربع الحبيب النائي
يزددن حسناً كلما بعد المدى ويلفهنَّ البعد في لألاء
وتراب أَوطاني ربيعٌ أخضرٌ ولو إنها في بلقعٍ جرداء
صافحته بالخَدِّ عند ولادتي ورسمت منه بجبهتي طغرائي

بلدي يعيش أَخو السُّلوِّ بنعمةٍ وأَنا أَعيش البُعد في لأواء
حمّلت عيني والنجوم إليَّةً أن يحرساك بعتمة الظَّلماء
ولو إنَّ اضلاعي تفيكِ جعلتها سوراً يصونك من أَذًى وبلاء
يا كل أَهلي والحنين سجية للكلّ تسكن فطرة الأَجزاء
إبعث قليلاً من شذاك فإنَّني أَستاف عطر رمالك العفراء
أَنا بعض تربك بنت عنه برهة وغداً يطول لدى ثراك ثوائي

يا سحر شلاّل الأصيل بموطني والأفق يلبس منه أيّ رداء
وبطاح ناعمة الرّمال صعيدها سموه يوماً وجنة العذراء

ومسارح الظّبيات في وادي النّقا بين السدير وجبهة الصَّحراء
وشقائِق النعمان في واحاتها مجدولة كجدائل الحسناء
ورؤى ديارات الأساقف صبحها للذّل والصبوات والإِغراء
ومساؤها ثَمِلٌ إذا نام الورى شرب الغبوق وجدّ في الإِسراء
ورسوم ثرواني عبٌّ بقرقف وغفى على عشب وبركة ماء[1]
وبحيث تل بونة بدنانه والنسوة العطرات والندماء[2]
وأبو نؤاس على سلافٍ عتقت عشراً وخابية وصوت غناء[3]
وبدير هند بلابلٌ صداحةٌ وخمائِلٌ عبّاقة الأَشذاء
متعٌ وإن ذهب الزمان بحسنها ويد الزمان شديدة الإِقواء
ما زال بين الرمل بعض كؤوسها كسراً وفي التاريخ سحر رواء

بلدي جداول عذبة رقراقة جاد الفرات بها فأي عطاء
روّى السهول العاريات ولفها من خصبه وخضيله بغطاء
فإذا البقاع اليابسات عرائِسٌ مجلوّة بملاءَةٍ خضراء
وإذا الرّوابي الجرد روضٌ يزدهي بجنائِنٍ وسنابلٍ شقراء
وإذا الشجيرات الخضيلة أَلسنٌ يشكرن ما للماء من آلاءِ

(١) عبد الرحمن الثرواني أبو نؤاس الكوفة.
(٢) تل بونة من تلال النجف الأشرف ومنتزهاته.
(٣) كان أبو بؤاس يقصد حانات هناك وينادم الثرواني.

بلدي ملاعب للسنا تشدو بها أَجواق ساجعة بكلّ غناء
سجع البلابل جنب صوت فواختٍ وهديل كلِّ حمامة ورقاء
ومطارح العصفور فوق نخيله أَعراس كلِّ صبيحة ومساء
ومن الجداول هادرٌ ومهمّس قيثارتان تنوّعا بأَداء
ومن الجنان مصففات بالجنى حفلت من البركات والنّعماء
ومن الزهور مفوّفٌ ومطرّز كبر الجمال به عن الإِطراء
ومن الكروم عرائش ريانة يوقظن حلم الكاس بالصَّهباء

بلد النخيل السّامقات تخايلت مزهوّة بالقامة الهيفاء
وتعانقت فسجى الظّلال وربما اهتزت فهزت راعش الأفياء
فالظل فيها ضارب أطنابه والشمس تدخلها على استحياء
ومسابح البسر المعذّق تمتمت بالشكر في حبّاتها الصفراء
وبكل سعفة نضدت في تاجها عرس لطيرٍ أَو عناق لقاء
والتمر بالعسل الشفيف ملوح سال اللعاب له على الإِيماء

بلدي مواويل تلهّب بالجوى وتبثّ ما للعشق من برحاء
ضاقت بها دنيا الحواضر فانتحت قصبُ الرعاة بها إلى البيداء
وتقاسمت هي والرباب حكايةً من وجد ليلى أَو هوى ميساء
وحكاية الناعور والسَّمار قد حفوا به في الليلة القمراء
شرحوا لباناتٍ لهم وأتوا بها عريانةً من دون أَي رياء
بدأوا حكايا الحبُّ في أَسمارهم لكنّها ظلت بلا إنهاء

وبنو الهوى مهما استطال حديثه سمعوا وما ملّوا من الإصغاء

بلدي تعانق والنجوم همومه وترود كل بعيدة عصماء
نبتت بتربته العلوم وأنجبت ثللاً مميزة من العلماء
صنعته مدرسة الوصيّ ونوّعت ملكاتِهِ وبنته خيرَ بناء
بلد الفصاحة والسماحة والنّدى ومعرس الأبرار والفقهاء
وأبو فوارس لو سبرت كفاحهم لقرأتَ فخر ملاحم الهيجاء
ممن تقلّده الوسامَ يدُ الوغى بمؤهّلٍ حقٍّ وحسنَ بلاء
لا من تقلّده يدٌ هي لم تجىء للحكم عن شرعيّةٍ بيضاء
لكنّها مشبوهة جاؤوا بها في ليلةٍ دموية دهماء
ركبت وليس على الجدارة ركبها لكن على كتفٍ من الغوغاء
وأجل نبتك يا بلادي أنّه ابن الطهرِ وابن القادةِ الأمناء
السائرين بضوءِ أبيض واضح وتحية للواضح الوضّاء
أولاء يا بلدي بنوك فهل ترى أسمى غداة الفخر من أُولاء

وادي الغريّ وحقّ رملك وهو ما أشتاقه في غدوتي ومسائي
لو تستبين على البعاد مشاعري ملهوبة كالجمر في الظلماء
وصبابتي وأنا القصي عن الحمى وبمقلتيَّ تلفت الغرباء
لحزنت لي ولحنَّ رملك مثلما ضج الحنين بأدمعي ودمائي
فأنا ابنك البرّ الوفيّ وفطرةٌ عطفُ الأبِ الحاني على الأبناء
أترى وطيفك يستبد بمقلتي أنساك لا ورمالِكَ السُّمراء

فأنا لهيب مشاعر وصبابةٍ تواقةٍ لقبابك الشَّماء
وإلى محاريب العبادةِ والتّقى ولخشعةٍ من راهبٍ بكّاء
أَما مدارسك التي رقت بها للفكر أَلف خميلةٍ غنّاء
أَنا من طيور خميلها أشدو بما في روضها من روعةٍ وبهاء
وببطن تربكِ لي جذور أَوغلت من أعظم الأَجداد والآباء
ممن أَراق دماً وأسرج فكرةً من أَجل مجدك دونما ضوضاء
وبراعم لي في حشاك دفنتهم كانوا النسيج البكر من أحشائي
ورأيت فيهم للطفولةِ بسمةً ودفنت فيهم بهجتي وهنائي
فلديك أَصلي والفروع وانّني أَنا لاحق بهما بدون مراء



الوائلي ينادي الخطباء

نداء لأخواني وأبنائي من أهل المنبر

بادىء ذي بدء أرجو لكم أن تكونوا في ظل أبي الشهداء وفي ساحته الكريمة العزيزة كما أهنئكم بهذا الانتماء الذي لا أشك في كونه شرفاً في الدنيا وأجراً وثواباً عند الله تعالى وعملاً يسلكنا في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله لأننا نعمل في خدمة بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ونتلوا ونستلهم سير أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. ثم أذكركم بأن المنبر أكرمنا وأعزنا فينبغي أن نكرمه ونعزه، إن آليات إكرام المنبر تتم معرفتها من الأمور التالية والتي لا أعتقد أنها غائبة عن أذهانكم ولكني مجرد مذكر:

١- لم يعد المنبر عملاً خاصاً يمارسه الفرد من منطلقاته الخاصة ووفق مبادراته وتوجهاته وإنما صار المنبر مؤسسة لها ضوابطها وأركانها وأخلاقياتها وكل خطيب هو عضو فيها وتلزمه هذه العضوية بكل ما يحقق الانتماء السليم والاتصاف بضوابطها وخواصها وكل تقصير في هذا الجانب يحرمه من شرف هذه العضوية فهو هنا شخص يحمل طابع المؤسسة وليس فرداً يتصرف ضمن مزاجه الخاص. وإذا لم يكن لهذه المؤسسة أداة تنفيذية لإبعاده عن هذه العضوية إذا أخل بشروطها فإن الذي يبعده عامل غيبي لمسناه ورأيناه غيوراً على ساحة آل محمد من أن يدخلها من لا يستحق أن ينتمي لهذا الميدان.

٢ - انطلاقاً من قاعدة الغنم بالغرم ونحن نعلم أن ما نغنمه من المنبر من أجر مادي ومعنوي في عشرة أيام قد لا يحصل عليه أستاذ جامعي يحمل أعلى شهادة جامعية خلال سنة من تدريسه وجهده الفكري أفلا يحملنا ذلك على مضاعفة جهدنا

لتحصيل قدر أكبر من العلم والمعرفة والمهارة نقابل به ما حصلنا عليه من مكانة وأموال، إن الزمان صار يركض في دروب المعرفة فينبغي أن نلحق بعبارة إن لم نلحق به لا سيما والدنيا أصبحت غنية بوسائل العلم والمعرفة والحصول عليها سهل يسير. إن المستوى الاجتماعي السائد إذا كان يقبلنا بشكل من الأشكال وإن لم نكن مقبولين في المقاييس الثقافية فلا ينبغي أن يحملنا ذلك على الركون إلى الدعة بل ينبغي أن يظل رائدنا تقديم ثمرات الجهد المتجدد والمناسب في حجمه لما حصلنا عليه من المنبر وفي مضمونه لما نأمل أن يصعد بالمنبر إلى مستوى الطموح. لعل الكثير بل والأغلب منا ولج ميدان الخطابة في زمن لم يكن يخطر فيه على البال أن يتطلع إلى منافذ يدخل فيها الآفاق الثقافية عند الأمم الأخرى بوسائل من أهمها معرفة لغات الأمم. واللغة هي المنفذ المباشر للدخول إلى حضارات الأمم الأخرى وفي ذلك مكسب أي مكسب من الإفادة من العطاء الفكري عندهم والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أين وجدها كما أن اللغة يمكن أن نتخذ منها أداة لإيصال فكرنا وحضارتنا للآخرين وبذلك قد نصحح لهم أفكاراً خاطئة أخذوها عنا من كتابات خصومنا أو ربما يكونوا قد فهموها بشكل مغلوط عن طريق الترجمة غير السليمة فكم وكم قد أخذت عنا صورة مغلوطة عن طريق النقل عنا وتعمد الإساءة لنا مما هو كثير ومعروف. إن الله وحده يعلم كم أشعر بالنقص وكم أتضاءل إذا جلست بجانب من يحسنون اللغات الأجنبية التي تضع أيديهم على كنوز المعرفة وتدمجهم اجتماعياً بشعوب أخرى ولأن جئنا في زمن لم يتيسر فيه لنا من وسائل المعرفة ما هو ميسر الآن لطلاب المعرفة فلا ينبغي أن تفوت ناشئة المنبر هذه الفرص الثمنية والكنوز المعرفية الميسرة التي تضعهم في مستويات عالمية من الاتصال المعرفي وترفع من قدرهم في مجالات التقييم وتنعكس عليهم مادياً ومعنوياً هذا بالإضافة إلى التوفر على معرفة ما جد من كنوز فكرية أصبحت في متناول اليد وأصبح المنبر مهيأً لقبولها بل ويرى فيها منهاجاً لا بد أن يحدث ليطعّم

مضمون المنبر باللائق والمناسب.

٣- إننا مدعوون إلى حمل الآخرين على تغيير وجهة نظرهم عنّا وحملهم على تغيير نمط المعاملة لنا وذلك بأن يكون كل واحد منا طالب علم زائداً صفة الخطيب فإن لذلك مردوداً كبيراً على نفسية الخطيب أولاً وعلى النظر إليه ثانياً وآليات ذلك الجهد والمثابرة والاتصاف بالخلق القرآني، الذي رسمه أهل البيت لشيعتهم عندما أرادوهم أن يكونوا زيناً لهم لا شيناً عليهم.

٤- وأخيراً لا بد من لفت نظر من يدخل إلى هذه المؤسسة إلى أن الدرب طويل والجهد شاق والفرص غير مضمونة فعليه أن يتذرع بالصبر ولا يتصور أنه يختصر المسافات فإن الزمن دخيل في النضوج والأصالة. إن الغذاء الجاهز الذي يقدم للكائن الحي قد يوفر عليه الجهد وقد يجعله سميناً ولكنه يفقده طعمه ونكهته كما يسلبه الشعور بلذة المعاناة بعكس ما لو قدر له أن يتغذى طبيعياً فإنه سيكون له طعمه الخاص ونكهته المميزة وإن طال عليه في ذلك الزمن. إن استيعاب أكبر قدر من المعلومات في وقت ليس بالطويل قد يكون ممكناً ولكن استيعاب المهارة وخواص الفن التي ينبغي أن يتم تصريف المعلومات وفقاً لها لا تحصل بزمن قصير فإن هناك أخطاء فنية قد لا ينتبه لها الخطيب إلا بعد عشرات السنين، ودرب التعلم والاستفادة من التجارب سيظل مفتوحاً مهما تقدم الإنسان في مسيرته يؤيد ذلك السلسلة المتتالية من تاريخ خطبائنا والذين إذا أردنا أن نعد اللامعين منهم فسنعد بضعة أشخاص لا غير وهؤلاء الأشخاص هم الذين بذلوا الجهد ونضجوا نضوجاً طبيعياً لم يتعمدوا فيه الاستعجال على حساب الأصالة ولا الهملجة على حساب المسير المتزن فرحمهم الله وشكر سعيهم.

وفي الختام يا أيها البراعم الواعدة كما أرجو يا من استهواهم درب المنبر لسبب أو آخر لا تجعلوا هدفكم المال قبل خدمة مبادئكم ولا البريق قبل النضوج والإجادة ولا إرضاء الجماهير ولو نزلتم ولكن للصعود بهم ولو أتعبكم ذلك وثقوا

أنكم بعين الله عز وجل وعلى مرمى الأبصار من آل محمد يرون عملكم ويمنحونكم بركاتهم إن كان ذلك من أهدافكم. والله أسأل أن يتولانا جميعاً برحمته ويمدنا من عطائه الكريم وفضله العميم بما يوصلنا لأن نكون من خدم آل محمد إنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.



وداعا يا شيخ أحمد

لقد عاش الوائلي فترة حساسة في العراق ابان النظام البعثي الفاسد المقبور وتعد هذه الفترة في ظل البعث العراقي من احلك الفترات المحرجة لدى ابناء الشعب العراقي وخصوصا (الطبقة الإسلامية المثقفة) فقد كانت فترة عصيبة مؤلمة والتي اثبت فيها النظام خساسته وعداءه العلني للعلماء والمفكرين، والمصلحين فقتل منهم من قتل وسبى من سبى وشرد من شرد حتى طالت يد الغدر والخيانة اعدام أكبر شخصية فكرية عرفها التاريخ الإسلامي المعاصر وهو الإمام السيد محمد باقر الصدر (رضوان الله عليه) والتي تعد خسارته خسارة لن تعوض.

ثم تسلسلت الاعدامات لرجالات العلم والفضيلة حيث لا يستطيع لنا ان نعرض احصائية كاملة حول الشخصيات التي تعرضت للقتل والاضطهاد التي سادت الأعلام المجاهدين وفي هذه الفترة بالذات تعرض الوائلي للمضايقات والاستجواب من قبل الحكومة العراقية وبقي الوائلي محيراً بين ان ينجر مع النظام أو الوقوف ضد النظام لذلك احس بانه مستهدف لا محال فاصر على الهجرة ولكن كيف يهاجر والوطن يعيش في قلبه فسافر الشيخ واصر على السفر إلى الكويت عبر حدود صفوان واستقر في الكويت فترة قليلة ثم انتقل إلى الجمهورية العربية السورية والقى عصاه فيها حاملاً بيتاً من الشعر:

ليس بين العراق والشام حد لعن الله ما بنوا من حدود

وسرعان ما سمع النبا المؤلم اعتقال ولده الاكبر ومن ثم تم اعدامه ولعل اعدام نجل الوائلي رسالة واضحة للشيخ الوائلي، لقد عاش الوائلي اغلب حياته في دمشق التي احبها واحبته وطالما ناغاها وناغته وطالما كان يناغي البحر الأبيض متمثلا بأبيات أحمد شوقي:

سلام من صبا بردى ارق ودمع لا يكفكف يا دمشق

مع كل من العلماء والادباء من ابناء بلده الجريح فلقد عاش معهم الحلو والمر والراحة والعذاب منهم السيد عبد الزهراء الخطيب والشيخ محمد جواد السهلاني والسيد مصطفى جمال الدين والحاج محمد جواد الدجيلي والسيد الواحدي والحاج عبود الصائغ رحمه الله والسيد مضر الحلو وغيرهم من الاعلام الكبار والوجهاء وكان يقوم بخدمته المتواضعة الوجيه السيد مظر الحلو الذي كان له ولدا بارا رؤوفاً بشخصيته وكان لسان حاله معبراً عن تلك الخدمة لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً ولكن اداء وواجباً.

اجل عاش الوائلي فترة المهجر متنقلاً بين الخليج وسوريا ولبنان والكويت ولم يتسنّ له زيارة الجمهورية الإسلامية الايرانية لظروف خاصة.

اما من يدعي ان الوائلي زار ايران ما بعد الثورة فهذا خطأ شائع وليس له صحة ولا دليل.

هذه الفترة التي عاشها فترة مؤلمة وحادة كما عبر عنها مليئة بالاغتراب والمشاعر والعواطف والاحاسيس والحنين إلى بلاده التي كان يهيم بها ولعل ابرز ما عرف عنه اذا سمع اسم النجف تغرورق دموع عينيه وعندما زاره بعض المؤمنين من اهالي النجف الاشرف المقيمين في الجمهورية الإسلامية قال لهم اني اشم فيكم رملة النجف السمراء واتذكر قبة علي الصفراء.

ولعل هذا التعبير نابع من الجو المشحون بالاغتراب الذي عاشه الوائلي والحنين إلى وطنه واستطاع ان يبث همومه الوطنية عبر محاضراته واشعاره العاطفية وإليك بعضها:

احباي ما اقسى على البعد غربتي واعنف وقع الحزن مما اصور

وبعض احبائي بعيد وبعضهم يغيب في عفر التراب ويقبر

وهيهات أن أسلو وللموت والنوى معاول في قلبي تحز وتحفر
ولم يبق عندي غير رجع من الصدى يريني طيوفا منكم ويعبر
ولولاه ما عاشت بقايا لنابض تلازمه البلوى فيذوى ويعصر

ويثقل عليه الحزن إلى القوافي ويحملها همومه وآهاته:

تغرب حزني فاستحال اغانيا وقد يبدع الالحان حزن تغربا
وعندي قواف من هموم حملتها فما بعض شعري غير هم تعربا
وما هز اوتار الحشى مثل لاعج فابكى كما شاء البكاء واطربا
وللحزن خمر صاغ كل ملاحم وصالاً وهجراناً وعشقاً ترهبا
تقلب بين الجمر والخمر خافقي فيا لفؤاد بين ذين تقلبا
واخلد للاحزان حتى عشقنه وغازلنه الفا وتربا محببا
فعاش ولم يعرف سوى الحزن والجوى فلو مرت الافراح فيه تعجبا

وله قائلا:

وتؤنسني في غربة بعض ما بها تغول عزمي واستراض جماحي
فقد نازلتني النائبات وهكذا قطعت حياتي كلها بكفاح
تقصدن ضعفي حين من صلابة ولا من مجن سابغ وسلاح
واسلمني للوجد شلواً ممزقا انيني انغامي ودمعي راحي
فبعض همومي يستجير ببعضها وبعض جراحي يشتكي لجراحي

وله قائلا:

ويا ايها العيد في غربة وددت طبولك ل تقرع
فما عاد وقعك في غربتي سبته الهموم بذي موقع
وللهم فعل يعيد الحياة اسى والنهار إلى اسفع
سأبقى بحزني اغني النجوم واشرب خمري من ادمعي
واقتات طي بلادي هوى قوي الشكيمة لم يخنع

وله قائلا:

ولي وطن فيه اذوب وصبية بينهم من ادمعي ودمائي
وكلهم قد مسه الضر والاذى وبات على قيد مع السجناء
بكفك يا رب المفاتيح كلها وناصية الاشرار والشرفاء
وما ضر لو ارسلت منك ارادة لتنهي احتكام القيد بالاسراء.

وله قائلا:

بلدي يعيش اخو السلو بنعمة وأنا اعيش البعد في لأواء
حملت عيني والنجوم أليّة ان يحرساك بعتمة الظلماء
ولو ان اضلاعي تفيك جعلتها سورا يصونك من اذى وبلاء
يا كل اهلي والحنين سجية للكل تسكن فطرة الاجزاء
ابعث قليلا من شذاك فانني استاف عطر رمالك العفراء
أنا بعض تربك بنت عنه برهة وغدا يطول لدى ثراك ثوائي

وله قائلا:

امنياتي بان نعود لواديه فواديه مهد علم ونور
فننقي نفوسنا في غدير (لعلي) فهو النقي الطهور
ونروي مشاشنا من نمير لم يضارعه ما عملت نمير
ونشد الغداة بالامس صنوا نديا وان الح الهجير

والسؤال الذي نود طرحه هنا هل كان يتوقع الوائلي في يوم من الايام انه سيعود إلى بلاده أم هو خيال واحلام تعيش مع الوائلي في كل لحظة والجواب على هذا السوال:

هو ان الوائلي كان مطمئناً ومتوقعاً غاية الاطمئنان بانه سيعود إلى الوطن ويجتمع الشمل وكيف يفكر في الرجوع إلى العراق وقد دفن ولده بالشام الحاج سمير.

اصر الوائلي في اكثرمن مرة ومرة بانه سيعود إلى الوطن وكان واثقاً من هذا الامر وسرعان ما تحققت الامنية فلقد حدثني الوائلي عبر الهاتف قبل دخوله للعراق كثيرا ما كنت ادعو الله عز وجل ان يعطيني هذه الامنية وهي ان لا ادخل بغداد إلا وارى صدام ذليلاً فيها والا أموت إلا في بلدي والا ادفن إلا في النجف التي ولدت فيها وعاد الوائلي إلى بغداد ولكن ماذا قال الوائلي عندما راى بغداد وهي منكوسة الرأس، تألم الوائلي لبغداد وبكى عليها التي طالما كان يوظف شعره مدحاً لها وقال لها يا بغداد لا تتالمي ولا تهزك العواصف واصمدي وكوني صلبة امام الواقع فلقد مررت باحداث اكبر من هذه الأحداث وخرجت منها مرفوعة الراس تهيبك العزة والكرامة والشجاعة ولم يتمتع الوائلي بالحياة إلا أياماً قليلة عاشها في داره في العطيفية في مدينة الكاظمية بجوار الإمام موسى بن جعفر وكم كان يود زيارة امامه ولكن زاره من بُعد.

وفي ليلة شهادة الزهراء اغتسل الوائلي وصلى ركعتين ونادى أبناءهُ وبناته واحفاده واسباطه قائلاً: فليات كل واحد منكم اقبله ويقبلني وبعد ذلك سكت صوت الوائلي وفارقت روحه الدنيا والى الله المشتكى لقد مات موتة عزيزة وكريمة بين أهله واحبته وانفجرت بغداد بالدموع حزنا له اجراسها وكبرت المساجد والحسينيات عبر مكبرات الصوت منادين ايها الناس هلموا لتشيع لسانكم الناطق ومدرسة الإسلام المتنقلة وعالمكم الفذ الاصيل الشيخ أحمد الوائلي.

ورغم الظروف الامنية التي يعيشها العراق من احتلال ودمار وارهاب وتخريب فلقد شيعه الملايين من محبيه رافعين صوره على صدروهم من بغداد إلى كربلاء ومن كربلاء إلى النجف وذلك في يوم ١٤ / ٧ / ٢٠٠٣.

لقد شيعته الملايين مرددين

الله اكبر يا علي اليوم مات الوائلي

محروس بالله والنبي يا حسين هذا الوائلي

يا عباس يابن علي كوم تلكة الوائلي

خادم منبرك يا حسين هذا اليوم تشيعه يا الزهرا تلكي خطارج

الوائلي هو هتف رمز الوطن تبقى النجف

رحمك الله يا شيخ الخطباء وهنيئاً لك نم قرير العين في جوار علي والحسين.

خادمك المخلص سليم





الفصل الثاني

قسم المقالات

نحو تفسير علمي القرآن[١]

أ - تعريف التفسير لغة واصطلاحاً:

التفسير لغة هو الكشف أو الإبانة أو الظهور، والتأويل يرادفه على رأي، وعلى رأي آخر أنه يغايره، لأنه مشتق من «الأول» بوزن القول وهو الرجوع.

وفي حقل القرآن التأويل هو الرجوع إلى وجه من عدة وجوه يحتملها الكلام لدليل يسند اختيار ذلك الوجه وعلى هذا فالتفسير هو ما يرجع للألفاظ، والتأويل هو ما يرجع لمعاني.

وفي اصطلاح المفسرين عرف التفسير بتعاريف كثيرة كلها تقريبية ليست جامعة ولا مانعة، وذلك لدخول كثير من العلوم والقيود في ماهيته على آراء وخروجها في آراء أخرى، فيختلف المفهوم على هذا سعة وضيقاً. ولعل أقرب التعاريف هو ما عرفه به أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط حيث قال: هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي هي عنها حالة التركيب وتتمات ذلك.

ب - أقسام التفسير الرئيسية وأقسامه الرئيسية قسمان:

١ - (التفسير بالمأثور):

من معرفة الناسخ و المنسوخ، وأسباب النزول، ومعاني الآيات، وأقسام القراءات، وقصص الأمم، وأخبار الملاحم، ونظائر ذلك مما يؤخذ عن طريق الآثار المنقولة عن السلف.

---

(١) بحث نشر تحت عنوان نحو تفسير علمي للقرآن نشر في النجف عام ١٩٦٢ ضمن سلسلة من هدي الإسلام.

٢ - (تفسير بالإجتهاد):

وهو ما يصل إليه المفسر الجامع للشروط عن طريق النظر والاستدلال، كاستنباط الأحكام الشرعية عن أدلتها من القرآن، وعلى العموم ما يستند إلى بذل الجهد وإعمال الرأي والفكر ضمن نطاق الأدلة.

وواضح أن هذا ليس من التفسير بالرأي المنهي عنه، لأن ذلك يقصد منه ما يكون تفسيراً من مفسر ليس بجامع للشرائط أو من جامعها ولكنه يميل مع الهوى ويفسر بالرأي والاستحسان.

ج - أهداف التفسير:

أهمها: الوصول إلى فهم المضامين التي أرادها الله تعالى في كتابه الكريم، ومعرفة ما افترض الله تعالى على عباده وهي أهم الغايات بالإضافة إلى آثار هامة أخرى تترتب على ذلك.

ولا شك أننا في سبيل فهم مضامين القرآن نحتاج إلى التفسير باعتباره الوسيلة التي توصلنا إلى معرفة المحكم والمتشابه والمجمل والمبين وحكمه وعلله وفرائضه وسننه. . الخ.

د - المقصود بالتفسير العلمي:

وصفنا التفسير الذي ندعو إليه بالتفسير العلمي، ولإيضاح المقصود نقول: العلم كما يعرفونه هو «حصول صورة الشيء في الذهن أو في العقل»[١] وهو «إدراك الشيء بحقيقته»[٢].

فالإدراك بناءً على التعريف يقع على المدرك ذاته، وهذا هو جوهر التعريف أي لا غير المدرك ولا أنقص في المدرك ولا أزيد منه، فإذا قال العنوان (تفسير

---

(١) انظر منطق المظفر ج١ ص٦ ط النجف ١٣٧٧.
(٢) المنجد ط بيروت ص ٥٥١ ط سنة ١٩٥٦.

علمي) فالمقصود أن التفسير يجب أن يكون للقرآن لا لغير القرآن بدعوى أنه القرآن، ولا أزيد منه، ولا أنقص منه.

وسنحاول إيضاح الفكرة عن هذه الأقسام التي ذكرتها وهي ثلاثة، أولها تفسير غير القرآن بدعوى أنه القرآن، وقد يبدو هذا غريباً فكيف يفسر غير القرآن بدعوى أنه القرآن، بيد أننا بقليل من التأمل سنرى أن هذا يبدو واضحاً فيما يلي من أنواع التفاسير الآتية.

هـ - أنواع التفسير اللاعلمي:

١- التفسير الذي يدخله الأيديولوجي:

أو قل الذي يتأثر بنزعة خاصة، وذلك أن المفسر يفترض مسبقاً رأياً خاصاً ثم يبدأ بتفسير الآية على ضوئه، وإذا استعصت جرها جراً وتعسف في تطويعها لما افترضه من رأي سلفاً، فالآية تفسر تبعاً لما في ذهنه من المعنى لا أنه يتبع ما تقود إليه الآية في مضمونها.

وحيث ذكرنا في تقسيم التفسير بأنه قسمان تفسير بالمأثور وآخر بالجهد وإعمال الفكر والرأي، فإن الأيديولوجي يحصل في القسمين، أما في الرأي فواضح لأنه يميل مع الهوى والنزعات، وأما في المأثور فإنه يختار من المأثور ما يميل إليه وإن كان غيره ألصق بالآي وأقوى ظهوراً وأكثر تمشياً مع خطوط الشريعة العامة.

ويختلف الأيديولوجي الذي يفرضه مسبقاً، فقد يكون نزعة مذهبية عقائدية، أو منهجية صوفية أو نظرية علمية باختلاف مجالات العلم، وكون الأيديولوجي يتصور في هذه الفروع ليس معناه أن القرآن الكريم يخلو من جذبات روحية صوفية، أو قابلية لتحمل عديد من وجوه المعاني، أو إشارة إلى قانون علمي أو سنة كونية، ولكنه على ذلك لا يتخصص لواحد منها، فليس هو بالمؤلف الذي يعني بالجدل خاصة، أو بالتخصيص في الطرق الصوفية، أو بالكون ضمن نطاق المختبر

يضع الأسس للفيزياء والكيمياء، كما قد يتصور البعض الذين ذهبوا إلى ذلك في كثير من حسن النية كما سيمر علينا.

وعلى كل فإن المفسر في هذين الحقلين وباختلاف الفروع التي يمارس التفسير فيها إنما يفسر ما افترضه مسبقاً وسلفاً دون ما يؤدي إليه لسان الآية، وواضح أن هذا التفسير تفسير لغير القرآن بدعوى أنه تفسير للقرآن.

٢ - الزائد على القرآن وليس منه، وأقسامه كالآتي:

أ - إقحام بعض النظريات العلمية من مختلف مجالات العلم - كالفيزياء والفلك والأحياء وغيرها - في مضامين بعض الآيات استناداً لشبهة لفظية أو مضمونية لا تصل إلى مستوى الدليل، وسنمثل لذلك.

ب - التوسع فيما له منشأ انتزاع وعدم الاقتصار على مؤداه، بل يتخذ منطلقاً للتوسع غير المشروع ومجالاً لترتيب حشد من النظريات عليه بدون مبرر علمي.

جـ - تفسير بعض الآيات وترجمة مضامينها بما هو بعيد عن أهداف القرآن، استناداً إلى ما ينقدح في ذهن المفسر عن آية ما، وليس لذلك الانقداح من صلة بالآية إلا دعاوى الإلهام والكشف الذي قد يعتبره البعض وجهاً من وجوه التفسير أو طريقاً معترفاً، وإنا أدرجناه في الزائد على القرآن لهذا الاعتبار المدعى وإلا فهو في باب غير القرآن ألصق.

٣ - الناقص عن القرآن الذي لا يستوعب مادته بالشرح ولا يجلي أهدافه، وأقسامه هي:

أ - ما يغفل عنصر الأبدية في القرآن الذي يستلزم أن يكون فيه زاد لكل جيل وعطاء لكل فترة ومرونة تحفظ له جدته وخلوده ولصوقه بحاجات المجتمع تلو المجتمع والجيل بعد الجيل، حيث يأخذ منه كل جيل بقدر ما تنهض به وسائله وما تحمل من استعداد للتزود منه، وهي خاصة موجود في كثير من مضامين القرآن كما

هو واضح من سماته. ذلك لأن القرآن يضع المفاهيم الثابتة للثابت من الحقائق الكونية، والمفاهيم المتطورة لغير الثابت مما يمكن أن يأخذ أطواراً وحالات مختلفة كما سيمر علينا.

والمفسر هنا، وفي هذا القسم بالذات - أعني القسم المتطور - يقصر مداليل الآيات على معاني يقطع بأنها هي المرادة لا غيرها، وهو بذلك يوصد باباً للفكر ويحكم على المنبع الثر بالانقطاع وعلى دفق الشعاع بالنضوب، وبالتالي عدم استيعاب القرآن بالشرح لأنه بصورة مباشرة أهمل وجوهاً أخرى وأبعدها عن مصدرها بدون مبرر غير ضيق الأفق.

ب - إغفال ما قد يتصوره بعض المفسرين بأنه ليس محلاً للابتلاء، أو أنه من الأمور الثانوية، أو أنه ترف في أمثال هذه المواضيع ونافلة، اللهم إلا الشروح اللفظية أو الإشارة إلى المعنى بتركيز شديد جداً، وخذ لذلك مثلاً: الرق، أو الاقتصاد، أو نظرية الحكم، وغير ذلك من الأمور الهامة بالفعل.

ج - إهمال كثير من مضامين القرآن الكريم بدعوى أنها مما استأثر الله تعالى بعلمه، فإذا قيل إن وضعها بالقرآن إذاً ما هو مبرره تأتي أجوبة ليست بناهضة، وقد تكون تلك الأمور من الأعمدة الفقرية في الكتاب العزيز.

وستأتي الإشارة إلى ذلك إنشاء الله بقدر ما يتسع له هذا البحث المختصر[١].

وفي نهاية هذه المقدمة القصيرة لا بد من الإشارة إلى أمور ذات صلة بالبحث يستحسن ذكرها، وهي:

أولاً: قد تبدو التفاسير في نظر البعض ناقصة من أمور، وقد يكون ذلك مما

(١) راجع في تقسيمات التفسير ومعانيه ما يلي: التفسير والمفسرون للذهبي ج١ ص ١٩ طبع مصر ١٩٦١، وانظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ج١ ص ١٣ ط أوفست مصر ١٣٢٩هـ، والبيان للسيد الخوئي ط النجف ١٣٧٧ص ٤.

ليس في وسع المفسر: إما لأنه قد وجدت وسائل ومعلومات لم تكن في عصره وكانت في عصر الناقد، وإما لأن المفسر غفل عن بعض ما لم يغفل عنه الناقد، أو لأنه أحسن الظن فيمن روى عنه خبراً أو رأياً ليس بالمستقيم. وما ذلك لقصور في التنقيب أو التقييم، بل لأن المروي عنه حاذق ومتمرس في الدس والحبك، أو غير ذلك.

كل ذلك لا يعني أن العلماء قصروا في هذا الميدان. كلا بل إن جهودهم أقل ما توصف به أنها جبارة، ولكن لقدرة البشر حدود والكمال لله تعالى.

ثانياً: إننا ننحو باللائمة على كثير من المفسرين لأنه صبغ التفسير بمزاجه الذهني وما مال إليه طبعه من فلسفة أو لغة، أو بديع أو غير ذلك. وقد تكون هذه الظاهرة أحياناً تقرب من اللاإرادية ولها بجانب كونها فرضاً ثوب خاص على روض منوع لها مزيتها التي هي كونها مقطعاً من مقاطع أخرى تؤلف كلا هو عبارة عن دائرة معارف لعلوم مختلفة.

ثالثاً: لا ننسى أن التفسير منذ وجد إلى يومنا هذا قام على ممارسة فردية - وإن كانت على مستويات علمية عالية أحياناً - ولكنها على كل حال أشد نقصاً وأقل كمالاً مما لو كانت ممارسة جماعية في حدود التخصص بكل فرع من فروع علوم القرآن، فإنها آنذاك تكون إلى الكمال أقرب بالنظر إلى أنه يكاد يكون من المستحيل على الفرد أن يستوعب فروع المعرفة على نحو كامل. والقرآن الكريم تنوعت معارفه وتعددت حقوله في أبعاد المعرفة، فكيف يتسنى لفرد أن يقوم ولو ببعض ما يطلب في هذا الميدان، ذلك أمر ليس بالمستطاع، لذلك كانت المحاولات كلها نسبية.

رابعاً: يجب أن نشير إلى أن أجل عمل يخدم القرآن الكريم هو توفر التفسير الموضوعي الذي نتصوره بأنه يتكون من حقلين:

أ - الجانب السلبي، ويتلخص بإقصاء وإبعاد العوامل التي تؤثر على الموضوعية من شبه، أو عصبية أو هوى أو ما شاكلها من أمور ذاتية تفسد

الموضوعية، وذلك قدر المستطاع طبعاً، فإن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، وأمر كهذا ليس من السهولة بحيث يسهل التغلب عليه.

ب - الجانب الإيجابي، ويتلخص بتقسيم المادة القرآنية إلى مضامينها العلمية، وتوزيعها على الاختصاصيين كل في مجاله، للتوفر على تفسيرها وشرحها، شريطة أن يكون المفسر على موضوعات معينة سنعرض لها في الفصل التالي. وذلك كما يصنع بدوائر المعارف العلمية في عصرنا لهذا، حيث تجزأ إلى علومها ويبحث كل علم من قبل ذوي الاختصاص به، وبهذا تتم الموضوعية المطلوبة، وبذلك نخدم القرآن ونسموا به عن الخبط والهلوسة أو التطفل العلمي، ما يؤدي مكان القداسة في شعور المسلم، وهو يرى صنوفاً من اللاعلمية واللاموضوعية تأخذ طريقها إلى أقدس أثر بدوافع دعائية أو تجارية رخيصة.

وإذا ما تم ذلك فستقع العين على أروع الكنوز وأصفى المنابع التي ظلت مطمورة ومظلومة تصدى لها أعداؤها وبعض أبنائها بالقول إنها وصفة محدودة جاء بها محمد ﷺ لمجتمع بدوي ذهبت بذهابه، فهي إفراز لوضع ووقت معين انتهى حيث انتهى سببه.

وحيث إننا نؤمن أولاً وقبل كل شيء بأن القرآن الكريم جاء وسيظل نوراً يهدي الإنسانية في مسيرتها حتى لحظاتها الأخيرة إلى ما فيه خيرها في الدنيا ونعيمها في عالمها الثاني، فإن كل غال يهون بذله في أي خدمة تتصل بهذا المضمار الذي يوصلنا للأخذ من القرآن ويؤهل الدنيا لترى المجتمع القرآني الذي من القرآن يأخذ وبنوره يهتدي ومن نميره ينهل، كما وصفه تعالى بقوله:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: ٢-٥].

الفصل الأول

العناصر والإتجاهات الشاذة في التفسير والأخطاء المنهجية فيه

أجملت في مقدمة البحث أقساماً ثلاثة ذكرت أنها تتوزع على أبعاد التفاسير الموجودة فعلاً، فقد ينال بعض التفاسير قسم منها أو أكثر أو أقل، ولكن القدر المتيقن هو أنه لا يخلو تفسير من بعضها. وقد آن الأوان لبيان ما أجملناه في المقدمة بشرح يستوعب الأقسام المذكورة وفق تسلسلها الوارد في المقدمة مراعين الاختصار في تقديم بعض النماذج للتدليل.

القسم الأول

هو الذي عنونته بتفسير غير القرآن على أنه القرآن، وهو التفسير الذي نفترض فيه أيديولوجية خاصة سبقاً وسلفاً وتكيف الآية بمضامينها وفق تلك الصفة المطلوبة.

أ - إفترض بعض الرواة والمفسرين سلفاً كفر أبي طالب عليه السلام إما لجهل أو لعناد أو لحسن ظن بمن روى ذلك، وعلى ضوء هذا الافتراض صار يفسر بعض الآيات ومنها قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(١) فذكر عن عطاء ومقاتل أنها نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله لأنه كان ينهى قريشاً عن إيذاء النبي ثم يتباعد عنه.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢٦.

وهذا تفسير أملته صفة معينة ولم تفسر فيه الآية بل فسر ما في نفس المفسر، وسبب بطلان هذا التفسير وجوه:

أولاً: إن الآية مرتبطة بما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٥-٢٦] الخ.

وقد نص المفسرون أنها نزلت في بعض مشركي قريش وهم أبو سفيان والوليد بن المغيرة وعتبة وشيبة ابني ربيعة وغيرهم.

ولا يخفى أن الوليد هو أبو القائد الإسلامي خالد، وإن أبا سفيان هو أبو معاوية خال المؤمنين، فلا بأس بنقلها إلى أب علي بن أبي طالب عليه السلام.

ثانياً: إن الآية تحدثت عن جماعة ولم تتحدث عن واحد، وقد يعبر عن الفرد بصيغة الجمع في مقام التعظيم، وليس المقام هنا مقام تعظيم، وهذا قرينة على تأييد القول السابق.

ثالثاً: إن قوله تعالى: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٦] راجع إلى جميع ما ذكر في صدر الآية، يعني أن كونهم ينهون عنه وينأون عنه سيؤدي بهم إلى الهلاك، وقد افترضنا أن أبا طالب - كما يقول عطاء ومقاتل - كان يمنع قريشاً عن إيذاء النبي، وهذا العمل لا يستحق به هلاك النفس بل يستحق به الثواب، فكيف يحمل على الهلاك[١].

وقد ناقش بعض المفسرين هذه الدعوى ورد القول بنزولها في أبي طالب، والبعض الآخر فسرها على أنها نازلة في المشركين.

---

(١) انظر تفسير الرازي ج٤ ص ٢٧ ط مصر ١٣٢٤ ومجمع البيان ج ٢ ص ٢٨٧ ط طهران، وصفوة البيان لمعاني القرآن ج١ ص ٢١٩.

ب - إفترض جماعة من الناس لسبب من الأسباب أن بعض أئمة المذاهب الإسلامية كالشافعي وغيره تأخر في بطن أمه مدة أكثر من مدة الحمل الاعتيادية، وقد اختلفوا في تقديرها بالنسبة للمورد خاصة ولبقاء الجنين في بطن أمه بصورة عامة، حتى جوز بعضهم بقاء الجنين في بطن أمه ثماني سنين أو أكثر، وهي مأساة تترتب عليها مجموعة من المآسي والآثار، لأن معنى ذلك أنه لو توفي زوج امرأة وجاءت من بعد ذلك بثماني سنين بطفل فستأخذ ميراثه، أو لو ادعت الحمل أو شك في أنها حامل من بعد وفاته كأنه ينقطع عنها الدم لسبب من الأسباب فلا بد من أن تعتد هذه المدة ما دام الاحتمال موجوداً بحملها، لأن إجماع المذاهب الأربعة على أن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها بالوضع(١).

وعلى كل حال، بعد أن افترض جماعة هذا الافتراض اضطروا لتفسير قوله تعالى في الآية الخامسة من سورة الأنعام: ﴿لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ﴾ [الحج: ٥]، قالوا إنه قد يبقيه أقل مدة الحمل، وقد يقره أي يبقيه في الرحم مدة تصل إلى أربع سنين أو أكثر(٢).

وهو قول لا يؤيده العلم ولا العادة ولم يقع بهذه المدة ولو مرة واحدة على سبيل الشذوذ.

ج - افترض بعضهم سلفاً أن بعض كلمات القرآن لا تؤدي المعنى الذي وضعت له، أو تؤدي المعنى الموضوعة له ظاهراً ولها معنى آخر، وذلك أنها تقطع إلى مقاطع يستقل كل مقطع بما يؤديه من معنى، سواء أكان المعنى خبراً أو معنى عرفانياً.

وعلى ضوء ذلك شرع يفسر بعض الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَن ذَا

---

(١) انظر رحمة الأمة في اختلاف الأئمة ط مصر ١٩٦٠ ص ٢٤٠.

(٢) انظر الكشاف ج٢ ص ٥٠ ط بولاق ١٢٨١ هـ وتفسير الرازي ج٦ ص ١٤٥ ط مصر الأشرفية ١٣٢٤.

﴿ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[١] الخ فقطعهما كما يأتي: قال «من» اسم موصول بمعنى الذي وحذف الألف من «ذا» وجمع الذال مع لام الذي بعد حذف الألف من «الذي» «أيضاً»، فصارت «من ذل» و «ذي»، ثم قطع «يشفع إلى «يشف» «ع» وقال معنى ذلك من ذل ذي يعني إشارة للنفس فمن ذلها يشف من كل داء نفسي «ع»، أي فعل أمر من الواعي، فكأنه قال: يا أيها القارىء انتبه أن ممن ذل نفسه شفي من الأمراض النفسية[٢].

ولست أدري لماذا ترك باقي المقاطع، وأغلب الظن أنه قطعها ولكن لم يجد لها معنى بعد التقطيع فسكت، وإلا فلا موجب للاقتصار على جزء من الآية وترك باقي الأجزاء، لأنه ترجيح بلا مرجح. اللّهم إلا أن يكون المرجح هو أنه وجد لهذا الجزء فقط معنى بعد التقطيع ولم يجد لغيره معنى.

ومن ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١] مطلع سورة مريم، فقد فسرها بعضهم برواية مرسلة لا يعرف قائلها وأسندها إلى الإمام الثاني عشر، وهي: إن الكاف كربلا والهاء هلاك العترة، والياء يزيد، والعين عطش الحسين، والصاد صبره. وذكر أن زكريا سأل الله أن يعلمه أسماء أهل البيت الخمسة الطيبين، فعلمه إياهم، فكان إذا ذكر الحسين يستعبر فأنبأه عن قصته بما مر ذكره من تفسير كهيعص[٣].

مع أن رأي أهل البيت عليهم السلام في الحروف المقطعة في أوائل السور معروفة، وهي أن قريش لما كذبوا القرآن وقالوا إنه من محمد، أراد الله تعالى أن يبين لهم بأن القرآن مؤلف من نفس حروف الهجاء التي تتكون منها لغتكم، ومحمد بشر وأنتم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) انظر مجمع البيان ج١ ص٣ المقدم ة ط طهران أوفست ١٣٧٩هـ.
(٣) انظر تفسير مقتنيات الدرر للحائري ج٧ ص ٢ ط طهران ١٣٣٨.

بشر، فهاتوا مثل هذا القرآن إذا كان من بشر مثلكم ومن نفس حروف لغتكم. وهذا الرأي مروي عن الإمام العسكري في تفسيره.

ويذهب فريق آخر من المفسرين إلى أن هذه الحروف هي أرقام في صورة الحروف، أو بتعبير آخر هي مدة بقاء هذه الأمة في الحروف الأبجدية، ولذلك يقول مقاتل ابن سليمان: حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور بإسقاط المكرر فبلغت سبعمائة وأربعاً وأربعين سنة، وهي بقية مدة هذه الأمة[١]. والأمة باقية بحمد الله تعالى بعد ذلك التحديد الذي حدده مقاتل.

وهذه الأقوال لو صحت روايتها عن معصوم لأمكن التعبد بها إذا لم نجد لها وجهاً، ولكنها والحالة هذه ترسل إرسالاً أو يرويها مجاهيل، فلا يمكن الركون إليها، لأنه تفسير للألفاظ بما لا تدل عليه حقيقة أو مجازاً، وهو يفضي إلى فتح باب لا يغلق من التحكم.

ولماذا لا يكون: الكاف كلام، والهاء هراء، والياء يروى، والعين عي، والصاد صفصطائي.. وهكذا.

أفيرضى إنسان مسلم أن تفتح أمثال هذه الأبواب على دستوره الذي يرتبط به دنياً وديناً وينهل منه المعارف ويعتقد فيه أنه أقدس رسالة هبطت من السماء.. أجل يجب أن يصان كتاب الله تعالى عن مثل هذا العبث.

وأعتقد أنه قد اتضح فيما قدمت من نماذج ما أسميته بتفسير غير القرآن على أنه القرآن، أو قل بتفسير ما في نفس المفسر بزعم أنه تفسير للقرآن. والمتتبع للتفاسير يجد أن هذا اللون من التفسير شائع في كثير من سور القرآن الكريم وفي مجالات مختلفة.

---

(١) انظر مجمع البيان ج١ ص ٣٣ أوفست طهران.

القسم الثاني

وحيث انتهينا من التدليل على القسم الأول نعود إلى القسم الثاني، والذي عنونته بالزائد على القرآن والذي يحمل على القرآن ونظرت له بثلاثة أقسام:

الأول: إقحام بعض المدلولات العلمية في الفيزياء والكيمياء والطبيعيات أو الأحياء أو غيرها من الفروع العلمية، وذلك بادعاء أنها داخلة في مضامين بعض الآيات، ومن ذلك:

١- ما ذهب إليه حفني أحمد في تفسيره للآية السادسة والأربعين من سورة الأحزاب وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، فذهب إلى أن هذه الآية تدل على أن القرآن من الله تعالى وليس من محمد كما تقول قريش وغيرها، وذلك بتقريب أننا تتبعنا استعمالات القرآن الكريم للضوء والنور فرأيناه يستعمل لفظ الضوء لما يصدر عنه الضوء من ذاته كالشمس، ويستعمل لفظ النور لما ينعكس عليه الضياء كالقمر، فالقمر له نور لا ضوء والشمس لها ضوء لا نور. وبناءً على ذلك فالقرآن عندما يقول للنبي ﷺ بأنّا جعلناك سراجاً منيراً يعني أن رسالتك ليست من عندك بل هي من الله تعالى، لأن صفة منير تعني أنك تكتسب النور من غيرك، هذا ما ذكره وقد ذكرته بالمعنى[1].

مع أن المفسرين في تفسيرهم لهذه الآية الكريمة يذهبون إلى أنه تعالى أراد تشبيه نور النبي ﷺ ونور رسالته المعنوي بالنور الحسي في السراج، و جهة الشبه أن نور الرسالة يكشف ظلمات الجهل كما يكشف نور السراج الظلام الحسي، وبعد ذلك فالآية غير ناظرة إلى كون الرسالة من النبي ﷺ أو من الله تعالى، مع

(١) انظر التفسير العلمي للآيات الكونية بالقرآن لحفني أحمد ط مصر ١٩٦٠ ص ١٤٨.

أنه قد يكون ما ذكره حفني من استعمالات القرآن للضوء والنور صحيحاً بالجملة ولكن النتيجة التي انتهى إليها حفني غير واردة: إما لأن الآية قد تكون ليست في صدد بيان هذا المعنى كما ذكر المفسرون، أو لأن ما ذكره لا يطرد دائماً، وذلك أنا رأينا القرآن الكريم يقول واصفاً رسالة موسى وهارون في الآية الثامنة والأربعين من سورة الأنبياء وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨] فجعل رسالتهما شبيهة بالضوء الذي يصدر من ذات الجسم كما يقول حفني، مع أن رسالتهما أو قل كتابهما ليس منهما بل من الله تعالى، فينبغي على قوله أن يرد الإشكال لمكان جهة الشبه بين المشبه به والمشبه، وهي صدور الضوء من الذات.

وبالعكس فقد رأينا القرآن يستعمل النور فيما يصدر عن الذات، وذلك كقوله تعالى في الآي السابعة عشرة من سورة المائدة واصفاً وحيه إلى أنبيائه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]، والمراد به القرآن، والآية صريحة في أنه صادر من الله تعالى، مع أن حفني افترض أن القرآن يستعمل لفظ النور فيما ينعكس لا فيما يصدر عن الذات.

٢ - ومن ذلك ما فسر به بعضهم قوله تعالى في سورة المرسلات: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾﴾ [المرسلات: ١-٧].

فقال: هذا وصف علمي دقيق للطائرات الحربية الحديثة بمختلف حركاتها وبجميع أفعالها، فهي تعصف بقنابلها كالحميم، وتترك الناس كالعصف المأكول وفي أثناء قيامها بذلك تنشر المنشورات وتلقيها على الجنود وعلى غيرهم في ميادين الحرب وعلى الأهالي والسكان المدنيين للإخبار بما تريده الدولة المحاربة، وتمزق بصولتها الجبارة بين الكتائب والفصائل والتجمعات مزقاً، حيث إنه لا يستقر تحتها ولا يثبت أي جمع، بل لمجرد رؤيتها يتفرق الناس ويختفون في

الكهوف والملاجىء والمخابىء فالملقيات ذكراً يعني ما تذكره وما تقصده منشوراتها وما تريد ذكره عذراً أو نذراً تعتذر عن إلقاء الدمار والتخريب على الأماكن البريئة كالمساجد والمعابد والمستشفيات والأطفال.. الخ(١).

٣ - ومن ذلك ما ذهب إليه الشيخ طنطاوي جوهري عند تفسير قوله تعالى في آخر آية ص ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾ [ص: ٨٨]، فقد قال: وهذه الآية شرحها طويل فمن نبأ القرآن هذه الأمة الإسلامية المترامية الأكناف التي تبلغ الآن - في أيامه طبعاً - نحو ٣٥٠ مليون من المسلمين أفليس هذا من أعظم أنبائها، ومن نبأ القرآن العلوم التي اكتشفها الناس حديثاً، وكيف جاء علم الأرواح الحديث مطابقاً لهذا القرآن، وإن هذه الأرواح بعد الموت أحياء وأن من الأرواح من هم مغرمون بالمادة والحياة والصيت والذكر في هذه الدنيا، وهؤلاء يكونون بعد الموت مجذوبين إلى المادة معذبين بذلك، ومنهم من يكون أرقى علماً وحكمة وأخلاقاً، وهؤلاء يتباعدون عن المادة ويقتربون من ربهم.

إلى أن قال: أفلا ترى أن هذه الأمور المذكورة في هذه السور قد أصبحت تقال في المجامع النفسية علناً، وهذا هو نفس القرآن، وبعبارة أخرى هو ما في هذه السورة، من كان يظن أن نبأ بقاء الأرواح بعد الموت وحالتها يظهر في الدنيا قبل يوم القيامة(٢).

الثاني: ومن الزائد على القرآن ما أسميته بالتوسع فيما له منشأ انتزاع مع عدم وجود مبرر لذلك التوسع، لأنه يصطدم بروح الشريعة وخطوطها العامة وبما هو من ضرورياتها أحياناً. وإنما يتمسك به البعض لوجود موهم من اللفظ أو المعنى، ولأنه يوافق غرضاً للمفسر فيتمسك بذلك.

---

(١) انظر الجانب العلمي في القرآن للدكتور صلاح الدين الخطاب ط مصر ١٩٧٠ ص ١٧.
(٢) انظر تفسير الجواهر للطنطاوي ج ١٨ ص ٨٥ ط مصر مصطفى البابي ١٣٥٠هـ.

ونحن نعرف بالضرورة من استقراء أحكام الإسلام ذات العلاقة بالجوانب المختلفة أنه يمنع الاستغلال منعاً باتاً ويشن عليه حرباً لا هوادة فيها، وأقصد هنا بالاستغلال معناه التعيني - أي الاستثمار بدون مبرر شرعي - ومع وضوح هذا المعنى في الأحكام الإسلامية نجد بعضهم يميل إلى شبه تؤدي إلى أن الإسلام يجيز الاستغلال.

١ - فمن ذلك ما ذهب إليه بعض مفكري المسلمين في موضوع حرمة الربا، فأرادوا حلاً وسطاً بين تعطل المعاملات وإيقاف الحركة التجارية، وبين صراحة حرمة الربا. فالتمسوا دليلاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(١)].

فقالوا: إن القرآن لم يحرم من الربا إلا ما كان أضعافاً مضاعفة، أي إلا ما يصل إلى مثل رأس المال أو يزيد عليه.

مع أن استنتاجهم من الآية لا يمكن أن يستقيم وما قال ولم يقل أحد به، ذلك أن أضعافاً وصف للربا لا لرأس المال، وإذا كان كذلك فينبغي أن لا يحرم من الربا إلا ما يبلغ ستمائة بالمائة ٦٠٠٪، وذلك لأن كلمة أضعاف جمع، والضعف يكون بقدر الأصل مرتين، ومرتين في ثلاثة يساوي ستة، ولا قائل بذلك قط[(٢)].

وبتعبير علمي نقول: إن هؤلاء استدلوا بمفهوم الوصف إذ اعتبروا أن الوصف - وهو أضعافاً - قيد للحكم وهو المنع بينما هو قيد للموضوع وهو الربا، وبناءً على ذلك فلا مفهوم للوصف. وحتى لو سلمنا بوجود مفهوم للوصف فهو إنما يكون إذا لم توجد قرينة على خلافه، والقرينة هنا موجودة، وهي أنه أورده

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

(٢) انظر الربا في القانون الإسلامي للدكتور محمد عبد الله دراز مجلة الإسلام السنة ١٣ ص ٦٨-٧٣.

مورد الغالب، أي أن الربا ليس دائماً يكون أضعافاً مضاعفة، ولذلك ذهب الطبرسي في مجمع البيان حيث اعتبر الوجه هو تضاعف الزيادة بالتأجيل أجلاً بعد أجل[1].

٢- ومن ذلك ما ذهب إليه بعضهم في تفسير الآية الرابعة من سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣] الخ، حيث ذهب إلى جواز أن يتزوج الإنسان تسع نساء، لأن القرآن على قوله قد أجاز ذلك بعطف هذه الأعداد بعضها على بعض بالواو فالمثنى والثلاث والرباع مجموعها تسعة[2].

مع أن القرآن الكريم لو أراد ذلك لعبر بالرقم الموضوع لهذا العدد وهو التسعة، ولكنه تعالى أراد انكحوا الطيبات معدودات هذا العدد اثنين اثنين، وثلاثاً ثلاثاً، وأربعاً أربعاً، وذلك أنه خاطب الجميع كما تقول للجمع اقتسموا هذه الأموال بينكم درهمين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة للدلالة على جواز كل هذه الوجوه وإنما لم يعطف بـ (أو) لأنه حينئذ لا يفيد جواز الاقتسام إلا على أحد هذه الوجوه.

الثالث: ومن أقسام الزائد على القرآن هو ما أسميته بترجمة ألفاظ القرآن بمضامين غيبية وليست مما يستهدفه ظاهر القرآن ولا مما يفهمه العرب وليس فيه نص أو رواية، إنما هو مجرد انقداح معنى أو ومضة في ذهن المفسر تصور أنها تتصل بالآية فبنى تفسيره على هذا التصور.

ومن ذلك ما فسر به بعضهم الآية الثامنة والسبعين من سورة بني إسرائيل وهي قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ

---

(١) انظر مجمع البيان ج١ ص ٥٠٢ط طهران أوفست.

(٢) انظر مجمع البيان ج٢ ص ٦.

ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، حيث فسر ذلك بأنه يجب نصب الإمام عند زوال شمس النبوة[١].

وقد اتضح فيما مر من النماذج التي قدمتها في القسم الثاني الذي أسميته الزائد على القرآن كيف أنها ليست من طبيعة القرآن وغريبة عن مادته وأسلوبه، وقد تقول: إن هذا القسم لا يختلف عن سابقه في كونه ليس من القرآن فلماذا هذا التقسيم إلى القرآن كما أسميت القسم الأول، وإلى الزائد على القرآن كما أسميت القسم الثاني؟.

وللإجابة على ذلك أقول:

إني لم أرد أن أجعل من كل من العنوانين حداً جامعاً مانعاً، وإنما أردت من كل عنوان منهما أنه ناظر إلى ناحية في المعنون، فالأول كان المفسر فيه يفترض مسبقاً معنى من المعاني ويجر الآية إليه وإن كان في الآية محط قدم له ولكن الملحوظ أنه يفسر ما في ذهنه ويحمل الآية على ذلك، أما القسم الثاني فبالعكس حيث يتبع منشأ الانتزاع في الآية ولكنه يتوسع فيه بما لا مبرر معه.

القسم الثالث

الذي أسميته التفسير الناقص عن استيعاب محتويات القرآن الكريم وعن استيعاب خواصه، وقد قسمته إلى ثلاث شعب:

الشعبة الأولى:

ما يغفل عنصر الأبدية في القرآن الكريم، ومعنى ذلك أننا نرى بعض المفسرين إذا فسر آية وذكر لها وجهاً أو وجوهاً يترك الباب مفتوحاً ولا يوصده،

(١) مجلة المرشد للشهرستاني السنة الثالثة ص ١١٦.

فيقول والله أعلم بمراده ولا يبت فيما ذهب إليه، وهذا في بعض الآيات مما لا يصل إلى حد المحكم أو النص أو ما يقرب منهما في الظهور.

وهذا هو الذي أردته عندما صدرت لهذا القسم بالمقدمة فقلت: إن مرونة القرآن الكريم وإحتمال آياته لكثير من المعاني أو صلاحيته للتطور - على حد تعبير بعضهم - المراد منه أن ذلك على نحو الايجاب الجزئي، ولبعض الآيات التي يكون فيها الموضوع متطوراً كما سنمثل له قريباً. أما الآيات الصريحة والقاطعة الدلالة فلا سبيل إلى وصفها بغير ذلك. والحقيقة أن هذا المعنى من الأمور الهامة في القرآن الكريم والتي تستأهل أن يكتب فيها الكثير ولكن لا بأس من الإشارة إليها بما يتسع له البحث فنقول:

إن القرآن أولاً وقبل كل شيء هو كتاب تربية وتقويم لأن الله تعالى رب العالمين المربي لهم والمقوم، ووسيلته الأولى في التربية كتبه المنزلة، وأهمها القرآن الكريم. فهو يربي وينظم العلائق لتؤهل الفرد والمجتمع للسعادة في الدارين. هو هدف واضح في كل الأحكام التي هي روح القرآن ومن هنا يحمل المفسرون كل إطلاق يوهم خلاف هذا على هذا المفيد. يقول الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[١] يتساءك كيف يكون كذلك مع أنه ليس فيه تفاصيل علم الطب والحساب والهندسة و.و. الخ. ثم يجيب على هذا التساؤل فيقول إن الكثير من آيات القرآن دالة بإحدى الدلالات الثلاث على أن القرآن المراد منه معرفة أمور الدين ومعرفة الله تعالى وأحكامه، فإذا كان هذا التقييد معلوماً لكل المسلمين فيجب أن يحمل ذلك الإطلاق على هذا التقييد[٢].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

(٢) انظر تفسير الرازي ص ٤٠ ج ٤ ط مصر ١٣٢٤.

وحيث كان القرآن الكريم كتاب تربية بالدرجة الأولى فالتربية بكل أقسامها الروحية والبدنية والاجتماعية وغيرها تعتمد على نوعين من الحقائق ثابت ومتطور، فمثلاً إن وحدانية الله تعالى من الحقائق الثابتة في الكتاب الصريحة، يقول تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾(١) وصراحتها هنا هي الضمان لعدم انشطار الشخصية المتأتي من تعدد الآلهة وما يترتب عليه من تهافت.. ومن الوسائل التي تحقق تربية نفسية وجسدية صوم شهر في السنة، و قد جاء به القرآن هكذا لأنه موضوع بأزاء حقيقة ثابتة، وهي الإنسانية بخصائصها الجسدية والروحية، فالجسد هو الجسد مهما تطورت الدنيا ونوازعه نوازعه مهما لبست من أثواب، لذلك كان العلاج ثابتاً وهو ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٢) في حين هناك وسائل للتربية في حقول أخرى تقتضي التطور، فوضع الحكم المتطور بإزائها.

ومن ذلك قوله تعالى في الآية: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾(٣) فإن الحكم بالعدل من أفعل الوسائل في التربية، ولكن لما كان مفهوم العدل متطوراً لأن وضع الشيء في موضعه، وضعه الله عز وجل علاجاً لكثير من المشاكل التي تحتاج إلى مرونة وقابلية للتكيف مع جو المشكلة، وليس لذلك إلا العدل. هذا المفهوم المتطور.

وأعود من بعد هذا الاستطراد إلى صلب البحث حيث قلت: إن بعض

---

(١) سورة الإخلاص، الآية: الأولى.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٥٧.

المفسرين يترك الباب مفتوحاً لمعنى آخر محتمل في الآية والبعض الآخر يوصد الباب ويذكر للآية وجهاً لا يتعداه إلى غيره، وذلك فيما اعتقد لأمرين: الأول غفلته عن كون القرآن زاد الإنسانية، فلكل جيل منه حظ ولكل زمن نصيب. والثاني قصور العلم في وقته عن إلقاء الضوء على المفهوم القرآني، ومثال ذلك:

أ - ما ذكره بعض المفسرين عند قوله تعالى في الآية الثامنة والثلاثين من سورة الأنعام: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨] حيث قصر المماثلة على ما يأتي، فقال: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ طوائف مختلفة أمثالكم في الخلق والموت، والحاجة إلينا في الرزق والتدبير في جميع أمورها، والدلالة على كمال القدرة وبديع الصنعة في تسخيرها وتصريفها بقدرتنا[١] هذا كل ما ذكره في المماثلة.

ويقول آخر عن هذه المماثلة ما يلي: أمم أمثالكم مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها، كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم[٢].

وإذا كان الزمخشري يقتصر من المماثلة على كتابة الأرزاق والآجال والأعمال فقد يعذر لخلو عصره عن كثير من المعارف التي جدت في دنيا الحيوان بكل صنوفه، ولكن مثل الشيخ حسنين لا يعذر لأنه في عصر كثرت فيه هذه العلوم وفي بلد سبق البلدان العربية والإسلامية الأخرى إلى العلوم الحديثة، ونراه مع ذلك يقصر المماثلة على أمور لا يختص بها الحيوان بل تعم النبات كذلك، وقد تعم ما نسميه بالجماد بنحو من الأنحاء، إنه بذلك يغفل عن الجانب المشرق من جوانب الآية الكريمة وكل جوانب الآيات مشرقة، وذلك الجانب هو المماثلة من حيث كثير من أنماط السلوك المشتركة ومن حيث حاجة كثير منها إلى الرعاية والحنان،

---

(١) انظر صفوة البيان لمعاني القرآن للشيخ حسنين محمد مخلوف ج١ ص ٢٢٢ ط مصر ١٩٥٦.

(٢) انظر الكشاف ج١ ص ٢٣٨.

ومن حيث تحملها للمسؤولية أحياناً كما هو مفاد حشرها يوم القيامة. و. و. إلى غير ذلك من وجوه المماثلة التي كشف عنها العلم والتي سينكشف منها الكثير أيضاً.

ومن ذلك أيضاً ما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسير الآية الثانية والثلاثين من سورة الحج وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] حيث قال: أي ذكر القلوب، لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء[1].

وهذا الجزم بأن القلب مركز التقوى يثير السخرية في نفوس المتأخرين ممن عرف بالبراهين والتشريح أن القلب ليس إلا مضخة للدم وإن مركز كل الفعاليات الذهنية هو المخ.

إن القرآن الكريم يعبر بالقلب عن العقل لأنه يخاطب العرب حيث نزل بلغتهم وهم يعبرون عن العقل بالقلب، فإن شاعرهم زهير يقول:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقد يعذر الزمخشري لما أسلفنا من خلو عصره من المعلومات، ولكن لماذا يذهب المتأخرون إلى نفس المفارقة.

وعلى كل حال أرأيت هذا الجزم والحصر من الزمخشري بقوله: إنما ذكر القلوب لأنها مراكز التقوى، ولم يترك مجالاً لأي احتمال آخر قد يكون ذكر القلب لأجله.

ونظائر ذلك كثير عند المفسرين حتى المتأخرين منهم الذين يعيشون وثبات التكنولوجيا وقفزاتها الجبارة، وهم مع ذلك قد يقصرون في تفاسيرهم للقرآن على حضارة عصرهم غير ملتفتين إلى أنه معد لكل الأجيال، فلا بد أن يأخذ كل جيل

---

(١) انظر الكشاف ج٢ ص ٥٥ ط مصر ١٢٨١هـ.

منه جديداً ويكون أخذه حسب استعداده. قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

الشعبة الثانية:

ما أسميه إغفال ما يتصوره بعض المفسرين بأنه ليس محل ابتلاء، ذلك أن بعض الباحثين في القرآن درجوا على أن يبحثوا منه ما هو محل حاجة في عصرهم، ومن الملاحظ الآن أن الفقهاء عندما يبحثون مواضيع الفقه لا يبحثون بعض المواضيع التي هي ليست محل حاجة فعلية بغض النظر عما إذا كانت محل حاجة مطلقاً، والحقيقة أن بعض المواضيع التي لم تبحث تركت ثغر بارزة وتساؤلا على شفاء الكثيرين من المعنيين بشؤون الإسلام. فهم يعلمون مثلاً أن الإسلام - فضلاً عن الجانب النظري - قد حكم فعلاً وكانت له تجربة فريدة في الحكم، وقد دللت التجربة ذاتها على كونها في منتهى النضوج والتكامل، فلماذا لم تدون الخطوط العامة لنظريته في الحكم والأسس التي تستند إليها النظرية، ولماذا أهمل المفسرون وهم على تحاسس مباشر للقرآن وليس بينهم وبين النظرية من واسطة إلا القرآن، بخلاف الفقهاء إذ إنهم يتصلون بمصادر التشريع الآخر في استدلالهم: نظرية الحكم ولم يجلوها تجلية كاملة سوى إشارات لم تتصل حلقاتها ولم تملأ الفُرج بينها ولم تصل إلى مستوى النظرية الكاملة.

وبتعبير آخر: إن نوع نظام الحكم في الإسلام لم يجل تجلية كاملة فيصل إلى صيغة مقبولة من كل الأطراف. ولهذا نجد أن هذه المسألة بالذات لم تلتمس أصولها بنحو كامل من القرآن، بل حاول البعض أن يجد مصادرها في السنة وفي حكم العقل، مع أن مسألة كهذه ليست بهذه الدرجة من البساطة حتى يهملها

(١) سورة الرعد، الآية: ١٩.

القرآن، وهي من أكبر أهدافه إن لم تكن أكبرها من بعد مباحث الوجود والتوحيد، لأن النبوة والإمامة صنوان وملاكهما واحد. والنظرية بعد ذلك توجد مقوماتها كاملة - وإن أجملت - في القرآن، ولكن لم تتوفر العناية الكاملة على بلورتها وشرحها.

ولعل ذلك من الأسباب التي أدت إلى هذا الاختلاف في نوع نظام الحكم عند مفكري المسلمين، فالشيعة مثلاً يذهبون إلى أن الإمامة لا تكون إلا بالنص والجعل من الله ولهم أدلتهم على ذلك وبأن الإمام منصوص عليه ومعصوم ومسلح بالمعجزة وأفضل أهل زمانه، وقد استدلوا لذلك بالنقل من القرآن الكريم[1] وبالعقل والأخبار[2] وقد نقل عنهم رأيهم في ذلك العلامة ابن خلدون في مقدمته حيث قال:

«إن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز للنبي ﷺ إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر، وأن علياً عليه السلام هو الذي عينه رسول الله ﷺ.

فالإمام عندهم امتداد طبيعي للنبي، فشكل الحكم بالنسبة لنظريتهم - هو الإمام المعين من الله تعالى الذي يحكم في حدود ما رسم له الكتاب والسنة، فسمه إن شئت تيوقراطياً أو غير ذلك. هذا في حال وجود الإمام وفي حالة الغيبة يذهبون إلى حكم الحاكم العادل القائم على ضوء الكتاب والسنة.

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] في مجمع البيان ج١ ص ٢٠١، وانظر نفس المصدر ج١ ص ٣٥٢ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧].

(٢) انظر علم اليقين ملا محسن الفيض ص ٨٨ ط إيران ١٣٠٣، وأصول الكافي باب الحجة ط إيران سنة ١٢٧٨.

أما السنة فإن نظريتهم في ذلك مرت بأشكال وانتهت بعد ذلك إلى حكم الشورى بشكل ليس بواضح تماماً، فإن الشورى المذكورة تتأرجح بين نسب مختلفة في تعيين العدد الذي يمارس عمل الشورى ونوعيتهم، ولكن يمكن القول إجمالاً بأن نظريتهم هي نظرية الشورى[١].

وقد استندوا في ذلك على الآية الكريمة الثامنة والثلاثين من سورة الشورى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] مع أن المفسرين يذكرون أن هذه الآية جاءت في معرض الخبر عن صفة من صفات الأنصار مدحهم الله تعالى بأنهم لا يستبد الفرد منهم برأيه في المشاكل بل يستشير غيره ولا يرون لها صلة بنوع الحكم[٢] ولا يرونها ناظرة لذلك من قريب أو بعيد[٣].

في حين يذهب جماعة آخرون من الكتاب والسنة إلى أن الإسلام ليس له نظرية في أي شكل من أشكال الحكم ومن هؤلاء الدكتور طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى، والشيخ علي عبد الرزاق في كتابه الإسلام وأصول الحكم.

وهناك نظريات أخرى لست بصدد استقرائها، وإنما كان الهدف من المرور بهذه الآراء الإشارة إلى أن عدم تجلية المفسرين لهذه النظرية قد ساعد مع عوامل أخرى في عدم وضوح شكل الحكم في الإسلام. وهذه النقطة مما يجب أن يتوفر عليها الاختصاصيون للانتهاء فيها إلى رأي معين ضمن نطاق النصوص في ذلك.

---

(١) انظر التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي - ج٢ ص ٤ ط مصر دار الكتب، والنظم الإسلامية للدكتور صبحي الصالح ص ٢٤٩ طبع بيروت ١٩٦٥.

(٢) انظر الكشاف للزمخشري ج٢ ص ٢٩٩ ط بولاق، ومجمع البيان ج٥ ص ٣٣ ط طهران ١٣٧٩، وصفوة البيان لمعاني القرآن ج٢ ص ٢٩١ط مصر دار الكتاب العربي ١٣٧٧هـ.

(٣) تقريب الاستدلال بآية الشورى هو: بما أن النبي لم ينص على أحد وبما أن القرآن مدح المسلمين بأنهم يتشاورون في الأمور والخلافة من الأمور الهامة فهي تعين عن طريق الشورى أو سمها الديمقراطية.

ومن هذا القسم موضوع الاقتصاد الإسلامي الذي لم يجمع شتاته ولم تمحص نظريته بشكل كامل حتى من المتأخرين الذين كتبوا في التفسير والفقه، اللّهم إلا محاولات لم تتكامل عند الكتاب والمفكرين المسلمين في مختلف بقاع الدنيا، خصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين حيث كتبت في ذلك بحوث في أجزاء من الاقتصاد الإسلامي كل على حدة، والبعض منهم ضغطها بذكر مثال لكل فرع من فروع الإقتصاد مع لفت النظر للخطوط العامة، وأخص منهم الأستاذ محمود اللبابيدي في السنة الثالثة من مجلة رسالة الإسلام، وتوجت هذه المحاولات بعمل نضاج ومشكور للمفكر الإسلامي العلامة السيد محمد باقر الصدر في كتابه إقتصادنا.

ومن هذا القسم أيضاً موضوع الرق في الإسلام، فإنه بالرغم مما كتب فيه بشكل مجزأ لا يزال يحتاج إلى إشباع وبحث شامل لوجهة نظرة الإسلام إلى الرقيق ومعالجة تحريرهم.

هذه النماذج الثلاث التي ذكرتها قد يقول قائل إنها كتب فيها الكثير، وأنا لا أنكر ذلك وإنما أقول: إن كثيراً ممن عالجها ليس من ذوي التخصص في ذلك. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى إنها عولجت خارج نطاق التفسير، والذي نحن بصدده أن يكون مكان هذه المعالجات في كتب التفسير ومن ذوي الإختصاص وبشكل مشبع تتضح عه جوانب النظرية. فأنت تعلم أن الذي يقرأ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣] ثم يقرأ تفسيرها بأن الإنسان يجوز له أن يطأ بملك اليمين ما يشاء، فتتضخم عنده المشكلة المزدوجة من جواز أن يسترق الإنسان أخاه الإنسان، ومن أهدار الكرامة البشرية وتشجيع ضراوة الجنس باباحة هذا العدد.

أما لو عالج التفسير المشكلة بأنها لون من ألوان تحرير العبيد وطريقة مهمة

في ذلك، وهي إستغلال الغريزة لعتق الأم والولد، ومدى ظلة ذلك بنظرية الإسلام في المعالجة الهادئة، لكان ذلك مهماً في إزالة الشبه المتولدة عند قارىء القرآن الذي لم يدر في أي كتاب خارجي يبحث عن حل المشكلة، ولعله لا يدري أنها بحثت في مكان آخر.

الشعبة الثالثة

ما أسميته في المقدمة بما يهمل بدعوى أنه مما استأثر الله بعلمه وهذا القسم يقع الكلام فيه بثلاثة أمور:

أولاً: وجوده في القرآن: وقد ذهب جماعة إلى وجوده في القرآن الكريم وقالوا هو ما عبر عنه بالمتشابه، ومثلوا له بالروح في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] ومثلوا له بالساعة، وبالحروف المقطعة في أوائل السور. وقد ذهب لذلك الأحناف وبعض المفسرين من غيرهم وخالفهم في ذلك جمهور المسلمين من الشيعة والشافعية وغيرهم كما سيمر علينا. وقد استدلوا لذلك بقوله تعالى في الآية السابقة من آل عمران: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ووجه استدلالهم بالآية الكريمة هو أنهم يقفون على لفظ الجلالة في المقطع الآتي من الآية: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ ويعتبرون الواو استئنافية في قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾، بينما يخالفهم الجمهور فيقفون على كلمة العلم ويعتبرون الواو

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩١.

عاطفة، واكتفي بنموذج واحد من الذاهبين لهذا الرأي وأشير إلى من يشاركهم فيه.

فمن مفسري الشيعة ذهب لذلك الطبرسي في مجمع البيان فاعتبر الوقوف على كلمة العلم والواو عاطفة، وفسر المحكم بالذي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً من التأويل والمتشابه الذي يحتمل أكثر من وجه، وقال: ولذلك كان الصحابة لا يتوقفون في تفسير شيء من آي القرآن، وكان عبد الله بن عباس إذا قرأ هذه الآية يقول: «أنا من الراسخين في العلم»، وكان الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل الراسخين في العلم، قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل، وما كان الله تعالى لينزل عليه شيئاً لم يعلمه تأويله، وهو وأوصياؤه من بعده يعلمونه كله»[١].

وقد فسر الشافعية المحكم والمتشابه بهذا المعنى أيضاً كما حكاه عنهم الشيخ حسنين محمد مخلوف في تفسيره، كما ذهبوا إلى أن المتشابه يتضح معناه بالنظر الدقيق، وهو يشمل المجمل ونحوه، وعلى هذا فالراسخون عندهم معطوفون على لفظ الجلالة، وقد مال لذلك هو أيضاً[٢].

كما ذكر نفس المضمون السابق المراغي في تفسيره[٣] ولم يمل إلى ترجيح قول على قول كما هو ظاهر بحثه.

أما الفخر الرازي فقد قال في تقسيمه للمحكم والمتشابه بما مؤداه: إن اللفظ الموضوع لمعنى إما أن يحتمل غير ذلك المعنى أو لا، فإذا لم يحتمل إلا معنى واحداً فهو النص، وإن احتمل معنيين فإما أن يكون احتماله لأحدهما راجحاً على احتماله للآخر أولاً، والراجح هو الظاهر، والمرجوح هو المؤول، وأما إذا

(١) انظر مجمع البيان ج١ ص ٤٠٩.
(٢) انظر صفوة البيان لمعاني القرآن ج١ ص ٩٦.
(٣) انظر تفسير المراغي ج٣ ص ٩٧ ط مصر ١٩٥٣م.

احتملهما على السواء كان اللفظ بالنسبة لهما مشتركاً وبالنسبة لكل واحد منهما مجملاً، فاللفظ يكون إما نصاً أو ظاهراً أو مؤولاً أو مشتركاً أو مجملاً، والمحكم هو النص والظاهر، والمجمل والمؤول هو المتشابه. هذا حاصل كلامه، وهو يميل إلى أن المجمل مما استأثر الله بعلمه، لأنه يرجح الوقوف على لفظ الجلالة[١].

٢ - بعد أن ظهر أن هذا الرأي موجود بالنسبة إلى بعض آي القرآن الكريم يرد التساؤل: لماذا وضع المتشابه في القرآن الكريم إذا كان مما يستأثر الله تعالى بعلمه، وبناء على هذا ألا يستوي وضعه وعدم وضعه، فما جدوى سطر حروف لا يفهمها الناس إنما يتلونها مجرد تلاوة؟!.

أما القائلون بأن المتشابه يعلمه العلماء - وهم الفرقة الثانية الذين يقفون على كلمة العلم - فالحكمة عندهم واضحة وملخصها أمور: منها أن يشتغل أهل النظر والفقه برد المتشابه إلى المحكم فتشحذ قرائحهم ويطول نظرهم ويتصل فكرهم بالبحث عن معانيه فيثابون على اجتهادهم ويتميز العالم من غيره، ولو كان كله محكماً لاستوى في معرفته العالم والجاهل ولماتت الخواطر وخمدت القرائح، إلى غير ذلك مما يذكر.

فالطائفة الثانية هذه حججها، وأما الطائفة الأولى فحجتهم الوحيدة هي أن الله تعالى أراد أن يتعبد العباد بذلك[٢].

وواضح أن هذا الرأي قائم على أن المتشابه هو مما استأثر الله تعالى بعلمه،

---

(١) انظر تفسير الرازي ج٢ ص ٣٩٥ ط مصر الحسينية ١٣٢٧.

(٢) انظر المصادر الأربعة التي سبقت هذا المقطع، وهو تفسير الرازي وصفوة البيان وتفسير المراغي والمصحف المفسر.

وهو يعني ما لا سبيل للعلماء إلى معرفته.

والحقيقة أن حجة الطائفة الأولى الذاهبة إلى أن المتشابه مما استأثر الله تعالى بعلمه غير ناهضة، والموارد التي مثلوا بها من أول الكلام فهي كلها غير معلومة، فقد مثلوا بالصفات صفات الخالق تعالى وقد حددها العلماء واختلفوا فيها، ومن المجموع يعلم كنهها برد المتشابه منها إلى المحكم، وكذلك الحروف المقطعة في أوائل السور، وكذلك معرفة الساعة وإنها القيامة وهو المطلوب من فهم الآية، أما وقت الساعة فهو ما استأثر الله تعالى بعلمه، ولكن وقت الساعة والروح لا يشكل نوعاً كبيراً يستحق هذا الإهتمام الذي يصل إلى حد تصنيف القرآن الكريم إلى ما يفهم وما لا يفهم لأنه تعالى أراد أن لا يفهم ليتعبد بذلك الناس، وهو بمجموعه لا يتعدى بضع كلمات.

٣ - حتى لو استقام القول بأن هناك بالقرآن الكريم قسماً قد تعبد الله تعالى الناس به بأن استأثر بعلم مضامينه وأنزله مجرد لفظ ليسطر بالكتاب، فإن هذه العملية فعل وأفعال الله تعالى كلها موسومة بالعدل والحكمة منزهة عن العبث، فينبغي شرح هذا الإجمال الوارد بكلمة التعبد، وتبيين مزايا التعبد في بعض الحالات والأهداف والآثار التي تترتب على ذلك وبشيء من التفصيل حتى يفهم القارىء أن هناك نظائر لهذا في الأمور التكوينية والتدوينية تعبد الله تعالى بها عباده.

وهذه حلقة من تلك السلسلة، وبذلك تضفي إيجابية على هذا المفهوم تخرجه عن حد السلبية التي لا يطمئن إليها الخاطر ولا يكاد يؤمن الإنسان بأنها مبرر لهذا الغموض المدعى في بعض آيات القرآن الكريم الذي جاء معجزة يتحدى بها الله تعالى الناس في أن يأتوا بمثله، وواضح أن التحدي يكون بالشكل والمضمون، وهذا منبسط على كل كلمة وحرف في القرآن الكريم، ولا يمكن أن يتحدى مما لا يفهم معناه، مع وجود أمكنة أخرى للتعبد هي به أليق.

الفصل الثالث

المفسر

إنتهيت فيما سبق في جولة مختصرة بالتفسير إلى ما يشترط في التفسير الموضوعي، وسأعرض هنا بإيجاز شروط المفسر الموضوعي.

المفسر في الواقع هو الروح الذي تمشي في التفسير بما لهذه الكلمة من خصائص وآثار، فالتفسير هو المفسر الواعي العالم الورع البعيد الآفاق، وهو المفسر المتعصب الضيق الأفق غير الورع، وهو المفسر المهتدي بأضواء القرآن، كما هو المفسر الخابط في ظلام الحقد والعصبية، وهو الغواص الذي يجتني اللؤلؤ كما هو السطحي الذي يلم الصدف، وهكذا.

ومن هنا رأينا أن الشروط التي تشترط فيه تكشف عن مدى أهميته في حقل هذا الفرع من العلوم، ذلك أن حضارة المسلمين من عطاء القرآن وآثاره، ولا يؤتمن على مثل هذا التراث إلا القوي الأمين. وسأعرض الآن لأهم ما يشترط في المفسر، ومنه نرى ما له من مكانة في نظر المعنيين بشؤون التفسير:

١- الشرط الأول أن يكون متقناً للعلوم التالية: اللغة، والنحو، والصرف، والمعاني، والبيان، والبديع، معرفة القراءات، معرفة علم الكلام بما يحتاج إليه من مقدمات، الناسخ والمنسوخ، أسباب النزول، قصص القرآن والأحداث الواردة فيه.

وهذه هي عين شروط المجتهد زائداً بعض العلوم الأخرى، وهذه العلوم تمكنه من فهم القرآن الكريم وما فيه من أحكام وإرشاد وقوانين كونية على الإجمال وبمستوى المعلومات العامة، أما إذا أراد التعمق في بعض العلوم والإلمام الكامل

بها فلا بد أن يكون بالإضافة إلى ما مر من أهل التخصص بذلك الفرع من فروع المعرفة.

٢ - ذكروا له شرطاً آخر عبر عنه بعضهم بعلم الموهبة والعبارة تحتمل معنيين:

المعنى الأول أن تحصل عنده جراء معرفة العلوم السابقة ملكة الإجتهاد في التفسير، فإنه ليس كل من ألم بتلك العلوم تحصل عنده تلك الملكة، كما هو المشاهد عند من درسوا العلوم الإسلامية المخصصة لطالب الإجتهاد في الشريعة مما يدل على أنها ليست إفرازاً حتمياً لمن عرف تلك العلوم بل هي هبة أخرى.

أما المعنى الثاني المحتمل فهو أن يكون حاذقاً فطناً يلتفت إلى دقائق النكات في التعبير القرآني. وبتعبير آخر يجب أن يكون - بالإضافة إلى ما حصل عليه بالجهد من معرفة تلك العلوم - ذكياً وموهوباً يقرأ ما وراء السطور ويضع يده على الخصائص الخفية في محتوى القرآن.

وفي عقيدتي أن هذين الشرطين هما الحد الأدنى الذي لا يعتبر المفسر بدونهما مفسراً، فهما أشبه شيء بصفة الأجزاء بالنسبة للعبادة، وستأتي شروط أخرى هي أشبه بصفة القبول بالنسبة للعبادة في نسبتها للتفسير، وهذه الشروط هي:

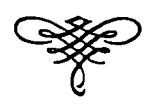
٣ - أن يكون ممن رزق قابلية على المعاناة الشديدة وجسراً على تحمل الصعاب، لأن عطاء القرآن الكريم يتضاعف كلما تضاعفت المعاناة والصبر وكلما أعطيت أخذت أضعاف ذلك.

٤ - أن يكون على ورع وتقوى تمنعه من التسرع والحكم دون تثبت ونسبة أشياء لجهات هي بريئة مما نسب إليها، وما أكثر ذلك على ألسنة بعض المفسرين.

٥ - أن يكون سليماً معافى في جسده ونفسه، فقد ثبت أن المصابين في

هذين الجانبين تترك إصابتهم بصماتها على إنتاجهم الفكري شاؤوا أم أبوا، بل وحتى من أصيب بعاهة إجتماعية ظهرت آثار أصابته في كثير مما عمل وكتب وقال.

هذه هي أهم ما يشترط في المفسر، وقد تكون هناك شروط أخرى يشار إليها أحياناً، وكل ذلك يكشف عن أن المفسر يقدم للأجيال زاداً سوف تعيش عليه دنيا الإسلام في حضارتها، وكل نقص في صفة من صفات هذا الزاد هو سيئة على المفسر، وكل كمال فيه هو نور له ورحمة وذخيرة عند الله تعالى وعند الإنسان(١).



(١) انظر في شروط المفسر مجمع البيان ط صيدا ص ١-٦ في الشروط الأساسية والشروط الباقية مقترحة.

نماذج من التفسير

وحيث رسمنا المفسر المطلوب في سطور سنقدم بالإضافة لما قدمنا في حقل التفسير من أقسام للتفسير اعتبرناها ليست بموضوعية أقول: سنقدم نماذج أخرى من التفسير ومهمة، هذه النماذج هي أن تعكس لنا المفسر على ضوء ما مر من الشروط لنرى ما إذا كان موضوعياً أم لا، سليماً أم لا، طويل الباع أم لا وهكذا، وسأترك للقارىء تبين ملامح المفسر والحكم عليه.

النموذج الأول:

﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن ما نبت في الأرض له وزن خاص، وقد ثبت أخيراً أن كل نوع من أنواع النبات مركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص، بحيث لو زيد في بعض أجزائه أو نقص لكان ذلك مركباً آخر، وإن نسبة بعض الأجزاء إلى بعض من الدقة بحيث لا يمكن ضبطها تحقيقاً بأدق الموازين المعروفة للبشر(١).

النموذج الثاني:

قال محيي الدين بن العربي عند تفسير سورة القدر: ليلة القدر هي البنية

(١) انظر البيان للحجة الخوئي ص ٥٤ ط النجف.

المحمدية حال احتجابه عليه السلام في مقام القلب بعد الشهود الذاتي، لأن الإنزال لا يمكن إلا في هذه البنية في هذه الحالة، والقدر هو خطره عليه السلام وشرفه، إذ لا يظهر قدره ولا يعرفه هو إلا فيها ثم عظمها بقوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥] الخ[١].

النموذج الثالث:

ما ذكره الشيخ محمود الألوسي في تفسيره حيث قال في تفسير الآية ٥٥ من سورة المائدة وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]. فبعد استعراض فقرات الآية وصل إلى ذكر روايات تنص على نزولها في علي عليه السلام أمير المؤمنين لأنه تصدق بخاتمه حال الصلاة، ولما انتهى من ذكر أسباب النزول قال:

العبرة لعموم اللفظ لا خصوص السبب، فمفاد الآية حصر الولاية لجماعة متعددين يدخل فيهم الأمير - يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام - وحمل العام على الخاص خلاف الأصل لا يصح ارتكابه بغير ضرورة.

فإن قالوا: الضرورة متحققة هٰهنا إذ التصدق على السائل في حال الركوع لم يقع من أحد غير الأمير كرم الله وجهه.

قلنا: ليست الآية نصاً في كون التصدق واقعاً في حال ركوع الصلاة، لجواز أن يكون الركوع بمعنى التذلل والتخشع لا بالمعنى المعروف في عرف أهل الشرع كما في قوله:

لا تهين الفقير علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

---

(١) انظر تفسير القرآن لابن العربي محيي الدين ط بيروت ١٣٨٧ هـ ج٢ ص ٨٣١.

ثم استشهد بموارد لمجيء الركوع بمعنى الخشوع من نمط بيت الشعر الذي استشهد به[١].

أرأيت المغالطات: إنه يقول الآية ليست نصاً في أن الركوع بالمعنى الشرعي بل بمعنى الخشوع، وعليه فهي لجماعة تصدقوا خاشعين، وإذا كان كذلك فمن هم هؤلاء الجماعة، أهم كل من تصدق خاشعاً بقصد القربة، وهؤلاء عددهم كبير جداً، أم هم جماعة خاصة نصت الروايات عليهم فلم لم يذكرهم؟!.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو تتبعنا موارد لفظة «الركوع» التي خوطب بها المسلمون، فهل نجد معنى للركوع غير الشرعي؟ كلا والموارد الثلاثة التي استشهد بها حكاية حال عن غير المسلمين.

وناحية أخرى لم يدّع مدّع أن أحداً تصدق وهو راكع غيره عليه السلام، بل كل الروايات نصت على أنه هو المقصود بذلك[٢].

والأعجب من ذلك أن بعض المفسرين عندما مر بهذه الآية والتي من قبلها وهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الخ، وهي أيضاً نازلة في علي عليه السلام لم يفسرهما بل عبرهما إلى آيات أخرى[٣].

النموذج الرابع:

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ

---

(١) انظر روح المعاني ص ١٦٨ ج٦ ط بيروت أوفست ١٩٧٠.
(٢) أنظر الكشاف ج١ ص ٢١٩ طبع بولاق ١٢٨١، وتفسير الميزان للطباطبائي ج٦ ص ١٤ ط طهران ١٣٧٧ هـ، والدر المنثور للسيوطي ج٢ ص ٢٩٣ اوفست ط مصر ١٣٧٧.
(٣) أنظر صفوة البيان لمعاني القرآن ج١ ص ١٩٧.

ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

يذهب أغلب المفسرين إلى أن المراد من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ هو استحالة دخولهم الجنة كما يستحيل دخول الجمل في ثقب الإبرة (الذي هو سم الخياط) أو كما يعبر عنه بعضهم دخول ما يضرب به المثل في الكبر فيما يضرب به المثل في الصغر.

وبناءً على ذلك فالجمل على معناه المتبادر إلى الأذهان، أي الفحل من الإبل كما ذهب الزمخشري في الكشاف وحسنين مخلوف في صفوة البيان وفريد وجدي في المصحف المفسر والطبرسي في وجه، والسيوطي في أحد الوجوه، وذلك عند تفسيرهم للآية في تفاسيرهم. وهناك رأي آخر ذكره الفخر الرازي وغيره عن ابن عباس أن المراد بالجمل القلس «أي الحبل الغليظ» وهو أنسب بثقب الإبرة من البعير - وفي التفسير بذلك ذوقية - في المحافظة على جو التناسب في تشبيهات القرآن.

وعلى العموم فإن الآية كما أسلفنا جاءت بصدد بيان استحالة دخول الكافر للجنة، إلا أن الذين يذهبون إلى القول بالتناسخ - وهو انتقال الأرواح إلى أبدان متعددة سواء للتعذيب أو للنعيم- يذهب هؤلاء إلى أن معناه أن الروح العاصية تبقى منتقلة من بدن إلى بدن ولا تزال معذبة بذلك حتى تنتقل إلى بدن جمل ثم إلى بدن دودة صغيرة تدخل في سم الخياط، وإلى هنا فتطهر من الذنوب وبعدها تدخل الجنة، لأن ما علق عليه دخول الجنة قد حصل فيحصل الدخول[1].

وهو قول سخيف لا يستحق الرد، أولاً: لأن الكفر لا يغفر لصاحبه، وثانياً: لأن هذه الآراء لا سند لها، وثالثاً: لاستلزامها كثيراً من اللوازم الفاسدة التي لا يتسع المجال لشرحها.

---

(١) أنظر تفسير الرازي ج٤ ص ٢٠٩ طبع مصر سنة ١٣٢٤ هـ.

النموذج الخامس:

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

إنقسم المفسرون في معناها إلى قسمين: قسم يذهب إلى أن الزوجية هنا المراد بها المتقابلات كالأرض والسماء والليل والنهار والموت والحياة - الخ[1].

وذهب الفريق الثاني إلى أن الزوجية المقصودة هنا المتكونة من الذكر والأنثى، أو قل هو قانون الزوجية العامة[2].

وقد قصر بعضهم الزوجية هنا على النبات، أي أنه فسر الآية الكريمة هكذا: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ من النبات ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾، في حين أن الآية مصدرة بالعموم ولا موجب لتخصيص هذا العام بلا مخصص، لأنه لم يذكر أي مخصص سوى أنه استبعد تصور معنى الزوجية في الجوامد. وقد يعذر لأن معنى الزوجية بمعناها الحديث بعيد عن ذهنه، ولا يعذر لأن غيره تصور ذلك وعده وجهاً[3].

وعلى العموم فالآية الكريمة صريحة في الكشف عن قانون الزوجية العامة الذي لم يكتشف إلا حديثاً.

النموذج السادس:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

وقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ﴾ ففسره

(١) أنظر صفوة البيان ج٢ ص ٣٥٧، والسيوطي في الدر المنثور ج٦ ص ١١٥ أوفست مصر ١٣٢٩، وهو وجه للطبرسي أيضاً.

(٢) أنظر فريد وجدي المصحف المفسر ص ٦٩٥ طبع دار الشعب، ومجمع البيان في الوجه الثاني ج٥ ص ١٦٠ أوفست صيدا.

(٣) أنظر الكشاف ج٢ ص ٣٥٦ طبع مصر ١٢٨١.

الأكثر بأنه إشارة إلى ما يفتحه الله تعالى على المسلمين من ديار الكافرين، فالآية تخاطب الكافرين بناءً على هذا الوجه. وتلفت أنظارهم إلى منن الله تعالى على المسلمين بالفتوحات وقد ذهب لذلك جماعة[١] وذهب بعض آخر من المفسرين إلى أن معناه موت الناس وخراب ديارهم[٢].

ويذهب فريق ثالث إلى وجوه عدة: منها أولاً: ما يفتح من الكافرين من أرض ويدخل في حوزة المسلمين، وثانياً: موت العلماء والأخيار، وثالثاً: موت سائر الناس وخراب ديارهم، ورابعاً: الخراب بعد العمران والنقيصة في الأرض. وقد شبهها ابن عباس بالقرى تخرب حتى يكون العمران في ناحية منها وتخرب باقي نواحيها[٣].

والذي يهمني هو هذا الوجه، وقد أشار إلى هذا المعنى - أعني خراب بعض جهات الأرض - بعض الباحثين المحدثين، واستدل من هذه الآية على قانون التعرية والتآكل الذي يحدث في الأرض باستمرار[٤].

هذه نماذج من التفسير قدمتها، ولم أعقبها بأي تعليق وإنما تركت للقارىء وحده أن يستنبط منها ومما مر قبلها صفات المفسرين من العلمية واللاعلمية، ومن الورع وغير الورع ومن التعصب وعدم التعصب، أو قل من الموضوعية واللاموضوعية.

---

(١) أنظر المصحف المفسر لفريد وجدي ط دار الشعب ص ٣٢٨، والكشاف للزمخشري ج١ ص ٤١٠ ط مصر ١٢٨١، وهو وجه من أربعة وجوه للطبرسي، وكذلك وجه من عدة وجهوه للسيوطي في الدر المنثور.

(٢) الطباطبائي في الميزان ج١٣ ص ٤١٧ ط طهران ١٣٨٤ هـ، والمراغي في تفسيره ط مصر سنة ١٩٥٣ ج ١٣ ص ١١٧، وصفوة البيان لحسنين مخلوف ج١ ص ٤٠٨.

(٣) أنظر مجمع البيان ج٣ ص ٣٠٠ ط طهران أوفست صيدا، والدر المنثور للسيوطي ح٤ ص ٦٨ ط طهران أوفست مصر.

(٤) أنظر التفسير العلمي للآيات لحفني أحمد ط مصر ص ٣٨٩.

خاتمة

وأرجو أن يكون هذا البحث البسيط لبنة في طريق البحث الموضوعي الحر في هذا الميدان.

وأكرر ما سبق أن دعوت إليه من ضرورة تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً ييسر للأجيال أن تأخذ زادها منه وهو غير مشوب بالكدر ولا محفوف بالمنغصات ولا محاط بالتزوير والتهريج، وما أجدر هذه المأدبة الكريمة - كما عبر عنها ابن عباس عندما وصف القرآن بأنه مأدبة الله - أقول: ما أجدرها بأن تخلو من المنغصات، فإن الله تعالى لم يعد لعباده زاداً يريد منهم أن يأكلوه هنيئاً ثم هو يضع فيه السم.

إن ذلك خلاف المنة والرحمة، إنما ذلك من صنع الإنسان، من صنع المفسرين الذين لم يصلوا إلى مستوى الرسالة في تفسير القرآن الكريم.

والحمد لله أولاً وآخراً.

الشيخ الدكتور أحمد الوائلي

النجف ١٥/١٢/١٣٩٠هـ



معاداة التشيّع والافتراء عليه(١)

كل متتبع لأحوال الأمم والجماعات يدرك بوضوح وينتهي إلى قناعة بأنه لم يتفق أن تعرضت جهة من الجهات أو فئة من الفئات إلى الإفتراء عليها وتشويه مضامينها في مختلف ما يتصل بها مثل الشيعة بكل فرقهم وآحادهم أحياناً.

لقد تعرضوا لأبشع أنواع النسب ووصموا بما هم منه براء،، ونُسِبَ لهم ما هو عند غيرهم، وقد يكون عند من ينسب إليهم نفسه، وسيمر علينا بعض الذي قلناه، ونحاول أن يكون ذكر ذلك بإيجاز نظراً لطول القائمة وضخامة الحصيلة عبر القرون العديدة.

وقد أشبع هذا الموضوع وكتب فيه الكثير، ومن أجل ذلك ستكون الإشارة إليه وجيزة. ولو أن الذين يكتبون عن الشيعة ويبيّنون عقائدهم يدفعهم لذلك هدف خيِّر أو بحث عن الحقائق، لكان في بعض ما كتبه الشيعة بأقلامهم، وما أجابوا به السائلين وردّوا به على المغرضين ما يكفي لايضاح الحقائق وتبديد الشبهات، وإنارة الظلام الذي أُريد له أن يغطي تاريخهم، ولكن يبدو أن الأمر أبعد ما يكون عن طلب الحقائق، بل هو محاولة مكشوفة لطمس المعالم وتشويه الحقائق ومحاصرة التشيُّع والشيعة، وإخراجهم عن الهوية الإسلامية بأي ثمن كان. وهو مطلب لم يتحقق عبر السنين في كثير من المحاولات، ولكن القوم ما يزالون مصرّين على ذلك وبإجماع غريب، تصر عليه بعض الأنظمة لأمور لا تخفى، وتصر عليه القاعدة على اختلاف هذا الإصرار بين مستأجرٍ لذلك، ومضلّل نشأ في أجواء غذته بذلك وهو يُحسن بها الظن، وماشٍ مع التيار لا يعنيه الفحص عن مثل

(١) دفاع عن الحقيقة مركز الغدير.

هذه الأمور، ومتربٌ أخذ ذلك تراثاً مقدساً يصعب عليه أن يشكك فيه لئلا يؤذي ضميره الديني الذي تربى على أخذ ذلك على أنه من المسلّمات وهكذا.

اللهم إلا قليل ممن استعرضنا ممن حمله دينه وضميره، أو من أدرك خطر عواقب أمثال هذه الأمور على الأمة الاسلامية. فهؤلاء ارتفعت لهم أصوات على استحياء تدعو لانصاف الشيعة، وتبذل محاولة لتصحيح هويتهم الاسلامية في نظر باقي الفرق الاسلامية، وذلك عن طريق حمل بعض الآراء التي تنسب للشيعة على أفراد أو فرق (بادوا)، أو أن بعض آراء الشيعة اجتهادات أخطأوا بها وينبغي أن ينصحوا بالاقلاع عنها. ويذهب بعض للدعوة إلى السكوت عنهم، وتكثيف الحملات الهادئة لامتصاصهم، وذلك جمعاً للشمل، وصيانة للهيكل الاسلامي لئلا (يتصدع).

ولم أر أحداً من هؤلاء فكّر في أن يراجع مخزونه التراثي الذي انصبَّ على معاداة الشيعة وفحص مفرداته ليرى ما إذا كان ما يتبناه سليماً أم مجرد هوى، يأخذ صورة دين أو عقيدة، فكان ما هو عندهم بكل مصادره حقائق مسلّمة غير قابلة للنقاش، ولا للفحص.

قلت: إن هؤلاء الداعين لانصاف الشيعة هم قليلٌ جداً، لا تلبث أصواتهم أن تتلاشى بالفضاء العريض الطويل، وتذوب أمنياتهم ضمن تيار جارف عارم من الدعوة للقضاء على الشيعة وعزلهم عن الحياة بكل أبعادها، كل ذلك في الوقت الذي نرى فيه أهل السنة بكل تياراتهم يحرصون على ضم فردٍ واحد إلى صفوفهم يبذلون في ذلك الجهد والمال. ولكنهم يحرصون وبإصرار على إخراج ثلاثمائة مليون مسلم شيعي من جسم الأمة بمبررات ما أنزل الله بها من سلطان.

وهي مبررات لو كلف الباحثون أنفسهم بالبحث عن مداركها أو صحة الاستنتاج منها لانتهوا إلى أنها من العواطف، لا من المدارك والأدلة، وأن الاستنتاج منها قائم على أساس منهار، كما أنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار ما قد

تنتهي إليه هذه الممارسات من نهايات خطرة، أقلُّها تهيئة مواطىء لأقدام من يهمه تمزيق المسلمين لمصالحه، وبعث الشكوك في النفوس بأن الإسلام ليس بدين الوحدة، بل هو دين التمزق، هذا بالإضافة إلى ما نعتقده بأن الله تعالى سيحجب عنّا رحمته وتوفيقه. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[1].



(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

أسباب الموقف المعادي للتشيّع

ولا بد ونحن بصدد تشخيص هذه المشكلة أن نتساءل كما يتساءل غيرنا عن أسباب وسر هذا الموقف. للإجابة على ذلك سألخص ما عنّ لي من أسباب، آمل أن تكون كافية إلى حد ما لتعليل ذلك.

فأقول:

١ - منذ ولد التشيُّع في عصر الرسول ﷺ وعرف به جماعة كانوا يسمون آنذاك بشيعة علي عليه السلام مثل سلمان وأبو ذر والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وغير هؤلاء، وُلد محاصراً لأن ولادته كانت تقييماً لعلي بن أبي طالب، ونتيجة تمييز له عن غيره، وذلك للنصوص والمواقف من الرسول ﷺ إزاء علي عليه السلام، ولما جسَّده علي عليه السلام من انجازات في خدمة الإسلام والمسلمين.

أما النصوص، فمن الآيات عدد يتراوح بين السبعين إلى الثلاثمائة آية من القرآن الكريم، كما ذهب لذلك عبد الله بن عباس وجماعة آخرون. تناولت هذه الآيات جوانب مما يتصل بعلي عليه السلام بمفرده مرة، ومع غيره مرة أخرى، وقد تكفلت كتب أسباب النزول بحصر ذلك، ومن الأحاديث النبوية مئات نصَّ عليها المعنيون بالسنة النبوية الشريفة.

أما مواقف علي ففي كتب السير منها كمية تشد إليه القلوب والأفكار. كل ذلك استدعى أن يلتف حوله جماعة من الصحابة وفضلوه على غيره، ووقف منهم الآخرون موقفاً سلبياً واعتبروهم فرقة معارضة حينما صار الحكم بجانب الفئات الأخرى، وجندوا ضدهم كل ما تجنّده الفئات الحاكمة ضد المعارضة عادةً.

٢ - ولما كانت ديون علي بن أبي طالب عليه السلام ثقيلة من ناحية الدماء القرشية ابتداءً من السرايا وانتهاءً بالحروب الكبيرة، والتي كان عددها - أعني السرايا

والحروب - ثلاثة وثمانين، كان نصيب علي عليه السلام منها الأوفر، ففي واقعة بدر فقط كان نصف القتلى بسيف علي عليه السلام وفي واقعة أُحُد كان عدد من قتل على يديه ثمانية عشر بالإضافة إلى البيوتات العربية التي وترها علي عليه السلام بسيفه، وهي وإن كانت حروباً اسلامية مع جهات كافرة أي لم تحدث بسبب وتر خاص أو هدف قبلي، وإنما هي صراع بين كفر واسلام يقوم به مقاتلون من المسلمين مقابل مقاتلين من الكافرين، ولكن تلك الدماء لم تعصب بالإسلام كجهة معنوية بل أسندت المسؤولية عنها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وبيته الخاص، وحمل مسؤولياتها الكاملة علي بن أبي طالب عليه السلام، وامتدت هذه المسؤولية لتشمل من التف حوله، فتعرَّض من أجل ذلك شيعة علي عليه السلام إلى انتقام يلبس وجوهاً شتى ابتداءً من الدم المسفوك والحق المسلوب والكرامة المهدورة، وانتهاءً بسيول من التهم والإفتراءات عليهم.

وأقلُّ تلك التهم كان لاخراجهم من حظيرة الإسلام، ثم كل ذلك بيد الحكام القرشيين الذين امتد حكمهم مدداً طويلة، وقل إنها عملية اسقاط على الشيعة جاءتهم من الموتورين.

٣ - في خلال ذلك تبلورت نظرية الشيعة في الحكم، ومن هو أحق به، واتضح الطابع السياسي من هذه الناحية فشكل صراعاً فكرياً في الميدان، نشطت له أقلام الطرفين، وحشدت امكانات الفريقين الفكرية لتكون تيارين متصارعين، أحدهما يدافع (تيار الشيعة) وآخر يهاجم (تيار الحاكمين) والقاعدة المحكومة التي هي في الغالب على دين ملوكها وهي الطرف الأقوى، بل لا نسبة بين الوسائل عند الطرفين، وكان من جملة تلك الوسائل الأقلام التي جُنِّدت ووقفت بضراوة لشن حرب لا هوادة فيها، انعدمت فيها أمانة التاريخ، واختفت مسؤولية الكلمة، بل وغاب الحرف الكريم، وأُبدل كل ذلك بسباب لا يقبله النهج المسلم، ولا القلم الشريف، ووصل الأمر إلى درجةٍ من الاسفاف يأسى لها كل مسلم غيور.

وكانت حصيلة ذلك أن تراكم خزين كبير من الافتراءات على الشيعة، وامتد

منذ الأيام الأولى حتى الآن، بل ربما كان الآن أكثر عنفاً وضراوة بسبب شريانين دافقين من المال والحقد، يمدان الأقلام ويرفدان النار بالوقود حتى لا تنطفىء، والله وحده هو المسؤول أن يتولى المسلمين برحمته فينجيهم من هذه النار.

٤ - حصلت قناعة تامة في الساحة الاسلامية بأن الحكم تكرس عند فريق السنة وساعد على هذا التكريس عوامل جغرافية وعرقية وعقيدية في تفصيل طويل لا نريد الإلمام به هنا، وإنما مجرد إشارة لذلك، ومن الواضح أن يستقطب الحكم كل الطاقات إلا النادر، وهذا ما حصل بالفعل، حيث استأثر انصار الحكم بالساحة وأُبعد عنها الشيعة بمختلف الوسائل، وأدَّت القناعة بتكريس الحكم عند السنة، إلى معاداة الشيعة من قبل (الانتهازيين).

٥ - عرف عن الفكر والفقه الشيعي تمسكه الحرفي بالنصوص وعدم اخضاعه النص لاعتبارات أخرى كتقييده بالمصلحة، وكاخضاعه لرأي المذهب إذا اصطدم برأي المذهب، ومؤدى ذلك أن لا مجال لمن يمد عينيه إلى (حصيلة) أو أن يقفز على مفاد النصوص إلى هدف من هذه الأهداف، في حين اتسع مدلول النص في الطرف الثاني ليفتح آفاقاً أمام الطموحات التي تريد لها منفذاً لتلج منه لمصلحتها ولو على حساب الدين.

فانكفاء الناس عن الفكر الشيعي لهذا السبب، بالإضافة لأسباب أخرى، ثم تطور الإبتعاد عنه إلى مهاجمة له تحت ستار الجمود وعدم مسايرة روح النص، وهو زعم من ورائه المصلحة، وإن غطِّي بثوب آخر.

واجتمع من وراء هذا التيار رصيد كبير كوّن تراثاً ليس من السهل الخروج عنه، وعمل أنصار هذا التراث على مهاجمة ما يعارضه حتى ولو الافتئات على الحقائق.

هذه مجرد أمثلة ونماذج لعوامل متعددة أدت إلى هذه الحصيلة الضخمة من الإفتراءات على الشيعة، وكان لا بد مع ما ذكرناه من أن يتضاءل نشاط الشيعة

الفكري والاجتماعي بفعل الضربات المتلاحقة على مختلف الأصعدة.

فوسائل الإعلام بيد غيرهم من صحافة وكتاب ومذياع مسموع أو منظور، ومناهج التعليم هي الأخرى كذلك هجوم على الفكر الشيعي واشادة بالمقابل له، وفرص الحياة مفتوحة أمام حَمَلَة الفكر السني ومغلقة أمام حَمَلَة الفكر الشيعي، بل حتى مع المتعاطفين معهم. اللهم إلا نشاط فردي ضئيل هنا وهناك يشكُل جهد المقل، ولولا عناية الله تعالى بفكر آل محمد، لذهبت حتى هذه البقية الباقية.

٦ - ولو قُدِّر للقارئ أن لا يعتبر ما ذكرناه من الأسباب مبرراً أو معللاً لهذا الهجوم المتواصل على الشيعة عبر القرون فلا يبقى إلا عامل واحد يتلخّص بأن محاصرة التشيُّع منذ أيامه الأولى من قبل الحكام، كانت دوافعه سياسية، تستهدف إقصاءهم بإقصاء أئمتهم عن الحكم، وكان لا بد من خلق مبررات كما أشرنا سابقاً، ومن أهم تلك المبررات هي المبررات العقائدية، ومع طول الزمن نشأ جيل تغذّيه وسائل الإعلام والتربية بغض الشيعة «لانحرافهم عن الدين»، وأخذ هذا الجيل يشكل رافداً يتوالد وتتوارثه الأجيال، وهي معتقدة بصحة ما ينسب إلى الشيعة من انحراف، فيحملها دينها وحرصها على اسلامها أن تقف موقفاً سلبياً من الشيعة، خصوصاً مع وجود أقلام تواصل الحملة وتمد النار بالوقود تمشياً مع التيار السائد، وحرصاً على مصالحها ومكانتها التي ربما تتعرض إلى الضياع لو قالت كلمة الحق، وصححت المسار، وربما تعرضت للأخطار لو أقدمت على إنصاف الشيعة، وليس موقف أهل الشام من النسائي ببعيد عن الأذهان، عندما سألوه عن المقارنة بين علي ومعاوية، فقال: وهل يصل معاوية إلى أن يكون رأساً برأس مع علي، فضلاً عن أن يفضل عليه، فوطؤه ورضوه حتى مات.

ولكن مع ذلك تبقى أمانة التاريخ ومسؤولية الكلمة وقول كلمة الحق كلها داعية لحَمَلَة الفكر وأهل الدين أن يصدعوا بالحق، ويضعوا النقاط على الحروف، ويدفعهم الشعور بمصلحة الأمة الاسلامية، ورفع شأنها، ووحدة كلمتها، إلى أن

يستسهلوا الصعب ويشتروا وجه الله تعالى والدار الآخرة، والمكاسب الناتجة من وحدة المسلمين لو تحققت، فذلك أمل يداعب كل نفس خلت من أوضار العصبية، وأخلصت لله تعالى، وهو وإن يكن أمراً عسير المنال، فإن كل مكسب لا يحصل بدون تخطي العقبات، وخوض الصعاب، لا سيما أن الحقائق ظهرت بفضل انتشار وسائل الإعلام، وتوفر مصادر المعرفة عن الفكر الشيعي، واختلاط المسلمين بعضهم ببعض.

إن كل ذلك كان لتبديد الظلام والتعرُّف على الواقع، أفلا يكفي مرور أربعة عشر قرناً على دعوى وجود قرآن خاص للشيعة للعثور على نسخة منه، وإذا تعذّر الحصول على نسخة واحدة منه فها هي مصادر أحكام الشيعة، وكتب فقه الشيعة ميسَّرة ويمكن التعرُّف على مداركها فهي واضحة، ذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

إذ خلاصة هذا الوجه الأخير، هو أن معاداة الشيعة والافتراء عليهم هي حركة ناتجة عن قوة الاستمرار في حركة من أرادوا ابعادهم عن الساحة.



نماذج من المفتريات المنسوبة للشيعة

بعد هذه المقدمة سأدخل في صلب الموضوع الذي ينصب عليه هدفي، وهو تقديم نماذج مما نُسِبَ إلى الشيعة بهدف اخراجهم عن الاسلام وتنفير المسلمين منهم، والاجهاز عليهم حتى النفس الأخير، وسأقتصر على ثلاثة نماذج لتكون موضوعاً يُقاس عليه كثير مما نُسِبَ لهم:

النموذج الأول: فرية القول بتحريف القرآن:

القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو مصدر حضارتنا ودستورنا والنبع الذي تنهل منه الأمة، وللقرآن في نفس كل مسلم قداسة لا تعادل بشيء، ولمّا كان هو مصدر التشريع الاسلامي الرئيس الذي تنتهي إليه كل مصادر التشريع الأخرى، فلا يمكن أن يطمئن المسلم إلى سلامة كل حكم من الأحكام الشرعية مع القول بوقوع التحريف فيه، زيادة أو نقيصة، أو العبث بجملِهِ ومفرداته: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، ونظراً لمكانة القرآن هذه في نفوس المسلمين فإن أي فئة تذهب إلى القول بالتحريف فيه ستكون جسماً غريباً في هيكل هذه الأمة، وستكون موضع (النقمة).

من أجل ذلك كان في طليعة ما طبخته مطابخ الحكم، وأوكلت إلى وكلائها القيام بتسويقه هو نسبة القول بالتحريف في القرآن الكريم إلى الشيعة. وسنرىٰ إن شاء الله تعالى مدى صحة هذه النسبة، ومدى مساحة القول بذلك عند أهل السنة ليتضح لنا مدى صحة ما ينسب للشيعة.

لقد تضافرت آراء فقهائنا ومفسرينا على نفي هذه النسبة لنا، ودحض هذه

الفرية في أكثر من مرجع من كتب الشيعة، بحيث لا تمر بكتاب يتحدث عن مواضيع وعلوم القرآن عند الشيعة، إلا وترى فيه (بحثاً) يدحض ما نسب للقرآن من كونه محرفاً.

ولما لم يكن من هدفي هنا استقصاء ما كُتب، وإنما توجيه القارئ إلى جملة من المصادر التي تبين رأي الإمامية بوضوح، وبمقدار كاف للتدليل على ذلك فسأذكر ما يفي بالمقام.

إن رأي جمهور الشيعة على أن القرآن الكريم محفوظ لم ينله تحريف من زيادة أو نقيصة في آياته وسوره وحروفه، بل هو الموجود بين الدفتين، ويتداوله المسلمون، ويمكن التأكد من ذلك بالرجوع إلى مقدمة تفسير التبيان للشيخ الطوسي، ومقدمة مجمع البيان للطبرسي، وكشف الغطاء للشيخ أستاذ الفقهاء الشيخ جعفر في باب بحث القرآن، وحق اليقين للملا محسن الفيض الشهير بالمحدث الكاشاني، وآلاء الرحمن للشيخ محمد جواد البلاغي، والبيان في مقدمة تفسير القرآن لآية الله الخوئي أبي القاسم، وهو رأي المفيد والبهائي والقاضي نور الله بل وكل المحققين، وأما ما ينسب للشيخ الكليني ثقة الإسلام في الكافي، من ايراده للروايات التي تذكر وقوع التحريف، فهو ينفيها بنفسه ويؤكد ذلك الأمور التالية:

١ - إن الأحاديث الموهمة للتحريف ذكرها الكليني في باب النوادر، ومعنى النوادر هو معنى الشواذ، وهو ما لا يُعمل به، فإن الشاذ من الأحاديث إذا خالف الكتاب والسنّة، أو كان صحيحاً في نفسه ولكنه معارض برواية هي أشهر منه بين الرواة، لا يُعمل به، هذا ما يقرره علماؤنا في باب التعادل والتراجيح، ولما كانت رواية التحريف مخالفة للكتاب والسنة ومعارضة بما هو أشهر وأرجح منه فلا يعمل بها.

٢ - إنه ذكر في التمييز بين الرواية الصحيحة وغيرها أن تُعرض على الكتاب والسنة فما وافقهما يؤخذ به وما خالفهما يُطرح، وفي هذا دليل على أنه لا يأخذ بتلك الروايات، وإنما رواها كما روى البخاري ومسلم أخبار التحريف.

٣ - إنه ذكر رواية سعد الخير في روضة الكافي، وهي صريحة في نفي النقص في القرآن. إذ قال الباقر لسعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه وحرفوا حدوده»[١] وهي صريحة بتمام حروف القرآن.

٤ - ليس كل راوٍ لرواية قائل بمضمونها، كما هو المعلوم في مختلف أبعاد العلوم.

هذه مجرد فكرة موجزة عن تحريف الكتاب المجيد وموقف الشيعة من ذلك، وهو بمنتهى الوضوح، وعندنا أدلة كثيرة تنص على أن الشيعة لا يقولون بالتحريف، بل الذين يقولون بتحريف القرآن بمعنى الزيادة والنقيصة غيرهم، أما التحريف بمعنى تحريف معاني الكلمات والآيات وأسباب النزول، فإن للشيعة رأياً صريحاً بذلك، فهم يذهبون إلى أن التحريف بهذا المعنى قد حصل عند كثير من الرواة والمفسِّرين لأسباب لا تخفىٰ.

ونعود بعد ذلك إلى رأي رعيل من أهل السنة بالتحريف بمعنى النقيصة: (تبعاً لمصادرهم):

من الغريب أن القائلين بالتحريف هم أهل السنة، وآراؤهم صريحة بنقص القرآن الموجود بين أيدي المسلمين - بغض النظر عمّا إذا كانوا يقولون بلوازم هذا الرأي أم لا - فقد عودونا أنهم في كثير من الأمور لا يلتزمون بلوازم القول، وليس هذا موضع البرهنة على ذلك، فإن له مكاناً وبحثاً آخر، قد نتطرق إليه إن شاء الله، أقول: إن آراءهم صريحة بذلك، ولكنهم يرمون بذلك غيرهم كما سترد علينا أمثلة

(١) روضة الكافي، حديث ١٦.

لذلك، ولنستعرض بعض أقوالهم في ذلك بما يكون مجرد نماذج لذلك، ونشير بعد ذلك لبعض المصادر لمن أراد التوسُّع في ذلك.

١ - ذهب السيوطي في كتاب الاتقان في علوم القرآن باب عدد سور وكلمات وحروف القرآن، إلى روايات عن الخليفة عمر بن الخطاب، إنه كان يقول: إن حروف القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف[١]، كما أخرج ذلك مرفوعاً عن عمر بن الخطاب في الطبراني بسند موثّق.

٢ - ذكر صاحب منتخب كنز العمال بروايته عن زر بن حبيش قال: قال لي أُبيّ: يا زر كيف تقرأ سورة الأحزاب قلت ثلاثاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتضاهي سورة البقرة أو هي أطول من سورة البقرة. ومفاد هاتين الروايتين هو في رأي الخليفة كما ينسب له أن حروف القرآن الموجودة أقل من الثلث، ومفاد الرواية الثانية عن أُبيّ أن سورة الأحزاب الموجودة أقل من ثلث السورة المنزلة.

٣ - ذكر أهل السنة أن سورتي (الحفد والخلع) من السور الصغار لم تثبت في القرآن وكانتا مما يقنت بهما الخليفة عمر بن الخطاب وهما على النحو التالي: «اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك». «اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشيا نقمتك إن عذابك بالكافرين ملحق»، أنظر السيوطي في باب عدد السور، فقد روى ذلك بطرق عديدة مع أن السورتين غير موجودتين بالقرآن[٢].

٤ - ذكر الإمام أحمد بن حنبل في الجزء الأول من مسنده بسنده عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أنه قال: إن الله بعث محمداً بالحق وأنزل معه الكتاب فكان مما أنزل إليه آية الرجم فرَجم رسول الله ورجمنا بعده، وكنا نقرأ

(١) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٥٢.
(٢) الإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٤٣.

«ولا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم»، والآية ليست موجودة في القرآن[١].

٥ - ذكر السيوطي في الاتقان برواية نافع عن ابن عمر: لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله، وما يدريه ما كله، قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر[٢].

كما روى عن عائشة زوج النبي ﷺ كانت سورة الأحزاب تُقرأ في زمن النبي مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف، لم نقرأ منها إلا ما هو الآن[٣]، والروايتان في منتهى الصراحة.

٦ - روى الإمام مسلم في صحيحه الجزء الثالث، بسنده عن أبي حرب بن أبي الأسود أبا موسى الأشعري، قال لقراء أهل البصرة: إنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة (فانسيتها) غير أني قد حفظت منها «لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»، وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات فانسيتها غير أني حفظت منها: «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة»[٤] وليس للسورتين أو الآيتين اللتين ذكرهما وجود في القرآن، فقد سقطت على رأيه بالإضافة لما قدمناه من نماذج، فإن طريقة جمع القرآن كما يرويها، أهل السنة وطريقة كتابته، وذهابهم إلى نسخ التلاوة في كثير من آيات القرآن، سواء نسخ الحكم أم لم ينسخ، كل ذلك مؤداه تحريف القرآن بمعنى النقصان.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١/ ٥٨، دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٩٣م.
(٢) الإتقان ٢/ ٥٢.
(٣) الإتقان ٢/ ٥٣.
(٤) صحيح مسلم: ٣/ ١٠٠.

٧ - أخرج ابن ماجة عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً، وقد كانا في صحيفة تحت سريري، فلما مات النبي ﷺ تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها، ورواه كذلك الدميري في حياة الحيوان في - داجن - [١].

وقد أفاض علماؤنا في موارد عديدة بمناقشتهم للقائلين بالتحريف، ودحض أقوالهم، وبالإمكان الرجوع إلى ما ذكرناه من مصادر سابقة، ومع ذلك كله في ما قدمناه مجرد نماذج صغيرة ولدينا من المصادر الأخرى ما يكفي لتسويد كتب وكتب في آراء أهل السنة وذهابهم إلى القول بالتحريف، ولكن مع ذلك كله كما أسلفنا لا تقف الافتراءات عند حدودها بل هي مستمرة على طريقة رمتني بدائها وانسلت.

وأنا أعتقد وأؤمن بأن ما نكتبه ونشرحه من دحض هذه الافتراءات لا ينفع إلا القليل من الموضوعيين المخلصين الذين ينشدون الحق، أما الأغلب من قومنا فهم ليسوا بطلاب حقائق ولهم من الإصرار على الباطل والمماحكة ما يصلون به إلى مستوى تسمية الشمس بالحجارة السوداء. ولكن عزاءنا أننا نضع جهدنا بين يدي من ينشد الحقيقة فلعل الله تعالى ينفع به من أراد.

النموذج الثاني:

فرية القول بان جبرئيل عليه السلام أخطأ بنزوله بالوحي على محمد ﷺ:

من الثوابت والأصول في عقيدة المسلمين: إن الله تعالى أرسل النبي محمداً ﷺ إلى العالمين وختم به الرسل والنصوص القرآنية تؤصل ذلك، يقول

(١) رواه ابن ماجة في النكاح باب ٣٦ حديث ١٩٤٤، وانظر أيضاً حياة الحيوان للدميري ١/ ٤٥٣ دار الكتب العلمية ط١ بيروت ١٩٩٤م.

الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾(١) ويقول تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾(٢) ويقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْـلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾(٣) والأمر واضح عند المسملين بأن النبي ﷺ أرسله الله وهو خاتم رسله، فلو جاء من يدعي بأن النبي ﷺ لم يكن مرسلاً من قبل الله وإنما الوسيط الذي بين الله والأنبياء هو جبرئيل خان الأمانة وتوجه لمحمد بينما هو مأمور بنقل الوحي إلى علي بن أبي طالب. لا شك أن من يقول ذلك كافر خارج عن الإسلام يلعنه المسلمون لأنه أولاً خالف نصوص القرآن، وثانياً أنكر ضرورة من ضروريات الدين، وثالثاً اتهم من سمّاه الله أميناً وهو جبرئيل، ورابعاً نسب إلى الله عزّ وجلّ أنه أقر جبريل على خطئه وسكت عنه، وخامساً جعل النبي مغتصباً لحق غيره، وسادساً فتح باب الشك في مضمون الوحي لأن من يخون بالأداء يجوز عليه الخيانة بالمضمون، إلى ما هنالك من مؤاخذات.

إن نسبة مثل هذه العقيدة التي ذكرناها كافية باخراج تلك الفئة من الإسلام، وهذا ما ينسبه أهل السنة إلى الشيعة ويصرُّون عليه، وسوف نناقش قولهم هذا بعد أن نستعرض أقوالهم في نسبة ذلك للشيعة، وترتيب الآثار عليه من كونهم ليسوا من المسلمين.

ولو أن من نسب ذلك إلى الشيعة شخصاً عادياً لهان الأمر، ولكن الكارثة أن الذي ينسب ذلك للشيعة أناس لهم وزنهم، وممن يُقرأ نتاجهم في كل يوم، ويحتل مكان الصدارة في الفكر الإسلامي وإليك بعضهم:

١ - الفخر الرازي:

ذهب هذا الرجل إلى نسبة ذلك إلى الشيعة عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٥.
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.
(٣) سورة الجمعة، الآية: ٢.

يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[1] ولا يفوتني أن ألفت نظر القارئ إلى أن أهل السنَّة قد يسمّون فرقة وينسبونها للشيعة وهي في الواقع شخص واحد، وإنما يعبر عنه بفرقة حتى يكون حجم ما ينسب إليه كبير وشائع، وبالتالي تعتبر رأياً لشريحة كبيرة من الشيعة مثل تسميتهم فرقة بـ(المحمدية) نسبة إلى محمد بن عبد الله بن الإمام الحسن السبط، ولا وجود لهذه الفرقة التي نسبوا لها جماعة، كما ذكر ذلك ابن طاهر في الفرق بين الفرق، وكل من له إلمام بتراث المسلمين يعلم من هو الفخر الرازي في مكانته العلمية، فإذا أراد أن ينسب شيئاً أو رأياً لأحد فلا يتصور أنه لم يتثبت من ذلك أو أنه اعتمد على إشاعة، وإلا فلا تبقى قيمة للقيم الفكرية، وسنعقب على مدى صحة هذه النسبة بعد ذلك.

٢ - القرطبي المالكي في تفسيره الكبير:

وهذا الرجل أيضاً كسابقه ليس بالشخص العادي، وتفسيره من التفاسير المهمة، ومكانته العلمية مرموقة ويندر أن يكتب موضوعاً في العلوم القرآنية ولا يرد فيه ذكر لهذا التفسير. فما هو موقف القارئ إن وقف على ما ينسبه القرطبي للشيعة، في ذلك؟

٣ - ابن تيمية:

في الجزء الأول من كتابه منهاج السنة، قال في مقارنة له بين اليهود والشيعة: واليهود تبغض جبرئيل وتقول هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون غلط جبرئيل بالوحي على محمد. . الخ، ولهذا الرجل مع الشيعة تركة ثقيلة، أسأل الله أن يجازي الشيعة إن صح ما نسبه إليهم من مختلف النسب، ويجازيه إن كان ما نسبه محض ادعاء.

---

(١) التفسير الكبير: ١٠/ ٤٣٣، دار إحياء التراث، بيروت ١٩٩٥.

فلم أر رجلاً أجرأ على توزيع الكفر والإيمان من هذا الرجل.

ثم جاء من بعد هؤلاء من اقتفى أثرهم كالجبهان في كتابه تبديد الظلام. ومحب الدين الخطيب وأمثالهما.

كما أن جماعة آخرين شرعوا يرتبون الآثار على ذلك باعتبار الشيعة ليسوا بمسلمين نظراً لعقيدتهم هذه، فذهب البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) إلى عدم جواز الصلاة على الشيعي ولا خلفه ولا تحل ذبيحته ولا نكاحه لامرأة سنية ولا يحل للسني أن يتزوج المرأة منهم إذا كانت على اعتقادهم[١]. ولمثل ذلك ذهب صاحب كتاب الأنكحة الفاسدة الدكتور أمير، وجملة من السلفيين الذين استفتوا بالبلدان الإسلامية. وعلى كل حال فالمسألة مشهورة لا تحتاج زيادة إيضاح.

وتعقيباً على ذلك نقول: إن ما نسبه هؤلاء للشيعة لو صح، فلا حاجة للبحث عن دليل في كفر من ينكر ضرورية من ضروريات الإسلام كهذه ولكن نقول:

١ - على أي مدرك استند هؤلاء في نسبة ذلك للشيعة، إننا نطالب ومن حقنا ذلك، أن يقدم هؤلاء المدّعون مصدراً واحداً من مصادرنا فيه هذا القول، فهل يتفضل علينا هؤلاء بذلك، وإذا لم يجدوا ما يسند دعواهم، فهل يرتدعون عن الافتراء، وهل يستحيون من مثل هذه الدعاوى أم لا، وأغلب الظن أنهم لا يرتدعون لأن دوافهم معروفة.

٢ - لو قدر أنهم يجدون ولو واحداً يقول بذلك فهل من الصواب ومن الصحة أن تنسب أمة بكاملها إلى القول بذلك لأن واحداً قال ذلك، وكل مصادر الشيعة تثبت خلاف ذلك وها هي مصادرهم في الفقه والعقائد تملأ المكتبات وتصرح بأن الله تعالى أرسل محمداً، وختم به النبوات، وأن جبرئيل هو الأمين

---

(١) الفرق بين الفرق ص١١.

على وحي السماء وأن القرآن الكريم يصرّح بأنه مطاع ثم أمين.

إن الكرخي من أئمة الأحناف يذهب إلى ضرورة تأويل القرآن والسنة إذا خالفت قول فقهاء الأحناف، فهل يرضى أهل السنة أن نعلن بأنهم يرون ضرورة أن يكون القرآن تابعاً لأقوالهم، وهل مثل هذا القول لو قلناه يعتبر من المنطق. إن هناك من الآراء الفردية عند أهل السنة في مختلف الأحكام والعقائد ما يشكل حيّزاً واسعاً ولا ينسجم مع الخطوط الإسلامية، كرأي البخاري مثلاً: بأن لبن البقرة ينشر الحرمة (إذا شرب منه اثنان نشرها بينهما) فهل يا ترى يصح نسبة ذلك لعامة أهل السنة؟

ومع ذلك نحن نطالب ولو بواحد ممن يقولون بأن جبريل أخطأ أو خان وذهب بالوحي فليدلونا عليه.

٣ - إن من الثابت أن الإمام علياً عليه السلام كان ألزم لرسول الله صلى الله عليه وآله من ظله، وكان متفانياً في الذب عنه والدفاع عن دين الله، وكان نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنص القرآن الكريم فلماذا لم تترك حادثة سرقة النبوة بينهما أثراً من قطيعة أو عتاب على الأقل؟ يا ترى هل أن الشيعة - وفي تاريخهم من العباقرة ما لا يعد ولا يحصى - لا يفهمون ذلك ويفهمه الجبهان وأمثاله ممن ختم الله على قلوبهم؟ لو كانوا يعتقدون بذلك لرأوا آثاره في العلاقة بين النبي صلى الله عليه وآله ووصيه عليه السلام.

٤ - إن الإمام علياً عليه السلام يوم نزل الوحي كان عمره مردداً بين سبع سنوات، وعشر سنوات على روايتين، فهل يا ترى يبعث نبي عمره سبع سنوات وهل لمثل هذه البعثة سابقة عند النبيين الذين سبقوا محمداً صلى الله عليه وآله وهل هذا المعنى من الأمور الغامضة التي لا تفهم؟ فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً.

٥ - يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ والمرء لا يطلق عليه رجل إلا بعد البلوغ، وفي حدود الخامسة والعشرين، والإمام علي عليه السلام كما أسلفنا كان صبياً.

إلى أمثال ذلك من الملاحظات التي كان ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار قبل أن توضع هذه الفرية على لسان الشعبي قبل أن يولد، وقد فندنا ذلك في كتابنا هوية التشيع[1]. بعد ذلك كله نقوله، هذه مساجدنا ومآذنها يرتفع فيها الأذان في الصلوات الخمس كل يوم، وفي معظم أنحاء العالم تنادي أشهد أن محمداً رسول الله، أفلا تكون هذه الآلاف من المآذن دليلاً على دحض هذه الفرية؟ وسيقول هؤلاء إنكم تقولون ذلك تقيةً، وهنا نوفر عليهم جواب هذا القول قبل أن يقولوه، فنقول: إننا نجهر بالأذان أشهد أن علياً ولي الله، ولا نستعمل التقية، وبوسعنا في مساجدنا في أوروبا وغيرها أن نعلن برأينا إذا كنا نخاف هنا.

كما أننا في البلدان التي كانت تحكمها الشيعة كمصر الفاطميين وكعراق البويهيين وكإيران الشيعة وغيرها يمكننا أن نعلن ذلك بدون خوف أو وجل، فلماذا لا نعلن ذلك؟ هل يجيبنا هؤلاء الذين تغذيهم المصادر المشبوهة وتحملهم مهمة تمزيق المسلمين وشق صفوفهم؟

والجواب، لا لأنهم لا يريدون الحقائق، ولو كانوا من طلاب الحقائق لما أقدموا أساساً على مثل هذه الافتراءات، وإن كنا لا نعدم - والحمد لله - من أصحاب الضمائر من دفع هذه الفرية كالشيخ محمد الغزالي في كتابه دفاع عن العقيدة، والدكتور عبد الواحد وافي في كتابه بين الشيعة والسنَّة.

النموذج الثالث: فرية الغلو في الأئمة عليهم السلام:

دأب كتّاب أهل السنة على مختلف تخصصاتهم ذات العلاقة بالعلوم الإسلامية يتهمون الشيعة بالغلو في أئمتهم وبأنهم يعطونهم مكانةً لا يستحقونها،

---

(١) هوية التشيع: ص١٩٣، مؤسسة أهل البيت بيروت ط٢ ١٤٠١ هـ - ١٩٨١.

ويبالغون في نسبة المناقب لهم، وربما اتهمنا البعض منهم بأنا نذهب إلى القول بأنهم يعلمون الغيب لذاتهم أي أن ذاتهم مبدأ لانكشاف الموجودات، وأنا نعطيهم الولاية التكوينية لذاتهم و . . . إلى ما هنالك من قول يتلخّص باننا نرتفع بهم عن مستوى البشر إلى مستوى غايةً في الغلوّ.

وأول ما أبدأ به هنا أن أشير إلى أن معظم من يقرأ الفكر الشيعي لم يقرأه بأقلام الشيعة وإنما بأقلام إما أن تكون أقلام خصومهم، أو أقلاماً لم تصل إلى النضج الكافي في فهم المناهج الدينية، وهضم مصطلحاتها وأفكارها والخلط بين كونهم - أي الأئمة - يفاض عليهم من الله تعالى بشكل وآخر - كما يعطيه إخواننا أبناء السنة إلى أناس عاديين كما سيأتي - وبين كونهم يعلمون لذاتهم مما أوجب هذا الفهم الخاطئ لآراء الشيعة.

وأشير إلى أمر آخر هو أن بعض الكتّاب قد يرى رأياً شاذاً لفردٍ أو لفئةٍ بادت فيسحب هذا الرأي إلى كافة الشيعة، كما أنّ بعض الكتّاب يرى رواية، ولما لم يكن من فرسان هذا الميدان فيتتبع هل هناك ما يعارضها أو يبين إجمالها أو ما يشرح بعض ملابساتها، على طريقة معالجة الأخبار والروايات في المنهج الفقهي، فيذكر الرواية بدون ذلك كله، فيستنتج منها ويرتب عليها أحكاماً ليست من الواقع في شيء.

وقد يكون هناك من يعرف ويتقن أمثال هذه العلوم، ولكن في قلبه مرض فيعمل على طريقة لا إله بدون أن يقول إلا الله. وعلى العموم سأعرض في هذه العجالة إلى آراء الشيعة في موضوع الغلو بما يكفي للتدليل على رأيهم، ثم أعقب ذلك برأي أو آراء أهل السنة بأئمتهم لنرى أين موضع الغلو:

١ - استدل الإمامية على كفر الغلاة وتبرؤوا منهم، ومن أدلة الإمامية على ذلك قوله تعالى في الآية السابعة والسبعين من المائدة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟

كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾.

٢ - قال الإمام علي عليه السلام : «هَلَكَ فيَّ رجلان مُحِبٌ غالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ»[١].

٣ - قال الإمام الصادق عليه السلام : ما نحن إلا عبيد الله الذي خلقنا واصطفانا والله ما لنا على الله حجة ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون وموقوفون ومسؤولون، من أحب الغلاة فقد أبغضنا ومن أبغضهم فقد أحبنا، الغلاة كفار، والمفوضة مشركون، لعن الله الغلاة، إلا كانوا نصارى إلا كانوا قدرية إلا كانوا مرجئة إلا كانوا حرورية[٢] الخ . .

٤ - نجاسة الغلاة، وعدم تغسيل موتاهم، وعدم جواز دفن موتاهم، وتحريم اعطائهم الزكاة، وعدم جواز تزويجهم المرأة المسلمة، وكونهم لا يرثون المسلم، ويرثهم المسلم، كل ذلك موضع اجماع علماء الإمامية[٣].

٥ - يقول الشيخ المفيد في كتاب شرح عقائد الصدوق: الغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته إلى الألوهية والنبوة ووضعوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدود وخرجوا من القصد، فهم ضلال كفار[٤].

وهذه النصوص التي قدمناها كنماذج تكشف بوضوح رأي الإمامية في الغلو والغلاة وما أظن أن الذين يرمون الإمامية بالغلو، لم يطلعوا عليها، ولكن ران على قلوبهم، فالله المستعان على ما يصفون.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨/ ٢٩٢ - باب الحكم والمواعظ ١١٣ طبع دار الدجيل ط١، ١٩٨٧م.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ٣/ ٥١، طبع إيران كومباني: ١٣٠١هـ.

(٣) اللمعة الدمشقية: ٣/ ١٨١، طبع النجف الأشرف.

(٤) ص١٣١ المجلد ٥، الكتاب الثاني، طبع دار المفيد ١٩٩٣ بيروت ١٤١٣، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد.

ونقف هنا وقفة قصيرة في مسار الفكر السني، لنرى هل هناك غلو أم لا وإليك بعض هذه النماذج:

١ - ذكر علاء الدين دده في كتابه محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، قال: وقع زلزال في المدينة فضرب عمر الأرض بدرته وقال: قرّي، فسكنت وانتهى الزلزال، وقال أيضاً: عندما نقص ماء النيل بمصر، وكان الوالي عمرو بن العاص فأراد المصريون كعادتهم أن يزفوا له عروساً يلقونها في النيل، فمنعهم وكتب إلى عمر بن الخطاب، فأرسل له عمر مكتوباً ألقاه في النيل فغاص، وذكر حادثة سارية الجبل، وحادثة اطفاء نار من قبل الخليفة عمر، ثم عقب على ذلك بقوله: إنه كان - يعني عمر - يتحكم بالعناصر الأربعة الماء والهواء والتراب والنار. ومعنى هذا هو الولاية التكوينية، فهل أثارت العشرات من أمثال هذه الرواية حساسية عند أهل السنة، اللهم لا، ولو رويت لأحد أئمة أهل البيت لكانت غلواً بل كفراً والحاداً.

٢ - ذكر ابن الجوزي في مناقب أحمد بن حنبل عن علي بن إسماعيل قال: رأيت كأن القيامة قد قامت وجاء الناس إلى قنطرة عندها لا يترك أحد أن يجوز حتى يأتي بخاتم، وهناك رجل جالس ناحية يختم للناس ويعطيهم، فقلت من هذا؟ قالوا أحمد بن حنبل.

٣ - ذكر المكي في الجزء الثاني من كتابه مناقب أبي حنيفة قال: رؤي أبو حنيفة نائماً على سرير في بستان ومعه رق يكتب جوائز قوم فسئل عن ذلك فقال إن الله قبل عملي ومذهبي وشفعني في أمتي، وأنا أكتب جوائزهم، فقيل له إلى أي غاية يكون علم الذي تكتب له الجائزة؟ فقال: إذا علم أن التيمم لا يجوز بالرماد.

٤ - أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه الجزء الرابع عشر، قال بسنده عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: دخلت الجنة إلى أن قال: فلما كنت عند الباب أتيت بكفة فوضعت فيها ووضعت أمتي في كفة فرجحت بها ثم أتي بأبي بكر فوضع في كفه وجيء بجميع أمتي في كفة فرجح أبو بكر، ثم أتي بعمر فوضع في كفة،

وجيء بجميع أمتي فوضعت في كفة، فرجح عمر، ثم رفع الميزان. كما ذكر ذلك الحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

٥ - يقول العبيدي المالكي في عمدة التحقيق: إن النبي ﷺ لما كان قاب قوسين أو أدنى أخذته وحشة، فسمع في حضرة الله صوت أبي بكر فاطمأن قلبه واستأنس بصوت صاحبه.

وإلى هنا فإلى الذين يرموننا بالغلو أقول: إن بين أيدينا من مصادركم التي تنسج من هذا النسيج ما يؤلف موسوعة كاملة بدون أدنى مبالغة، لا نريد أن نضيع الوقت في الانشغال بها، وحتى لا نحقق أهداف كتابكم في نشر المهاترات بين المسلمين وشغل أقلامهم عن الدفاع عن دينهم أو عن نشر محاسن دينهم، والذي لا اشك لحظة أنه هدف عند كثير من الأقلام المشبوهة التي دأبت تتلهى بتمزيق المسلمين وتتبضّع من سوق التفرقة، وتجتر من خزين حقد كان يجب أن يذوب بروح من الإيمان أو بهدف مبارك يسعى إلى جمع أصل لا إله إلا الله. ولا يظن ظانٌّ منكم أننا نقول ذلك خشية، فما عندنا ما نخافكم عليه، وليس لنا في الكثير منكم أمل بأن تعودوا لجادة الإنصاف، اللهم إلا قليل من النفوس الطاهرة التي تنشد الحق والحقيقة، فإلى هؤلاء نكتب، ومن أجلهم نبذل الجهد، ووراء ذلك كله ننشد وجه الله تعالى الذي ندبنا وأدبنا بقوله:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢] اللهم إنا نعبدك ولا نشرك بك ونؤمن بكتابك ونبيك ودينك، أنت ربنا ووليناً فتولنا برحمتك يا أرحم الراحمين.



هموم المنبر[١]

عند الشهيد السيد محمد باقر الصدر

المنبر الإسلامي: فعالية وإعادة نظر:

كل من يتّبع مسيرة المنبر، بوصفه وسيلة من وسائل الإعلام على مختلف أبعاده، يرى بوضوح تطوّراً في مختلف مراحله، وإن اختلف هذا التطّوُر كثرة وقلّة. وهذا التطوُّر يشمل مادة المنبر وأدواته واتجاهاته، وذلك أمر مفروغ منه، لأنَّ المنبر تحوَّل إلى حاجة من حاجات الأمم الإجتماعية سواء أخذ صورة المذياع أو التلفزة أو الأعواد. وتبعاً لذلك، لا بدَّ من أن يتطوَّر المنبر بتطوُّر الأمم.

والملاحظ أنَّ المنبر الإسلامي، بصورة عامة، والمنبر الحسيني منه، اتَّصف، وللأسف الشديد، بالبطء في مسيرته التطوُّرية، وإن خطا خطوات في مضماره. إنه بالقياس إلى وسائل الإعلام الأخرى لا يزال يزحف مع وجود إمكانات التطوير. وقد يقول بعضهم إنَّ ذلك ناتج من كونه فعَّالية من فعَّاليات الدين. والدين لا يأخذ الزَّخم الذي تأخذه الأمور الحياتية الأخرى، كما هو معلوم، ألا ترى أن مفردات المناهج الدراسية في مدارسنا الرسمية قد تطوَّرت، وغدت الحضن الذي يحضن أبناءنا في أخطر مراحل حياتهم؟: هذه المدارس تعدّ الدُّروس الدينية في مؤخرة مفرداتها ولا تضع لها علامات محسوبة من المعدَّل العام، الأمر الذي يترك في نفس الطالب انطباعاً بعدم أهمّيتها. قد يكون هذا القول يمثِّل شيئاً من الواقع، لأنَّ المدارس الرسمية تعتقد أنَّ أمور الدِّين ممَّا تعتني به

---

(١) مجلة المنهاج العدد السابع عشر من السنة ٢٠٠٠ بيروت.

الأسرة، وتحرص على تلقينه لأبنائها، كذلك لا ترى حاجة للتأكيد عليه. كما أنَّ الأمور الدينية إن كانت لا تمثّل اهتماماً عند بعض الشرائح، فإنَّها موضع اهتمام شرائح الأمّة الباقية. وقد كان المنبر، بعد مسيرته الطويلة، منفذاً من منافذ الدِّين بالنسبة للجمهور.

وأعود لأقول: إنَّ وسائل الإعلام الأخرى تحوَّلت إلى حاجة للكثيرين وخبزاً يومياً لهم، لأنها حملت همومهم، وعرفت تطلُّعاتهم، وتصدَّرت لحلِّ مشكلاتهم في حدود ما تملك من قدرات. كما أنَّها ربطت المتلقِّين بأبعاد المجتمع الأخرى، ومضت ومشت تعالج عندهم ألماً، أو تداعب أملاً، وتبتكر لهم أجواء للتفاعل مع مجالات المجتمع الأخرى، وعزَّزت عندهم التصوُّر بأنهم جزء من المجتمع تشملهم آلامه وآماله.

ولم يأتِ هذا التطوُّر في وسائل الإعلام من فراغ، بل كان نتيجة تواظيف علوم متنوِّعة ومهارات مختلفة في ميدان الخطاب، فأين مكان المنبر الإسلامي من ذلك؟ مع أنَّ المنبر المسلم يملك ما لا يملكه غيره من انفتاح في قلوب المسلمين أو غير المسلمين ممَّن يتطلَّع إلى حلول فكريَّة لمشاكله، ذلك أنَّ المنبر يحمل صوت السماء المؤمّل لمعالجة القضايا والمشكلات، فالمسلم يقدّسه وغير المسلم يرى فيه معالجة لم تتأثَّر بمصلحة ولم توصف بنقص. فلماذا، والحالة هذه، لا نعمل على استخراج كنوز معارفنا الدينيَّة ونذود عنها الدَّخيل والهزيل؟ ولماذا لا نطوِّر القوالب التي تحملها مع التحدِّي الملح؟ إنَّ مراكز القرار الإسلامي تتحمَّل مسؤولية كبرى حيال ذلك أمام دينها المسؤولة عن خدمته وأمام مجتمعها المسؤولة عن تربيته، يضاف إلى ذلك أنَّ حقل التربية الدِّينية لا يخصُّ المتدينين فقط، بل يخصُّ الأمَّة كلها، لأنه أهمُّ وجوهها الحضارية، بوصفه مؤشراً بارزاً على نمط عقليتنا ومصدراً رئيساً من مصادر سلوكنا.

إننا لو عدنا إلى تاريخ المنبر الإسلامي، في عصورنا الرائدة، لرأينا كيف كان

فاعلاً في بنائنا، وكيف وفَّر لنا زاداً لا نزال نأكل من عطائه حتى الآن. لقد كنَّا شيئاً مذكوراً يوم كان الإسلام بمنافذه زادنا قبل أن تحتويه السلبيَّات، وتتكاثر في طريقه أدوات التشويه التي شوَّشت الرُّؤية، وعملت - ولا تزال - على تفريغ مفردات الكتاب والسُّنَّة من مضمونها الضخم، ووجَّهتها إلى مضامين هزيلة، أو بالغت في إعطاء بعض مضامينها ما ليس منها، أو حرَّفت مداليلها عن معناها الصحيح، كلّ ذلك يعرفه المختصُّون في هذه الحقول، وكان لهذه الممارسات كبير الأثر في إبعاد أوساط كبيرة عن سماع الخطاب الديني والوثوق به. ولولا أنَّ الذهنية الإسلامية العامة، تشعر بأنه لا إجابة عن أسئلتها، في كثير من مناحي الحياة، وفي ما له صلة بالحياة الأخرى، إلاَّ عند الفكر الإسلامي، لكانت فجيعتنا كبيرة من حيث انفضاض النَّاس عن مصادرهم الدينية، وهم يرون كثيراً ممَّن يحمل الدِّين يبعد الناس عن الدِّين بفكره وسلوكه وبتخلفه عن مسايرة الدنيا.

فينبغي، والحالة هذه، إعادة النظر في آليات الخطاب الديني ومنها المنبر، ليؤدِّي دوره المتوقع منه، وهذا الأمر، يكاد يكون محل إجماع المفكرين المسلمين، وهم وإن اختلفوا في بعض مشخصاته فإنهم يتفقون في أصله.

لقد كان ما ذكرته، ممَّا يدور حول المنبر، من الخواطر التي لا، فكنت أطرح الفكرة مع كثير من ذوي الشأن، فأسمع منهم المتحمِّس للتحرُّك في هذا الموضوع، وأسمع الذي يقابل ذلك بشيء من الفتور الناتج من تصوُّره بأن للمنبر دوراً محدوداً على مستوى العواطف الدينية عند فئة قليلة.



عناوين رؤية السيد الشهيد

المضمون الثقافي

وعندما يسَّر لنا العلم وسائل إيصال الكلمة إلى أكبر عدد ممكن، على القرب والبعد، اتَّسع مجال نقل الأفكار عبر التلفاز والمذياع والمسجِّل، بدأت النظرة إلى المنبر تتغيَّر، وأدرك كثير من المعنيين بهذه الأمور أن المنبر وسيلة فاعلة إن استطعنا أن نحسن الإستفادة منها، بامتلاك أدواتها وما يرتبط بها، وأهم ما يرتبط بها الخطيب المناسب، بل هو المنبر كله.

وفي وسط هذه الأجواء جرى الحديث في مجلس الشهيد الصدر، طاب ثراه، فرأيت من اهتمامه وإصغائه لما يدور حول ذلك ما لم أره عند غيره، وسمعت منه تأكيداً على ذلك دفعني إلى معاودة الموضوع كلما دخلت عليه. ولكثرة ما عاودنا طرق الموضوع أشبعت جميع جوانبه تقريباً بالبحث، وقد أشرت إلى ذلك إشارة مقتضبة في الكتيِّب الذي أصدرته في العام الماضي: «تجاربي مع المنبر»، ولكن سأتناول هنا أبرز ما دار الحديث حوله، وما بقي في ذاكرتي ممَّا طرحه السيد، طاب ثراه، لقد كانت أهمّ الأفكار التي في ذهنه تتلخص في عناوين رئيسية منها، بصورة مجملة:

١ - تقعيد المنبر، بمعنى أن يصدر المنبر عن قواعد وعلم إذا تناول أي مفردة من مفردات خطابه، فيكون مثله مثل طالب العلم الفاضل، إذا عالج مفردة في موضوع شرعي عالجها بمنهجية، مثلاً إذا عالج مسألة فقهية نظر إلى دليلها، فإذا كان من غير القرآن الكريم يبدأ بتوثيق الدليل من حيث السند، ثمَّ يبدأ بتقييم الرواية وتحقيقها، من حيث عدم الزيادة والنقص والتحريف، ثم ينتقل إلى ألفاظها، ويسأل: هل هي مما لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو يحتمل أكثر من معنى؟ فيصنفها

إلى نص أو ظاهر أو مؤول، ثم يجمع الروايات حول الموضوع ليرى مدى تأثيرها في دلالات الرواية على المعنى المراد أو الحكم المراد، ثم يبحث عمّا يعارضها ويعمل فيها وسائل التعادل والترجيح إلخ. . وبالاختصار أن يسلك الخطيب مسلك العفقيه في معالجة ما يطرحه على المنبر من عقيدة أو أحكام.

٢ - إثراء مادة المنبر، بمعنى تنويع مضامين المنر والتماس المواد المشوقة للسامع التي يجب أن تأخذ بعين الإعتبار الإختلاف في مستوى المستمعين ومداركهم وفي الوقت نفسه الظروف المحيطة بالمنير، وبذلك يحافظ على رعيل المنبر وروأده ويعمل على زيادة عددهم من الناحية الكمية، كما يعمل على الإرتفاع بمستواهم تدريجياً؛ وذلك في قوالب تتناغم مع أمزجتهم، لأنهم من شرائح غير متجانسة من كافة النواحي غالباً، وكل ذلك في إطار أجوائنا العقائدية والشرعية، فهي الهدف الأساسي.

٣ - العمل على الإرتفاع بالمنبر حتى يصل إلى مستوى مرجع متجول يرجع إليه الجمهور للتعرُّف إلى كثير ممّا يهمّه، من قريب أو بعيد، من حكم شرعي أو عقيدة، وبتعبير آخر، الطموح إلى جعل المنبر مكتبة متنقّلة ترتقي بمقدار ما تؤدي المطلوب للجمهور، على نحو موسوعي لا يصل إلى حدود التخصص. وإذا قدِّر له ذلك فهو فتح في آفاقنا المعرفية. وبذلك يكون المنبر مؤهلاً للخوض في الأفكار العامة، وليس دخيلاً عليها، مع لفت النظر إلى أنه فعلاً سائر إلى هذه المرتبة رغم الثغرات التي تحوطه، وكل ذلك لالتفاف الناس حوله بدافع من العقيدة وطلب الأجر.

وهذه الأمور الثلاثة التي أجملتها فيها تفاصيل كثيرة وشعب دار حولها كثير من النقاش، وخصوصاً من ناحية أنَّ ما هو قائم بالفعل يمكن تهذيبه، أو ما هو مؤمّل وممكن في حدود الإمكانات المتاحة، لا أرى ضرورة لذكره هنا وإنما أردت مجرّد الإشارة إليه.

الخطيب

ذلك ما له صلة بالمضمون الثقافي للمنبر، أما الجانب المتحرك في أفق المنبر، وهو الخطيب، فإنه، وإن كان ليس بعيداً عن الذهن عند بحث المضمون، كان السَّيِّد يرى أنه العنصر المؤثِّر فيه والرُّوح الحقيقة له. ولهذا استأثر بحصَّة لا تقل عن حصَّة مضمون المنبر في الحديث مع السَّيِّد الصَّدر ﷺ، من حيث ما يجب أن يحمله من مؤهِّلات وما يتَّصف به من صفات. وكان أهم ما انتهت إليه الآراء ما يأتي:

١- أن يكون رعيل الخطباء قسماً من الحوزة لا قسيماً لها، بمعنى أن يسير على ما يسير عليه طلاَّب الحوزة من خطوات في المنهج والمضمون، وفي سلوكه وهديه والتزامه بأجواء الحوزة. وإذا قدِّر له أن يتَّصف بذلك، فستحصل له أمور أهمّها: الثقة بنفسه وأنه بمستوى أداء الرسالة علمياً وستتغير النظرة إليه عند الجمهور، من كونه مجرد ذاكر يمارس موضوعاً يتصل بالعواطف عند محبِّي آل البيت عليهم السلام إلى كونه من أهل العلم الذين يقومون بما يقوم به ممثلو العلماء في البلدان. غاية ما في الأمر أنَّ الممثلين ثابتون في مكان محدَّد وهؤلاء متجولون، وبذلك سيكون الخطباء مشمولين بكلِّ ما للحوزة من حقوق ورعاية وغطاء مادي من الحقوق الشرعية حتى لا يتعرضوا للضياع في أيَّام العجز والشيخوخة، إلى غير ذلك من مكاسب.

٢ - يتعيَّن على الخطيب، إضافة إلى ترسُّمه المنهج الحوزوي، أن يحقِّق إتقان الآليات ذات العلاقة بفن الخطابة الحسينية، لأن ذلك من أوَّل شروط المنبر الناجح، على أن تكون هذه الأمور مسايرة للتطوُّر أداءً ومضموناً، ومنسجمة مع ضوابطنا الشرعية والأخلاقية، وحاملة لسمات عقيدتنا في خطوطها العامة،

ومتَّصفة بالبعد عن المبالغات والتعويلات، الأمر الذي يجعلها مستساغة، وبالإختصار أن تكون وفق المواصفات السليمة.

إنَّ هذه الآليّات المذكورة هي العنصر الفاعل في جذب الجمهور إلى المنبر، ومن ثم مخاطبته وفق المستويات التي يخضع لها، من حيث الزمان والمكان والهوية وغير ذلك ممّا يحدِّد آفاق المستمعين وأن لا يحرص الخطيب على مجرد إرضاء المستمعين بالنُّزول إلى مستواهم وما يتوقون إليه، خصوصاً إذا كان يؤدّي إلى الهبوط بمستوياتهم، لا بدَّ من محاولة الإرتقاء بهم تدريجاً وبهدوء. إنَّ بعض تلك الممارسات حتى لو كانت سائغة شرعاً، لكنها إذا كانت تؤدّي إلى ما يهبط بجمهورنا، ينبغي الإبتعاد عنها، إنَّ عملية الإنتقاء هنا ضرورية ينبغي أن ترضي مزاجنا الديني، وإن كانت لا ترضي الخطيب أو الجمهور، ذلك أن الخطيب حامل رسالة، والرسالة وإن كانت عملية البناء متعبة تكلِّف جهداً ومعاناة.

٣ - إنطلاقاً من ذلك أصبح لا بدَّ من عملية انتقاء لمن يمارس الخطابة، بمعنى أنه ينبغي ألا يكون الباب مفتوحاً أمام من يريد سلوك هذا الطريق ما لم يحمل المؤهّلات، ولو بالحدّ الأدنى، وليس من المحتّم دخوله هذا السّلك، بل يمكن تيسير السَّبيل أمامه إلى أداء رسالة عن طريق الحوزة التي لا ضرورة فيها للشروط المطلوبة من الخطيب ممّا سنشير إليه. إننا بذلك نحقّق للمنبر ما هو ضروري له ولطالب أداء الرسالة ما يحفظ له مكانته ولا يعرّضه للضياع لفقدان الشروط المنبرية المفروض أن تتوافر لديه. كما نرى كثيراً ممّن يمارس الخطابة ولا تتوافر له الظُّروف المطلوبة، فيكون عرضة للضياع وإهدار عمره في ما لا يعود عليه بالمطلوب.

ولعلّ أبرز ما قد يحتاجه الخطيب هو:

أ - حسن المظهر ووجاهته في حدود معقولة، وينبغي ألاّ يتَّصف الخطيب بما يغاير ذلك.

ب - أن يكون ممَّن رزقه الله تعالى صوتاً جيِّداً مرناً وقابلاً للتكيُّف مع الحالات المطلوبة في الأداء، لأن حاجته لذلك شديدة، بحكم كون الصوت الجيد عامل جذب مهمّاً للجمهور.

ج - أن يكون ذا حافظة سليمة لخزن المعلومات وليس من المبتلين بعكس ذلك.

د - أن تكون عنده موهبة حسن الإختيار، سواء أكانت ذاتية أم مكتسبة، مع قدرة على التحرُّك بهذه الموهبة في المواقف المطلوبة.

هـ - كونه من ذوي السمعة الحسنة، ومن دون ذلك يفقد التأثير ولا يُعتَنى بقوله.

و - أن يكون قد اجتاز مدَّةً من التدريب والتَّلمذة تحقق له النضج في الخطاب والتحلّي بخواص المنبر التي يكتسبها من مجموعة، وليس من واحد، لأنها قد لا تكون مجموعة عند واحد فيأخذ من كلٍّ منهم ما هو متميّز به.

هذا أقل ما ينبغي أن يكون عند الخطيب، ليكون مؤهَّلاً، للقبول في ما يمارسه من عمل المنبر وحتى نكون قد اخترنا للمنبر من هو مؤهَّل ومهيَّأ لأداء هذه الرسالة، وإلاَّ فليس من الصحيح أن نضعه في غير مكانه فنسيء له من ناحية ولرسالته من ناحية أخرى.

كيفية تجسيد الرؤية

هذه هي أبرز الأمور التي بقيت في ذاكرتي ممّا دار حوله الحديث مع السيد الصَّدر قدس سرّه. بقي أن أذكر ما تمّ التداول حوله في كيفية تجسيد ما انتهينا إليه نظرياً، وإن كانت هذه مسألة تحتاج لجهد، ولكنّها غير متعذّرة، ولقد استقرَّ الرأي على الخطوات الآتية:

١ - أن يتم العمل لذلك بهدوء، ومن دون واجهات بارزة، وإنّما بعمل بسيط وفي خطوات حذرة، ومن دون استفزاز للآخرين، مع التَّبيُّن بعد كل خطوة في مدى صوابها ذلك من تجربة «جمعية منتدى النشر العلمية» في النجف الأشرف عند البدء بتأسيس معهد الخطابة الذي انتهى إلى الإخفاق، فلا ينبغي أن تتكرَّر تلك التجربة ما دام معظم العوامل لا يزال قائماً بالفعل.

٢ - أن يتم اختيار مجموعة، من المأمولين، يتراوح عددها بين الخمسة والعشرة أشخاص تكون خميرة التجربة والأنموذج الممثل لما يراد الحصول عليه من المنبر ليطرح في الساحة، وإذا قدِّر له النجاح فسيخدم فكرة إيجاد مؤسسة للخطابة.

٣ - لا بدَّ من تحضير الوسائل اللازمة من مفردات المنهجين الحوزوي والخطابي في حدود القدرات المتاحة حتى يبدأ العمل فوراً، ونكسب بذلك الوقت لئلاً يبرد الحماس حول الموضوع.

٤ - ممّا يكلَّف به هؤلاء الطلاب، وفي أثناء الدراسة، تأليف مواضيع خطابية متنوعة ويسايرهم الأستاذ في خطواتهم حول ذلك، ثم يكلفون بقراءتها في مجلس يتمُّ فيه حضور زملائهم، ويتمُّ تبادل الآراء حول تلك المواضيع، ويستفاد من ملاحظات الحضور، ويكون ذلك تدريباً ميدانياً يعمل على تأهيل الخطيب

وتوفير التسديد له ممَّا قد يتعرَّض له من تعثُّر في طريقه.

٥ - يفترض وجود حد أدنى لا بد من أن يصل إليه الخطيب قبل ترشيحه لممارسة رسالته، ويُترك الباقي لما يحمله هو من كفاءة وقابلية في ساحة المنبر.

٦ - في أثناء ذلك، يتمُّ ترويض أذهان الجمهور لقبوله عن طريق التنويه به والإشادة بمؤهلاته وإعلان اجتيازه للإمتحان، فيما إذا اجتازه بنجاح، ويتمُّ هذا التنويه به في الداخل والخارج بوساطة المعنيِّين بهذه الشؤون في كلِّ بلدة تحتاج إلى خطيب في ذكرى الحسين عليه السلام.

٧ - إذا تم له اجتياز العقبات ينصرف إلى العمل، وإلاَّ لا بدَّ من العمل على توجيهه لساحة أخرى كما أسلفنا، حيث تتعدَّد ساحات الحوزة من تخصُّص أو كتابة أو تدريس وهكذا.

٨ - ليس من الضروري أن تكون فعَّاليات الدراسة هذه في محل معينٍ خاص، بل تتم على نمط الدراسة الحوزوية الحرة في مسجد أو بيت أو مؤسَّسة، إلى أن يتاح لنا الوصول بعد ذلك إلى مدرسة متخصِّصة.

٩ - في ما يخصُّ المنهجين المذكورين من الدراسة الحوزوية، والدراسة الخطابية فقد تكفَّل السيد قدس سرّه بالمنهج الأول عن طريق توفير المدرِّسين والكتب. أما المنهج الثاني فقد اتفقنا على أن أقوم أنا، مع اثنين من زملائي اللّذين اختارهما، بتهيئة المنهج الثاني. نقوم بذلك معاً ونضع ما نملكه من خبرة بين يدي الشريحة المذكورة من الطلاب.

تلك هي الخطوط العامة لفكرة النهوض بالمنبر وخدمة خطباء المنبر، ليكونوا منافذ إلى المعارف الإسلامية وميادين أهل البيت، وليحقِّقوا التلاحم بين الأمَّة وقادتها الروحيِّين، كما هو الحال عند بعض الشعوب الإسلامية التي يقودها الفكر الإسلامي بواسطة المبلِّغين ودورهم المهم في الثقافة الإسلامية العامة.

الروح الموسوعية عند السيّد الشَّهيد

بعد ذلك، لا تفوتني الإشارة إلى أمر مهم، ألا وهو هذه الروح الموسوعية عند الشهيد الصَّدر التي لم تشغلها مشاكل تأسيس حوزة علمية رائدة، ولا أعباء مرجعية بدأت وأخذت تنمو وتتَّسع، ولا المواجهة مع تيَّارات وافدة ونظم عاتية فتحت عينيها وأخذت تتحسَّس الخطر من فكر مسلم يأخذ طريقه للإنتشار، ويعمل على غير المألوف والتقليدي في المناهج، ما وقفت عند ذلك بل امتدَّت لتحمل هموم المنبر بوصفه جزءاً مهماً من الجانب الإسلامي الإعلامي.

لقد كان يلح للبدء بالعمل في أقرب وقت، وكأنه يحسُّ إحساساً داخلياً بقلَّة مكثه في هذه الحياة، وإن ضمن ذلك ببقاء فكره حيّاً. وعندما اتفقنا على مهلة قصيرة لإعداد المقدّمات لذلك كان يوصي بتقصير المدة والمسارعه لذلك. وبدأت بالتوجه لذلك والإستفادة من تجارب المنبر في بلدان أخرى واستعراض السلبيَّات والإيجابيَّات المتصوَّرة. وحدث أثناء ذلك ما يجب خروجي من العراق لبعض الأمور إلى سورية بأمل العودة قريباً، وتصاعدت الأحداث واعتُقل السَّيِّد ولم يخرج من المعتقل إلاّ إلى مثواه الأخير في جدث ضمَّ جسده، وبقيت روحه تتحدَّى الفناء وتسرح أفكاراً مضيئة في دروب السَّائرين للإصلاح، وطُويت تلك الآمال وإن لم تمت.



الأمل بمرجعيَّاتنا

ولنا أمل كبير بمرجعياتنا العتيدة، سدَّد الله خطاها، في أن يكون المنبر من همومها ومن بعض ما تعمل على إنجازه من مهمَّات، ولا أحسبها غافلة عمَّا للمنبر من مكانة مهمة. وما من جهة هناك غير المرجعية معينّة بالقيام بهذا العمل، وذلك لأسباب كثيرة استعرضتها في كتابي: «تجاربي مع المنبر» وأنا عندما أقترح ذلك لا أريد أن أعلّم المرجعية تكليفها، وهي إن شاء الله ممَّن لا يقصّر في عمل كلّ ما يخدم الدِّين والعقيدة، ولكنّني في قلب السَّاحة وأعيش أجواء المنبر وأدرك مدى تأثيره على القاعدة العريضة من الناس، ولا ينبغي لمثل هذه الوسيلة المهمَّة أن تهمل. ولعلّنا نُسأل عنها بين يدي الله تعالى يوم نلقاه باعتباره ممَّا يقرّب للطَّاعة ويبعد عن المعصية؛ وذلك من صميم ما يتعيَّن على الأئمة القيام به.



فروض الوفاء للريادة الملهمة

وفي ختام هذه الإلمامة البسيطة بموضوع هموم المنبر عند الشَّهيد الصَّدر، لا بدَّ من الإشارة إلى أنَّ هذه المسألة ليست الفكرة الرائدة الوحيدة في النهوض بالمنبر، فلقد كانت الريادة في مجمل أفكاره التي كانت رائدة في البعد الإجتماعي، والبعد الإقتصادي، والبعد الأخلاقي، والبعد التاريخي إلخ...، ولا تعوزنا البرهنة على ذلك فهي قائمة في ما ترك من كتب قيّمة غطت هذه الأبعاد.

أمّا ما كان يطرقه في أحاديثه ومداولاته فهو ممّا لا يقلُّ أهمية عمّا كتبه، يعرف ذلك كلُّ من أتيح له أن يعايشه ويسمع لأحاديثه.

بقي أن أقول: إنَّ في ذمتنا نحن الذين عاصرناه وتفاعلنا مع أفكاره أمانة، وهي أن ننقل الصورة المشرفة التي رسمها في أذهاننا معايشة وفكراً، ننقلها لمن لم يره ولم يعايشه، وهم أيضاً بدورهم يتعيَّن عليهم ذلك ليبقى الصَّدر شعلةً متوهِّجة في الأفكار. إنَّ ذلك أقلُّ فروض الوفاء للرِّيادة الملهمة.

رحم الله الشَّهيد محمَّد باقر الصَّدر برحمته الواسعة، وجزاه بقدر ما اتَّسع له قلبه الكبير من هموم، وبقدر ما حمله فكره من عطاء وكرم، وما لم يبتعد في مسيرته عن خطوط دماء الأنبياء وأبناء الأنبياء. والحمد لله أولاً وأخيراً.



تاريخ النجف[١]

يقول أحد الشعراء:

قد يزين الخميل بضع ورود وبمعناك جنة من أقاح

من مصاديق لهذا المضمون مدينة النجف الأشرف فإن أبعادها الحضارية متنوعة ومع تنوعها تتصف بالتميز، والحصيلة هنا أمران:

الأول: التنوع الحضاري الناتج من اختلاف الأجناس والأعراق التي سكنتها قبل الإسلام وبعده. ولعل البعض تلفت نظره عبارة قبل الإسلام في حين أن الصورة الذهنية عن النجف أنها ولدت بولادة عهد الشيخ الطوسي قدس سرّه. والحقيقة أن هذا التصور ليس بصحيح فإن المتتبع لتاريخ هذه المنطقة يتأكد من وجودها في عهود تسبق الإسلام بزمن طويل، فهي عندما مرّ بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام كانت مدينة وكانت مسكونة بكثافة وكانت يزلزل بها فنزل إبراهيم عليه السلام ضيفاً على أهلها فلم يزلزل بهم، وعندما تأكدوا من ذلك قالوا إن هذا من بركة ضيفنا وأصرّوا عليه بالبقاء وألزموه فأبى عليهم إلاّ أن يشتري منهم الأرض فأنعموا بالقبول فاشتراها منهم بمائة نعجة فسميت (بانقيا) من أجل ذلك لأن (نقيا) بلغتهم نعجة و(با) تساوي مائة، وقد ورد ذلك في جملة مصادر[٢]. هذا مفاد الرويات.

والآثار التاريخية في جوانب مدينة النجف تتوزع في مختلف جهاتها فهناك آثار لسجون الأسرى وللمعسكرات تمتد إلى أيام الإسكندر وإلى أيام بختنصر مثل «عريسات» ومثل «ضيزن آباد» المعروفة الآن باسم «طعيريزات»، ويصل تاريخ

(١) مؤتمر النجف في لندن.

(٢) معجم البلدان، ج٢/ ص: ٤٩، فصل بانقيا.

بعض هذه الآثار إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة سنة قبل الميلاد[١]، خصوصاً في سجونها ومقابرها مثل «الطارات». ويقول المسعودي «والنجف كان ساحل بحر الملح وكان في قديم الدهر يبلغ الحيرة وهي منازل آل بقيلة وغيرهم»[٢]، وقد أفضتُ بذلك في كتابنا «الخلفية الحضارية للنجف قبل الإسلام» والذي لا يزال مخطوطاً، ولا أريد التوسع في ذلك وإنما مجرد لفت النظر إلى الأقوام التي سكنت هناك وتركت بصماتها على التاريخ والحضارة والمدنية فهي أقدم مما يتصوره البعض.

أما التميز الذي أشرت إليه فهو حصيلة قهرية لامتزاج هذه الروافد المتنوعة وتلاقح أفكارها ممّا شكل مؤشراً غنياً يراه المتتبع بوضوح في أنماط السلوك عند الفرد النجفي خصوصاً بعد تعميق المدرسة العلمية وانتهائها إلى الثراء الملحوظ في الأبعاد الفكرية بعد عصر الشيخ الطوسي.

الثاني: ولعلّ من أبرز الروافد التي انصبت في أبعاد النجف حضارياً وقبل الإسلام الرافد المسيحي ويظهر من المأثورات أنّه يبتدىء من عهد جذره الأول وهو المسيح عليه السلام وأمّه العذراء، فقد ورد عند تفسير قوله تعالى عن عيسى وأمه مريم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾[٣] عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «الربوة نجف الكوفة والمعين الفرات»[٤]. ومعنى ذلك أن

---

(١) يراجع فتوح البلدان للبلاذري، مادة طيرناباذ. ومجلة لغة العرب لانتاس الكرملي.
(٢) البلدان لابن واضح، ص: ٧٣، طبع النجف.
(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.
(٤) كامل الزيارات، الباب الثالث عشر، والتهذيب للشيخ الطوسي بتوسط موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي، ج١/ ص: ٧٥ قسم النجف الأشرف، طبعة بيروت ١٩٨٧م. ويراجع كنز العمال، ج١/ ص: ٢٥٨ بتوسط فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٣/ ص: ٩٧، طبعة بيروت - الأعلمي.

الإيواء - وهو الإقامة - هناك ثابت ولو لمدة قليلة، ويؤيد هذا المعنى ما رواه المجلسي في بحار الأنوار[1] عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الغري هو قطعة من الجبل الذي كلّم الله عليه موسى تكليماً وقدس عليه عيسى تقديساً واتخذ عليه إبراهيم خليلاً. . . إلى آخر الرواية»، ومن هنا كانت المنطقة بعد ذلك تكاد تكون في أغلب سكانها مسيحية حيث تستوعب المثلث المعروف «الحيرة، النجف والكوفة». يقول محمّد حسنين هيكل في كتابه حياة محمّد صلى الله عليه وآله: «إن التماسك في كيان الإمبراطورية الرومانية من الشام وفلسطين إلى شواطىء الفرات ليدين به أهل الحيرة ويؤمن به اللخميون والمناذرة»[2].

وبناءً على ما نص عليه في تفسير الآية المذكورة يقتضي العكس حيث بدأت من منطقة النجف وانتشرت إلى الشام فإن المنطقة كانت متصلة بقرى عامرة من الحيرة حتى الشام، كما نصّ على ذلك المسعودي في مروج الذهب في فصل فتح الحيرة ومجاورة سعد بن أبي وقاص مع عبد المسيح بن بقيلة، ويؤيد ذلك وجود الأكراح وهي بيوت رجال الدين المسيحيين في النجف، وإلى جانبها أديرة للمسيحيين وكنائس وأشهرها دير مار عبدا، ودير حنة، وفي هذه الأكراح عيون وينابيع وآبار محفورة وهي مميزة بالجمال والنضارة تنبت الشيح والرياحين وفيها يقول بكر بن خارجة:

دع البساتين من آس وتفاح ... واقصد إلى الشيح من ذات الأُكيراح
إلى الدساكر فالدير المقابلها ... لدى الأكيراح أو دير ابن وضاح
منازل لم أزل حباً ألازمها ... لزوم غاد إلى اللذات روّاح[3]

(١) البحار، ج٢٢/ص: ٤٣، طبعة بيروت، عند ذكر النجف.
(٢) حياة محمّد صلى الله عليه وآله، ص:٣٠، طبعة مصر ١٣٥٤هـ.
(٣) الأغاني، ج٧/ ص: ١٠٧، طبع دار الكتب المصرية.

والحقيقة أن حديث الأكراح والأديرة والكنائس والتلال التي كانت للمسيحيين على ظهر النجف مطول وواسع يدل على كثافة السكان المسيحيين هناك وغلبتهم على المنطقة، كما يعكس أنماطاً من ممارستهم وسلوكهم ويعطي صورة كاملة عن ملامح حياتهم ويمكن مراجعة الديارات للشابستي، وآثار البلاد للقزويني، ومعجم البلدان للحموي والآثار الباقية للسيروني وغيرها.

وبالجملة فإن المنطقة كان يغلب عليها الطابع المسيحي بما له من آثار وإلى جانبه روافد أخرى في طليعتها الفرس والسريانيون والبابليون والعرب وأجناس أخرى نصت عليها كتب التاريخ والجغرافيا وعدت من تلك الشرائح اليونانيين والقساطرة(١).

ثالثاً: وطَأت هذه الشرائح بما لها من سمات حضارية أرضية صالحة للفكر الإسلامي حيث كانت الشرائح السكانية مؤهلة فكرياً للإستفادة من عطاء الإسلام واجتمع لهذه المنطقة المناخ الثقافي الرائع مع المناخ الجغرافي الممتاز حيث كانت تسمى هذه المنطقة بخد العذراء لنقائها، وكانوا يعتبرونها مصحة يهربون إليها أيام الطاعون لصفاء هوائها وطيب مناخها وفي ذلك يقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي:

يا راكبَ العيس لا تعجل بنا وقفِ   نحيّ داراً لسعدى ثم ننصرفِ
ما إن رأى الناس في سهل ولا جبل   أصفى هواءً ولا أعذى من النجفِ
حفّت ببرّ وبحر من جوانبها   فالبرّ في طرف والبحر في طرفِ
وما يزال نسيمٌ من يمانية   يأتيك منها بريّا روضة أُنفِ
كأنّ تربته مسك يفوح به   أو عنبر دافه العطار في صدفِ(٢)

---

(١) د. جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١.
(٢) الأغاني، ج٩/ ص: ٢٨٥. ومعجم البلدان لياقوت، مادة النجف.

يضاف لذلك هذا التنوع في الشرائح السكانية. كل ذلك أهّل المنطقة لأن تكون بيئة علمية متميزة. ولعل من العوامل التي حملت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على نقل العاصمة إلى الكوفة هذا العامل، فإن مدرسة الإمام العلمية تحتاج إلى وسط يستوعب معطياتها فما كاد يحل هناك حتى بدأ التفاعل بين مدرسته والموروث في المنطقة فكان من ذلك مزيج رائع تجسد في تلاميذه واستمرت الحركة في تفاوت من حيث القوة والضعف حتى القرن الرابع وهجرة الشيخ الطوسي إلى النجف في القرن الخامس الهجري.

رابعاً: كانت هجرة الشيخ الطوسي من بعد حدوث الفتنة في بغداد وأحرق فيه كرسيه وكتبه ما ألجأه للمجيء إلى النجف، واعتقد أنَّ جملة من تلاميذه تبعوه وأضيف إليهم مَن كان بالمنطقة من الذين انتظموا في دروس الشيخ الطوسي الّذين بلغ عدد التابعين منهم والمجتهدين على قول ثلاثمائة ومن غيرهم جم غفير وكان طلاّب العلم الّذين يدرسون هناك من ذلك اليوم حتّى وقتنا الحاضر من جنسيات مختلفة وحضارات متنوعة تمازجت فانتجت خلاصة رائعة من الفكر والعمق والوسط الفاضل في مختلف أبعاد العلوم.

موقع النجف:

ولعل النجف وموقعها على حافة الجزيرة العربية وتفاعلها المستمر مع العلوم العربية لغة وفقهاً وأدباً وتفسيراً ميّز الوسط العلمي الذي ينهل منها بتظلع ليس بالقليل في هذه المبادىء المذكورة بالإضافة إلى المادتين الأساسيتين - الفقه والأصول - وما يعتبر مقدمة لهما من بلاغة ومنطق وما هو مهم من حكمة وفلسفة. لقد تنوعت جداول المعرفة هنا وتطارحت الأفكار وكدت القرائح وكدحت حتى كوّنت مزاجاً اجتهادياً تفتقر إليه جملة من مدارسنا العلمية مع فضلها ومكانتها العلمية ولكن هذه الإنتمائية للنجف والظفر بالإنتساب إليها هي صفة يحرص عليها فقهاؤنا كما هو معلوم.

خامساً: والعامل الأول في كل ما بالنجف من مزايا وما لها من مكانة هو أنّها مثوى المعلم الثاني إمام المتقين وباب مدينة علم النبي أمير المؤمنين عليه السلام فقد غرس حقل المعرفة بالمنطقة ثم تعاده ونماه طيلة حياته الكريمة وتعاهدته بعد ذلك قدسيته وبركاته التي لها أثر واضح على ذهنية وسلوك الوسط الديني الّذي يعيش بالنجف بل ومزاجه وذوقه حتى أصبحت سمة تعرّف المنتمي لهذه المنطقة وقد أشرت لذلك في قصيدة لي بوصفها فقلت:

وديار إن اختفي عرّفتني مثلما عرّف الجواد الصهيل

وقدر لهذا المثوى المقدس أن يكون في واد مقدس قال المفسرون إنه هو المعني بقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾[1]، كما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وإلى ذلك يشير عبد الباقي العمري بقوله:

إذا نحن زرناها وجدنا نسيمها يفوح لنا كالعنبر المتنفس
ونمشي حفاتاً في ثراها تقدساً نرى أننا نمشي بواد مقدس

ومن هنا كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يرشدون إلى السكنى بهذه المنطقة، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام سادس أئمة أهل البيت لبعض أصحابه الذي قال له لقد ضربت على جميع ما عندي فجعلته ورقاً - أي ذهباً وفضة - وقلت أسكن في المكان الفلاني وأخذ يعدّد الأمكنة، فقال له عليه السلام: «لا تفعل ولكن عليك بالكوفة فإن البركة منها على إثني عشر ميلاً من جوانبها الأربعة وإنّ إلى جانبها قبر ما زاره مهموم إلاّ وفرج الله همّه»[2]. وورد أنّها من البقاع التي ضجّت إلى الله فهيأها لمن يعبده عليها ببركة هذا المرقد الطاهر. ومن أجل ذلك كلّه كانت مهوى القلوب والأفئدة، فقد كتب النراقي صاحب جامع السعادات وغيره إلى معاصره المهدي بحر العلوم قدس سرّه:

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢.

(٢) ابن طاوس: فرحة الغري.

ألا قل لسكان أرض الغري　　لقد فزتمُ بجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء أو　　فنحن عطاشى وأنتم ورود

فأجابه السيّد بحر العلوم:

ألا قل لمولًى يرى من بعيد　　ديار الحبيب بعين الشهود
لك الله من غائب حاضر　　على حاضر غائب بالصدودِ
لنحن على القرب نشكو الظما　　وفزتم على بعدكم بالورود(١)

وفي الوقت الذي هي فيه مهوى الأفئدة في الحياة فهي مهوى الأرواح بعد الممات وذلك لما ورد في فضل واديها وادي السلام: «ما من مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلاّ ويقال لروحه الحقي بوادي السلام» وفي ذلك يقول الرواة اشترى أمير المؤمنين عليه السلام ما بين الخورنق إلى الحيرة وإلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم، فقيل له يا أمير المؤمنين تشتري هذا بهذا المال وليس ينبت خطاً؟! فقال: «سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول كوفان يرد أولها على آخرها يمشي على ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب»(٢).

وقد أعربت عن نزعة الشوق إلى أن تكون النجف المثوى الأخير في جملة من قصائد نظمتها في النجف ومن ذلك:

رمال الغريين يالوحة　　تشد الخيال إلى الأروعِ
إذا مر طيفك رق الخضيل　　وأوحى إلى الذهن أن يربعي
يضمخني بالشذا والسنا　　ويحملني لمدًى أرفعِ

---

(١) السيّد جعفر بحر العلوم: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، قسم النجف، طبعة النجف.

(٢) فرحة الغري، ص: ٢٠، طبعة النجف.

فأسرح بالأفق بين النجوم وأرحل بالأسرع الأسرعِ
وأهبط حيث مسحت الثرى بخدي في الوضع والموضعِ
وحيث أتوق إذا ما رحلت بأن يك في عفره مضجعي
فثم خزين من الذكريات لو الرمل يذكرها أو يعي
هناك المنى والهوى والشباب ومهد أصولي والأفرع
فيا دار ليلى حنين إلى رباك يترجم بالأدمعِ[1]



(١) من دواويني المخطوطة.

وادي النجف

لقد لعب هذا الوادي - وادي السلام - دوراً هاماً في مكانة النجف موضوعياً وذاتياً، فمن حيث الذات يعيش في نفوس المؤمنين أمنية غالية أن يكون هو المثوى لها لما له من مكانة رسمتها الروايات ولله في خلقه شؤون، فهو تبارك وتعالى له اختيارات في البقاع والأشخاص وفي الأوقات كما هو مدون في التراث الإسلامي ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[١]. وأما من حيث الموضوعية فقد ضم هذا الوادي رفات مجموعة كبيرة من الملوك والوزراء والعظماء من مختلف بقاع الدنيا وكنموذج من هؤلاء عضد الدولة البويهي الذي أوصى أن يدفن في النجف عند الإمام علي عليه السلام، فدفن في الجانب الشمالي من الصحن بين القبر الشريف ومدخل الصحن المعروف بباب الطوسي وأمر أن تكتب على قبره هذه العبارة «هذا قبر عضد الدولة وركن الملّة أبي شجاع، أحب مجاورة هذا الإمام الطاهر لطمعه بالخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها»[٢].

وقد حفل أدب الوادي وهو الأدب الذي تناول وادي السلام من مختلف أبعاده ويشكل كمّاً ليس بالقليل ويحوي صوراً غاية في الروعة لما فيها من عظات وعبر وحبذا لو افرد له مؤلف خاص فإنّه سيملأ زاوية كبيرة في الأدب الإسلامي، فيما حفل به بذكر هذا الجانب وهو كون وادي السلام يضم شرائح متنوعة، وفي ذلك يقول الشيخ علي الشرقي:

وكم كومة للترب من بعد كومة معلّمة هذا الزعيم وذا الهادي

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٤.

(٢) السيد جعفر بحر العلوم: تحفة العالم في شرح خطبة العالم.

فذو الزهو خلّى الزهو عنه وقد مضى وظلّت على الغبرا سيادة أسياد

ولي في ذلك قصيدة:

فيا أيها الوادي الّذي برماله ينام غمار مهمل وقياصر

تكور فيه كل جيل بحفرة فلخصت الأجيال تلك الحفائر

بها يستوي مَن مات من عهد آدم ومَن مات من أمس فكل دوائر

ركائب أجيال تيممن ماجداً يؤمل جدواه مقيم وزائر

وأنت ترى فيما مر من هذه اللمحات العابرة كيف جمعت هذه المدينة من الفضائل ما يكفي أحدها لرفع المكانة، فهي في البعد التاريخي خلفية حضارية ضخمة تتجذر في أعماق التاريخ وتضيء فيها أرقام لامعة من العظماء ويكفيها علي ابن أبي طالب عليه السلام فهو أمّة في فرد وهو عطاء يظللها بمجد لا حدود له. وهي في البعد العلمي المدرسة الغنية بالعطاء والمتميزة بالعمق والمستوعبة لأبعاد المعرفة، وهي في أبعاد القداسة مأوى أرواح المؤمنين وساحة حشرهم يوم يحشرون، وهي في بعد التراث حصن اللغة العربية وخميلها العامر بإضمامات الأدب المشرق والفكر الناضج والتطلع الصاعد، وهي وهي الخ... وهي بعد ذلك كله جزء من الوطن الغالي الذي نضم عليه جوانحنا، ونتمنى له أن لا يتدنى أصيله عن مجده المشرق ولا يخبو وهجه بالمشاعر ولا تنال من مجده عوادي الأيام ولا يصبح مجرد ذكرى في وعينا بل وجهاً نغاديه ونراوحه وحمية في نفوسنا وألقاً في عيوننا.



إلى بلادي الحبيبة

وإليك يا بلادي، يا رملاً درجنا على غفره أطفالاً ونشقنا فيه رائحة الأم الرؤوم، ويا أفقاً شفّ حتى مازج الأرواح ولمعت فيه طيوف الحضارة في تألق أخّاذ، ويا معهداً أغنى موائد المعرفة بعطاء جزيل ورفد المسيرة الإسلامية بما يسدد الخطى، يا روح علي عليه السلام ومزاج آل محمّد وهدى السائرين على دربهم، يا فقه القرآن وآثار عدل القرآن، يا ومظات القرائح التي تخلب الألباب بأمواجها الزاهية، يا كل هذا إليك على البعد:

فداء رمالك لا تقطعي حديثك للعين والمسمع
صليني به بالمسا والصباح وفي يقظاتي وفي مهجعي
فإنّي بإيقاعه والرؤى أهوّم في عالم ممتع
وهل تيم القلب مثل الديار هوى يوقظ الجمر بالأضلع
فلو عشت أشرب من نبعه بألف فم فيّ لم أشبع



تاريخ المدارس الدينية(١)

المناسبة:

كان لقاءً جميلاً وعناقاً موفقاً يصادف افتتاح مركز من مراكز الفكر والثقافة مع بعث باعث الفكر من رقدته ورائد العلم الذي كانت بعثته إيذاناً بموالد دنيا جديدة تحفل بالعلم والمعرفة وتحرر الذهن من قيود الخرافة والأسطورة وتطلق أعنة الفكر ليجوب آفاق المعرفة مستكنها الخفايا ومتطلعاً إلى الأفضل والأرقى من مراتب الكمال فكان ميلاد مدرسة علمية يقارن بعثة مدرس الكون الأكبر فالتقى نبع بخميله ورف حقل لاشراقه واهتز ندى لنعمه والصلة بين رسالة محمد ﷺ والعلم صلة الذات بمقومها فما جاء إلا بالعلم وللعلم وما كان إلا معلماً على حد تعبيره ﷺ حيث قال ﷺ وإنما بعثت لأكون معلماً وحيث كان جوهر رسالته ﷺ علماً وتعليماً كان من الطبيعي أن يهيئ لطلاب العلم مكاناً يتلقون فيه علومهم وقد وجد المسلمون ذلك في المسجد بادىء ذي بدء حيث يتوفر الغذاء للروح والعقل. فكانت صلاة تسمو بالروح وكان علم يسمو بالعقل ويتحدان معا لتهذيب المشاعر وتطهير الوجدان وهما بعد من جنس واحد في مصدرهما فكل منهما عبادة في أصله فالعلم فريضة والصلاة فريضة وإذا كانا متحدين في المصدر فهما سائران إلى هدف موحد في نتائجهما فهما واسطة لرفع مستوى الخلق ووسيلة لتهذيب سلوك الإنسان الذي ما كرم ولا ميز على المخلوقات إلا بالعلم والعقل. منذ اتخذ المسلمون المساجد دوراً للعلم بدأت المساجد تلعب أدواراً هامة في تاريخ الثقافة العربية

---

(١) ألقيت في الإحتفال الذي أقيم في مدرسة جامعة النجف بمناسبة افتتاحها.
مجلة النجف العدد الرابع ١٩٦٨.

والإسلامية فكانت منبعاً ثرا ومقلعاً غنياً بالعطاء فكانت تمد الحركات العلمية في كل دور بالأساطين من قادة الفكر وحملة الثقافة ممن قام بخدمة العلم في مختلف مجالاته وبترصين قواعد الثقافة الإسلامية فما أنتجوا من مؤلفات هي كنوز في واقعها كانت وما زالت وستضل مناراً وهدًى وخلقاً وكرامة. وكانت الدراسة في المساجد تدور حول القرآن وعلومه والحديث وتوابعه والأدب ومشتقاته ومن هنا سمي المسجد عندهم بالمدرس والمدارس وهما الموضعان اللذان يدرس فيها القرآن فالحركة العلمية واكبت المساجد منذ تأسيسها فبدأت من مسجد النبي ﷺ حيث كان كالخلية يموج بالمتعلمين وقد وجه ﷺ جماعة من الصحابة يعلمون الناس القراءة والكتابة ومنهم عباد بن الصامت (ممن كان يعلم) ومن يتقن القراءة والكتابة يعلم الفرائض والسنن من قبله ﷺ أحياناً ومن قبل غيره ومنهم من يتعدى ذلك إلى تعلم تفسير القرآن وبعضهم يتعلم السبق والرماية وآخرون يتعلمون الشعر والأنساب وأيام العرب. وامتدت الحركة العلمية إلى مساجد الحواضر الإسلامية حتى قال غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب: (كانت مساجد المسلمين موئلاً للتعليم وتعد المساجد الكبيرة من الجامعات التي لا تقل أحياناً عن جامعات أوروبا أهمية). فكان مسجد الكوفة جامعة من الجامعات فهناك حلقات تدرس العربية وهنا حلقات تدرس التفسير وأخرى الفقه وأخرى الأدب وأخرى تستمع مساجلة للكميت وحماد الرواية وهكذا حتى قال الوشى: دخلت مسجد الكوفة فرأيت أربعة آلاف شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد. وكان مسجد البصرة مركز حركة علمية كبيرة وفيه نشأت المباحث الكلامية وفيه اعتزل واصل بن العطاء حلقة الحسن البصري فنشأت فرقة المعتزلة، وهكذا قل في مساجد بغداد كمسجد ابن المبارك ومسجد المنصور وجامع عمرو بن العاص في الفسطاط وجامع ابن طولون. وأما الأزهر الشريف فهو درة العلم في تاريخ مصر. أما جامع قرطبة فكان كما يقول فيليب حتي: كان جامعة من الجامعات العالمية في عهد

الحكم الثاني، ومساجد النجف والموصل، ولا تزال مساجد النجف المعين الدافق الذي لا ينضب وستضل رصيد الحركة العلمية. ثم كان أن انفصلت المدرسة بمعناها المعروف اليوم عن المسجد ولذلك بواعث وتاريخ. أما البواعث فأهمها أمران:

أولاً: تغيير طريقة التدريس وتنوع العلوم وكثرتها وشدة الإقبال عليها مما كان لا بد معه من تهيئة محل خاص للتدريس والراحة والتخصص.

ثانياً: إن الدرس كان يشتمل على جدال ولغط ومقارعة بالحجة فعظموا المسجد أن يكون محلاً للجدل واللغط وقدسوه عما يدور فيما بينهم من مجادلات.

وكيف كان فقد انفصلت أمكنة الدراسة واستقلت بكياناتها. أما تاريخ هذا الإنفصال وتأسيس أول مدرسة بمعناها الفني فهو موضع إختلاف بين المؤرخين حيث يذهب قسم منهم إلى أن المدارس بمعناها المعروف لم تنشأ إلا في نهاية القرن الرابع الهجري.

ويذهب جمهور إلى أنها في القرن الخامس حيث ذكروا أن أول من أنشأ مدرسة بمعناها الحديث هو نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه السلجوقي وذلك في أواسط القرن الخامس للهجرة عندما أنشأ النظامية. وهذا القول لا يكن الركون إليه لأمرين:

١ - لأنه يخالف ما كانت عليه الحركة العلمية في أوائل العصر العباسي من نضج في الأفكار والعلوم ومن نقل الكتب وترجمتها وإنتشار الثقافة مما يبعد معه عدم وجود محلات للتدريس خصوصاً مع إنتشار طريق التدريس الجمعي ووجود بعض العلوم التي كانوا يحاشون المسجد أن تدرس فيه كالمنطق والفلسفة وما شاكلهما.

٢ - والأمر الثاني وجود مصادر كثيرة تذهب إلى أن حركة تأسيس المدارس

كانت أسبق مما ذكر، فمن تلك المصادر ما ذكرته دائرة المعارف البريطانية قسم المأمون.

قالت: إن أول مدرسة أسست في خراسان أسسها المأمون العباسي في نهاية القرن الثاني والمعتقد أنها أسست بإشارة من الإمام الرضا عليه السلام وأعقب ذلك تأسيس مدارس متعددة كانوا يسمونها دور العلم تضم أقساماً داخلية للطلاب ومكتبة لهم وتجري عليهم الرواتب فمن تلك المدارس ما ذكره ياقوت الحموي في معجمه طبع لندن الجزء الثاني ص ٤٢٠ مدرسة القاضي ابن حيان الذي أسسها في الربع الثاني من القرن الرابع ووضع فيها خزانة لمكتبة ومساكن للغرباء الذين يطلبون العلم وأجرى الأرزاق لهم. ومنها ما ذكره آدم متز في كتابه الحضارة الإسلامية الجزء الأول ص ٣١١: إن أبا علي بن سوار الكاتب أحد رجال عضد الدول أنشأ مدرسة في مدينة رامهرمز وأخرى بالبصرة وكان يدرس في الأولى علم الكلام على طريقة المعتزلة وذكر هذين المدرستين ابن النديم في فهرسته طبعة أوروبا ص ١٢٩ والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٤١٣ وذكر ابن الجوزي في المنتظم ص ١٣٥ وشارح رسائل أبي العلاء طبعة مرجليوت ص ٥٢ أن أبا نصر شابور بن اردشير وزير بني بويه بنى مدرسة دار العلم في بغداد بالكرخ ونقل إليها كتباً كثيرة اشتراها وجمعها وكان بها مائة نسخة من القرآن بأيدي أحسن النساخ وعشرة آلاف وأربعمائة مجلة أخرى معظمها بخط أصحابها ورد النظر في أمرها ومراعاتها والإحتياط عليها إلى رجلين من العلويين يعاونهما أحد القضاة.

وذكر شارح ديوان الشريف الرضي طبعة بيروت سنة ١٣٠٧ ص٣: إن الشريف الرضي أسس مدرسة دار العلم في بغداد ومحلاً للطلاب وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه. وهكذا أنشئت في مصر أمثال هذه المدارس العلمية كمدرسة العزيز بالله الخليفة الفاطمي التي أنشئت سنة ٣٧٨ وكانت إلى جانب الجامع الأزهر وأوعز إلى الوزير ابن كلش أن يجري فيها على الطلبة والوراقين في كل شهر ألف

دينار كما ذكر ذلك المقريزي في خططه ونقلها عنه آدم متز في الحضارة الإسلامية. ثم أعقبتها مدرسة الحاكم بأمر الله التي افتتحها سنة ٣٩٥ هـ وقد بقيت هذه الدار دار العلم إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش كما ذكر ذلك المقريزي في خططه طبع بولاق ج١ ص ٤٥٨ ثم مدرسة أبي إسحاق الإسفراييني المتوفى ٤١٨ هـ بنيسابور وسبقتها مدرسة ابن فرك عام ٤٠٦ بنيسابور أيضاً كما ذكر ذلك السبكي في طبقاته ج٣ ص١١١.

وقد اتضح مما مر من هذه المصادر أن حركة تأسيس المدارس أسبق بكثير من التاريخ الذي يدعيه بعضهم عن جمهور المؤرخين. ولا يفوتني أن أشير - مع الإعتزاز - إلى سبق الشيعة لذلك فقد رأينا أن الرواد الأوائل في هذا الحقل هم - من بعد المدرسة التي أسسها المأمون والتي سبق ذكرها - وزراء آل بويه والشريفان الرضي والمرتضى والفاطميون بمصر وغيرهم.

وممن درس في مدرسة الشريف المرتضى في بغداد الشيخ الطوسي قدس سرّه وكان المرتضى يجري عليه في الشهر اثني عشر ديناراً. ولما انتقل الشيخ الطوسي قدس سرّه إلى النجف ابتدأ بها إنشاء المدارس وازدهرت بها الحركة العلمية، وإن أورد مؤرخان أحدهما السيد جعفر بحر العلوم في تحفة العالم أن الحركة العلمية ابتدأت بالإزدهار في النجف الأشرف عندما هاجر الشيخ المفيد إلى النجف ولم يتسع الوقت للتنقيب عن هذه الناحية التي ربما أفرد لها بحثاً في المستقبل القريب إن شاء الله.

وعلى أي فرض من هذين فقد ابتدأ إنشاء المدارس من ذلك اليوم ولكن للأسف إن آثارها عفيت ولم يبق لها من أثر وقد وصفها الرحالة ابن بطوطة في رحلته وما بيد المؤرخين الآن أن أول مدرسة أدركوا آثارها هي مدرسة المقداد السيوري مؤلف كتاب كنز العرفان في أحكام القرآن ومن أجل تلامدة الشهيد الأول وفخر المحققين ابن العلامة.

وآخر لؤلؤة فريدة في هذا العقد - وليست إن شاء الله بالأخيرة - هي هذه المدرسة بل هذه المفخرة التي نحتفل الليلة بإفتتاحها والتي لا يستطيع الوصف أن يجلوها لكم بأكثر من العيان. إن هذا الصرح الشامخ الكبير - أيها السادة - هو وليد النفوس الشامخة الكبيرة النفوس التي عافت المتع الرخيصة وسمت عن الرغائب الموقتة وترفعت عن الشح المقيت: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

إن النفس التي جادت بما ترون قد نظرت بعيداً بعيداً لتتمدد أبعادها في دنيا الخلود ولتعيش على شفة التاريخ أنشودة رائعة تنضم إلى خوالد النغم وتشمخ منارة يتملاها التاريخ فيهتز لها من الأعماق.

فليهنك يا اتفاق هذا التوفيق ولتمتلىء نفسك غبطة ورضى بما منحك الله من رعاية وتسديد وبما ضمت جوانحك من نفس خيرة معطاءة.

وإذا كان دورك هاماً بما وهبت فإن دور العلامة الكلانتر بما بذل من جهود وصبر وخلع من حلة وذوق وصمم من ضبط وإتقان لا يقل أهمية عن ذلك.

إننا إن أشدنا بكما رمزاً للجود والتضحية من أجل الآخرين وفي سبيل الله قائماً نجلوكما أمثولة وقدوة نأمل أن يترسم الآخرون خطاها وينسجوا على منوالها والله نسأل أن يثيبكما ثواب المحسنين ولنردد معاً:

إذا ما بناه شاده العلم والتقىٰ تهدمت الدنيا ولم يتهدم

كلية الفقه



المنبر والخطابه[1]

تابعت على مدى حلقات نشرتها مجلة «النور» الموقرة تساءلت فيها عن مراسم واقعة الطف في مجالس عزاء ومسيرة مواكب وممارسات أخرى، وسر بقاء بعضها ومدى مشروعية البعض الآخر. وقد عنّ لي أن أعقّب بصورة إجمالية على الموضوع لكوني أعيش هذه الأجواء وأتلمس بواعث إحيائها وارتباطها بمشاعرنا عقلاً وعاطفة.

وهنا لا بد من الإشارة لأمور تاريخ المآتم:

١ - لا أريد أن أؤرخ لبداية المآتم الحسينية لكن من المؤكد أنها بدأت بعد قتل الحسين مباشرة على نطاق الأسرة بادىء ذي بدء، خصوصاً إذا كان الفقيد متميزاً ثم على نطاق العشيرة فالمدينة وفي ذلك تذكر لنا مفردات التاريخ أول مأتم أقيم في دار يزيد بالشام أقامته العائلة وشارك فيه الآخرون، ثم عند القبور في مدينة كربلاء لما رجعت السبايا، ولما أتيح لبعض من يعرف الواقعة كعبيد الله بن الحر الجعفي وسليمان بن قبة وقافلة جابر بن عبد الله الأنصاري. ثم في المدينة عند أم سلمة وأم البنين وبيوت الهاشميين كمأتم الإمام زين العابدين الذي يكشف عنه حواره مع أبي حمزة وهكذا... وتتابعت المجالس في العهود التي تلتها عند الإمام الباقر والصادق عليهما السلام وأسهم في إحيائها شعراء على مستوى الكميت بن زيد الأسدي وجعفربن عفان وأبي هارون المكفوف وغيرهم. واستمرت تأخذ بالاتساع أو الضمور تبعاً للظروف حتى انتهت إلى أن تعقد على مستوى الدول كما هي الحال أيام البويهيين في العراق والفاطميين في مصر والإمارات الشيعية كآل حمدان

(١) الخطابة الحسينية عبد الحسن الأمين.

وآل المسيّب وغيرهما، وهذه الوسيلة من وسائل التفاعل مع واقعة الطف كانت وما تزال موضع قبول ومشروعية من الجميع، وفيها خطاب للعقول والعواطف وإحياء مشروع للذكرى تحول مع الأيام إلى حاجة يفتقدها المسلم إذا غابت ويشعر الشيعة بصورة خاصة بأنها جزء من مكوناتهم الوجدانية يحتاجونها ويعملون على إحيائها.

٢ - لو حاولنا التعرف على سر بقاء واقعة الطف مجسدة في شعائرها فلا بد من التأكيد على أن عامل العقيدة يلعب دور الروح في كل تلك المظاهر، فبحكم كون الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسيد شباب أهل الجنة وحامل المبادىء التي تمثل مضمون الدعوة الإسلامية التي قارعت الجاهلية لتأصيل الإيمان بالله والإلتزام بشرائعه وصيانة حقوق الإنسان المادية والمعنوية، كل ذلك أعطى نهضة الحسين عليه السلام بعداً يتجذر في النفوس، أما النهاية الدرامية والمأساوية التي انتهت بها فقد شحنت النفوس بزخم من العواطف والتعاطف سيبقى نبعاً ثراً يمتار منه الخطاب وتستمد منه القرائح ومن هذه النظرة الموجزة يتضح أن عامل العقيدة فجر العواطف وانضمت إليه عوامل أخرى لعبت دورها في هذا الموضوع وكفلت دوام هذه الشعائر واستمرارها.

٣ - من تلك العوامل ما يرتبط بمضمون النهضة نفسها، التي لما تجردت من العوامل الذاتية، وحملت الهم المقدس في ضرورة الدفاع عن العقيدة أخذت صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتعين على كل مسلم القيام به حسب استطاعته، وحسب صورة تجسيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعض مظاهر وشعائر واقعة الطف، مرتبة من مراتب ذلك. وعمل على تأجيج اللهب المقدس الذي يريده الشارع من وراء تكليف المسلمين القيام بهذا الدور.

٤ - لما كانت دوافع الحسين عليه السلام حماية الإنسان وحقوقه كما هو واضح في كثير من النصوص التي وردت عنه، وهو الأمين في ما يقول ويفعل، كقوله: «ألا وإن الدنيا قد أدبرت وتنكر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء،

وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه»، وكقوله «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرمات الله ولم ينكر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يورده مورده. . .الخ»، وكقوله «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً وإنما خرجت لطلب الإصلاح، وأن أسير بسيرة جدي وأبي. .» وهكذا فلما كانت المسألة حمل هموم المضطهدين والمقهورين الذين لا نقدم لهم أمثلة كثيرة في كل عصر، فسيجدون في الحسين عليه السلام شعلة يعشون إليها إذا ادلهمت الدنيا، وذلك سر من أسرارا خلودها.

٥ - إن الحسين عليه السلام مظلوم في أبعاد متعددة: أولها إنه الإمتداد الطبيعي للنبوة والرسالة من حيث التزامه بمبادئها ومضامينها وأهليته مكانة ونسباً ومؤهلاً وخلو غيره من ذلك. ومع ذلك لا يكتفى بالإعراض عنه بل يلاحق ويجتاح هو وأسرته ثم بعد ذلك يأتي التاريخ المزوّر المأجور ليصوره خارجياً، قاتل الخلافة الشرعية وشق عصا المسلمين، وتنعق الأفواه الفاجرة بمثل ذلك في وقاحة وتجاهل للضوابط و القواعد التي تكرس مكانة من الشرعية. ومثل ذلك كله كفيل بدفع النفوس الخيّرة للوقوف بوجه هذا الظلم والإلتفاف حول هذا المظلوم بمختلف ضروب الإلتفاف.

٦ - إن السكوت على ما حدث في واقعة الطف يعطي مع مرور الوقت انطباعاً بأن الإسلام لا يتصدى لتصحيح انحرافات تركتب باسمه، فبعض ما تذرع به الأمويون في قتل الحسين عليه السلام هم وأتباعهم أنه قتل بسيف جده ولا بد لقلم جده من دحض هذه الفرية حتى يتم التأكد بأن الإسلام ليس نصوصاً ميتة مكتوبة في الكتب فقط ولا يجهر بها. إن ضمير العالم المسلم ينتفض عليه إذا سكت على مثل هذه المفارقة، وذلك من بعض ما تقوم شعائر الطف.

٧ - إن كل أمة تمتحن وتسبر غورها للتعرف على ما إذا كانت قد مات فيها العنفوان وإعلان الصرخة بوجه الظلم، وإذا وصلت أي أمة إلى هذا الحد انتشر

الإحباط في أفرادها ونُشِر الخذلان، وتلك فجيعة لا توازيها فجيعة، ولما كانت نهضة الحسين عليه السلام في يقظة الضمير المسلم والتهاب الجمرة المقدسة فكل ما يحيي ذكراه اعتزاز بموقفه وتقييم لحياة الأمة. وقد تناول هذا المعنى أحد شعراء الطف فقال:

صرخت في أمة نامت على فرش من الهوان لتحيي ميت الهمم
وللشهادة أهداف فأكرمها بعث البطولة في بال من الرمم

إن كل ما ذكرناه من أسباب استمرار مراسم الطف وعطائها كان على المستوى العام، أما على مستوى الفرد الشيعي فهذه الأسباب هي:

١ - تجذّر اللوعة في نفوس عشقت الحسين عليه السلام فصاغت ذكراه ملحمة لا تنسى، وإنما تتجدد وكلّما مر المحرم، ولعل إلى ذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إذا هلّ هلال المحرم نشرت الملائكة قميص الحسين مخضباً بالدم فنراه نحن وشيعتنا بالبصيرة لا البصر فنحزن» وقد أخذ هذا المعنى شاعر الطف المرحوم السيد حيدر الحلي بقوله:

أناعي قتلى الطف لا زلت ناعيا تهيج على مر السنين البواكيا
أعد ذكرهم في كربلاء إن ذكرهم طوى جزعا طي السجل فؤاديا

٢ - الإصرار على إحيائها وعدم التخلف عن ذلك، لأنها تحولت إلى خاصة من خواصهم يُعَرفون بها.

٣ - إثبات مفارقة، تحرص كثير من الأقلام على تصويرها بأنها حادث عفوي لم يستهدف مبادىء الإسلام، وقد تلتمس له كبش فداء أحياناً كعُبيد الله بن زياد. كل ذلك حرصاً على نظرة تقليدية دأب عليها تاريخنا في تقديس السلاسل

الحاكمة وحمايتها من وصول النقد إليها.

بعد ذلك نعود إلى فرع آخر من فروع ما أثير حول الموضوع، وهو مادة المنبر التي يتناولها الخطباء سواء أكانت تاريخية أو غيرها، وهنا لا مفر من الإعتراف بأن بعضها مما لا يلتئم والضوابط، بل وأكثر من ذلك. ولكن بدأت تتخلص نسبياً من ذلك وتقلّصت سلبياتها التي كانت غارقة بها، واتجهت نحو الإتزان والعقلانية والتنوع المفيد على مستويات مختلفة.

وأملي كبير مع تنامي الوعي وارتفاع المستوى الذهني عند رواد المجالس، أن يتخلص المنبر، نهائياً، مما لا يتناسب وجلال الذكرى وأهمية المنبر في أداء دوره الرسالي، خصوصاً ونحن نملك كنوزاً فكرية من تراث أهل البيت لا تحتاج أكثر من استجلائها ونفي الشوائب عنها، وإن يكن الطريق لذلك شاقاً ويحتاج إلى آليات، ليس هنا محل استعراضها.

وتبقى المظاهر الأخرى التي يعبر بها عن الحزن لمأساة الطف، ويطلب بها الأجر عند كثير ممن يمارسونها فحديثها طويل، وشؤونها متشابكة وتتداخل في معالجتها مسألة الخوف من ردة الفعل، وعدم تبلور الحكم الثانوي فيها، والنقاش في الحكم الأولي في ما بين أخذ ورد، يضاف لذلك ارتباط هذه الممارسات بتأكيد الذات والتعبير عن الوجود الذي تكاد تنعدم وسائله في وجود الشيعة إلا نادراً، واستغلال كون هذا الموضوع من مفردات الأديان التي تكتسب شيئاً من الحصانة بالإضافة لعوامل أخرى غير خفية على كل متأمل. كل ذلك جعل مسألة معالجة هذا الموضوع بصورة فردية لا تجدي ما لم يكن هناك شيء من الإتفاق بين العلماء على تحديد المسموح من غير المسموح منها إنقاذاً لسمعة شعائرنا وانعكاسات الممارسات التي لا يرضاها الشرع - إن وجدت - على الطائفة التي قد يكون البعض آخر من يفكر بسمعتها. ولا شك أن عامل الزمن سيلعب دوره في تصحيح كثير من الممارسات غير الملائمة.

مع ملاحظة ضرورة التأكيد على ما يحفظ حقوق آل محمد ﷺ ونشر ظلامتهم والإستفادة من مناسباتهم استفادة سليمة تنسجم مع خطوط الإسلام ومستوى الكرامة وتحقيق مواساة آل الرسول عليهم السلام.

وفي ختام هذه الإلمامة القصيرة لا بد من ذكر أمر مهم يعتبر بمثابة الأساس في كل ممارساتنا العقائدية على المستوى التطبيقي بعد النظري، وهو إنشاء مؤسسة دينية مهمتها تعيين وتحديد ومنهجة الأنشطة الدينية كافة على أن تكون هذه المؤسسة مقبولة من مراكز القرار الدينية، تشرف وتحدد نمط الفعاليات في الزيارات سلوكاً ومادة، وفي المجالس، والمواكب وغيرها. وأرجو أن لا يعتبر ذلك أمراً خيالياً فهو مجسد عند كثير من المؤسسات الإسلامية الأخرى، وحتى لو قدر أن أوامر المؤسسة لا تطاع بادىء ذي بدء، فستطاع بعد ذلك مع مرور الزمن والإلتفات إلى أهميتها وجدواها، فإن نشدان الإصلاح أمر يتوق له الناس وتتوجه إليه النفوس وينزع إليه كل غيور على دينه وأمته، وإلا فستبقى أمور ممارستنا لبعض طقوسنا علة ملازمة مزمنة.



وتلخيصاً لكل ما مر نجمله في سطور

١ - يمتد تاريخ المجالس إلى أيام الرسول ﷺ فقد أخبر النبي ﷺ بمصرع ولده الحسين وبكاه جملة من الصحابة.

٢ - أخذت صفة المأتم تتطور من الجانب الفردي إلى الجماعي في المستويات المختلفة.

٣ - تطورت مادتها من مفردات للنوح والحزن إلى مضامين متنوعة دخل فيها علم العقائد والفقه والتاريخ و المعارف الأخرى، ما شكل كماً يشبع نهم المعرفة إلى حد ما، ولو بصورة متوسطة.

٤ - مع مرور الزمن وبالإضافة إلى أسس تكوين الشعائر الحسينية توالدت عوامل أخرى أسهمت في ترسيخ هذه الممارسات كما ذكرنا.

٥ - أفرزت هذه الشعائر على مر الأيام بعض الإضافات التي سببتها عوامل متنوعة، ما لا يلتئم وضوابط العقيدة مع استبعاد أن يكون ذلك مقصوداً في أساسه، وإن عمل البعض على ترسيخه بهدف لا يبدو سليماً.

٦ - لا شك أن في كثير من الشعائر الحسينية السليمة تحقيقاً لبعض أهداف الحسين من نهضته التي كانت من أجل العقيدة والإنسان، فلا بد من حمايتها وعدم إنسحاب النقد إليها والتفرقة بينها وبين ما هو ليس منها.

٧ - إن الحاجة تدعو إلى تنظيم هذه الشعائر مع مفردات الممارسات العقائدية الأخرى تحت إشراف مؤسسة مرجعية تحصرها في دائرة الضوابط الشرعية.

وختاماً إننا نخشع في رحاب أبي الشهداء الذي كانت وما تزال ثورته مناراً للإسلام ونبعاً ينهل منه الثائرون من أجل إقامة الحق ومقارعة الظلم ومنتدى يشبع العقول والعواطف بما يقدم لها من زاد كريم.

مزايا الإمام علي(١)

شخصية الإمام علي:

من الواضح أن محاولة الإلمام بشخصية الإمام علي عليه السلام من كافة جوانبها في كلمة عابرة أو مناسبة قصيرة عمل غير علمي بل غير ممكن بالنظر لما تمتاز به هذه الشخصية من مزايا وصفات تتطلب جهداً كبيراً في الوصول إلى فهمها وتحليلها لأن أمر الكلام في شخصية كهذه ليس مجرد حشد نصوص وأغداق مدح بل هو التماس فهمها فهماً صحيحاً ومواجهتها كما هي مجردة عن الشوائب مع أني أعترف بالصعوبة هنا وكيف لا وبيني وبين ذلك فاصل زمني لا يقل عن أربعة عشر قرناً، وفواصل أخرى من المعايير والمقاييس التي قد تختلف عن مثيلاتها في عصر الإمام في موضوع تقييم الشخصية. هذا بالإضافة إلى أني أعيش في جو غليظ قد لا يتاح لي أن أنفصل عنه وأسمو إلى تلك الروحية الشفافة التي هي من أبرز سمات شخصية الإمام عليه السلام لكنني في محاولة لا أدري مقدار نصيبها من التوفيق سأتوسل إلى فهم جانب واحد من جوانب حياة هذا الكائن العملاق باذلاً جهدي لتصويره في حدود ما لقلمي من قابلية ولكي لا أطيل عليك لأضع يدك على الجانب الذي هو الجانب التربوي في حياته عليه السلام بما لهذا التعبير من مدلول واسع في المجالات الفكرية والعملية والإجتماعية إن هذا الجانب عند الإمام علي عليه السلام هو جزء مما يؤخذ في مفهوم الإمامة لأن الإمام بحكم كونه نائباً عن النبي صلى الله عليه وآله لا بد له أن يصدر عن نفس المفاهيم التي رسمت في صلب رسالة النبي صلى الله عليه وآله ونحن نعلم أن

(١) القيت في البصرة عام ١٩٦٤ ونشرت في كتاب في استشهاد الإمام علي عنوانه مزايا الإمام علي.

الدستور الذي يصدر عن النبي ﷺ هو القرآن الكريم وأهم أهداف القرآن وغاياته هي التربية بمفهومها الشامل - كما هو واضح في آيات الأحكام - لذلك كله فليس من قبيل الصدفة أن يعنى الإمام عليه السلام بالجانب التربوي ولا يفوتني وأنا في صدد تجلية هذا الجانب أن أشير إلى ناحية هامة، وهي أن التربويين فيما يقومون به من عمل تربوي قسمان: قسم يقوم به قياماً آلياً مجرداً عن نزوع وجداني صادق وهدف سامٍ بل هو مجرد أداء عمل روتيني افترض عليه أن يقوم فيه بغض النظر عن الجهة التي تلزمه القيام بهذا العمل، وأنت واجد ذلك عند بعض التربويين الذين يقذفون في وجوه تلاميذهم مواد تربوية تعوزها الحرارة العاطفية والدوافع الصادقة وفي جو لا تجاوب فيه بين المعلم وتلميذه والقسم الثاني على النقيض من ذلك حيث يرى أن التربية عمل إنساني يستهدف بناء العقول والأجسام حتى يتسنى للمجتمع أن يعيش أفراده الذين نالوا تربية صحيحية عيشة يسودها الإنسجام وتبادل السلوك المهذب، وهذا المعنى الثاني هو ما ستلمسه واضحاً في محاولات الإمام عليه السلام التربوية وكان شعور الإمام عليه السلام بهذا الجانب شعوراً قوياً يهدف لأن يكون المنطلق إلى التربية من تربية النفس أولاً ثم منها إلى تربية ذوي العلاقة به ثم منها إلى تربية المجتمع.

فلنتدرج معه في هذا المدرج. قال عليه السلام من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته تأديبه بلسانه ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومودبهم. إنك ترى أنه جعل قاعدة الإنطلاق في التهذيب تبدأ من تهذيب النفس وعن طريق ذلك يكون أثر المؤدب أقوى وأوقع في نفوس من يراه من الناس.

ثم يتجه بعد ذلك إلى ولده عليه السلام فيقول في كتابه لولده الحسن عليه السلام أصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ودع القول فيما لا تعرفه والخطاب فيما لم تكلف الخ ثم إلى أخيه عقيل حيث يصل به إلى مظهر عملي من التربية عندما عجزت المعاني

المجردة عن توجيهه فيدني له الحديدة المحماة فإذا صرعته وقف يلهبه بالتقريع: ثكلتك الثواكل يا عقيل تئن من حديدة أحماها إنسان للعبه وتجرني إلى نار سخرها جبارها لفظية أتئن من الأذى ولا تئن من لظى الخ. ثم يتجه إلى عماله بالتربية وكنموذج لذلك عامله عثمان بن حنيف فيكتب له: ألا لكل مأموم أماماً يقتدي به ويستضيء ينور علمه إلا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه إلى آخر كتابه ومنه نفهم أنه يريد من عماله الحكمة وسيلة لخدمة الأمة وتربيتها وليس غاية تقصد لذاتها وأداة لجباية الأموال والتحكم بالرقاب.



نظرية العمل عند الإمام علي

وهو في ذلك يعكس لعماله نظرية في الحكم حيث إنه عندما دخل عليه عبد الله بن عباس في ذي قار فرآه يخصف نعله وكانت من ليف فرماها إليه وقال يابن عباس كم تساوي هذه فقال نعل بالية لا تساوي شيئاً قال له عليه السلام إن الله يعلم أنها أهم عندي من خلافتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً. ثم يتجه بعد ذلك بالتربية إلى الأمة منتهجاً الأساليب التربوية بكل أقسامها النظرية والعلمية وغيرهما فتارة عن طريق صهوات المنابر وأخرى عن طريق المؤسسات وغالباً تكون المساجد، وحتى السجون التي أسسها على أساس الفكر الجزائية الإصلاحية كانت لا تخلو من مناهج التربية التي يقوم بنفسه بالإشراف عليها ومن ذلك سجن نافع ومحبس الذي يتولى فيها التدريس حتى في الأسواق فطالما شوهد يطوف بالأسواق وعصاه بيده ومن ورائه شرطة الخميس ينادي أيها الناس أوفوا المكاييل والموازين ولا تبخسوا الناس أشياءهم. ومن احتكر فهو ملعون وهكذا بقي شيء واحد هو أن بعض التربويين يرون أن الإنسان مدين بتربيته الصالحة أو الفاسدة للأسرة فإذا أريد إصلاح الفرد فيجب إصلاح الأسرة، والبعض الآخر يرى أن الفرد مدين بتربيته لمعلمه ومدرسته فإذا أُريد إصلاحه فيجب إصلاح المدرسة والبعض الآخر يرى أنه مدين للمحيط ففيه وفي صلاحه وفساده يرتبط الفرد بسلوكه، ولكن الإمام عليه السلام يرى أن الفرد في تربيته مدين لهذه العوامل الثلاثة ولذا نراه يؤكد عليها جميعاً فمن حيث الأسرة يقول إن للولد على والده حقوقاً منها أن يحسن أدبه وتسميته الخ ومن حيث المعلم أو المدرسة يقول إذا كان الآباء هم السبب في الحياة فمعلمو الحكمة والدين هم السبب في جودتها، ومن حيث المحيط نرى تأكيده على إصلاح المجتمع واضحاً في عهده إلى مالك الاشتر وإشارته إلى أهمية صلاح المجتمع وفساده في

صلاح الفرد وفساده. ومما مر تعرف ما للإمام من إلهام كبير في حقل التربية - كما هو في الحقول الأخرى - وعسى أن يكون هذا الموجز قد وفق في تقريب خطوطها العامة ولا أقول تفاصيلها واسعة يضيق بها هذا العرض الموجز.



هل تعثرت سياسة الإمام علي عليه السلام ولماذا؟[١]

أكثر من سؤال يدور في أذهان الكثيرين من الناس ممن عنوا بالمواضيع الإسلامية وبالذات ما يخص موضوع الخلافة منها. وإذا كان البعض قد يعرف عن هذه الأسئلة فإن الكثيرين لم يفعلوا ذلك. سبب ذلك أنها تتعلق بفترة من الزمن وبوضع معين يمس الوجدان الديني عند المسلمين ويتمتع بحصانة وقداسة يرفض معها الفرد المسلم فتح باب للتساؤل عنها وحتى مجرد إخضاعها للتحليل. وإذا كان هذا عند القاعدة الإسلامية في جمهورها فإن قلة منهم وهم الباحثون في أمثال هذه الأمور ندرت عندهم الرؤية الواضحة والمعالجة الموضوعية لأمثال هذه الأمور وذلك ناتج من فروض وضعت في يوم ما ولأمر ما وأصبحت بعد ذلك من المتسالم عليها فأخذت على مرّ الزمان صورة الحقائق المسلمة التي لا مجال لمناقشتها.

يضاف لذلك تحكيم بعض المقاييس الأجنبية عن بيئة الخلافة وخواصها من تحليل تلك الفترة من الزمن بما فيها من أحداث. وفي طليعة ذلك مذاهب المستشرقين ومن ضلع في ركابهم إذا انطلقوا في دراسة التاريخ من مقاييسهم الخاصة ومن وضعيات ناس عايشوهم بغض النظر عما بينهم وبين الأشخاص (مادة الدراسة) من فروق وخصائص وذلك انطلاقاً من كون هؤلاء ناس وأولئك ناس غير آخذين بعين الإعتبار الفروق وأسبابها.

وبالنظر لما عرف به المستشرقون من معاناة وتتبع ولائهم في بيئات متحضرة فقد أصبحت النظرة إلى كل إنتاجهم وتحليلاتهم على أنها حقائق علمية ونظرات صائبة مستندة إلى مناهج صحيحة.

---

(١) نشر في كتاب الإمام علي نظرية عصرية في القاهرة عام ١٩٧٧.

وهناك عامل ثالث يضاف إلى العاملين المذكورين، إنه حرص البعض على أن لا تشوه الصورة الجميلة المشرقة الموجودة في ذهنه عن الصدر الأول فيما إذا أخضع للتحليل وأدى البحث إلى أنهم بشر كسائر البشر تؤثر فيهم المؤثرات المعتادة - وإن كانوا ذوي تربية عالية وإيمان عميق وعلى قرب من النبي ﷺ وعطائه التربوي الضخم.

ذلك لأن جذور الطبع أعمق في كيان الإنسان من التربية، إن التربية تهذب النوازع وتوجهها الوجهة السليمة ولكنها لا تقضي عليها.

إن هذه العوامل وما يمت إليها بصلة لا تزال تحجب عن الرؤية الصحيحة للأحداث وتقييمها بموجب ما ينتهي إليه الباحث من نتائج يجتهد في سلامة مقدماتها.

وبعد ذلك فليس من السهل أن يتجرد أي باحث من مسبقاته وإن زعم التجرد وفي رأيي أن من النجاح الكبير لأي باحث أن يخلص بأكبر قدر مستطاع من عدم التأثر بهذه العوامل.

أخلص من بعد هذا التمهيد إلى القول بأني سأقدم على موضوع يمس أعماق كل مسلم، وأعد القارىء أنني سأبذل جهد إمكاني لأن أعكس تلقياتي من النصوص التاريخية بروح متجردة تصف ما رأت وتعرب عما فهمت بموضوعية في حدود إمكانها وأنا بعد ذلك في طريق لا يسلم عابره غالباً من العثار والله أسأل أن يجنبني ذلك ويهديني سواء السبيل.

نعود الآن إلى الأسئلة التي تدور في أذهان الكثير من الناس وهي تأتي على الترتيب الآتي:

مؤهلات الإمام علي عليه السلام:

١ - هل كان الإمام علي عليه السلام مؤهلاً أكثر من غيره لتولي الخلافة وكيف؟.

٢ - وإذا كان مؤهلا أكثر من غيره فلماذا تم الأمر لغيره. وإذا كان ذلك لا لعدم كفاءة بل لظروف خارجية:

٣ - فلماذا تعثرت سياسته عندما وصل الأمر إليه ولم يستطع تحقيق الإستقرار في المناطق الواقعة تحت حكمه وما هي أسباب الحروب التي تعرض لها؟.

وللإجابة على هذه الأسئلة بالتسلسل الموجود نقول:

فيما يخص الإستفهام الأول: يذهب الشيعة كافة وكثير من غيرهم إلى أن الإمام علياً مؤهل أكثر من عامة الصحابة للخلافة بل يضعونه في المنزلة الثانية بعد النبي ﷺ في كل الكفاءات. ذلك أن الشروط التي يعتبرها علماء الكلام لازمة للخليفة هي صنفان:

الصنف الأول: ما يتميز به الإنسان خارج حدود كسبه وتحصيله وفي هذا الصنف: النسب الكريم وسلامة البدن والشجاعة وسائر صفات الكمال أو المناقب الخارجة عن الإرادة.

والصنف الثاني: ما يقع في قائمة الكسب والتحصيل كالعلم والفصاحة والعدل في السلوك وما شاكل ذلك مما للإنسان يد في تحصيله والتدرب على إتقانه والإرتفاع به.

وقد ثبت بما لا مزيد عليه من الآثار أن سهم الإمام علي من هذين الصنفين من المناقب لا يدانيه أحد من الصحابة. فعلي هاشمي النسب ولا شك أن قريشاً أشرف القبائل وأشرف قريش هم بنو هاشم. وعلي أشجع العرب وما تخلف عن حضور غزوة من غزوات المسلمين في عهد النبي ﷺ إلا في غزوة تبوك إذ خلفه النبي ﷺ ليحمي المدينة وقال له: «أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[(١)] وقال له النبي ﷺ في تقييم ضربة من ضرباته يوم الخندق: (ضربة

(١) راجع أعيان الشيعة ج٣ باب الأحاديث الواردة في فضله.

علي تعدل عبادة الثقلين)[١] وبالجملة فإن وضع شخص من الصحابة إلى جانب الإمام بالشجاعة مكابرة لا سبيل إلى قبولها من أحد والمتتبع لكتب السير والمغازي يعرف ذلك جيداً. أما الفصاحة والبلاغة فقد قيل إن كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين، عدا النبي ﷺ فقد كان أفصح قريش ويكفينا التدليل على ذلك نهج البلاغة وحده.

وهو في بعد نظره وحصافة رأيه موضع استشارة الخلفاء، كانوا يرجعون إليه إذا دجت الخطوب وهو في علمه باب مدينة علم النبي ﷺ الأمين يجلوه لنا عقلية مخططة في الإدارة والسياسة والإجتماع حسبنا في ذلك ما وصل إلينا دون ما حيل بيننا وبينه إذ إننا يجب أن لا ننسى أن ما وصل إلينا من تاريخ هذه الفترات إنما هو من تدوين عهد يعتبر فيه من يذكر أهل البيت بخير خارجاً على الحكم أقل ما يقابل به الموت، وأقلام كانت تتقرب إلى الحكم بشتمه وثلبه وبالوضع والتلفيق لخلق مثالب له يدعمها السيف ويردها المال ويدفعها الطمع والخسة وخلو الضمير من النبل - اللّهم إلا أفراد قلائل يفيئون إلى دين ومروءة حفظوا لنا على تكتم شديد شيئاً من أخباره الصحيحة ظهرت بعد ذلك - وما تزال معظم الأقلام إلى يومنا هذا تجتر ما كتبته الأيدي الملوثة أيام المحنة وتتحول إلى صدى تافه عندما تمر بسيرة هذا الرجل وتتخلى عن أبسط مقومات الأحكام الصحيحة وعلى الإجمال إن الإمام في ميزاته حالة جمعت من ضروب الكمالات ما تميزت به عن معاصر لها وليس صدفة أن تنحرف جماعة كبيرة وتضل حتى تلحقه بمصاف الآلهة - أعاذنا الله من سوء العقيدة - وإنما كان ذلك لأن الرجل كان نموذجاً مثالياً بكل صفات الكمال[٢].

---

(١) راجع أعيان الشيعة ج٣ باب الأحاديث الواردة في فضله.

(٢) راجع شرح نهج البلاغة ج١ المقدمة عبد الحميد المعتزلي.

إن كل ما ذكرناه ليس وضعاً لجدال - إذا استثنينا ما أسموه تعثراً بالسياسة - حيث لم يستطع ضبط ما تحت يديه من ولايات وفئات مما صور بأنه أخطاء سياسية في حين أنه حالات لا بد من حدوثها عند تطبيق وتجسيد مفاهيم تصادم المفاهيم القائمة في كل مجتمع كما سنجلو ذلك وشأنها شأن كل الحركات التي قامت بوجوه الخلفاء عند محاولة تطبيق مفاهيم الإسلام فقمعت مع اختلاف في طريقة القضاء على تلك الحركات ناتج من هوية المزاج عند كل من الخلفاء وتحديد موقف الشريعة من مثل هذه الحركات حيث يتعين نمط المعالجة. إن فهرست الفضائل الذي قدمته والكاشف عن مضامين ذات الإمام يضعانا أمام نسيج مميز في خواصه كما أسلفت بحيث يرتفع في خواصه الذاتية والخارجية عن مستوى الإعجاب به حتى يصل إلى إستهداء الألباب وسحرها فتنفعل النفوس إزاءه بردود فعل مختلفة يتقابل طرفاها بين العبادة والبغض ويظل الوسط يضعه في مكان التفوق بين معاصريه ويرسمه عبقرية ليس بالمعتاد حصولها دائماً وإنما تجيء فلتة. وللعيون بعد ذلك العذر إذا انحسرت أمام ضوء باهر. وإلى هنا ينبغي أن يكون من الطبيعي والعادي أن يأخذ الإمام مكانه من التقديم في موضعه الطبيعي في قيادة المجتمع.

ولكن متى وبأي نسبة من الموضوعية سارت الحقيقة سيرها الطبيعي ولم تتلكأ بها الظروف أو تنحرف بها دنيا الناس الذين تعمل في نفوسهم مختلف النوازع حيث تنحرف بهم عن الموضوعية لتلبية مطالب النفس من مصلحة أو تشفٍ أو حسد.

وهكذا كان الموقف بالنسبة إلى معظم المواقف بالحياة ومن هذا المنطلق نجد الموقف بعد وفاة الرسول ﷺ أزاء الإمام علي لم يكن إيجابياً. وتتوزع بواعث هذا الموقف على خط بياني تأخذ فيه الفئات نسباً من السلبية على قائمة من العوامل تأخذ منها كل فئة قسماً وسأستعرض لك أهم هذه العوامل في تسلسل طولي من حيث الأهمية كما أراه.

سبب العداء للإمام

١ - الحسد وهو فيما أرى أبرز العوامل التي دفعت إلى تكوين موقف سلبي من الإمام. إن التساوي في الأمور بين الناس عامل أُلفة وإتفاق أما أن يكون أحد أقل منك فهو موضع عطفك في مقياس الإستجابة الطبيعية السليمة. وإذا كان أرقى منك فهو موضع الحسد ولا ريب والإمام موهوب وكل موهوب محسود، موهوب ابتداء من الشكل وانتهاء إلى أروع فرض في المضمون ولست أرى صيغة مختصرة تصوره أفضل من قول ابن حبوس.

سل عنه واسمع به وانظر إليه تجد ملء المسامع والأنواه والمقل

وهو بعد ذلك كله حب النبي ﷺ وزوج ابنته وأبو ولديه حسن وحسين وليس من السهل على النفوس أن ترتاح لمثله وفي الناس نفوس تتوق إلى إثبات ذواتها والأخذ بنصيبها من المكانة خصوصاً إذا كان ميدان التنافس واحداً. إن هذا لا سبيل إلى إنكاره ما دام من خواص النفوس حب التفرد بالكمال مهما كانت منزلتها من التهذيب والإيمان. إن الإنسان لا يجد ذاته إلا مقابل من هو دونه أما إذا قابل قمة فسوق تندك ذاته بازائها ورحم الله الإمام أحمد بن حنبل فقد سئل فقيل له ما بال الصحابة كلهم كأنهم أخوة لأب وأم وعلي بينهم كأنه ابن علة - أي ابن ضرة - فقال: لأن علياً بزهم شرفا وفاقهم علماً وسبقهم إسلاماً فمالوا عنه والجنس لجنسه أميل وقد نقلت هذه الكلمة عنه بالمضون[١].

٢ - الحقد: إن كل متتبع للتاريخ الإسلامي يعلم جيداً ما للإمام علي عليه السلام من نكاية في قريش أو غير قريش ممن حاربهم الرسول ﷺ في حروبه ومغازيه

(١) راجع أعيان الشيعة ج ٣ للسيد محسن الأمين باب مناقبه.

فإن جل هؤلاء قد قتلوا بسيف علي بن أبي طالب وقد ذكر المؤرخون[1] أن عدد القتلى في واقعة بدر سبعون قتل نصف منهم بسيوف الصحابة ومن أعانهم والنصف الثاني قتل بسيف علي بن أبي طالب. إن علياً عليه السلام كان في كل الحروب السيف الأول الذي وتر القريب والبعيد حتى أننا يندر أن نجد بيتاً في قريش لا يطلب علياً بدم، والمهاجرون قوم من قريش والإنسان مجبول على الحقد على قاتله سواء أكان ذلك القتل بحق أم باطل. إن النبي صلى الله عليه وآله نفسه يقول لوحشي قاتل عمه حمزه لما أسلم وأراد الإنصراف فقال له النبي صلى الله عليه وآله غيب وجهك عني فإني لا أستطيع النظر إلى قاتل حمزه. أفترى والأمر كذلك أن من السهل أن ينظر الناس إلى الإمام نظرة طبيعية أو أن تهش نفوسهم له وفيها ما فيها من المرارة والحقد، كلا وألف كلا. وقد راعى مقدار تأثير هذا العامل معظم من بحث سيرة الإمام قديماً وحديثاً[2] ولك بعد ذلك أن تتصور مقدار ما يتركه هذا الجانب من سلبية في موقف الناس إزاء الإمام.

٣ - كون الإمام عليه السلام بديلاً للنبي صلى الله عليه وآله في تعلق المسؤولية الجنائية به في نظر العرب. وتفصيل ذلك أن العرب ما كانوا ينظرون إلى ما أحرزه الإسلام من نصر وانتشار بأن ذلك نصر للإسلام وأن الإسلام هو الذي أخضعهم وفتح بلدانهم وجاء لهدايتهم ورقيهم. وإنما كانوا يرون في محمد شخصاً انتزع السيادة واستولى على ديارهم وقتل أهلهم. ومن هنا نص المؤرخون على أن النبي صلى الله عليه وآله لما فتح مكة وتوجهت جيوش المسلمين للدخول إليها. كان العباس بن عبد المطلب عم النبي قد جلب أبا سفيان وأردفه خلفه ليسلم فلما أسلم أمر النبي عمه العباس أن يوقف أبا سفيان في مضيق الوادي حتى تمر عليه كتائب المسلمين ففعل العباس

---

(١) شرح نهج البلاغة في ذكر واقعة بدر.

(٢) أنظر دراسات في الحضارة الإسلامية لأحمد شلبي قسم السياسة.

وأوقفه وجعلت تمر عليه الكتائب وهو يسأل العباس عنها والعباس يجيبه ويعرف له القبائل المنضوية تحت لواء كل كتيبة فصاح أبو سفيان لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال له العباس ويحك إنها النبوة لا الملك[١]. إن هذا النمط من التفكير الذي عند أبي سفيان كان سائداً عند قريش وعند العرب وإن محمداً قد قتلهم وقويت شوكته ولم يستطيعوا الإنتصاف منه ونحن نعلم مدى عمق نزعة الأخذ بالثأر عند العرب. ولما كانوا لا يقصرون المسؤولية الجنائية على شخص الجاني بل يعممونها إلى أسرته ومنها إلى عشيرته فانتقلوا بتطلعاتهم لأخذ الثأر إلى أهل بيته الأقربين وهم علي وبنوه فكانوا يرون فيهم البديل الذي يتحمل تبعات محمد ﷺ وكانوا يرون علياً بالذات المسؤول الأول عن ذلك نظراً لمشاطرته الفعالة للنبي ﷺ في الحروب وفي هذا المعنى يؤثر للإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قوله:

لما مات النبي ﷺ بات أهل بيته كأن لا سماء تظلهم ولا أرض تقلهم لأنه وتر الأقرب والأبعد[٢].

وقد لعب هذا العامل دوراً هاماً في إبعاد الناس عن الإمام وخلف أجواء ملائمة لغيره من الصحابة أدت إلى تذليل العقبات أمام وصولهم للخلافة. وساهمت من بعيد أو قريب في دفع الخلافة عن الإمام علي امتداد أدوار الخلفاء الثلاثة وكانت هي من أبرز الدوافع وراء أثواب مختلفة من الإدعاء.

٤ - إن الصحابة كانوا يرون أن الخلافة إذا انتهت إلى علي فمعنى ذلك أنها ستظل حكراً على هذا البيت وفي ذلك استئثار بالأمر دون قريش خصوصاً وأنهم ما كانوا يرون أن هناك نصوصاً على جعل الخلافة لعلي فيما اعتبره البعض نصوصاً

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد - عبد الحميد المعتزلي - باب فتح مكة.
(٢) البحار للمجلسي ج ٦ باب وفاة النبي ﷺ.

ملزمة كواقعة غدير خم وحديث المنزلة وحديث أنت خليفتي من بعدي الذي يفيد المباشرة[١] وغير ذلك أنهم لم يروا في كل ذلك إلزاماً بل اعتبرها أكثرهم مجرد مؤشرات لفضل الإمام وأغرب من ذلك أن يدعي البعض أن حديث الغدير لم يرد في غير كتب الشيعة[٢] في حين رواه مئات من المؤرخين والمحدثين الموثوقين من أهل السنة[٣] ومن المنطق أن لا يورط بعض الناس أنفسهم في أمثال هذه الدعاوى إذا لم يكونوا على إلمام بالتاريخ، أعود فأقول إن الصحابة من قريش أو بعضهم حكموا أساليبهم في الأمر ولم يروا في هذه النصوص أدلة ناهضة في جعل الخلافة للإمام ولذلك رأوا أنها إذا دخلت إلى بيت النبي ﷺ فمن الصعب أن تخرج منه لما لهذا البيت من مكانة في نفوس المسلمين وقد رأينا كيف استقرت الخلافة عند العباسيين ستة قرون تقريباً بالنظر لكونهم أبناء عم الرسول فما ظنك فيما لو كانت عند أولاده.

ولنستمع إلى محاورة طريفة يرويها المؤرخون وقعت بين الخليفة الثاني وعبد الله بن عباس، فقد كان الخليفة عمر يوماً جالساً وحوله جماعة من الصحابة يتذاكرون في الشعر والشعراء ومن هو أشعر الناس آنذاك إذ أقبل ابن عباس فلما رآه الخليفة قال: جاءكم ابن بجدتها فأقبل وجلس فسأله الخليفة وقال يا بن عباس من أشعر الناس فقال أشعرهم من يقول:

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من أحد ... قوم بأحسابهم أو مجدهم قعدوا
جن إذا فزعوا إنس إذا أمنوا ... مرزؤون بهاليل إذا قصدوا

(١) محمد حسنين هيكل حياة محمد.
(٢) دراسات في الحضارة الإسلامية أحمد شلبي.
(٣) الغدير ج١، ٢.

فقال له الخليفة إذاً فأنت تعتبر النابغة الذبياني أشعر الناس - لأن الأبيات له - قال نعم فأطرق الخليفة ثم رفع رأسه وقال ما أرى هذا المدح يليق لأحد إلا لبني هاشم، فقال له ابن عباس جزيت خيراً يا أمير المؤمنين. فأطرق الخليفة ثانياً ثم رفع رأسه وقال أتعلم ما منع قومكم من أعطائم الخلافة، فقال لا، فقال إن قريشاً كرهت أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجفخوا على الناس جفخا وتنفخوا عليها نفخا فاختارت قريش لأنفسها فوفقت وأصابت، فقال أتميط غضبك عني يا أمير المؤمنين فقال بلى فقال أما قولك كره قومكم فلو كان كل أمر تكرهه قريش يجب أن لا يقع فإن النبوة لا تقع لأن قريشاً كرهت ذلك والله عز وجل يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

وأما قولك تجفخون على الناس فنحن قوم ما فيها جفخ ولا نفخ لأنَّا اتبعنا سيرة النبي والله يقول لنبيه: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وأما قولك إن قريشاً اختارت فإنه ليس لقريش أن تختار إذا كان الله قد اختار لها فإنه يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وأما قولك إنها وفقت وأصابت، فلا، ثم نفض ثيابه وقام.

٥ - صغر سن الإمام عند وفاة النبي ﷺ: إن صغر سن الإمام وما يترتب عليه من آثار في رأي الذاهبين إلى اعتبار ذلك مثل مخالفته سيرة العرب التقليدية في تولية الأمور لكبار السن ومثل كون صغار السن تكون تجاربهم غير ناضجة وخبرتهم غير عميقة، كل هذا اتخذ منه وسيلة لتبرير الإتجاه بالخلافة لمن هو أكبر سناً وأنفد تجربة وأعمق خبرة، وقد تردد هذا المعنى على ألسنة الكثير ابتداء من الخليفة الثاني حيث قال لابن عباس أظن القوم استصغروا سن صاحبك، قال له ابن عباس إن النبي ﷺ لم يستصغر سنه عندما أمره أن يأخذ سورة براءة ويبلغ بها في

مكة الخ[١] وقد درج بعد ذلك كثير من الباحثين على اعتبار هذا العامل أحد الأسباب التي تراعى عند تولية الخليفة ولما لم تكن متوفرة عند الإمام فغيره أولى حسب ما يقول الذاهبون إلى هذا الشرط.

٦ - مثالية الإمام: لقد كان الإمام حريصاً على أن تأتيه الخلافة تلقائياً لأنه يرى إناطة الخلافة به أمراً طبيعياً للغاية بالنظر لتوفر مقوماتها في شخصه من ناحية ومن ناحية ثانية ما يجب أن يعرفه له الصحابة من هذا الحق هذه المكانة ولو كان يرى أن الأمر يحتاج إلى المماحكة والصراع لأعد له عدته ولانصرف فور ممات النبي ﷺ إلى إعداد المقدمات لذلك خصوصاً وقد جاءه العباس بن عبد المطلب وقال له أمدد يدك حتى أبايعك فيقول الناس عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله فلا يختلف عليك اثنان فصرفه الإمام وأفهمه أنه لا ينبغي أن يقوم فعلاً بأي شيء من ذلك حتى ينتهي من تجهيز النبي ﷺ ودفنه. إنه كما هو مزاجه في معالجة أمثال هذه الأمور ديمقراطياً ما دامت لا تضر بالمسلمين وإن أدت إلى حرمانه من حق يراه له - إن محلي منها محل القطب من الرحى - قد عالجها بأعصاب هادئة وترك الأمور تأخذ مجراها حرصاً على وحدة المسلمين من التصدع. وانصرف إلى القيام بتجهيز النبي ﷺ وحرص على احترام جلال الخطب وهول الصدمة بفقد النبي ﷺ إلى أن ينتهي جو النكبة وليست هذه المدة اليسيرة مما يؤلف خطراً على وضع المسلمين كما أراد البعض أن يصور ذلك ويقول: إن عدم المبادرة بسرعة لموضوع الخلافة تضييع للفرصة وترك لوجه الحزم بل إنه كان يرى في النزاع في تلك الفترة نوعاً من التكالب على الحكم وهو ما يأباه مزاجه ومثاليته. غير أنه فوجئ بعقد مؤتمر السقيفة الذي انتهى بسرعة لعقد الخلافة للخليفة الأول فترك هذا الوضع الإمام بين أمرين أحلاهما مر فإما أن ينازع ويشق وحدة المسلمين كما هو

---

(١) المصدر السابق ج٦.

ديدنه في أمثال هذه الأمور[١] هذه فيما أرى أبرز العوامل التي أدت مجتمعة وبفعل فئات توزعت على أبعادها إلى عدم وصول الإمام للخلافة وقد تكون هناك عوامل أخرى ولكنها لا تلعب دوراً هاماً بل هي ثانوية ولكن لا أبعدها عن التأثير منها قلق المزاج الإرستقراطي في وصول الحكم إلى مزاج ديمقراطي والمزاج الأرستقراطي متمثل في قريش والأمويين خاصة الذين لعبوا دوراً هاماً بصورة مباشرة وغير مباشرة، وعناصر هذا المزاج الأرستقراطي مكونة من نمط سلوكي معين وشعور عرقي بميزات لقريش فيما يصورون ومصالح طبقيه.

وإلى هنا: نكون قد بينا وجلونا الوجه في عدم وصول الخلافة للإمام وأن ذلك ليس ناتجاً عن فقدان الأهلية وإنما هي مجموعة من الأسباب أدت إلى تلك النتيجة بحيث لو وضع غيره مكانه لانتهى إلى نفس النتيجة.

ونسأل هنا فنقول: لماذا إذاً تعثر به الدرب عندما وصلت إليه الخلافة؟.

وللإجابة على هذا السؤال: لا بد من الإشارة لأمر وهو أننا يجب أن نحدد الزاوية التي ننطلق منها لتعيين مقاييس النجاح والفشل حتى نعرف على ضوء ذلك هل نجح الإمام أم فشل، إن هنا أنواعاً من المقاييس ولكنها جميعاً تنتهي إلى فصيلتين، الفصيلة الأولى تنتمي كلها إلى المصلحة الشخصية مهما كانت الوسائل لذلك. والفصيلة الثانية وينتظمها تحقيق اتجاه العدل والحق بوسائله الخاصة التي يحددها الدين، إن الغلبة والظفر الذي يحرزه الحاكم ولو على حساب المبادىء والقيم التي ينطلق منها فيما يزعم ثم يذبحها على أعتاب الحكم هي الفشل في نظر مقياس الأخلاق والمثالية والأريحية. وإن الإلتزام بروح المبادىء التي ينطلق منها الحاكم وتجسيدها على الصعيد العملي وعدم التلاعب بمضمونها هو النجاح في نظر الأخلاق ومقياسها وإن خسر الإنسان جولة أو أكثر في سبيل ذلك. ومن

---

(١) السقيفة لمحمد رضا المظفر.

الواضح الذي لا لبس فيه أن الإمام كان يعيش ضمن نطاق الفصيلة الثانية، وكانت تتحكم بكل أنماط سلوكه ويصدر عنها تلقائياً وسيكون هذا أكثر وضوحاً فيما سنعرض له للإجابة على ما أخذ على سلوكه واعتبر عند من لا يقول بأمامته أنه أخطاء سياسية بينما هي إفراز طبيعي لمن عاش الإستقامة سلوكاً حياً وصدر عنها تلقائياً وطبع على الإلتزام بها.

إن أبرز المآخذ التي أخذت على الإمام واعتبرت سبباً في حدوث مضاعفات معينة انتهت مؤخراً إلى التعثر والفشل فيما يصورونه هو ما يلي:

أ - الأمر الأول:

عدم إقراره ولاة الخليفة عثمان وخصوصاً معاوية، فقد كان بوسعه أن يقره على الحكم والولاية حتى إذا استتبت له الأمور خلعه وهو مطمئن آنذاك إلى ضعف مركز معاوية باعباره تابعاً يتعين عليه الإمتثال إذا عزل وبذلك يمكن تجنب تلك المآسي التي حدثت والحروب الشعواء والنهايات الأليمة وما كان هذا الأمر يكلف الإمام سوى إقرار معاوية مدة قليلة. وللإجابة على ذلك نقول:

الإشكالات

١ - إن جميع البوادر كانت واضحة في إصرار معاوية على إتقان لعبته وتمكين شبهته في أن الإمام يؤي قتلة عثمان، وأنه كان ولياً لدم عثمان ومن حقه أن يطلب قتلة عثمان وقد جلب قميصه وأصابع زوجته نائلة وأعد العدة مبكراً لذلك، وقد استجابت له عناصر مختلفة يجمعها موقفها السلبي من الإمام وطرحت في المعركة شعارات بدأ العمل على غلغلة مضمونها في أذهان الجماهير ومن أهم الوسائل التي استخدمت لنشر تلك الشعارات ألسنة الشعراء التي كانت آنذاك تقوم مقام الصحف السياسية هذه الأيام، فراحوا يؤكدون على نسبة قتل الخليفة إلى عوامل منها تهاون الإمام وإيواؤه للقتلة، هذا على أحسن الفروض أما على أسوأ الفروض فاتهام الإمام بدفع الثوار لقتله وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

بني هاشم كيف الهوادة بيننا ودرع ابن أروى عندكم ونجائبه
بني هاشم ردوا تراث ابن اختكم ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
همُ قتلوه كي يكونوا مكانه كما غدرت يوماً بكسرى مرازبه

وبالجملة فإن إصرار معاوية على إستغلال نسبته قتل عثمان إلى تهاون الإمام كان أمراً واضحاً، في حين كان بوسع معاوية دفع الثوار لأنه كان معسكراً بالجرف على أميال من المدينة ومعه جيش الشام، ولكنه انتظر نتيجة المعركة ليسلب القتيل. إن ذلك يؤكد أن معاوية لا يمتثل أوامر العزل سواء أكان ذلك ابتداء أو بعد ذلك بل ربما يكون امتثاله بعد ذلك أصعب لأنه يستطيع تركيز نفسه ويأخذ أهميته لذلك فكانت معاجلته أولى.

٢ - إن الإمام لو أراد أن يقر معاوية على الولاية فلا بد أن يكتب له بذلك وإذا كتب له بذلك فبوسع معاوية أن يأخذ الكتاب الذي يقر معاوية على الحكم وثيقة يحتج بها لصلاحيته للخلافة لأن من يصلح للولاية يصلح للخلافة وبذلك يحارب الإمام بنفس السلاح الذي يريد الإمام محاربته به. هذا من ناحية الأثر الخارجي، أما من ناحية الأثر النفسي فإنه يضخم من شعور معاوية بمدى أهميته وأن مثل الإمام علي عليه السلام وما عرف عنه من الصلابة يخضع لمجاملة معاوية و عدم مواجهته مباشرة وذلك جبن في حساب النفوس الصلبة تأباه أشد الإباء.

٣ - إن الإمام ما كان يجد مبرراً دينياً لإبقاء معاوية ساعة واحدة في الحكم وهو يسمع النبي صلى الله عليه وآله يصف الأمويين بالقردة وذلك إثر رؤيا رآها كما نص على ذلك المفسرون عند تفسير قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] الخ[١].

كما أن سلوك معاوية بالذات في الأموال والدماء والكرامات لا يترك أي مبرر

(١) مجمع البيان للطبرسي عند نفسيره للآية.

للإمام لإبقاء معاوية بالولاية، إن ابقاءه يوماً واحداً هو مساومة رخيصة على حساب دين الإمام وخلقه ومنهجه في الحكم، إن تصرفات معاوية كانت خلاصة لمزاج قبلي تصدى له الإسلام في شخص الإمام، فإن قيل بعد ذلك إن إبقاء معاوية في الحكم كان أولى من تلك المشاكل التي حدثت نتيجة عزله وتنحيته نقول: إنه لا يبقى بعد ذلك أي قيمة لأي مضمون خلقي أو ديني ولأي مبدأ يتصل بالعقيدة والشرف والمثل العليا في الحياة المثلى التي كانت وما تزال تقوم من أجلها أعظم الحروب ولا يرى الناس في ذلك أي خطأ وإنما يقال إن الحرب قامت دفاعاً عن مبدأ والتزاماً بمنهج.

يتضح مما ذكرنا أن الاشكال المذكور بالإضافة إلى أنه سطحي فإنه ينطلق من مقاييس تخالف المقاييس عند الإمام - ولم يكن ناشئاً عن عدم أهلية في معالجة المشاكل - فإذا قيل بعد ذلك إن الأمر كلف الإمام خسران الإستقرار، قيل لهم إنه ربح التقييم في حسبان المبادىء وموازين الأخلاق ومقاييس الوضوح في السلوك والصراحة في الرأي، ولقد كان من أبرز خواص الإمام علي أنه صادق مع نفسه ومع مبادئه وحسبه بذلك ربح لا يعادله ربح.

ب - الأمر الثاني:

الذي أخذ على الإمام استجابته إلى قبول التحيكم في واقعة صفين وعدم تصلبه في الرفض مما أدى إلى تلك النتائج التي رجحت كفة معاوية وهزت الأرض تحت رجلي الإمام، وأدت إلى شق أصحابه وتبرعم حركة الخوارج، وما تبع ذلك. ولو وقف موقفاً صلباً ورفض قبول التحكيم لكان بمنجى من كل ذلك.

وتقتضينا الإجابة على هذا الإيراد أن نتنقل بذهن القارىء إلى تحليل عناصر جيش الإمام لنعرف منها الموقف. لقد ذكرت لنا المصادر الموثوقة أن جيش الإمام في صفين كان مصنفاً إلى ثلاث فئات: الفئة الأولى هي جماعة كبيرة تؤلف نسبة

عالية في الجيش قد ملت من القتال وكلت سواعدها من الضرب خصوصاً بعد واقعة الهرير التي انتهى الأمر بها إلى تحطم كل الأسلحة ومضى المحارب يهر على المحارب فيكدمه بأسنانه حتى سميت ليلة الهرير، لذلك لقد كان هؤلاء يريدون التمسك بأي مبرر لترك الحرب بعد أن هبطت معنوياتهم وتسرب الملل إلى نفوسهم، فما كاد معاوية يأمر جيشه برفع المصاحف حتى بادر هؤلاء إلى الإستجابة مباشرة.

٢ - الصنف الثاني جماعة كبيرة من قبائل مختلفة ومرتبطة برؤسائها، ورؤساؤها قوم لا يفيئون إلى دين وإنما يرجعون إلى طمع وعصبية تسيرهم مصالحهم وتحدد إتجاهاتهم أطماعهم. من مثل الأشعث بن قيس وجرير بن عبد الله وشبث بن ربعي ونظائرهم ممن كان كثيراً في معسكر الإمام وحيث لم يتسع المجال للإمام حتى يصفيهم لأن الحروب استلمته فور مبايعته بالخلافة واعتورته المشاكل والتركة التي خلفها له عثمان حتى اثقلت وقته بضروب من العقد التي تحتاج للحلول. وهؤلاء كانوا على اتصال دائم وتنسيق للموقف مع معاوية والإمام يعرفهم تماماً وقد وضع يده على أسرارهم ولكن إثارتهم آنذاك كانت تكلفه ثمناً أفدح من السكوت عليهم وكان يصابرهم حتى يجد الظرف الملائم لمعالجة أمرهم. وكان هؤلاء من أبرز العناصر فعالية في المبادرة إلى قبول التحكيم وتهيئة الجو لإجبار الإمام على ذلك.

٣ - الصنف الثالث: وهم السواد الأعظم الذي خدع برفع المصاحف واستغلت عنده الروح الدينية فتحرك لأنه أحس بحرج كبير وهو يواجه بسيوفه كتاب الله المرفوع على المصاحف فرجع - وحساسيته الدينية تشده شدا - للإمام يطلب منه الرجوع إلى حكم القرآن وكان التيار المتجمع من هؤلاء أقوى من صوت الإمام وإرشاده ونصحه وتحذيره، وانتهى الأمر إلى أن يشهر على رأس الإمام خمسون ألف سيف وقالوا له لئن لم تحاكم القوم إلى كتاب الله قتلناك كما قتل عثمان بين

نسائه، ورأى الإمام هيجاناً عارماً فوقف يوازن بين ضرب هذه الحركة أو الرضوخ لها وانتهى بعد الموازنة إلى الأمر الثاني لأنه رأى بأن تصديه لضرب الحركة ينتهي به آنذاك إلى إعطاء معاوية فرصة قد تؤدي إلى اجتياحه واجتياح الخلص من أصحابه ثم بعد ذلك الإستيلاء على الحكم وتحكيم معاوية وسيفه يقتل من شاء وما شاء له الهوى والحقد. إن الإمام تزاحم عنده مهم وأهم فقدم الأهم على المهم والأهم يومئذ هو الإحتفاظ بالقدر الممكن من الحكم وإبقاء الوضع - على ما فيه من مفارقات - حتى يتسنى له علاج الأمور على روية وإزالة المفارقات في حدود الشروط المتوفرة. فمن غير الصواب والحال هذه الحكم على الإمام بأنه خضع للضغط ولكنه دفع الأفسد بالفاسد.

جـ - الأمر الثالث:

الذي أخذ عليه أنه وقف موقفاً ليناً من مسببي حرب الجمل وبالذات من طلحة والزبير، إن الناقدين لم يقروا تساهل الإمام مع طلحة والزبير والعناصر التي قادت الحرب في البصرة، فقد كان بوسعه أن يحبسهم إن لم يذهب لأبعد من ذلك ولا يترك لهم حرية الحركة وكان يقوى أن يتخذ إجراءات رادعة حتى مع عائشة.

لكننا بقليل من التأمل والتفهم لمزاج الإمام ومنطلقاته نعرف جيداً أنه لا يلجأ إلى إجراءات لم يوجد مبررها في نظره، ولا يعتبر توقع حدوث عصيان أو تمرد مبرراً لاتخاذ إجراءات تحد في نظره من حرية الناس و تعتدي على قيمة من قيم الإسلام، لقد أبان عن فلسفته في ذلك منذ وضع قدمه على أعتاب الحكم. فقد امتنع جماعة عن بيعته فلم يجبرهم على البيعة ولم يكلفهم أكثر من ضمان يعتمد على الضمير المسلم، بأنهم لا يعتدون على حرية المجتمع المسلم وكان فيهم سعد ابن أبي وقاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب وأسامة بن زيد وغيرهم وأراد جماعة من أصحابه البطش بهم ولكنه زجرهم، وطلبوا كفيلاً من عبد الله فقال الإمام علي

دعوه فأنا كفيله. إن ذلك منهج للإمام في حماية حرية الأفراد ما دامت لا تمس حرية الجماعة. فإذا مست حرية الجماعة واعتدت فخرجت عن حدود المواطنة الصالحة فإنه يجهز عليها إجهازاً تاماً.

ومن نفس المنطلق رأيناه بعد أن قضى على حركة الجمل وأصحابها وقف بنفسه يحمي العناصر المستسلمة التي لم تعد تهدد حرية الجماعة فنادى مناديه: لا تجهزوا على جريح ولا تتبعوا مدبرا ولا تهيجوا النساء بأذى. ورأيناه يدخل على عائشة العنصر الأول الذي قاد الواقعة فيكرمها ويعودها وتقف له امرأة بباب الدار لتقول له يا قاتل الأحبة أيتمت ولدنا أيتم الله ولدك، فيقول لو كنت قاتل الأحبة لقتلت من في هذه الحجرة وكان في الحجرة مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير ومن لف لفهما[١] ممن أجج نار الحرب، هكذا يقف الإمام مترفعاً على الحقد اللئيم ما دام خصومه قد ابتعدوا عن الساحة وكسر سيفهم وتحولوا إلى وجود سلبي يتقوقع على نفسه داخل حدود سلبية لئيمة، إنه كان يرى في العفو في أمثال هذه المواقف وسيلة تربوية لكثير من النفوس أولاً، وثانياً وسيلة لاستثمار ما عنده من كنوز من الرحمة والحنان يحددها لنا أديب عربي فيقول في وصف ظالمه:

ما زال يظلمني وأرحمه حتى بكيت له من الظلم

وللمقارنة فقط استعرض موقف خالد بن الوليد عندما أرسل لبني حنيفة لما نسب لهم من منع الزكاة وقتلوا عن آخرهم وبالليل، ثم أخذت رؤوسهم بعد ذلك فجعلت أثافي للقدور[٢].

ولك أن تقارن بين الموقفين لترى الإختلاف في المزاجين مهما يقال بعد ذلك عن تبرير الموقف. إن الإمام لا يريد أن يتخلى عن منهج سار عليه في احترام

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ج٢ باب واقعة الجمل.

(٢) تاريخ الطبري حروب الرده - خلافة أبي بكر -.

الحريات مع إدراكه التام لتحرك أصحاب وقعة الجمل فقد قال لطلحة والزبير(عندما ساوماه على ولاية البصرة والكوفة وامتنع فقالا له إإذن لنا بالعمرة): لعمري ما العمرة تريدان وإنما تريدان الغدرة وسأستعين بالله عليكما. إن الرؤية واضحة أمام عينيه ولكنه لا يجد مبرراً لاحتجاز كل من يتوقع منه المخالفة. إنه لو سار بهذا الإتجاه فإن أعداداً كبيرة يجب أن تكون داخل السجون وهذا ما يأباه من منهجه وفي منطلقه من احترام الحريات، ولكنهم عندما هددوا الحريات أجهز عليهم. فالقضية إذاً ليست مسألة تساهل بقدر ما هي مسألة منهج ومبدأ وليست من مواطن الضعف في مجالات الحزم وإنما هو المزاج المثالي وشيمة الكريم الواثق بنفسه الذي لا يريد إرساء حكمه على حطام الحرية، وإلى هنا نكون قد رسمنا صور تقريبية وفكرة مختصرة لمزاج الإمام ومنهجه في الحكم جلاها لنا سلوك الإمام، ففي الوقت الذي يرضخ للتحكيم فيه يقتل الخوارج عن آخرهم. إنه بذلك يوضح لنا أنه لا يخشى السيف ولا يستحذي للضغط ولكنه يمتثل لقانون الأخلاق. وبالجملة فما قد يبدو لبعض الباحثين عفواً فإنه قوة ولكن التعريف يختلف من قوم لآخرين ومن منطلق لآخر تبعاً لاختلاف المزاج والمقياس إن المؤرخ لشخص ما يجب أن يتقمص روح ذلك العصر ويصدر عن دوافع السلوك آنذاك وينظر في زاوية الأشخاص - مادة الدراسة - لتكون الرؤيا واضحة ويكون الحكم سليماً.



بين المعاصرة والتراث(١)

يتبادر للذهن من كلمة التراث المضمون الفكري في أبعاده المختلفة مما أنتجته قرائح وفهوم الأجيال السالفة للجيل المعاصر وهو بذلك جزء من حضارة الأمّة، والتراث لغةً ما يُخلّفه الرجل لورثته والتاء فيه بدل الواو لأن أصله وارث فهو إذن ما يرثه الإنسان من الأمور المادية ممن سبقه. يقول سعد بن ناشد:

فإن تهدموا بالغدر داري فإنها تراثُ كريمٍ لا يبالي العواقبا

ويقول الشريف الرضي مخاطباً العباسيين:

ردّوا تراث محمد ردّوا ليس القضيبُ لكم ولا البردُ

هل أنجبت فيكم كفاطمةٍ أم هل لكم كمحمدٍ جَدُّ

ويقول الكميت:

يقولون لم يُورِث ولولا تراثُه إذن شركت فيه بجيلٌ وأرحَبُ

وعلى العموم فالتراث ما يرثه الإنسان من أمورٍ مادية أما إطلاقهُ على الأمور غير المادية فهو مجاز وتوسّع، وقد أصبح كما أسلفنا يتبادر منه للذهن الجانب الفكري والإجتماعي الذي ينتقل من السلف إلى الخلف ومنذ وقت ليس بالقصير يدور نزاع بين طوائف من الناس ومفادُ ذلك النزاع هل نبقى متمسكين بالتراث وبذلك ننتقل إلى الوراء؟ أو نتحجّر كما يقول البعض ونرجع لما سلف؟ وفي ذلك ظلم للمعاصرة وتخلف عن الركب الصاعد وحرمان للأمّة من الجدّة والإبتكار!.

---

(١) مجلة الموسم العدد السادس السنة ١٩٩٠.

أم ننبذ التراث ونعمل ونجتهد لنخلق ونبدع ونساير التطور؟.

ومن البداهة أن كلا القولين على الإطلاق غير سديد. فالتمسك بكل قديم ونبذ الجديد لا شك أنه تخلف، والإعراض عن التقدم والإقتصار على الجديد عقوق للجذور، ومجافاة للأصالة وضياع وتيه فإن مَن لا قديم له لا جديد له هذا بالإضافة إلى أن ذلك أمرٌ غير ممكن لأن القديم مختزَن في وعينا وأفكارنا نصدرُ عنه أو عن قسمٍ منه على الأقل صدوراً آلياً لا سبيل للتخلص منه هذا بالإضافة إلى أمور أخرى منها:

أولاً - إنه ليس بالضرورة أن كل جديد خيرٌ من القديم فربّ قديم أكثر روعة وأهم من الجديد.

ثانياً - إن القديمَ أساسٌ للجديد وما لا أساس له فمهدوم.

ثالثاً - إن القديم مرحلة من المراحل ولا يستطيعُ الإنسان أن يبدع دون قطع هذه المرحلة فما كان الإبداع يوماً من الأيام طفرة وقد قامت الدنيا على مراحل في عطائها فالتطور صعود والصعود إلى السطح لا بد معه من المرور على السلالم الدنيا.

رابعاً - إن الإبداع الجديد مدين للقديم بالحفز والدفع ومضاعفة الجهد لإحراز التفوق فإن ذوي الماضي العريق يحملون في نفوسهم نزوعاً لمواصلة المجد، وربط آخر المسيرة بأولها بما هو أروع. يضاف لذلك كله أن للماضي في النفوس مكانة ولعلها ناتجة من كون الماضي أم والإنسان يحنُّ لأمه وهكذا. أما الجديد ففيه نوعان:

(نوع) لا تجد فيه مايستحق أن يُوصف بالجدّة سوى السطوح وكأنه صنعته محاولة مستعجلة لمجرد التغيير والخروج عن إطار القديم بدون إبداع في المضمون ولا إضافة جديدة للمحتوى، ومثل هذا لا يستحق أن يوقف عنده لأنه في الواقع ليس إلاّ معالجة للإطار دون المحتوى.

أما (النوع الثاني) فهو إضافة جديدة مرت بعطاء سابق فزادته ثروة، وأضافت له بريقاً، أو كثّفت فيه طعماً وأشربته سمات المعاصرة، وبذلك صعدت به عن التراث وإجتازت الحدّ الفاصل بينهما، ذلك الذي ينبغي أن يُوقف عنده والذي يُطلق عليه الجديد بجدارة. وأنت ترى أن ما صنعه الجديد هنا لم يَنسَخ ما أصْله القديم بل ظلَّ للقديم مكانة الأمومة من النُبوة ودعني أضرب لك أمثلة تطبيقية وتقريبية فيما مرَّ من نظريات مع أخذ الفروق في الإعتبار في المقام والشخصيات.

فلنأخذ المسألة الإقتصادية التي نلخصها بقولنا: إنها كثرة في الإنتاج وسوء في التوزيع فقد تناولها تراثنا بما يلي:

قال الإمام علي عليه السلام: والله ما جاعَ فقير إلاّ بما مُتّع به غني والله سائلهم عن ذلك. وقال برنارد شو - الفيلسوف الإنكليزي - وكان شعرُ رأسه وشعر خديه غير منسجم فهو أحصّ في جوانب ومكثف في جوانب أخرى، قال: العالم بين رأسي ولحيتي كثرة في الإنتاج وسوء في التوزيع. فالقولان في مضمون واحد ويبقى للقول الأول متانته وقدرتُه على التلخيص والإختصار وإيقاعُه ورونقُه التعبيري والتراث هنا أبلغ من الجديد.

ولنأخذ مثلاً آخر في لفتة شاعرية رقيقة. يقول عنها تراثنا القديم قبل ألف ومائتي سنة تقريباً وهو يتغزل بإمرأة رقيقة، يقول:

توهـمـهـا طـرفـي فـألَـمَ خـدَّهـا فكان مكان الوهم من نظري إثْرُ
وصـافـحـهـا كـفّـي فـألـم كـفـهـا فمن لمس كفي في أناملها عُقرُ
ومرَّت بقلبي خاطراً فجرحْتُها ولم أرَ شيئاً قط يجرحه الفكرُ

وفي المعنى بالذات يقول شاعر معاصر:

وَجَـنـاتُـهـا رقّـت وكِـدنَ لـطـافـةً مــن رقــةٍ يُـدمَـيْـنَ بــالإيـمــاء

والجديد هنا اختصر على ما أطال به القديم وأدى نفسَ الغرض مع أن هذا

وذاك انصبّا على وصف حالة معينة ولا يفوتُنا جدّة الألفاظ في المعاصر فهي أجدُّ مما تناوله بها القديم.

ويقول تراثنا في مقام حرمة حياة الإنسان كما ورد في الحديث النبوي الشريف: «من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة إلى الله تشخب أوداجه دماً عبيطاً يقول أيْ رَبِّ سَلْ هذا فيم قتلني. لم ينتفع بلحمي ولم يتركني آكل من خشاش الأرض» ويقول الحديث أيضاً «لئن تزول السماوات والأرض أهون على الله من نقطة دمٍ حرام تُسفك». ويقول بند من بنود حقوق الإنسان في هيئة الأمم المتحدة «لكل أحدٍ الحق في الحياة والحرية والأمن» وقد انطلق الإثنان من موضوع واحد وهو حق الإنسان في أن يحيىٰ وأن يحترم دَمُه وبقيت للتراث ميزة القداسة والرقّة الروحية وثبتت للمعاصرة مجرد حداثة اللفظ وهكذا.

وإذا شئت أن تنتقل إلى الجانب المادي من الحضارة مما التصق بالمعاصرة فما أعطتنا الحضارة شيئاً لم تأخذ مقابله منا فإذا كنا نستعمل في دنيا الطاقة سابقاً الحطب في طهي طعامنا وجاءت المعاصرة لتستعمل طبّاخَ الغاز والكهرباء فإنها بالوقت ذاته أخذت منّا الأمان في استخدام الوسيلة البدائية ولفّتنا بأخطار الغاز والكهرباء اللذين سجلا أكثر من مأساة ومأساة وحرمتنا مما كانت الطبيعة تجود به مجاناً لتحملنا عناء تكلفة جهاز ليس من الميسور حصولنا عليه وفي الوقت ذاته حرمتنا من نكهة في الطعم أخذتها وسائل الطبخ الحديثة ولستُ بذلك أدعو لنبذ الحديث والإقتصار على القديم ولكني أريد أن أُقيم كلاً من التراث والحديث.

وإذا كانت السيارةُ مثلاً اختصرت لنا المسافات وجنّبتنا وعثاء السفر وقصّرت لنا طول المدة التي كنّا نقضيها على ظهور الخيل فهي في الوقت ذاته وضعتنا في سلسلة من الحوادث غير المنتهية والمصارع المتوالية من السيارات كما أنها أضعفت فينا مناعة ومهارة كان أسلافُنا يجنونها من ركوب الخيل وحوّلتنا إلى كيانات رخوة لا تصمدُ أمام الصعاب.

وعلى ضوء ما تقدم يتضح مدى حاجتنا إلى كل من التراث والمعاصرة جمعاً بين الإنطلاق من أصالة ما تقدم والأخذ من جدة ما جدّ وانسجاماً مع إرتباطنا بزمننا ومسايرة ركب التطور في الحياة وليبقى بعد ذلك لنا هويتنا الواضحة فيما نرتبط به من جذور حفاظاً على شخصيتنا واعتزازاً بما أسلفنا من بناء في سلّم الحضارة وما أسهمنا به من جهد مع المجموعة الإنسانية في سبيل التقدم والإزدهار والرخاء.

الجيل وهو وديعة فاستنقذوا شرف الوديع لا يُخان ويُسرق
غذوه خير قديمه وحديثه وضعوا خطاه على الهدى وترفقوا
إني رأيت النبت يُغرس في الثرى جذراً ويشلع للشعاع فيورق

وليكن نظرنا موزعاً بين تراث كريم نفتخر به ونشدّ أنفسنا إليه ومستقبلٍ كريم نتوق إليه ونسعى للإسهام في جديده وبذلك لا نتحجر على ما مضى ولا نذوب فيما جدّ بل يبقى لنا كياننا المتميّز، والله الموفق.



الإمام الخوئي قدس سرّه
علامة بارزة في آفاقنا العلمية[١]

بـين يدي البحث:

منذ أمد بعيد والعزم يراودني على الكتابة في بعض المواضيع التي تتعلق بكتاب الله المجيد وكلما شحذت عزمي ودنوت إلى الموضوع رجعت والرهبة تملأني مع إني في مسيرة ليست قصيرة أنهل من عطائه في حدود قدراتي المتواضعة، وكم من مرة دفعتني عزمة على تناول بعض ما يتصل بالشيعة من المواضيع القرآنية التي نتعرض معها إلى بعض الحملات الظالمة والأقلام غير المسؤولة والتي أتفاعل معها بصورة مستجدة عندما استعرض آية من كتاب الله عزت قدرته وأشرح ما ورد فيها من المضامين في بعض محاضراتي ولكني أعود للتهيب لإدراكي ضخامة المهمة وما تحتاجه من قدرات لا تتأتى إلا للأساطين والعمالقة غير أن الذي شجعني على ولوج بعض المداخل ذات الصلة بما استفاده أوعية العلم القرآني للوصول إلى ما أفادوه وفهم ما دونوه، اعتقادي بأن ما أملكه من قدرة في حدودها الضيقة مشمولة بالدعوة للتدبير في القرآن الكريم لأنه كتاب الله تعالى للإنسانية يفيض على كل قابل بما يملك من قدرة وأدوات وما هو مفروض من جواز الأخذ بظواهر الكتاب الذي هو كتاب عربي لكي يصل إلى فهم مفرداته وجمله من عرف اللغة وما يتصل بها من أبعاد كل هذا دفعني لولوج هذا الباب مستعيناً برحمة الله تعالى ومسترفداً كرمه بأن سددني في القول فمنه كل خير وعطاء وعليه التوكل في كل مهم.

---

(١) النور العدد ٥١ السنة ١٩٩٥.

المنفذ الذي التمسه هنا هو الطريق إلى أخطار مجموعة من أساطين التفسير للتعرف على ما اعتبروه وسيلة لإلقاء الضوء على الأسس التي لا بد من فهمها لتوقف كثير من المضامين القرآنية عليها سواء في الأحكام أو العقائد وقد اعتاد العلماء على وضعها في مقدمة التفاسير لتحقيق الهدف المذكور، وبالتالي للتعرف على مكانة فكر الخوئي من هذا الحقل من حقول المعرفة الذي هو أجلها وأكرمها. ومن البداهة بمكان أن هذا المضمار يعرف به السابق من اللاحق ويتم الكشف فيه عن الوثبات الذهنية خصوصاً مع وحدة الموضوع وتعدد من يتناوله. ونستشف خلال استعراض ما كتبوه في هذا الحقل التفاوت في الملامح والموسوعية سيما مع وحدة ما عالجوا مضامينه من عناوين وقد أخذنا بعين الإعتبار وحدة الزمن عن شريحتين منهم حتى لا يقال إن التفاوت بالزمن له دخل في تنوع وعمق المعلومات وذلك بالإضافة إلى أن معظم المواضيع التي عولجت ليست من النوع الذي للزمن دخل في طبيعة معالجته من حيث العمق والثروة الفكرية.

ومن الواضح أن الشرائح التي توخيت مقارنتها بما كتبه السيد في البيان هي شرائح منتقاة ومختارة ومراعى فيها النخبة من حيث القدرات العلمية والمهارات المكتبية في حقل القرآن الكريم والتضلع بالفنون ذات الصلة به حتى لا تظلم مكانة السيد عن طريق حشره مع من ليس من فرسان هذا الميدان خصوصاً وهذا المورد قد ازدحم عليه الكثير ممن تتفاوت قدراتهم ومكانتهم في التأهل لمثل هذا العمل وقد كان من الأولى بمن لا يملكون القوادم وما يزال جناحهم في فترة الزغب أن لا يجشموا أنفسهم عناء التحليق إلى هذه القمة التي تكبر على إمكاناتهم والتي قد ينتهون معها إلى ظلم أنفسهم بتحميلها ما لا تطيق أو ظلم الكتاب بإخضاعه إلى قدرات بدائية يتعبها هذا التطلع.

وكان أن اخترت شريحتين من المفسرين بينهما زمن فاضل ليس بالقليل ومن أهداف هذا الإختيار التعرف على الفوارق إن وجدت بين العصرين. ثم بين رفقاء

العصر الواحد الذي ينتمي السيد إلى فصيلتهم. أما الشريحة الأولى فتتكون من الفخر الرازي صاحب مفاتيح الغيب، والقرطبي صاحب جامع البيان، والطبرسي صاحب مجمع البيان، وهم من مختلف فرق المسلمين. وأما الشريحة الثانية فهم كل من الألوسي صاحب روح المعاني، والطباطبائي صاحب الميزان، والسبزواري صاحب مواهب الرحمن، وأفراد كل شريحة من عصر واحد والتفاوت قليل بينهم في الزمن والذي اخترته من مقتطفات مما كتبوه نموذجان، الأول المقدمات التي جعلوها توطئه للدخول إلى صلب موضوع التفسير والتي اعتبروها أموراً لا بد من فهمها قبل المرور بمضامين القرآن الكريم، وكان استعراضي لها على نحو لا يتعدى ذكرها وعددها بدون الإستيعاب بل لأبرز ما عالجوه على سبيل المقدمة باعتباره عنواناً رئيسياً أما الباقي فهو سيمر ضمن معالجتهم التفسيرية ومن البديهي كما أسلفت أننا سنلمح التفاوت في القدرات من خلال استعراض ذلك والنموذج الثاني تفسير آية البسملة وما استظهروه في ذلك من عطاء هذه الآية الكريمة ويعطف على سالفه فيما أشرت إليه من إظهار القدرات عندهم وسعة المجهود فيما استفادوه منها. وكان كل ذلك في عملية تلخيص شديدة نظراً لسعة ما كتبوه في بعض المضامين مما يخرج عن نطاق هذا البحث الذي حرصنا على أن يكون على نحو الفهرست المختصر على أن يحقق الهدف المطلوب - أعني إبراز مكانة السيد التفسيرية.



قبل الدخول أمران هامان

ولا بد من الإشارة إليهما قبل الدخول بصلب الموضوع وذلك لاتصالهما بمن كَتب وبما كُتب.

الأمر الأول: بركة الوقت عند الإمام الخوئي فقد كنت أسمع من مختلف حملة العلم قولهم إن فلاناً قد بارك الله تعالى له في وقته فلا يتضح لهذا القول معنى واضح في ذهني. وأتساءل ما معنى بركة الوقت عند بعض دون بعض والزمن أجزاء متساوية ومحدودة بالنسبة للجميع ولكن مع الزمن بدأ يتضح لي أنها الإفاضة منه تعالى على القابل بقدر سعته وهو عز وجل لا بخل في ساحته ولكنها مساحة القابل، وهذه الظاهرة تبدو وبشكل واضح في حياة كثير من علمائنا الذين لو حسبنا أعمارهم وقسمنا ما أنتجوه على سني حياتهم بالإضافة إلى ممارساتهم من حيث شؤونهم الخاصة ومن حيث إفادتهم وإستفادتهم في الأمور العلمية لاتضح لنا معنى البركة في الوقت. والأدلة على ذلك واضحة في الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلي وأضرابهم ممن أغنى الساحة العلمية وأثراها بالنتاج الضخم كماً وكيفاً، إن ذلك مما لا نكاد نراه عند الكثير ممن يتصدى للإنتاج، وبوسع الكاتب أن يكتب وهو مطمئن إلى أن السيد الخوئي يعد في الرعيل المنتج الذي هو علامة بارزة في آفاقنا العلمية، لقد كانت أعباء السيد الخوئي كثيرة ومتنوعة ألقيت على عاتقه من بواكر حياته ومشت معه حتى وفد على الله تعالى. لقد مرت عليه السنون مثقلة بالإفادة والإستفادة وقاد حوزة علمية من خيرة الفضلاء منذ أيامه الأولى فكان يكتب بالأذهان، ويكتب على الطروس فكتابته بالأذهان تتمثل فيما خرج من تلاميذ نجباء رباهم وغذاهم من مختلف صنوف المعرفة عقائد، وأُصولاً، وفقهاً، وتاريخاً، وسير، وتفسيراً وهكذا وبقليل من الإلتفات لبحث السيد الخوئي

«الخارج» وعدد من يحضره ونوعياتهم ندرك مقدار الجهد الذي كان يبذل وحجم المعلومات التي تؤلف المادة العلمية، فالبحث يشتمل على تحضير النصوص وحفظها وعرض النظريات ومناقشتها ثم الإنتهاء إلى إقرارها أو رفضها كما أن نوعية حضّار البحث وهم عادة بالجملة فئة موهوبة يضاعف حجم المهمة حيث يكثر السؤال وتتسع المناقشة حتى يولد مولود فكري جديد من جراء ذلك.

ولا يقف الأمر عند ذلك بل يُعرض بعد ذلك ما سجل من البحث - التقريرات - عليه لإقرار أو حذف بعض ما ورد فيه، فالبحث إذاً إعداد قبل الشروع فيه، ومناقشة أثناء الشروع وإشراف على الخلاصة بعد ذلك. كل هذا في خط الدروس والتدريس فإذا رجعنا إلى المرجعية وأعبائها التي لا يعرفها إلا من يعيش قريباً من أجوائها فسندرك حجم الجهد ذلك أن العلماء في آفاق الشيعة الإجتماعية جهابذة فتيا لتغطية الحاجة إلى الأحكام الشرعية والإجابة على الإستفتاءات، ومدرسون لطلاب الحوزة على صورتين منهجية خلال التدريس، وعامة في سائر أحوالهم، وقضاء للفصل في الخصومات، ومصلحون لحل المشاكل الإجتماعية، وآباء يمسحون جراح أُسرهم الكبيرة، ورصيد مذخور لسد حاجة ذوي الحاجات، فيفترض فيهم أنهم صندوق ضمان لذوي الخصاصة سواء أكانوا في عسر أو يسر ولعل ما ذكرته لا يؤلف كل فعالياتهم. فهناك الكثير الكثير المطلوب منهم في مختلف المجالات فبعد هذا أليس معجزة أن يتسع وقتهم لإنجاز عمل علمي يتصف بالغزارة حجماً ومضموناً؟ إننا نعرف أن الجامعات تؤلف لجاناً ومجاميع من العلماء للتوفر على إنتاج موسوعة علمية في حقل من حقول المعرفة. ولكننا نرى الجوامع تصنع الرجل الموسوعة الذي يقوم وحده وبإمكانات محدودة بعمل تعجز عنه الجماعة. والشواهد على ذلك كثيرة.

وبنظرة خاطفة يمكننا التعرف على الأبعاد التي ولجها الإمام الخوئي: فمعجم رجال الحديث ومباحث الأصول المتمثلة في تعليقته على ما أفاده الميرزا

النائيني قدس سرّه، وما كتب بخط تلاميذ الخوئي؛ كالكوكبي، والفياض، والزنجاني وغيرهم، والبحوث الفقهية المتمثلة في أقلام تلاميذه كالشاهرودي وغيره وفي مباني المنهاج ومستند العروة الوثقى. عدا الرسائل العملية الملحقات المتمثلة في المسائل والردود ومستحدثات المسائل. ثم البحوث الفلسفية والكلامية التي سجل السيد لمعاً منها في كتاب البيان وغطت معظم البحوث التي خاضها في هذا الكتاب. كل ذلك الذي كان السيد يمنح فيه من نبع لا ينضب يدل على استيعاب وهضم لهذه المعارف وقدرة على الإفادة منها وتنوع يتصف بالشمولية ذلك ما يكشف عنه معنى الوقت المبارك فيه والذهن الذي منح القدرة على تجاوز الكلل. أما الخوئي المفسر فهو ما سأتناول إن شاء الله تعالى طرفاً منه.

الأمر الثاني:

تأكيد السيد في المقدمة على عناوين معينة أكثر من غيرها سأشير إليها، وقبل ذلك أقول: إن كتاب البيان درسناه في كلية الفقه - مرحلة بكالوريوس - كمفردة من مفردات المنهج وكان مدرسنا فيه حجة الإسلام التقي الأيرواني مد الله في عمره وكنت أثناء الدراسة أتساءل في داخل نفسي عن سر تركيز السيد على عناوين خاصة دون أخرى كنت أتصور أنها أولى بالبحث مثل مذاهب التفسير، أو تصنيف المضمون القرآني إلى حقوله المتنوعة. أو الدعوة إلى توفر ذوي التخصص في العلوم المختلفة على تناول المواضيع التي تتصل بهم وهكذا. وكان سؤالي هل إن السيد يتناول ذلك خلال مسيرته في التفسير التي انقطعت مع الأسف الشديد ولم يتسن لها الإستمرار أم ماذا؟ ولقد سألته قدس سرّه ذات يوم في ديوانه عن سر انصرافه إلى معجم رجال الحديث دون إتمام التفسير وفهمت من جوابه أن بحث رجال الحديث لاتصاله الوثيق بالمضمون الفقهي يستأثر عنده بأهمية خاصة خصوصاً وهو يقود الحوزة فقهياً. الحاجة ملحة إلى موضوع المعجم لأمرين،

الأول: إن الفقه يعطي آيات الأحكام ضمناً باعتبارها مدارك. وثانياً: إن باقي مواضيع القرآن الكريم قد كتب فيها الكثير، ثم بعد ذلك وبمرور الوقت عرفت سر تركيز السيد على هذه المواضيع دون غيرها ذلك أنها من نقاط الإحتكاك الشديد بين المذاهب الإسلامية وتشكل قيماً نسبح حولها من مؤاخذات على الشيعة لا وجود لها في الواقع برز توتر، وسواء كانت كتابة من كتب الشيعة ناتجة عن شبهة أو قصد سيء لا سمح الله أو عن تقليد فلا بد من كشف الحقائق وبيان مذاهب الشيعة في ذلك، فمثلاً مما تناوله السيد وأكد عليه حجية ظواهر الكتاب وتلك مسألة كثر حولها القول ممن رمانا بأننا نصرف القرآن عن ظاهرة ونتفرع إلى تفسير باطني وإلى تأويل فاسد قد حض السيد هذه الأقوال وأشبع البحث برأينا في ذلك وألمح إلى أنه لو انفرد شخص برأي يمثله هو فلا ينسحب ذلك على أمة بكاملها وآرائها صريحة في حجية ظواهر الكتاب، ولسنا نتفرد بوجود رأي شاذ فإن كل المذاهب الإسلامية يوجد عندها من ينفرد برأي يخالف المجموع ولا ينسحب ذلك على المذهب كله.

وتعقيباً على إشارة السيد قدس سرّه أذكر نموذجين من ذلك عند أهل السنة:

الأول:

ما ذكره إسماعيل حقي في تفسيره روح البيان وذكره الحافظ ابن الكلبي في التسهيل في تفسير قوله تعالى: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى بعلي. وقد حرف الآية عن ظاهرها الذي نصت عليه التفاسير. والثاني ما ذكره الفخر الرازي عن مفسر عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، أي جرحه بأظفار المحن والخطوب، و لا أريد أن أورد الكثير من ذلك فهو عندهم كثير، أما من يصرف الآية عن ظاهرها عندنا فإنما يفعل ذلك إذا تعذر حملها على الظاهر مثل قوله تعالى ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] في صرفها

عن الجارحة إلى القوة، ومثل وجود قرينة تصرفها عن الظاهر مثل قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١] أن المراد به الحسنان لأن السورة نزلت رداً على المشركين الذين قالوا عندما مات أولاد النبي ﷺ بقي محمد أبتر لا عقب له فأخبره الله تعالى أنه جعل عقبه في ذرية الحسنين عليهما السلام وهكذا. وعلى العموم فلقد كان تأكيد السيد على ذلك للإسهام في إزالة هذه الشبهة ونظائرها مما يراه من يقرأ ما كتبه في البيان وذكر فيه من الآراء الشاذة وفندها وأوّل بعضها.

ومن بؤر التوتر التي عالجها السيد وأطال فيها بما يتناسب وأهميتها: مسألة وقوع التحريف بالقرآن الكريم أو عدم وقوعه. وهذه المسألة لعبت بها الأقلام والأهواء - وما تزال - دوراً غير مشرف ورجعت بها إلى بعض الكتاب وإلى كتب الأخبار لا إلى كتب الفقه والمسألة مكانها كتب الفقه لأنها المرتبطة بها عضوياً كما لا يخفى وقد ألح كتّاب أهل السنة في نسبة ذلك لنا مع إننا لو قمنا بإحصاء بسيط لوجدنا في كتب أهل السنة أضعافاً مضاعفة من الروايات والآراء التي تذهب إلى القول بالتحريف. وكما هي ليست بمعتد بها عندهم كذلك هي عندنا مطروحة ولا يعتد بها عن صرف مضامين الآيات إلى غير ما نزلت له. لقد استعرض السيد هذه المسألة فذكر أدلة وآراء من يذهب لذلك وفندها ودحض الشبه التي أوردوها بما لا مزيد عليه من البيان كما أشار إلى أن جمهور المسلمين يرفضون هذه المقولة واستعرض آراء أساطين الامامية الذين رفضوا هذا الزعم وبرهنوا على بطلانه ومنهم الشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والسيد المرتضى علم الهدى والشيخ الطبرسي والشيخ جعفر كاشف العطاء والشهرستاني في العروة الوثقى، والفيض الكاشاني في الوافي وفي علم اليقين والجواد البلاغي في آلاء الرحمن والشيخ المفيد والبهائي و القاضي نور الله إلى غير هؤلاء، كما استعرض آراء بعض فقهاء ومحدثي أهل السنة التي تنتهي إلى القول بالتحريف كالقول بنسخ التلاوة كما ورد في كل من صحيحي البخاري ومسلم عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أنه قال على المنبر:

كان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ودعيناها فإذا رجم رسول الله ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فضيلة أنزلها إليه والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال ثم إنَّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله! أن لا ترغبوا عن آبائكم أو أن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم، وقد نص أهل السنة على أن هذه الآية مما نسخت تلاوته، وأخرج الطبرني بسند موثق عن عمر بن الخطاب مرفوعاً: القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف، ذكر ذلك السيوطي في الإتقان. بينما القرآن الذي بأيدي المسلمين لا يبلغ ثلث هذا المقدار، وروى عروة بن الزبير عن عائشة زوجة النبي قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها إلا ما هو الآن، ذكر ذلك السيوطي في الإتقان، كل هذا مجرد نموذج بسيط ذكره السيد في هذا الباب، وبين يدي من المصادر ما هو أضعاف ذلك ولكن ما ذكرته كان للتدليل.

لقد أطنب السيد في الدفاع عن كتاب الله المجيد وفي صيانته عن التحريف وجاء بأدلة غاية في المتانة فجدير بالمهووسين - إذا كانوا طلاب حقيقة وهم غالباً ليسوا كذلك - أن يرجعوا إلى هذا البحث وأمثاله ليرتدوا عن رمي أتباع أهل البيت بهذه التهم الباطلة وما أظنهم يفعلون.

ومن المسائل التي لا تقل أهمية عما سبقها وهي مما كثر فيها التهويس أيضاً: مسألة البداء التي تصدى لها السيد، إنه التغيير الذي يتناول بعض الأمور التكوينية كالأعمار والأرزاق والسعادة والشقاء وغير ذلك مما هو ليس في قسم القضاء المحتوم وإنما هو من القسم الذي تتعلق مشيئة الله بتغييره من أول الأمر ولكن لا يظهر الله ذلك إلا في وقته فهو بمعنى الإبداء وإنما أطلق عليه لفظ البداء بعلاقة المشاكلة وليس بمعنى بدء شيء لم يكن الله تعالى يعلمه ثم علمه. فذلك كفر. والروايات الواردة عن آل محمد صريحة بهذا المعنى فقد قال الإمام

الصادق عليه السلام : ما بدا لك في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له، وقال: إن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب فكل أمر يريده الله في علمه قبل أن يصنعه، إن الله لا يبدو له من جهل، وقال من زعم أن الله يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابرؤوا منه. لقد تناول السيد هذا الموضوع فجلّى غوامضه وأحاط بالموضوع من كل أطرافه وتصدى لما يرد عليه من شبه فدفعها وأوضح رأي الشيعة في ذلك، في إمكانه، ووقوعه وذكر إلى جانب قول الشيعة أقوالاً لأهل السنة في ذلك وهي لا تختلف عن رأي الشيعة ومنها ما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال إن ثلاثة في بني إسرائيل أبرص وأعمى وأقرع بدا لله عز وجل أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً الخ الرواية، التي أوردها في باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومثل الروايات التي ذكرها أهل السنة في أن الدعاء يغير القضاء والصدقة تغير القضاء كما ذكر ذلك ابن ماجة في سننه في باب القدر، بسنده قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزيد في العمر إلا البر ولا يرد القضاء إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها. كما أشار السيد إلى بعض الإستعمالات القرآنية لهذا المعنى كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] وكقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] وسر اهتمام السيد بهذا الموضوع يتضح عند مراجعة تفاسير أهل السنة لأمثال هذه الآيات وتحاملهم على الشيعة وتصويرهم لرأي الشيعة بأنهم يعتقدون أن الله يبدو له ما لم يكن يعلمه سابقاً. وهو قول يفضي للكفر أعاذنا الله من ذلك وقد استشهد السيد بقول الرازي في تفسيره عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] قالت الرافضة إن الله يعتقد شيئاً ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقده. إضافة لذلك أذكر أني خلال مطالعاتي رأيت الكثير من مثل هذه النسبة. وليت الأمر اقتصر على القدامى الذين أعوزتهم مصادرنا فلعل لهم بعض العذر. ولكننا نرى أن الأمر مطرد حتى عند المحدثين، وعلى

سبيل المثال الدكتور مصطفى زيد وكان رئيس قسم الشريعة في كلية دار العلوم أيام دراستي هناك. قرأت كتابه (النسخ في القرآن) وحينما قسم النسخ إلى تشريعي وتكويني صور السنخ التكويني بأنه ينتهي إلى استحداث علم لم يكن سابقاً وقال إن القائلين بذلك اليهود والرافضة أخزاهم الله الخ. وكانت لي معه مناقشة حول الموضوع لفت فيها نظره إلى خطأ مستنده وذكرت له رأينا وقد قدمت له مصادرنا في ذلك فاعتذر ووعد بأنه سيغير ذلك في طبعات جديدة، وقد لحق بربه ووفد عليه ولم أر لما وعد به أثراً، ولعله عوجل بالوفاة رحمه الله. ولا بد هنا من لفت النظر إلى إني رأيت كثيراً من أساطين السنة يعالجون الموضوع بنفس منهج وأدلة الامامية وبوسع القارئ الرجوع إلى ما كتبه كل من السيوطي في الدر المنثور والقرطبي في تفسيره والألوسي في روح المعاني وغير هؤلاء وذلك عند تفسيرهم للآية المباركة: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] وسأذكر بعض النماذج هنا ليطلع القارىء على نفس النمط في المعالجة للموضوع: يقول القرطبي: عندما يحدد ما يمحى وما يثبت ذاكراً قول القشيري: قال يقول القشيري: السعادة والشقاوة والخلق والرزق لا تتغير فالآية فيما عدا هذه الأشياء، وعقب عليه القرطبي بقوله وفي هذا القول نوع تحكم حتى قال فتكون الآية عامة في جميع الأشياء وهو الأظهر والله أعلم. وهذا روي عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وأبي وائل وكعب الأحبار وغيرهم وهو قول الكلبي، وذكر أن عمر بن الخطاب كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول: اللّهم إن كنت كتبتني في أهل الشقاوة والذنب فامحني واثبتني في أهل السعادة والمغفرة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب، وكذلك تماماً كان دعاء ابن مسعود وكان مالك بن دينار دعا لامرأة فقال: اللّهم إن كان في بطنها جارية فابد لها غلاماً، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. وقد تقدم في الصحيحين عن أبي هريرة قول النبي ﷺ من سره فليصل رحمه، واستمر القرطبي يحشد الأدلة على التغيير التكويني إلى أن وصل إلى قوله:

إن من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً وهو الثابت ومنه ما يكن مصروفاً بأسباب وهو المحو، وبنفس المعنى كتب كل من السيوطي والألوسي وغيرهما وهو عين ما كتبه مفسرو الإمامية. والذي يظهر لي أن سوء الفهم جاء من لفظ البداء فإنهم فسروه بمعنى الظهور وهو يعطي معنى الإنكشاف بعد خفاء وقد عرفت ما ذكرناه سابقاً من بطلان هذا التصور. وقد انصب بحث السيد على هذه النقطة وتجليتها تجلية كاملة.

وآخر ما أريد تقديمه من النماذج التي تناولها السيد وأكد عليها هي مسألة القول بخلق القرآن أي قدمه وحدوثه. وقد جاءت معالجتها ضمن بحث صفات الباري تبارك وتعالى وهي تنقسم إلى صفات ذاتية وأخرى فعلية. بدأ السيد بالإشارة إلى أن هذه المسألة حادثة وقد نشأت من تغلغل الفلسفة اليونانية عند المسلمين ومن ذلك ذهب الأشاعرة إلى تقسيم الكلام إلى نفسي قائم بالذات. ولفظي يدل على التعيين وانتهوا بعد شرح إلى أن القرآن قديم، بينما ذهب العدلية والمعتزلة إلى حدوث القرآن وإلى أن الكلام منحصر باللفظين وإن التكلم صفة فعلية. والصفات الفعلية هي التي يمكن أن يتصف بها الله تعالى في حال وينقضها في حال آخر. فالذاتية لا تنفك عنه بحال من الأحوال كالحياة والعلم والقدرة. والفعلية هي مثل الكلام والخلق والرزق وبالنظر لأهمية هذه المسألة سأستعرض لك أراء فرق المسلمين فيها مع شيء من التعقيب:

الحنابلة:

والذي ينقل عنهم أن كلام الله تعالى مؤلف من حروف وأصوات على الترتيب والتعاقب في وجودها وهي قديمة بل ونقل القول عن بعضهم بقدم جلد القرآن - غلافه - وقد وجه البعض قولهم بأنهم إنما قالوا بقدم القرآن ولم يقولوا

بحدوثه حتى لا يذهب الوهم إلى حدوث حتى الكلام النفسي الذي يقول به الأشاعرة. فهم بالوقت الذي يراعون به الأدب في الإمتناع عن إطلاق لفظ الحدوث يفوقهم ما يترتب على رأيهم من اللوازم التي منها تعدد القدماء وهو شرك. كما أن هذا الكلام يصادم البديهة لأن التعاقب يفيد الحدوث فكيف يجتمع مع القديم.

الكلامية:

فهؤلاء يقولون إن كلام الله تعالى حروف وأصوات وهي حادثة قائمة بذات الله تعالى لأنهم يجيزون أن يكون تبارك وتعالى محلاً للحوادث.

المعتزلة:

رأيهم أن كلام الله تعالى أصوات وحروف كالرأيين السابقين، ولكنها ليست قائمة بذات الله تعالى بل يخلقها في غيره. فمعنى كونه تعالى متكلماً أن يوجد تلك الحروف والأصوات في مثل اللوح المحفوظ أو الملائكة التي تنقل كلامه أو الأنبياء الذين يقرأون كلامه.



الأشاعرة:

وعندهم أن كلام الله نفسي وليس من جنس الأصوات والحروف بل هو قائم بذات الله يسمى بالكلام النفسي ويدل عليه الكلام اللفظي المركب من الحروف والأصوات. أما رأي الشيعة فسيأتي بقلم الخوئي ولما كان رأي المذاهب السنية بقدم القرآن يستلزم أموراً منها تعدد القدماء لأنه صفة لله تعالى. وحيث إن من البديهي أن الحروف والأصوات الملفوظة والمكتوبة وجودها مترتب فهي حادثة،

يضاف لذلك أنها أعراض قائمة بغيرها. ومفتقرة في وجودها وبقائها إلى سبب لذلك، وإلى محل تقوم به مما لا يلتقي مع التوحيد، اضطروا للقول بالكلام النفسي وتركوا القول بقدم الأصوات والحروف فنلخص ما ذكرناه أن منهم من يذهب إلى قدم الأصوات والحروف، ومنهم من يذهب إلى الكلام النفسي الذي فسروه بالمعنى القائم بالنفس والذي هو مدلول للكلام اللفظي وكان من أدلتهم قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٨٠] ويقول الخليفة عمر كنت قد زورت في نفسي مقالة يوم السقيفة، ويقول الأخطل الشاعر:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

إلى غير ذلك، وقد رأينا لبعضهم دليلا مفاده: إن كلام الله هو الألفاظ التي رتبها الله تعالى في علمه الأزلي بالصفة الأزلية التي هي مبدأ ترتيبها وتأليفها، وقد رد عليهم المعتزلة بأدلة مطولة، وأجابوا على الرد، ونظراً لاتضاح صورة النزاع فلا داعي للإطالة ومن أرادها فعليه بالمطولات والمصادر التي ستذيل بها البحث.

ومن تأمل هذه المعاني التي ذكرناها سيرى أن النزاع يعود لأمرين: أمر لفظي وهو أن اتصافه تعالى بالكلام يدل عليه النقل كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١] كما دل عليه الإجماع والعقل لأن التكلم صفة كمال. ولكن هذا الكلام هل هو قائم به تعالى، أو القائم به هو التكلم الذي هو خلق الكلام ولو بخلقه في جسم من الأجسام فالأشاعرة يقولون بقيام الكلام به وهذا الكلام قديم لئلا يكون تعالى محلاً للحوادث، أما الشيعة والمعتزلة فيقولون: إن

المتكلم من صدر عنه الكلام سواء بالوسائط المعدّة لذلك المعتادة وغير المعتادة: مثل لسان الملك وشجرة نبي الله موسى.

والحاصل أن الامامية يذهبون إلى أن الكلام من الصفات الفعلية كالخلق والرزق ومن هنا قال أمير المؤمنين عليه السلام «أصل المعرفة توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه بدليل أن كل صفة غير الموصوف وكل موصوف غير الصفة وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدوث وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل»، ومن المؤسف أن هذه المسألة لعبت في تاريخ المسلمين دوراً مأساوياً، واختلفت الآراء في: هل إنها مجرد انقداح علمي عند مفكري المسلمين وتبنته الدولة لصلته بالوحدانية. أم إنها عملية مصطنعة استغلت لتصفية الخصوم سواء على مستوى الدولة، أو على مستوى الفرق الإسلامية، أم أن هناك قضية تريد السلطة تمريرها فأحدثت هذه الزوبعة لشغل الناس؟ لقد توزعت آراء الباحثين حول ذلك، وقد تعرض بسبب هذه المسألة جماعة للقتل والاضطهاد والسجن والملاحقة وصارت سبة يشتم بها البعض بل وصل الأمر إلى حد الطرافة: يقول الأبشهي في المستطرف في باب فضل القرآن عن إبراهيم الخواص أنه دعي للقراءة في اذن مصروع يقول فكبرت في اذنه وأردت أن أقرأ فسمعت صوتاً يقول دعني أقتله فإنه يقول القرآن مخلوق، وقد تعرض للاضطهاد جماعة ممن يقول إن قراءتي بالقرآن مخلوقة لأنها حروف متتالية يحدث بها الحرف بعد الآخر ومن هؤلاء البخاري ومسلم فقد تعرضا للنقد والتجريح لقولهما بذلك ففيما يخص البخاري قال المناوي في ترجمته في بعض ما قال: زين الأمة وافتخار الأئمة صاحب أصح الكتب بعد القرآن وقال عنه الذهبي كان من أفذاذ العالم مع الدين والورع والمتانة، ومع ذلك غلب عليه الغض من أهل السنة وكُتب في كتاب الضعفاء والمتروكين وقيل عنه ما سلم من الكلام لأجل مسألة اللفظ وتركه لأجلها الرازيان - أي أبو زرعة الرازي وأبو حاتم الرازي - ذكر ذلك صاحب فيض القدير ج١، وقال الذهبي

نقلاً عن الحاكم سمعت محمد بن يعقوب الحافظ يقول لما استوطن البخاري نيسابور أكثر مسلم بن الحجاج - صاحب الصحيح - الاختلاف إليه فلما وقع بين الذهلي وبين البخاري ما وقع في مسألة اللفظ انقطع عنه أكثر الناس غير مسلم فقال الذهبي يوماً ألا من قال باللفظ فلا يحل له أن يحضر مجلسنا فأخذ مسلم رداءه فوق عمامته وقام، وقال الذهلي محمد بن يحيى يوماً لا يساكنني هذا الرجل يعني البخاري في البلد فخشي البخاري وسافر، ذكر ذلك صاحب سير أعلام النبلاء ج٢ وصاحب هدى الساري في مقدمة فتح الباري ج٢، أما الامامية فقد خشوا لقولهم بخلق القرآن على النحو الذي سيأتي تصويره بقلم السيد وممن شتمنا وأرخ لبداية قولنا بذلك الشيخ أبو زهرة فقد قال فيما قال في كتابه الإمام الصادق عليه السلام أول من قال بخلق القرآن بيان بن سمعان التميمي وقتله خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل الأمويين، والصحيح أن أول من قال وأعلن بذلك الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله المذكور. أما بيان فقد ادعى النبوة ودعا الإمام الباقر عليه السلام إلى طاعته بالإضافة إلى أفكار مشوشة عنده تتضح لمن يقرأه فيما ترجم له مثل أعيان الشيعة وغيره. وسأحاول أن ألخص لك معالجة السيد الخوئي بهذه المسألة وسيرته فيها: لقد استجلى الإمام الخوئي هذه المسألة وأبان غوامضها بالرغم من أن عباراته فيها لا يسهل فهمها إلا لذوي الفن والمعرفة لهذه الأمور: بدأ السيد فقسم الصفات إلى صفات أفعال وصفات ذات وميز بينهما، وسلك الكلام في صفات الأفعال وقسمه إلى نفسي ولفظي وحدد معنى الإثنين وأكد أن ما يسمى بالنفسي ليس إلا الصورة الذهنية للكلام الذي تسبقه عادة. كما قسم الكلام إلى جمل أخبارية وإنشائية. وحقق أن الكلام النفسي المدعى لا تشمله حدود الإثنين وانتهى إلى نتيجة أن الكلام ليس إلا المتبادر للذهن وهو الكيفية العارضة للصوت الحاصلة من تموج الهواء والقائمة بالهواء نفسه لا بالمتكلم، لئلا يلزم من كونه تعالى متكلماً أنه محل للحوادث لو كان الكلام قائماً بالمتكلم. وقرب هذا المعنى للذهن فذكر

أن تلبس الذات بالمبدأ المستفاد من الهيئة - هيئة المشتق - هو نحو من أنحاء قيام المبدأ بالذات دون خصوصية ذلك القيام بالذات من كونها حلولية أو إيجادية أو غير ذلك، لأنها غير مأخوذة - أي الخصوصية - في مفاد الهيئة. كما إنها تختلف باختلاف الموارد ليس لها قاعدة كلية، فمثلاً المتلبس بالنوم والعلم لا يعتبر موجداً لهما ولكن مثل النافع والضار موجد للنفع والضر. وانتهى من ذلك إلى أنه لا يلزم عدم صحة إطلاق المتكلم على الله تعالى لشبهة كونه محلاً للحوادث حينئذ ولذا قالوا بالكلام النفسي للتخلص من ذلك، وبعد أن فند هذا التصور دعم رأيه بالأدلة التي توضح هذا المعنى.



الإمام الخوئي...
العمل والتطبيق(١)

الحديث عن الإمام الخوئي هو الحديث عن الكيان الموسوعي بكل ما لهذه الكلمة من معنى وعلى المستويات المختلفة. الكيان الموسوعي على مستوى العلم فالسيد الخوئي ما ترك باباً من الأبواب ذات العلاقة بالعلوم الإسلامية إلا وكان مجلياً فيها وكان من أساطينها ومبدعيها. وهو بدون أي مبالغة، مدرسة في الفقه والأصول والعقائد وعلم الرجال والتاريخ والتفسير. آثاره شاهدة على ذلك. والذين تتلمذوا عليه بصورة مباشرة أو غير مباشرة يعرفون هذا ودرسوا آثاره، قد يقول قائل: إن هذه الظاهرة تتوفر عند معظم فقهائنا، صحيح عند جميع فقهائنا وستبقى مدرسة علي بن أبي طالب مدرسة لا يصيبها العقم يوماً من الأيام وإن مرّت عليها أسوأ الظروف وأنا في الواقع غير متشائم. فالمحن دائماً تنتج، أي أن الأمة التي لديها رصيد وحضارة ولديها سوابق لا تموت أبداً، والنجف بما حملت من عطاء عبر عشرة قرون لا يمكن أن تموت. ربما تمر عليها غمامة وتتجلى الغمامة، يمكن أن يطرأ عليها طارىء ويتلاشى الطارىء، وتبقى أصالتها، خصوصاً وعلي بن أبي طالب بما لديه من عطاء لا ينضب سيبقى على هذه التربة وستبقى بركته تمدّ من يلتف حوله.

إذاً السيد الخوئي قدس سرّه كان موسوعة في ميدان العلوم الإسلامية، موسوعة تحتفظ بأصالة النجف، موسوعة عليها بصمات النجف في أصالتها، التي أعطتها وأعطتنا وما يزال عطاؤها يتوالد. هذا الأمر أصبح بدرجة من الوضوح

(١) الإمام الخوئي العمل والتطبيق مجلة النور العدد ١٠ السنة ١٩٩٣.

بحيث لا يحتاج إلى برهنة فوق ذلك كان الإمام الخوئي موسوعة في جوانب أخرى من موسوعة في العمل التطبيق إذاً كان الإمام بحد ذاته حمل هذه المؤهلات والإنجازات العلمية فقد أراد إفاضتها على طلابه وبالفعل ترك لنا ثلّة من العلماء مدّ الله في أعمار الباقين منهم ورحم الماضين، أي أن بصماته الآن منطبعة على نسخ متكررة. وأنا لم أعتد أن أكون مدّاحاً، أحب أن أنوّه، إن عندنا الآن في مجلسنا هذا نسخة منه (المقصود بذلك هو آية الله السيد علي البهشتي حفظه الله).

الواقع إن بصمات الإمام سوف تبقى تتوالد عن طريق تلاميذه وعن طريق استمرار مدرسته في عطائها. لأن العلم يتوالد ويمتد عبر الأشخاص هذا من ناحية وكفل الإمام الخوئي الحوزة بما لا مزيد عليه من أقسام الكفالة رعاها في أكثر من مكان ومكان، رعاها مادياً وتربوياً وعلمياً وإسكانياً وعلاجياً. وضع لنا ضوابط في خدمة الحوزة لعلّه لم يسبق في كثير من جوانبها. وكان تفكيره يمتد لأبعد من هذا كان مما أعرفه من تفكيره أنه يريد أن يبقي للحوزة العملية مورداً مستمراً دائماً يكفل حياة كريمة للحوزة، لطلابها وأساتذتها، من قبيل أن يخصص لهم عقاراً أو يوفر لهم مدّخرات مهمتها أن تعد الحوزة بالإستمرار والبقاء. هو بهذا الجانب تفكير موسوعي وهو تفكير موسوعي بجوانب أخرى لعلّ البعض منكم لا يعرفه. أضرب لك بعض الأمثلة كان يغذي بعض الجهات وأنا كنت أمر بخدمته رحمه الله وكنت الوسيط بينه وبين جمعية أهل البيت في القاهرة التي كان يدفع لها رأس كل شهر مبلغاً محترماً من المال ، كنت أتولى نقلها إلى رئيس الجمعية. وأثمرت الجمعية وابتدأت تطبع شيئاً من الكتب وأخذت تحتفل وأصبح لها جذور في قلب القاهرة وهذا أمر ليس بالسهل لكن الذي حدث مع شديد الأسف أنه ليلة النصف من شعبان في الإحتفال بذكرى الإمام المهدي (عج) وقف أحد حملة العلم. وكان رجلاً بسيطاً وكنت حريصاً أن لا يعطى الميكروفون (مكبر الصوت) لمن ليس له الأهلية لذلك، ولكن يبدو أن الرجل أصرّ عليهم فتناول الميكروفون وبعد ذكره الإمام

المهدي وقال إن الإمام المهدي إذا خرج فسيأتي بقرآن غير هذا القرآن لأن هذا القرآن محرّف، فقامت القيامة وأغلقت الجمعية فوراً ولم تخلص من المحاكمة إلا قبل سنة. وإلى الآن لم يسلّموها. مع العلم أن هذا الرجل اعتمد على رأي شاذ لا نقول به والإمام الخوئي قدس سرّه أول من حاربه، حاربه في كتابه البيان في مقدمة تفسير القرآن. فقد خصص السيد فصلاً لنفي التحريف وأبدع فيه وفي إيراد الأدلة على تفنيده على عادته، قلم فيه عطاء، فيه دسم، قلم ممتع فيه غذاء. قلم لم يكن يعتمد على تسطير ألفاظه أو سبك عبارة أو ديباجة خالية من المضمون، بل بالعكس هو مملوء مضموناً. وهذا فصل من الفصول التي كانت من مقرراتنا الدراسية التي درسناها في قسم التفسير، لعل البعض لا يعرف هذا المعنى. أنا هنا في أول ورودي إلى لندن سنة ٧٤ أو ٧٣ جاءتني جماعة نورُوش ودخلوا عليّ وكلّفوني أن أنقل إلى السيد رغبتهم في أن يوجد لهم السيد مؤسسة تُعنى بهم وكانوا يطلبون داراً لتكون منطلقاً إلى فكرهم في داخل لندن. وفي وقتها كانت الظروف شديدة جداً على السيد ودخلت عليه، قال «شيخ أحمد في هذه السنة لم يأتني من الأموال ما أقوى على أن ألبي رغبتهم، فأما أن ينتظروا وأما أن يقنعوا بالقليل، أعطيك تحويلاً تتناوله وتعطيه لهم، أخذت التحويل وكان بعشرين ألف دينار كويتي كانت لها قيمتها، سلّمتهم التحويل فقالوا هذا أيضاً لا يفيدنا ولا يحل لنا مشكلة، فبلّغ السيد تحياتنا وقل له: إننا ننتظر فرصة أخرى. فأرجعت المبلغ وعندما أرجعته ظل المبلغ في الكويت فترة ولم يصل إلى السيد، وحوّلوه لي مرة أخرى ولم أكن أقدر أن أرجع إلى العراق فبقي عندي، وكنت أكتب إلى السيد وصادف في ذلك الوقت وقوع موجة المهجرين من العراق إلى سوريا، وكان بعض وكلاء السيد في دمشق فوزعت مبلغ العشرين ألف دينار على بعض وكلاء السيد وقسم توليت أنا توزيعه، وكتبت إلى السيد مراراً متعددة. وهنا نقطة أحب أن أوضحها. كان السيد حريصاً جداً على صرف الحق الشرعي. (مع العلم أني أعرف بأن لدي منزلة عنده تغمدّه

الله برحمته وكان يعطيني نوعاً من الأبوة ويرعاني) فكلما ألححت عليه بالرسائل قائلاً له «يا مولانا أنا أنفقت المبلغ على ضماني فإما أن تجيز لي إنفاقه وإذا لا تجيزني فأخبرني لأرسله لك» . فلم يجبني إلا بعد فترة عن طريق رسالة عن طريق سيد جواد الشاهرودي وكيل السيد في الكويت مفادها أني أعطيت المبلغ إلى الشيخ على أن ينفقه في مكان معين . هو أنفقه في غير المكان الذي كلفته بإنفاقه وهو يعرف تكليفه الشرعي. فوراً أنا حملت المبلغ وأرسلته إلى الحاج عبد الحسين معرفي في الكويت وكلفته أن يعطيه إلى وكيل السيد وفعلاً أعطاه وأرسل لي وصلاً منه وأنا أحتفظ بالوصل. السيد كان حريصاً جداً على أن يوضع دينار الحق الشرعي في مكانه، ولي معه تجارب كثيرة من هذا النوع. كنت أدخل في خدمته وأطرح أمامه أمر بعض الجهات، ويقول «شيخ أحمد إذا أنت متأكد منها وفيها أداء خدمات فأنا حاضر لتقديم أي مبلغ كان» لعل الكثير من الناس يجهل أن السيد كان يمد جهات كثيرة البعض منكم لا يعرفها.



رعاية الحوزة

رعى الحوزة ورعى المؤسسات. خرج من الجانب التقليدي، حيث لم يقتصر على رعاية الحوزة في النجف بل امتد ببصره إلى آفاق أبعد وكان يحاول تطوير هذا المعنى إلى مؤسسات في شرق الأرض وغربها، أي أبعد من أمريكا ولندن، وأماكن أخرى كانت في نواياه وأهدافه. وصراحة أقول بأنه لم يكن حوله كوادر تعينه على تجسيد طموحاته لأن معظمها تقريباً كان منطوياً على وضعه التقليدي. بالإضافة لهذا انطلق السيد الخوئي إلى آفاق كلنا نعرفها. أهمها قيادة الحوزة هذا المدى الطويل الذي امتد وامند وواجهته عواصف عاتية ولولا وعي السيد وحنكته ومعالجته الحكيمة للوضع، لعُصف بالحوزة من قبل هذا الوقت.
كان السيد يرعى هذا الجانب، وبتعبير آخر كان يقدّر قدراته بغض النظر عن المزايدات التي لا تعنينا، لأن الإنسان يجب أن يعرف حجمه الطبيعي ويعرف أين موطىء قدمه من الأرض ويعرف كيف يعالج. أئمتنا مثلاً لم يكونوا جبناء، لم يكن الإمام الصادق عليه السلام يحب الحياة ولم يكن الإمام الباقر عليه السلام يحب الحياة ولا هم غير مستعدين للتضحية، بل مستعدون، لكنهم كانوا يعالجون الأمر على مقدار حجم الساحة. الإمام الصادق عليه السلام كانت له كلمة مع أحد أصحابه يقول «أنا أرعاكم كما يرعى الراعي الشفيق غنمه» وهذ يعني ألا تحاولوا أن تخرجوا عن المسار الذي أرسمه لكم لأني أعرف أين أضع أقدامكم ومتى أحرضكم ومتى أوقفكم. الواقع أن تقدير الساحة هو الذي حمل الأئمة على معالجة الأمر بدرجة معقولة جداً من التوثب، لأن الإنسان ليس من البطولة في شيء أن يعرّض مجموعة هم عبارة عن اللباب ليعصف بهم ويجعل الساحة تُباد عن آخرها. لا، الوجود الناقص أفضل من العدم، وهذا المعنى كان يراعيه الإمام، نحن نعرف شراسة

الهجمة (لنكن واقعيين) الموجهة ضد العراق قبل أي بلد آخر، لأنه المنطلق الذي يحمل فكر أهل البيت عليهم السلام ويحمل الحماسة في الدفاع عن فكر أهل البيت. العراق الذي يحمل رصيداً تاريخياً أو خميرة تاريخية طويلة مهمتها أن تركز لواءً لأهل البيت عليهم السلام وإن مرّ بأدوار غاية في القسوة. وبقدر ما حمل من طموح تعرض إلى معارضة غاية في القوة ونحن الآن نعيش المأساة. ولا يخفى عليكم، لعلكم اكثر مني معرفة واطلاعاً على هذا الأمر، العراق الآن يراد له أن يوضع في مسار معين. وأن جذوة أهل البيت في داخله يراد لها أن تنطفىء والأمل بالله أن لا تنطفىء وأن تبقى هذه الجذوة مستعرة تحمل طموحنا وآمالنا. لا أريد أن أطيل الحديث عن حياة السيد. حديث فيه خصب وعطاء طويل، والمجال لا يتسع، سوى أني أكرر ما قلته في العام المنصرم أرفع ضراعة، أي بلسان الضراعة وبلسان الرجاء وأرفع آمال القاعدة التي أنا أعرف أنني قد أمثلها وطموحات محبي أهل البيت عليهم السلام. أرفع أملاً إلى حوزاتنا العلمية وإلى مراجعنا وإلى مؤسساتنا في ضرورة التفكير بالأمور الآتية:

- **أولاً**: أن توجد مؤسسة للمرجعية تحفظنا من التمزق، مؤسسة تعنى بوجود كبار العلماء وتشمل ببركتهم وينطلق منها رأي موحد. باب الإجتهاد عندنا مفتوح ولكن المرجعية متعددة، لا سبيل إلى تذويبه بعضها في البعض الآخر، الحل الأمثل وجود مؤسسة تجمع كبار العلماء لينطلق منها الرأي الموحد ولتحفظ لأتباع أهل البيت عليهم السلام وحدتهم وتبعد عنهم شبح التمزق والتفتت.

- **ثانياً**: نحن في مسيس الحاجة إلى إيجاد صندوق موحد للحقوق حتى يحمل ذلك كل من ينتمي إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام بأن يسهم بأمواله فتوضع في هذا الصندوق، لأنه يعرف بأن الصندوق موجود ويأخذ مساره في طريقه الصحيح، وعندنا أمل أن تكون هناك جهة موحّدة لهذا الجانب.

- **ثالثاً**: إن الحوزة العلمية تُنتَخَبُ بمستوى المسؤولية، بمستوى تحديات

العصر والتنوع، حيث كان أتباع أئمتنا سابقاً منوعين وغير مقتصرين على الفقه والأصول. نحن بأمسّ الحاجة إلى قلم مبدع في التاريخ وقلم يكتب في الإجتماع وآخر يكتب في علم النفس وقلم يكتب بالعقائد. نحن أمة مستهدفة، نحن جماعة معتدى علينا يكثر علينا الكذب والإفتراء والتشويش والدعايات الباطلة ونحن في مسيس الحاجة لمساحة كبيرة من الإعلام وإلى أقلام تذود عن فكرنا وعن عقائدنا وتحمل هويتنا كما هي بدون تزوير ودون غلط أو تغطية، نحن بمسيس الحاجة إلى تنويع الحوزة العملية لتقوم بهذا الدور. هناك آمال وآلام وطموحات ليست بخافية على أئمتنا وقادتنا. نحن نطمح أن يكون لنا مؤتمر علمائي يجتمع ولو في كل ثلاث سنوات مرة واحدة يتبادل الهموم والآلام والآمال ويتعرف على الساحة وعلى حاجتها ليغطيها. لقد شبعنا من الألم. لقد شبعنا من التمزق لقد شبعنا من الفوضى وليس هناك أذن تصغي إلى ندائنا مثل آذان مراجعنا التي نأمل أن تنفتح لسماع قولنا.



المرجع الأعلى السيد السبزواري[١]

بمزيد من الأسى واللوعة ننعي عَلَماً من أعلامنا ورائداً من رواد الحركة العلمية وإماماً من أئمة الفقه ورجلاً مجاهداً مرت عليه هذه السنون وهو في طريق الصمود إزاء ما كان يحدث دخل العراق. كان الرجل غاية في الصلابة في موقفه، ولقد تميز بجملة من المميزات:

لقد عرف بالتحقيق من بواكير عمره. أذكر وأنا طفل، وكان مستأجراً أحد بيوتنا (بيت الشيخ مهدي الكاظمي)، تغمده الله برحمته، بالعمارة مقابل آل الشيخ راضي. كنت أخرج صباحاً وأنا طفل أذهب إلى بيت أخي وأراه وأرى مجلسه حاشداً لأن باب البراني مفتوح فأرى رجالاً من الحوزة ومن طلاب العلم يتوافدون على مجلسه حيث كان يتولى تدريسهم. وفيما بعد كانت لنا به صلة أيضاً حيث سكن في بيت آخر لنا بالكوفة (إلى أن ألجأونا إلى إخراجه منه) مقابل بيت السيد الخوئي قدس سرّه وكان يجلس به فكنت على تماس بسماحته إلى حد ما، وكان يتميز بميزات عدة منها:

أولاً: إنه كان كثير الصمت (تغمده الله)، قليل الكلام، كما أن كلماته كانت في غاية الإنتقاء والروعة.

ثانياً: عرف في بواكير عمره بتدريس الحكمة الإلهية فكان بارعاً فيها وانعكست في مؤلفه الثمين مواهب الرحمن في تفسير القرآن والقارىء لهذا التفسير يلمس الروح العرفانية العالية في أداء السيد قدس سرّه.

---

(١) قيلت في تأبين السيد السبزواري.

ثالثاً: إنه عرف بالصلابة في رأيه فكان لا يحيد عن رأيه، ومرت هذه النكبات وهو المعروف بمعارضته للأوضاع السياسية وتعرض فيها إلى كثير من الضغوط فما لان ولا انهار أبداً.

وقد واصل مسيرته العلمية فكان له الباع الطويل في الفقه وله الباع الطويل في التفسير وكان من المأمول أن يمد الله في عمره ليكمل مسيرة التفسير الذي صدر منه إلى الآن أحد عشر جزءاً والأجزاء الباقية كانت في طريقها إلى الصدور. وهناك أجزاء أخرى كان ينوي إصدارها.

وفي تفسيره لفتات في غاية الروعة، وفي تفسيره عطاء غاية في الثراء، فهو إلى جانب الفقه وإلى جانب الحكمة كان ضليعاً في التفسير، كبيراً في الأخلاق وعظيماً في النفوس على خط آبائه الطاهرين وأجداده المنتجبين، وقد شاء الله لهذه الحياة الحافلة الحاشدة أن تختتم في مثل هذا اليوم في ليلة وفاة جده رسول الله ﷺ ليلتحق بجده بعد أن ولد في يوم غدير خم، والآن أنتقل علم من أعلامنا فلله الحمد أن ديار علي والحسين وجعفر غنية إن شاء الله بالعطاء وغنية بالأفذاذ الذين سوف لن يتركوا الساحة بل يملأونها. والآن رزئنا بالتدريج واحداً بعد واحد ولئن تم رزئنا في مثل هذا اليوم بهذا الراحل الجليل أن أملنا بالله عز وجل أن يمدّ بأعمار قادتنا الموجودين، الإمام الكلبايكاني (أطال الله في عمره) والإمام السيستاني (أمد الله في بقائه) وباقي مراجعنا الكرام سواء في النجف أو في قم أو في غير مكان، الله وحده هو المسؤول أن يمد في أعمارهم وأن يأخذ بأيديهم لنشر فكر آل محمد ولإكمال مسيرتهم في طريق العطاء وفي طريق حمل هذه الأمانة والرسالة المقدسة وما خلت لنا مدرسة في يوم من الأيام وسوف لا تخلو ما دمنا في ظلال آل محمد وما دمنا في ربيع آل محمد في فكر آل محمد فالله وحده المسؤول أن يعوضنا عن هذه الخسارة الفادحة، ولئن تعرض إلى الضغوط في حياته فقد تعرّض للضغط بعد وفاته فما سمح لجنازته في هذا اليوم إلاّ على مستوى أفراد قلائل ونقل من

الصحن إلى المقبرة ووري عند أمير المؤمنين في ظل حامي الحمى.

رحم الله تلك الروح الطاهرة وأغدق عليها شآبيب رحمته. وعزاؤنا لأئمة المسلمين وقادتهم وللحوزة العلمية التي نأمل أن تكون منجبة ومنجبة أكثر من واحد وواحد ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.



من أعلام الإسلام[١]

(الشهيد الأول)

تتنوع ميادين البطولة فكما هي في سوح النضال هي في المختبرات العلمية وكما هي في اكتشاف المجاهل هي في المجالات العقلية رائد لكشف المعنى الدقيق وهكذا ولعل تاريخ الإسلام من أحفل التواريخ بالبطولات في مختلف مضاميرها ففي حياة سلفنا الصالح جوانب جديرة بالدرس حرية بالإهتمام تكشف لنا ما يُميز به ذلك النفر من بطولة مظاهرها خصوبة في الذهن وبالتالي بالإنتاج وسعة في آفاق النفس ومران على التحصيل في صبر على شدائده أقل ما يوصف به أنه نجيب وهذه النواحي تزيد من إيماننا بما في النفس البشرية من كنوز لو أتيح للفرد أن يستمدها لأفاد منها كثيراً وما وسائل التقدم بكافة أشكالها التي أوصلت البشرية إلى هذه الحضارة المادية الهائلة إلا يسير من الطاقة الهائلة التي تكمن في النفس والتي لها من الإستعداد ما ينمو على التربية والتهذيب ولا يقف عند حد معين، من هذه المقدمة الوجيزة أجتاز بك إلى نموذج من أبطالنا في ميادين التشريع ذلك هو الشهيد الأول مفخرة الفقه والفقهاء فقد ولد الإمام الشهيد محمد بن مكي. في سنة «٧٣٤» هـ[٢] وهو عصر تضيق جوانبه مثل المترجم له من كل ناحية وخصوصاً الحرية الفكرية وقد رافقته أزمة اقتصادية خانقة كانت تفرض عليه تحصيل موارده بالجهد الشديد وسترى معي من ترجمته كيف يمكن لمثل هذا

---

(١) من اعلام الإسلام الشهيد الأول. مجلة النجف عام ١٩٥٨.

(٢) ولد في جزين وهي بلدة بعاملة في جنوب لبنان منها خرج خمس علماء الشيعة العامليين على وجه التقريب.

الإنسان في مثل هذا الوقت أن ينتج مؤلفات مهمة لا يمكن أن توجد إلا بعد أن يتوافر لها من الهدوء وصفاء الذهن وسعة اليد وغير ذلك من عناصر مقومة ثم كيف يتسع مثل هذا المورد الضئيل لسفر في طلب العلم يمتد إلى الحجاز والعراق ومصر وبيت المقدس وجملة بلدان أخرى وقد اتصل في سفراته هذه بأعلام عصره من مختلف المذاهب الإسلامية وأخذ عنهم وأجازه الكثيرون منهم فبعد أن أكمل المقدمات في بلده تلمذ على تلامذة العلامة الحلي «ره» في أوائل بلوغه وأكثر دراسته عند فخر المحققين في داره بالحلة في سنة «٧٥١» وقد قال في صورة الإجازة التي كتبها له على ظهر كتاب القواعد لوالده العلامة: قرأ على مولانا الإمام العلامة الأعظم شمس الحق والدين محمد بن مكي وأجزت له رواية جميع كتب والدي قدس سرّه الخ وممن تلمذ عليهم السيد علاء الدين بن زهرة أحد الثلاثة المجازين من العلامة بإجازته الكبيرة، والسيد مهنا صاحب المسائل، والشيخ رضي الدين علي بن أحمد المزيدي، والسيد عميد وذلك في الحرم الحائري، وابن نما الحلى وابن معية، ويروي عن أربعين من علماء المذاهب الإسلامية الأربعة ومنهم قطب الدين الرازي الشافعي، والشيخ شمس الدين محمد بن يوسف القرشي الشافعي الذي يروي عن القاضي عضد الدين الإيحي وغيرهما من أقطاب العلماء، وهي ظاهرة تلفت النظر وذلك أنه من الصعب جداً أن يفلت الإنسان من اعتبارات محيطة ويتخلص من سيطرة عاطفة هي من أعمق النزعات عنده وهي العاطفة الدينية وهو بذلك يضرب مثلاً سامياً في طهارة النفس والتصرف الموزون ويبين أن الإختلاف في رأي ما بين اثنين ليس له أن يتحكم في القيم والفضائل أو يتجنى على الواقع، وكنتيجة لجهوده أن نسميها ضخمة، وسأذكر لك بعضها بإيجاز، كتاب الذكرى في الفقه، وكتاب الدروس في الفقه أيضاً، غاية المراد في شرح نكت الإرشاد كذلك، جامع البين في الفوائد الشرحين جمع فيه بين شرحي تهذيب الأصول المعروف بالعميدين وشرح السيد ضياء الدين وهو في الأصول

وكتاب البيان في الفقه واللمعة الدمشقية في الفقه التي شرحها الشهيد الثاني رحمه الله والسائد تدريسها حتى الآن[١] والألفية والنفلية وهما في الواجبات والمستحبات المتعلقة بالصلاة، ورسالة في قصر من سافر بقصد الإفطار والتقصير في الفقه الاستدلالي، وخلاصة الإعتبار في الحج والاعمار، والقواعد، والدرر الباهرة جمع فيه قصار كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته في مختلف العلوم والحكم وكتاب المقداديات، وهي مسائل أملاها على تلميذه المقداد السيورى الحلي صاحب كتاب كنز العرفان في آيات الأحكام وغير ذلك من المؤلفات الآن ألا ترى معي أنه خصب الإنتاج مع ملاحظة أن هذه المؤلفات على كثرتها مركزة خالية عن الحشو المفسد والزيادات، ناصعة في تعبيرها فلا تعقيد ولا إسفاف وأغلبها ما يزال حتى الآن يمد الحركة العلمية بمعين لا ينضب، وبعد فالمترجم أديب ممتاز في أدبه في حدود عصره ومعاصريه وقد ترك آثاراً طيبة في الأدب منها تخميسه للامية علاء الدين الحلي الشفهيني ومطلعها

نم العذار بعارضيه فسلسلا ... وتضمنت تلك المراشف سلسلا

ومن شعره قوله:

غنينا بنا عن كل من لا يريدنا ... وان كثرت أوصافه ونعوته

ومن صدّ عنّا حسبه الصدُّ القلا ... ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

وهما بيتان يكشفان لنا عن الإعتداد بالنفس المعقول وفي هدأة من الليل الساجي وانطلاقة من النفس عن أسار الجسد إلى التجدد ينطلق بأبياته العرفانية مناجياً فيقول:

الأولياء تمتعوا بك في الدجى ... بتهجد وتخشع وحنين

(١) وقد ألفها إجابة لشمس الدين محمد الأوي صاحب السلطان علي بن مؤيد ملك خراسان المتوفى سنة (٧٩٠).

وطردتني عن قرع بابك دونهم أترى لعظم جرائمي سبقوني

أوجدتهم لم يذنبوا فرحمتهم أم أذنبوا فعفوت عنهم دوني

إن لم يكن للعفو عندك موضع للمذنبين فأين حسن ظنوني

إلى غير ذلك من شعره ومن هنا نعلم أن السابقين من علماء أسلافنا ما كانوا يرون بأساً في الجمع بين الأدب والعلم بل بما ذهب بعضهم إلى أن الفقيه لا يكمل حتى يكون أديباً ملماً بقسط كبير من النصوص الأدبية بارعاً في قسمي الأدب والنثر والشعر وهو رأي على جانب كبير من الوجاهة، وقد ختمت حياة المترجم له الشريفة في أيام سلطنة برقوق الشرسكي[١] في يوم الخميس أول جمادى الأولى سنة ٧٨٦ في مدينة دمشق في حادثة أعرض عن ذكرها هنا ومن أرادها فليرجع إلى مظانها من كتب التراجم عطر الله تربته.



(١) وبرقوق هذا الذي قتل الشهيد في أيام سلطنته هو الملك الظاهر سيف الدين برقوق وإنما سمى (برقوق) لجحوظ في عينيه وهو أول ملوك الشراكسة الذين ملكوا مصر والشام وكان بدء دولتهم في سنة ٧٨٤ وانقراضها في سنة ٩٢٢ وعددهم ثلاثة وعشرون ملكاً ومات برقوق هذا في يوم الجمعة خامس عشر شوال سنة (٨٠١).

تقديم[١]

واقعة الطف كانت نتيجة ولدتها عوامل متعددة منها الجغرافي ومنها العقائدي ومنها المزاجي في تفصيل ليس هذا محله، وقد تورط الأمويون فيها وتحملوا أوزارها كاملة وللتو أدركوا فداحة ما أقدموا عليه ونتائجه المدّمرة على كيانهم فراحوا يستطلعون ردود الفعل الناتجة عن الواقعة، وكانت ردود الفعل عند المسلمين احتدام النفوس بالغيظ وغلبة الأسى واللوعة عندهم لفداحة الخطب واعتملت الثورة في النفوس.

وقد حالت وسائل القهر العنيفة والتلويح بإزهاق النفوس من جانب وبالأغراء من جانب آخر دون التعبير عن هذه الثورة النفسية تعبيراً يقتضيه الموقف فاقتصر التعبير عن المأساة بادي ذي بدء على الدموع التي هي وسيلة صامتة للتنفيس ثم أخذ التعبير يرتفع إلى مستوى التفجع والرثاء بصور بسيطة ووصل بعد ذلك إلى رفع الصوت والتنديد والشجب والاستنكار لما صنعه الأمويون، وبفعل عوامل أخرى رافق ذلك حدوث ثورات محدودة ابتدأت بالتوابين وعبرت عنها نهضات العلويين ومدّت فعلها إلى كثير من مواقف الأحرار في أماكن متباعدة.

وظل تيّار التعبير عن فداحة الواقعة متدفقاً وكان من منافذ ذلك التعبير المآتم الحسينية التي يقوم فيها الشحن ونشر الظلامة بدور كبير في شرح الواقعة وشحن النفوس على مرتكبي المجزرة وسافكي دماء آل البيت بالنقمة والاستنكار لذلك الخطب الجلل. وللشعر والشعراء في ذلك دورهم كما للخطباء دورهم.

ولكن كل ذلك ظل في نطاق المضامين التقليدية التي تقتصر على صلب مادة

---

(١) تقديم كتاب من لا يحضره الخطيب الجزء الأول.

واقعة الطف لا تتعدّاها إلى غيرها، وهذا المقدار من استعراض واقعة الطف كان كافياً لإدانة الأمويين ووصمهم بالخروج عن الإسلام فيما فعلوه كذلك نشط الأمويون في تجنيد الوسائل التي تدفن الواقعة من ناحية فإن لم تستطع فلتخلق المبررات لقتل الحسين وتجسد ذلك في خنق كل صوت يذكر ظلامة أهل البيت ولو بقتله أو بإغرائه - إن أمكن - واشتروا ذوي الضمائر الرخيصة، والذمم المعدّة للإيجار فدفعوها لتلتمس أحكاماً لا تقوم على دليل ووصموا بها الحسين كالخروج على الخليفة، وشق عصا المسلمين وإلقاء النفس بالتهلكة، ونظائر ذلك من عناوين حاولوا بها تبرير فعل الأمويين ولكنها تداعت أمام أبسط الردود، ووقفت في وجوههم صرخة الحق التي دوّى بها الرسول بقوله: (حسين مني وأنا من حسين) وبقوله: (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم) وبقوله: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة) وكل ذلك يعطي الحسين مناعة من أن توصف أفعاله بالابتعاد عن الصواب.

وكان في موقف المنبر الحسيني جهد كبير لإبراز هذه الحقائق وشرحها وإيصالها إلى الأذهان مما ساهم في تبديد غياهب الدس الرخيص، ودفع الالتباس.

ولقد كان للمنبر مسيرة طويلة مرَّ فيها بأدوار تناضد بعضها فوق بعض حتى وصل في تفصيل لا يسعه هذا المختصر إلى لون من الموسوعية أسهم فيها كثير من الرّواد في خط مسيرة المنبر.

وقد يكون لنا شيء من الجهد في ذلك نرجو أن يكون ذخيرة لنا عند الله تعالى في خط ولاء أهل البيت وخدمتهم، ولقد أحبّ بعض خطباء المنبر أن ينسجوا على منوال نسجنا عليه ويعتمدوا على منهج اعتمدناه في هذا المضمار معتقدين أن ذلك أفعل في التأثير في النفوس وأكثر شمولية وموسوعية للخروج بالمنبر عن النسق في النفوس والذي قد ينتهي إلى نفاد المحتوى لواقعة الطف وتحوله إلى مجرّد طقوس

ميتة جامدة لا تؤدي هدفها المطلوب وتحاشياً عن ذلك فلا بد من التوسع في مضمون رسالة المنبر واستغلال سحر الحسين عليه السلام في جذب الجماهير وبالتالي بعثها ولائياً وثقافياً.

وإذا كان لي ما أعتز به فإن من ذلك بل في طليعة ذلك أخذ جماعة من الخطباء ما سلكته من منهج وما خططته من مدرسة طريقة لهم فيما يمارسونه من فعاليات للمنبر الحسيني.

وممن أرجو له التوفيق في هذا المضمار وارقب مسيرته بتقدير الخطيب السيد داخل السيد حسن الذي أتوقع له نمواً مطّرداً في دنيا الخطابة وأرجو منه تعالى أن يسلكه في سلك من خدموا المنبر الحسيني.

وقد واكبته فيما كتب هنا وأشرفت على ما أنتج مبدياً له ملاحظاتي وآخذاً بيده إلى ما أراه أوقع وأسدّ في المنهج حتى تبلور هذا العمل فيما هو بين يدي القارئ من أمالٍ أرجو من الله له فيها التسديد والتوفيق كما آمل أن تكون بداية لما هو أكثر شمولية ودقّة ومسايرة إلى تطلعات وهموم الثقافة الإسلامية في مسيرتها سدد الله خطانا جميعاً ووفقنا لما يحبه ويرضاه.

وفي الختام أبارك هذا الجهد الموفق متمنياً له المزيد من تحقيق الأفضل.

أحمد الوائلي

٢٥ شوّال ١٤١٠هـ



إستغلال الأجير[١]
وموقف الإسلام منه

عرض لأطروحة الدكتواره للشيخ أحمد الوائلي/جامعة القاهرة كلية دار العلوم

إن الإنسانية في تاريخها الطويل شهدت ألواناً من صور الإستغلال من الأقوياء للضعفاء في مختلف صور القوة والضعف وفي شتى الميادين التي يقع فيها الإستغلال. وقد تطور الإستغلال في مسيره وتضخم تبعاً لتطور وتضخم ميادينه وبخاصة في حقل العلم والعمال سواء في المجال التجاري، أو الصناعي أو الزراعي. حيث شرع الناس الذين يمتلكون أسلحة لا يمتلكها غيرهم في حقل العلم والتكنولوجيا والأموال والإمكانات الأخرى يتخذون منها أدوات لاستغلال من لا يملك مثلها لاجتناء الربح والمنفعة والمكانة السياسية والإجتماعية.

فإذا تمرد أحد أو حدثته نفسه بالثورة على استغلالهم سحقته القوة وتعقبته وسائل العنف والإبادة أحياناً.

وكان أن استبيحت في هذا الصراع كل الحرمات الإنسانية وأهدرت الكرامات وذبحت قيم العدل والرحمة، وحل محل ذلك علاقات مادية غليظة تقوم على الربح والمصلحة الشخصية وانتهاز الفرص لاستثمار كل ما يصلح للإستثمار وبكل أسلوب غير مشروع، وتدرجت مظاهر الإستغلال هذه حتى اشتدت ونمت عند الرأسمالية وراحت تمتص ما شاء لها المجتمع وتنهب ما ساندتها القوة وتسرق ما

(١) استغلال الأجير مجلة الموسم العدد الثاني والثالث السنة ١٩٨٩.

أسعفتها الحيلة يدعمها في ذلك فكر له مصلحة يجتلب لها ما يشاطرها فيه ويبرر لها أساليبها ويلتمس لها حججاً تلبس أثواب العلم.

كما ساندتها وسائل قمع مرعبة من سلاح، ومنافٍ، وسجون، فكمّت الأفواه وخرست الألسن واستكان الناس تحت سياط القمع لا يملكون إلا عيوناً تتلفت يميناً وشمالاً تبحث عن المنقذ وتتطلع إلى سفينة نجاة.

ولم يعد في ميادينها قوة من فكرها وجيش من أبنائها تصول بهما وذلك بعد أن أبعد الفكر الديني والقوى التي تعمل باسمه وتصدر عنه، أبعد من الميدان في أوروبا المسيحية بسبب تردي أوضاع الكنيسة وإفلاسها روحياً وتحولها إلى مؤسسة تقوم على التهاويل والبخور والمظاهر التافهة وإلى أداة للاقطاع والسلطة تحارب العلم وتقاتل العدل.

أما في البلدان الإسلامية فكان الوضع أكثر سوءاً لأن هذه البلدان لم تكن محكومة من قبل أهلها، وإنما كانت تحكم من أناس أجانب استولوا عليها بالقهر والغلبة واستثمروها واستغلوها، وفي سبيل المحافظة على بقائهم فيها شرعوا يحاربون عقيدتها التي تمدها بالمقومات الأساسية حاربوها بكل ما يملكونه من وسائل علمية ومادية ومن خداع ليخلو لهم الجو ولم يفتهم للتستر أن يبقوا فيها على كيانات شكلية تقوم على حفظ القشور وحراسة الخرافات والشعوذة بمختلف الأساليب. فشككوا في العقيدة، وسخفوا النظريات ذات الأصالة، واستهزؤوا بكل محترم وجندوا من أبناء الإسلام من يشهر السلاح بوجهه واتخذوا من أفكار وأدمغة بعض أبنائه قواعد لهم وكاد يتم لهم القضاء على الإسلام لولا أصالته وعمق جذوره.

إن الأفعال الرأسمالية العنيفة أثمرت ردود فعل معاكسة في أوروبا وهنا، ولد الفكر اليساري، من أب هو الحقد على ضراوة الإستغلال، ومن أمّ هي الحاجة بكل ما ينعكس عنها من شرور وآثام.

غير أن هذا الوليد لم ينبع من الموضوعية ليعالج المشكلة بموضوعية، وإنما نبع من التأزم والثورة فراح يأكل الإنسانية ويطحن قيمها واستقرارها بين فكين ضاريين وهو يظن أنه يخلصها من شقائها الذي أشبعها بالحرمان وأغرقها بالجوع. ونسي وهو في إبان ثورته أن الإنسانية ليست كلها معدة والحياة ليست كلها جسداً وإن كان الجسد والمعدة يكونان جزءاً هاماً منها.

ولكنه أكد عليهما وأبعد غيرهما من مقومات الإنسان فأعاد الحياة إلى مادية أغلظ من مادية الرأسمالية وشدّ الإنسان إلى المعدة يدور حولها وإلى الجسد يعيش في أبعاده ولا يملك الخروج عن هذا الإطار كما أريد له أن يظل فيه معصوب العينين مخدراً يجرع من دعاوى التقدمية تقصر عليه وهالات من النضال تشع حوله ومحمولاً على الإيمان بذلك خوف الوصول إلى مصير مرعب صار إليه غيره عندما كفر بالجنة الموعودة. وإذا بالإنسان الذي قاده ظلم اليمين إلى خيال اليسار الذي لم يصنع سوى هدم القيم ولم يستطع أن يرفع السفوح إلى أكثر مما كانت عليه.

وإذا كان قد وفر (في أحسن الفروض) رغيفاً للمعدة فقد حرم الروح من العقيدة، والوجدان من الخيال، والنفوس من الحرية، والدنيا من قيم مهمة.

وعاد الناس يتلفتون مرة أخرى وتناهى إليهم صوت من بعيد وتحركت بقية نبض في قلوب عاشت على بقايا وهج من العقيدة. وبدأ النبض يقوى وتشتد ضرباته، وكأن السماء أرادت أن تمد الشرايين بدم جديد. وتحولت الأصداء إلى أصوات تطالب بالعودة إلى النبع الذي شرب منه الشرع بعد أن ذاقت المر من مياه غيرها وأجهدها العطش حين خدعها السراب فلم تجد ما يروي غلتها. وتحركت أقلام تلتمس طريقها إلى المنبع لتعبّ منه ثم لتشبع النفوس والأفكار من عطائه. وتململت جذوة لتذيب بعض الجليد في بداية إلى صهر الجليد كله وبعث الحرارة في أجوائه الباردة. وكانت عودة إلى التراث الإسلامي لتعلي البناء الجديد على الأسس الراسخة ولتطمئن إلى موضع الأقدام من الأرض. والله هو المسؤول أن ييسر

لهذه المسيرة سبل الرعاية والوقاية من العثار في متعرج السبل وزحمة الدرب، وما أطروحة الدكتور الوائلي في هذا الموضوع إلا خطوة رائدة على ذلك الطريق اللاحب.

وفيما نحسب أنه أضاف للمكتبة العربية دراسة قيمة سدت بها فراغاً كبيراً إذ أنه سلك طريقاً بين طريقين قام أحدهما على توزيع مواد البناء في تركيز شديد ووزعها بين بُعد الفقه الإسلامي على امتداده من البداية إلى النهاية، وبلغة هي من الرموز التي تعارف عليها الفقهاء، وقام الثاني على النهج الخطابي الذي يعني بالأضواء أكثر ما يعني بالجوهر ويحمل النصوص أكثر من مدلولها ويستنتج أحياناً من أوضاع قامت في إطار عليه اسم الإسلام ولـم تغترف من روحه، وقد بعد عن هذين اللونين وعاد للمصدرين.

وتقع الأطروحة التي حملت اسم (استغلال الأجير وموقف الإسلام منه) في مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة: ذكر في المقدمة الدافع لاختيار هذا البحث وهو الإسهام في تجلية معالم الإقتصاد الإسلامي عن طريق معالجة بعض الجوانب في الإقتصاد الإسلامي، وبحث في التمهيد مظاهر الاستغلال في المجتمعات ما هو تاريخها وما هو مصدرها وهل هو غريزي أم من المحيط، ومثل له بنماذج ثم ذكر كيف كافح الإسلام الإستغلال.

أما الباب الأول: فقد ذكر فيه تعريف العمل ثم تقسيمه وتقسيم العمال، واستعمال القرآن له بمعانيه المختلفة وكذلك استعمال السنة له بذلك المعنى، وذكر مكانة العمل غير الذهني عند الحضارات الأخرى ومكانه عند الإسلام ممثلاً بالكتاب والسنة بكل أقسامها، وشرح أحكام العمل وعدد تلك الأحكام، واستعرض مسؤولية الدولة عن إعالة العمال وتوفير العمل لهم من وجهة نظر الشريعة، ومعالجة الإسلام للبطالة وتناول عمل المرأة والصبي والأحكام المترتبة على العمل.

أما الباب الثاني: فشرح فيه معنى الإستغلال وقسمه إلى مشروع وغير مشروع

وشرح الإجازة لتعلقها بالعمل المأجور الذي هو محل الإستغلال فذكر أدلة تشريعها ومبرراتها وما ورد عليها من نقد والرد على ذلك النقد ثم الأجور عند المدارس الإقتصادية وعند الإسلام من عملية مقارنة طويلة لكل ملابسات الأجور.

وشرح مؤسسات نقابات العمال من وجهة إسلامية وهل للإسلام تجربة في ذلك وما هو رأيه فيها وشرح ما يساعدها من فعل المحتسب ودوره في حفظ حق العامل كما شرح بعد ذلك ضمان حرية المتعاقدين وكيف ضمنها الإسلام.

ثم انتقل إلى حماية العامل من السرقة وشرح الطرق التي يسرق منها العامل ومنها فاضل القيمة وكيف عالج الإسلام ذلك ثم ذكر مجالات عمل الأجير وكيف حددها الإسلام ولماذا. وختم الباب بنظرية تضمين العمال أو عدمه.

أما الباب الثالث: فقد طرح فيه تساؤلاً عن وجود عناصر أساسية للاقتصاد عند الإسلام أم لا؟ وأجاب على ذلك بالإيجاب وشرح بعض الجوانب البارزة في الإقتصاد الإسلامي كالملكية الفردية - كما هي في نظر الإسلام - ومبررات الملكية الفردية والآثار المترتبة على إلغائها، واستعرض بعدها السمات الأخرى للملكية من كونها توصيفاً اجتماعياً، ثم اشتراط العنصر الخلقي في الإقتصاد الإسلامي وبذلك يتميز الإقتصاد الإسلامي عن غيره.

أما الخاتمة: فقد دعا فيها العمال المسلمين إلى الثقافة الإسلامية ذات العلاقة بالعمل والعمال وتطبيق مفاهيم الإسلام في ذلك على أنفسهم ثم الدعوة لها عالمياً والعمل على نشرها من أجل بناء جيل الغد الباسم على أسس من الماضي العريق ولكي نصل ثقافتنا بجذورها الصحيحة.

وأملنا من الدكتور الوائلي المبادرة إلى طبع هذه الأطروحة ليعم نفعها وفائدتها في وقت يزداد فيه الطلب على مثل هذه البحوث الرصينة التي تعالج المشاكل الإقتصادية والإجتماعية الحساسة التي ما برح مجتمعنا يعاني منها.

خميرة الغضب[1]

عنوانُ ديوانِ شعرٍ من شعرِ الأستاذ جاسم الصحيّح دلفتُ منه إلى أبعادِ الديوان وأنا متصوِّر أنَّ مضمونه كلّه لهبٌ جامحٌ وبركانٌ ثائر، ولكنّي ما كدتُ ألج إلى داخل الديوان حتّى رأيتُ أنَّ العنوانَ قد اقتصرَ على بعض مضامينه وهو مضمونُ الغضب المقدَّس الذي يصخبُ من أجل الحقِّ والحقيقة، ويصفعُ وجوهَ الظالمين ويقول: لا للباطل، وما أجدرَ مثل هذا الغضب بِأن يُسمَّى بِالغضب المُقدَّس. أمَّا باقي مضامين الديوان فتوزَّعَت وتنوعت فكان منها الخميل في أفيائِه الراعشة وشذاهُ العابق، وكان منها التَجربة الاجتماعيَّة الناضجة المُفرَغة في قالب الحِكَمِ ليس بالضيِّق ولا الفضفاض إلاَّ نادراً، أمَّا في أكثر مقاساتِهِ فهو متناسبٌ وحجمَ التَجرِبة أو حجم المضمونِ الذي قد يكون في غير موضوع التجرِبة وكان منها اللمحة التاريخيَّة التي تحملُ دلالةً يُراد توظيفها في حالةٍ من الحالات، وكان منها غير ذلك مما حفلَ بهِ هذا الديوان. وفي جميع هذهِ الجوانب يتألَّقُ التصوير وتُلتمس له المفردةُ المعبِّرة والجملة المسبوكة المتينة، اللهمَّ إلاَّ القليل من المفردات التي قد يكونُ لِموقعِها في الجملة ومضةُ التمعَتْ في ذهن الشاعر ولم يتنبَّه القارئ لكُنهِهَا فرأى فيها قلقاً من ناحية المكان وانفصاماً من ناحية المعنى، وهذا الأمر لا يكادُ يسلمُ منهُ ديوان من الدواوين فما أكثرَ ما يخطر بخاطر الشاعر من معانٍ تلتحمُ في بعض أجزائِها مع الصورة بينما القارئ لم يعشْ كلَّ أجواء الصورة حتى يرى موقعَ الإلتحام بين المفردة والجملة فيخال أنَّ المفردةَ نابيةٌ، وقد تكون نابيةً بالفعل مع جملتها التي نفذت خلسةً من ذهن الشاعر دون أن يتفطَّنَ لها وهو في

---

(١) «خميرة الغضب» هو العنوان السابق للمخطوطة الأولى من هذا الديوان وقد تمَّ تغييره لاحقاً إلى «أعشاش الملائكة» لأسباب فنيّة.

غمرة الصُّوَرِ المزدحمة بذهنه. وعلى العموم فقد كان من السماتِ البارزة في الديوان نصاعةُ الديباجة فما فيها شيءٌ من العُتْمِ وإن مرَّت بأجواء معتمة وذلك نتيجةً لمعاناةٍ في صقل الصورة وإبعادِها عمَّا يُسَبِّبَ العتمة. كما كانت الحرارة في الأداء من سماتِهِ البارزة وكانت حرارتها تريد أن تتكثَّف ولكنْ تدركها الكفكفةُ فتقفُ عند حدٍّ أُريدَ لها، يلمح القارئ ذلك بوضوح فينتهي إلى القناعة بأنَّ أجواءَنا كلَّها ليست مفتوحةً أمامَ الصور المتوثِّبة في ذهن شاعرٍ أو مفكِّر يريدُ أن يتفاعلَ مع مجتمعهِ بحرارةٍ عالية. والصُّوَرُ بعد ذلك غنيَّة بأثوابها من الألفاظ، فالمفردات ليست عصيَّةً على الشاعر ولا يَلِدُها ولادةً قيصريَّة، بل تنسكب من مخارجها هيِّنةً ليِّنةً وثرَّةً وما فيها شُحٌّ، كما رُوعيَ إلى حدٍّ ما التناسب في المزاوجة مع أخواتها ولعلَّ أجدرَ ما ينبغي أن يُلفتَ لهُ النظر أنه وإن احتُفظ لِلصور بتنوُّعها وما يميِّز بعضَها عن بعض ولكنَّها بأجمعِها تسودها لهجة المقارع الذي يعالجُ صُوَرَهُ الشعريَّة بالكلمة غير الليِّنة والمتوثِّبةِ لِلصراع حتَّى فيما قد لا يكون موضوعاً للصراع، أيْ أنَّ المزاجَ المحتدم يغلبُ على الشاعر حتَّى في مكانٍ ينبغي أن يتَّسمَ فيه بالرِّقَّة والطَراوة وذلك فيما أعتقدُ من بصمات البيئة الطبيعيَّة التي عاشها الشاعر خشنةً قاسية، والبيئة الثقافيَّة والتراثيَّة التي تفاعلَ معها وما يزال يتفاعل فتَرَكَتْهُ وتتركُهُ متحفِّزاً دائماً للمُحاولة خصوصاً والشاعر من شريحةٍ تعيشُ أجواءَ التراثِ المُتَشَنِّج والآفاق المُكهربة التي لا ينجو منها أديبٌ ملتزمٌ يرى أنَّ المُصاولةَ دون ما يعتقد جزءٌ من واجب حفظ العقيدة وبرهانٌ على حُجَّة وسلامة المحتوى العقائديِّ الذي يدين به. وتأكيدا لما أجملناهُ من خصائص شعره قبل سطور. نقول: إنَّ القارئَ يدرك بِأدنى تأمُّلٍ الخصبَ الفكريَّ في أدب جاسم الصحيِّح والقدرة على تمديد أبعادِ الصورة التي يريد رَسْمَها، على تفاوتٍ في مدى التحام أجزاءِ الصورة من حيث التناسب التامّ وعدمه، كما أنَّ الإطار العام لكلِّ صورةٍ إطارٌ زاهٍ وأخَّاذ، استمعْهُ يقول:

قالو: وما اسْمُكَ يا هذا، فقلتُ: أنَا

سَحابةٌ تتحدَّى بَطْشَ (هارونِ)

لن يزدهي بِخراجي خصرُ راقصةٍ

في قصرِهِ، هزَّها إعجابُ مفتونِ

بيني وبين أمير الراقصاتِ دمٌ

قَدَّسْتُهُ عن طلاءٍ لِلفساتينِ

واستمعْ لهُ يقول مخاطباً الإمامَ عليًّا عليه السلام:

كاذبٌ كلُّ عاشقٍ يتمنَّى

بِكَ وَصْلاً ولم يَجُزْ من خِلالي

سَجَنَتْني صبابتي في معانيكَ

فكانتْ حُرِّيَّتي في اعتقالي

وتَعرَّى حُبِّي إلى آخِر البَوْحِ

فشَفَّتْ بِنورِهِ أسمالي

وهكذا أنتَ واجدٌ هذهِ الروعةَ والشحنةَ الغزيرةَ من العاطفةِ في كلِّ أبعاد ما يُصَوِّرُهُ، وفي الوقتِ ذاته الوصول إلى نهاية التكيُّف مع المشهد والحالة التي يُراد إيصال السامع لها.

أمَّا ما أشرتُ له من أنَّ أُطُرَهُ مشتعلةٌ حتَّى في أمكنةٍ تقتضي شيئاً من البرودة وعَلَّلْتُهُ بتفاعِلِهِ مع بيئتينِ تقتضيان ذلك فهذا الأمرُ ملحوظٌ في شعرِه، فاستمعْ لهُ يقول في قصيدته «ابتهالٌ في حانة العشق». . والجوُّ هُنا يدعو للرقَّة والإبتهال، يدعو للنعومة والخشوع ولكنَّه في وسط هذا الجوِّ يصخب بانفعال:

يا كتابَ الأشواقِ ما زلتُ أتلوكَ

طقوساً في مِهْرَجانِ اشْتعالي

ثورةُ الوَجْدِ وَحَّدَتْني معَ النَارِ

فضَاقَ النعيمُ دونَ انفصالي

فأنا النارُ. . ما يزالُ مُحِبُّوكَ

نشَاوى تَأَجُّجي وانفعالي

إلى آخرِ هذهِ القصيدة وهي - فيما رأيتُ - عامرةٌ. . بل تصل إلى مستوى غاية في الجودة. واستمعْ لهُ في التائيَّة العصماء التي هي دون مبالغة من عيونِ الشعر في مضامينها وأدائِها، وهي في رحاب القرآن الكريم، قال في بعضِها:

فَتَّشْتُ في الآيِ العنيدةِ باحثاً

عن ثائرٍ أُنمِي لهُ ثوراتي

فَأهابَني (أشقى ثمودَ) وكِدْتُ أنْ

أسمو بِشقوتِهِ على اللَّعَنَاتِ

العَقْرُ وَحَّدَني بهِ، وتَفَرَّقَتْ

في العقرِ عن غَايَاتِهِ غاياتي

فهل تُحسُّ معي هذا التوثُّب والغليان في داخلهِ مع أنَّهُ بمكانٍ تسودُ فيهِ أجواءُ التشريع حتى في مجال العقاب. واستمعْ لهُ في قصيدته في ذكرى الإمام الصادق عليه السلام، وهي لا تقلُّ روعةً عن وصيفاتِها في كلِّ المجالات، قال:

يا فارسَ (الخُلْدِ) الذي كَمُنَتْ لَهُ

(سَقَرٌ) بِصَحْرَاءِ العُقُولِ تُزَمْجِرُ
أَشْرَقْتَ في رُوحِ الحَيَاةِ فَلَمْ تَجِدْ
وصَمَدْتَ للصحراءِ حين تَمَرَّدَتْ
بالزَّيْغِ وانْتَفَضَ الهجيرُ الأصفرُ
إلى آخرِها..

أجلْ.. إنَّ هذه الظاهرة من الصخبِ والصلابة في أجوائِها الحامية تتوضَّح في أبعادِ شعره في كثيرِ من قصائِده ممَّا ينمُّ عمَّا أشرنا لهُ من تفاعُلِ مع أجواءِ قد تفرض ذلك.

وسيجدُ القارئ بشعرهِ مكاناً واسعاً للجزيرةِ العربيَّة بِما لها من عُمْقِ تاريخيٍّ ونكهةٍ عروبيَّةٍ ولفتاتٍ تراثيَّةٍ، يحتضنُ ذلك كلَّهُ في عناق الطفل الملهوفِ لأُمَّة تارةً، وفي عنفوانِ المُدِلِّ بِأمجادهِ تارةً أخرى، وفي أسى المُتفجِّع من أذى نالها ومحنِ تكالبَتْ عليها فهو لم ينسلخْ من جلدِهِ ولم يتنكَّر لتراثه، ولم يُضْعِفْ إِيمانَه بأنَّ لها ماضياً يتَّصفُ بالسموِّ والرفعة وقدرة على استعادة ذلك الماضي، وستجد هذا المعنى منبثاً في أكثر من موضع، ومن ذلك قصيدته «اشتعالاتٌ في رمَاد الذكرى النبويَّة»، قال:

والصحاري العرباءُ لم تتقلَّبْ
ذاتَ يومٍ على رمالِ شِحاحِ
عزَّةٌ للعُروبةِ الأُمِّ، ما قامَتْ
على غير قِمَّةٍ من رمَاحِ
أقفلَتْ بابَ حصنِها، ثُمَّ نامَتْ
في حنايا نسورِها بارتياحِ

إلى آخرِها . .

ولنستمعْ له في قصيدته «تراتيلُ على نخيلِ يثرب»: إنَّها تراتيلُ مجيدةٌ ومقدَّسةٌ وحارَّةٌ إلى أبعدِ درجاتِ الحرارة، وغنيَّةٌ بمضامينها، ولنأخذْ منها موضعَ الشاهد، قال:

وَرَنَتْ تُطالِعُكِ الدُّهورُ فَرَاعَها

فَتْحٌ بماضيكِ المجيدِ (مُعَلَّبُ)

هَرَّبْتِهِ طيفاً بذاكرةِ المُنى

يَزْهُو . . وهَيهَاتَ الفُتوحُ تُهَرَّبُ

نَسَلَ الغُبارُ عليهِ ألفَ قبيلةٍ

رَاحَتْ تُنازِعُهُ البريقَ وتسلبُ

إلى آخرِها . .

ولا أحتاجُ للتدليل على وجودِ أبعاد الجزيرة بيئةً وحضارةً منبثَّةً في شعره مشتبكةً مع خواطره، يتنفَّسُها تلقائياً بِحكم كونهِ من أحشائِها ومن أبنائِها الذين لم يقتصروا في انتمائهم على الدمِ واللحم بل حملوها مشاعرَ وعالجوها هموماً، وعاشوا نبضاتِها بِحدب وشفقة.

أمَّا الهمومُ الوطنيَّة فليس نصيبُها بقليل في شعر جاسم، بل قد لا تخلو قصيدةٌ من قصائدهِ من لمحةٍ في هذا الاتّجاه. لقد قرأتُهُ في أكثر من نصٍّ يتحسَّسُ جراحَ المعذَّبين والكادحين، تجمعُهُ معهم محنةُ الاستلاب، إنَّه يقول في قصيدته (الحرَّة) في ميثم التمَّار:

ألهمني فكلانَا مصلوبٌ من أجل النخلةِ . .

مصلوبٌ من أجلِ الأزهارْ

لا فرقَ سوى أنكَ مصلوبُ الجسمِ وأنّيَ مصلوبُ الأشعارْ
ألهمني
فأنا رغمَ الأبعادِ الزمنيَّةِ
أسمعُ أصداءَ هديرِ الأحرارْ

وقرأتُهُ بِما يحمل من أسًى هادرٍ متوثّبٍ لِما أصابَ دارَ السلام، ولِما انتهت إليه من مصيرٍ مأساويّ، وذلك بقصيدته في رثاء الشيخ (المفيد)، وفي ذكراه الألفيَّة، قال مُستطرداً:

يا شيخَ (بغدادَ) لو تدري بِلوعَتِها
لَمَا استقرَّتْ على جُثْمانِكَ التُّرُبُ
(دارُ السلامِ) تَمشَّى في مناكِبِها
الإرهابُ، واندَسَّ في جدرانِها الرُّعُبُ
تلك المليحةُ.. لا أَبْصَرْتَ هيكلَهَا
وقد تناثرَ في أعضائِه الجَرَبُ

وفي غير قصيدةٍ يُرى تَوَجُّهُهُ السياسيُّ واضحاً يعبر حدودَ الوطن عنده إلى الوطنِ الأوسع، وتتمدَّد العقيدة والدمُ في أبعاده إلى نهاياتِها، وهناك مزيد لو وُجِدَ له مدًى أوسع، يُلمَس كلُّ ذلك ليس في السطور فحسب، بل فيما تشعُّهُ السطورُ خارجَ الجملة ممَّا يتبيَّنه التأمُّلُ الموهوب عند النقَّاد.

بقي القدر المشترك الذي يُعرب عن مزاج متجذِّر في الدم واللحم، ومتأصِّل بالروح وواضح على كل وسائل التعبير، يدركه القارئ بِدون جهدٍ أو إعمالِ فكر:

إنَّه ولاؤُهُ لأهل البيت ولمن تَرَسَّمَ خَطَّهُمْ وسارَ على هديهم، وهو ولاءٌ لا يقفُ عنده على حدود التقليد أو الميراث من الآباء والأهل، بل ينبعثُ عن وعيٍ أصيلٍ بِمكانتهم وفهمٍ عميقٍ لِما يتميَّزونَ به، وهو في الوقت ذاته ولاءٌ مهذَّب غير متطرِّف، ولا هو سلبيٌّ، كمَا أنَّه عميقٌ إلى درجة العشق وأصيلٌ لا مكانَ فيهِ لتصنُّعٍ أو تقليدٍ يندرج في نطاق التلقِّي والمسايرة، والبرهانُ على ذلك في السطور نفسها بما تحملهُ من صدقٍ في الأداء وحرارةٍ في الأجواء.

وسأقتصرُ في لفتِ نظر القارئ على بعض الشواهد مُحيلاً إيَّاه إلى نفس الديوان، وسوف يرى هذهِ الظاهرةَ طاغيةً في أدبهِ، ولنأخذْ مثلاً قصيدتَه في رحاب الإمام علي عليه السلام، ومطلعُها:

حَرَّرَتْنِي نجواكَ من صلصالي

فابتعثْنِي ملائِكِيُّ الخيالِ

وما أروعَ هذهِ المحاولة الذكيَّة للتخلُّصِ من الحمأِ المسنون، والتمحُّض للروح حتَّى يواجه روحاً عُلْوِيَّةً في سنخيَّةٍ موحَّدة، وفي فهمٍ وإدراكٍ إلى سموٍّ من يُخاطب، ويمضي فيها فيقول:

هكذَا ينبتُ الهوى (عَلَويًا)

في عروقِ الغرامِ من أوصالي

وتشيخُ السنينُ.. والطفلُ يلهو

داخلي حيث واحةُ الأطفال

وأنا واحد الحقيقةِ في العشقِ..

سواءٌ طهارتي وانْحِلالي

ومثلٌ آخرُ قصيدته في الزهراءِ فاطمة عليها السلام، التي قال في مطلعها:

حملتُ كلَّ جراح الأرضِ في ذاتي[١]
وجئت أطرقُ أبوابَ السماواتِ

حتَّى قال:

هي الرسالاتُ لم تضلعْ قِواكِ بها
في المسلك الوعرِ. . يا بنتَ الرسالاتِ
حَمَلْتِهَا واقْتَحَمْتِ الدهرَ ساعقةً
لم يثنِ خطوَكِ ذاك المنهج العاتي

ومثل ثالث قصيدته في رحاب الإمام الحسن عليه السلام ذات المطلع:

تَوَضَّأَتْ فَوْقَ أوتاري، تلاحيني
بِمَا تبقّى هُنا من جَمْرِ (صِفّينِ)

حتَّى قال:

في غرفةِ الوحي حيثُ (المصطفى) خَشَعَتْ
أعضاؤُهُ. . يتلقّى (سورةَ التينِ)
وحيثُ (زهراؤهُ) في طَلْقِهَا اتَّحَدَتْ
بالغيبِ خلف حدود العالم الدوني
فما عَلَتْ صرخةٌ من ثغر (فاطمةٍ)
إلاّ أَتَتْ آيةٌ من ثغرِ (جبرينِ)

(١) قصيدة بعنوان (أحرمت للحبّ. . والميقات ذكراك) في مسوّدتها الأولى.

إنَّني هُنا - أيْ في موضوعِ ولائِهِ لأهل البيت - لا تعنيني الديباجة ولا تركيب الجملة، وإنَّما يشدُّني هذا الولاء الصادق المتدفِّق - وهو من سمات الشعر الشيعيِّ - إنَّني هُنا أرصدُ خشوعَ ساجدٍ في محرابِ الولاءِ يهمسُ بأنغامِ مناجاةٍ صوفيَّة، وتبدو عليه نبرةُ الاعتزاز بهذا الإنتماءِ العُريان من المنافعِ إلاَّ الإيمان وما هو ثمراتِ الإيمان، كما ينمُّ عن شخصيَّةٍ احتقرت التيَّارَ الذي يرى في مثل ذلك تقوقعاً يُؤدِّي إلى مذهبيَّةٍ تَحُولُ دون فتح الميادين أمام الشاعر، وهو زعمٌ يحتقرُهُ حَمَلَةُ المبادئ وأصحابُ الرسالات، خصوصاً ومَنِ انْتَجَعَهُمُ المدحُ عطاءٌ لكلِّ مُسلم، وذخيرةٌ لكلِّ مؤمن، ومضمونٌ إذا تفاعَلَتْ معه الأفكارُ والألسنُ شَحَذَها، ورجعَتْ منه بعطاء غير محدود:

لقد وجدتُ مكانَ القولِ ذَا سعةٍ

فإنْ وجدتَ لساناً قائلاً فَقُلِ

وبعد ذلك كلِّه فالقارئ هُنا يقرأ شاعراً اجتمعَتْ لهُ من مقوِّمات الشعر أكثرُها، وهو في طريق استيعابِها، وإن شئتَ قلت إنَّ أهمَّ المقوِّمات تَوَفَّرَتْ لهُ، فهو هُنا أفكارٌ ملتهبةٌ عاليةُ المضمون، وديباجةٌ مشرقةٌ خَلَتْ ممَّا يُؤذي العينَ أو يخدشُ السمعَ، وأفقٌ واسعٌ وصافٍ ما كَدَّرَهُ غبارٌ، وتَحَسُّسٌ ترجَمَ خلجاتِ كثيرٍ من النفوس، ورسالةٌ وَضَعَتِ الشعرَ في درب الشرف، وحَدَّدَتْ له الغايةَ النبيلة ورَفَعَتْهُ عن الحُفَرِ فصَعَدَتْ به للشواهق.. و.. وحسبُه ذلك.

وما أودُّ أنْ أختمَ به هذهِ الإطالةِ المختصرة على شعر الأستاذ جاسم هو عذرٌ غير متصنَّع لقلَّةِ ما قَدَّمْتُهُ لأنَّ في المقام مجالاً للأكثر، ولكنَّ ما يعيشُهُ الإنسانُ أحياناً من التزاماتٍ أكبرُ من جهدهِ ووقتِهِ، وقد تحملُ جملةٌ صغيرةٌ من التقييم ما لا يحملُهُ كتابٌ إذا كانت معبِّرة.

وقبل أن أختتمَ هذا التقديم المختصر أقول للشاعر إنك موهوبٌ، وعندك

عطاء، ويتعيَّن عليك أن تقطعَ الشوطَ إلى النهاية بما يكلِّفك من جهد فالأعمالُ الناجحة مقوِّماتُها الجهدُ والتعب، كما أقول لقارئ هذا الديوان أن يُكَرِّرَ قراءتَهُ أكثرَ من مرَّة، فهو كما يقول أديبُنا: هو المسكُ ما كَرَّرْتَهُ يتضوَّع. . وصلَّى الله تعالى على من قال: إنَّ من البيانِ لسحراً، وإنَّ من الشعر لحكمة، والحمد لله أولاً وآخراً.

أحمد الوائلي

دمشق ١٢ شوال ١٤٢٠هـ



كلمة الدكتور الشيخ أحمد الوائلي(١)

(ارتجلها في الحفل الأربعيني بدمشق) للسيد عبد الزهراء الخطيب

(دموع الكلام)

أحبتَنَا عندَ الثرى من جسومِكُمْ فتوحٌ وعندي من كرائمكم غَمْرُ
نشيدٌ بسمع الدهر غرُ فعالكم يردِدُه من كلِ صالحةٍ ثغرُ
أرى الموت يحييكم وبعضُ الذي مشوا على الأرضِ لو فكرتْ يمشي بهم قبرُ
يشدُ بهم للطين سود فعالهم ويسمو بكم للنورِ أمثلةٌ غرُ
كرائمُ أعمالٍ وزادٌ من التقى وفيض من الإصلاح هذا هو العمرُ
رأيتُ الغني فكراً يعيش وغيرهُ وإنْ ملأ الآفاقَ من ذهبٍ فقرُ
فما ماتَ عيسى وهو يفترش الثرى ولا عاش قارون وأبوابه تبرُ

لقد حاولت أن أسكبَ مشاعري على الورق ولكني أبيت أن أكبّل هذه المشاعر الدافقة بالقلم والورق وارتأيت أن أرسلها عفوَ القريحة والخاطر.

ويحَ التراب، ويحَ التراب لقد استؤثر بأحيائنا، وأقتلع كل نبتةٍ في واحةِ حياتنا فحوّلها إلى صحراء يلفها الجدب وتطغى عليها الوحشة، ولم يبقَ لنا إلا التلفت يميناً وشمالاً للبحث عن واحة نفيءُ إليها، وحينما لا نجد، نعود أدراجنا وفي

(١) دموع الكلام في تأبين السيد عبد الزهراء الحسيني ارتجلها في الصحن الزينبي مجلة الموسم العدد ٢٠ السنة ١٩٩٤.

القلب لوعة، وفي النفس حسرة، وليس إلا العيش في الذكريات و المرور على قبور الأحبة نتلمس عندها السلوة، ونتسمع أصداء الذكريات، ونعيش عالماً متخيلاً، نفرّ إليه من قسوة الواقع.

إنّ قـبـرَ الـحـبـيـبِ دارٌ وداراً ليسَ فيها الحبيب قبرٌ كئيبُ

أجل إن الثرى يشدنا بقوة إلى دنيا أحبائنا الذين سكنوه، لولا ما ندب الله إليه من الإعتصام بالصبر والسلوى لتمزقت صدورنا من زخم المشاعر الحزينة. فإنا لله وإنّا إليه راجعون.



كيف عرفت السيد

تقودني الذكريات في موقفي هذا إلى بداية تعرفي على أبي موسى تغمده الله برحمته، وترجع هذه البداية إلى أوائل الستينيات، وكنت يومها بالتحديد في الحسينية الخزعلية بالكويت، وأنا أتهيأ للمحاضرة، دخلت إلى المجلس عِمَةٌ سوداء، وشيبة ناصعة، وكيان وقور، تلوح عليه مخائل الاتزان. فسلّم، ولم ينتبه له الحاضرون لأنه غريب، وربما حسبوه من بعض من يفد للبلد وهم كثير، فانتفضت له قائماً، ووسّعت له إلى جانبي، وأقبلت عليه مرحبا. ولم ألبث أن عرفت من هو، وقضينا الليلة معاً على ما أذكر، ثم تواصل لقاؤنا لمدة ثلاثة أيام.

رحل بعدها إلى العراق أو إلى البحرين، وعندما عدت للعراق استأنفنا التواصل، فكان إذا جاء للنجف يتفضل بزيارتي، ونجتمع لليلة أو أكثر، وقد أراه في بعض الزيارات عند مرقد الحسين عليه السلام.

ومرت الأيام، وقدّر له أن يستقر في مدينة بلد، ممثلاً للسيد الحكيم قدس سرّه، وقد بنى هناك جامعاً، وعند كمال الجامع فوجئت به يطلب مني افتتاحه والقراءة فيه ولو لليلة، واستجبت، وتوجهت بالموعد إلى بلد، وكانت ليلة من ليالي العمر لا أنساها، فقد احتفل بي وجهاً باسماً، وخِواناً كريماً، ونديّاً من نوادي العرب بما تحمل من خصائص، ومجلساً مسلماً حُشِدَ بضروب من الفكر والمعرفة.

وانتهت الفترة وعدت إلى أهلي، وكنت في تلك السنين أقضي شهر رمضان المبارك في بغداد للقراءة في جامع الخلاّني، وكنت أحضر قبل أيام من الشهر المبارك، أقضيها ببغداد، فكان سقا الله ثراه يزورني، ونجلس معاً في عشبة خضراء بداري بالكاظمية، نفترش الساحة، ونتقاسم وجبة بسيطة، ونتبادل همومنا وما

عندنا من مشاكل ومن آلام، وكنت ألمس فيه الشخص الوفي، والروح السليمة، والإنسان المتواضع، والعقل الذي كان ينظر إلى أبعد من الحاضر، فكنت آنس بصحبته، وكنت أتغذى معه مما كنا نتطارحه من أفكار ومن آراء، وكنت أرى في جميع ذلك نضجاً لا مبالغة فيه. وكان يعود بعد صلاة العشاء إلى بلد، وقد عودني أن يرسل لي عنباً ورماناً من بلد أقوم بتوزيعها على أقاربي هناك، وإذا تعذر عليه المجيء بها يُهاتفني من بلد. ومرت أيامنا حافلةً بما تحمل من عواطف ومودة ومشاعر طاهرة واضحة كانت تشدنا إلى بعضنا يوماً بعد يوم.

وحدث ما لم يكن بالحسبان، وتلبدت الأجواء بالعراق، وأغتيل البلد اغتيالاً مروعاً، فغرق في الدماء والمحن، وصودرت بقية الحريات التي كان يتمتع بها، ولوحت لنا النذر تدفعنا إلى النجاة. وخرجنا عن الوطن الجريح وتركناه ينوء بآلامه، وتركناه يغرق في دمائه، وخرجنا لنكون ألْسنة معبرة عما يجري فيه لنحاول أن نعكس مأساته في الخارج، ولنضع أيدي الناس على ما يجري في هذا البلد الذي كان واحة الفكر الأولى، والذي كان موئل المجد الأول، والذي كان مورد الثروة والغنى الأول، وكيف انتهى به الأمر إلى مأساة لا يعرف لها التاريخ مثيلاً. وشاءت الأقدار أن يذهب جنوباً، وأذهب شمالاً، لفترة عاد بعدها فالتحق بهذا البلد الحبيب، بدمشق.

في دار الغربة:

وعدنا إلى تواصلنا، كان يزورني وأزوره، ولا يبرح أحدنا عن الآخر، نلتقي ونتطارح ونتبادل الآراء وأرى به رجلاً يساير آلام بلده بهدوء ويضع يده على الجرح بألم ويشعر بأنه لا طاقة له على عمل أكثر من ذلك، وكان يقول لي، وأقول له، إن مجرد خروج هذه الأرقام من بلدنا، الأرقام التي على هذا النحو الذي هو عليه، هي صيحة في وجه الدكتاتورية والباطل، هي صيحة في وجه التعدي، هي صيحة

في وجه الوحشية التي أنشبت مخالبها بهذا البلد، كنا نتطارح ذلك ونحتمل آلامنا بجلد، وبصبر، ولا تند لنا دمعة.

حتى إذا اختير لتمثيل المرجعية من النجف في دبي. كنت معه على اتصال، ففي كل شهر من شهور رمضان المبارك نجتمع هناك، حيث يقوم بأداء وظيفته الدينية، يؤم المصلين، ويجيب على الأسئلة في الفروع الشرعية، وحيث أقوم هناك بوظيفتي في محاضرات شهر رمضان. وكنت على علم بأنه مصاب بمرض قرر معه الأطباء قبل أكثر من ثمان سنوات بأنه لا يعيش أكثير من أيام معدودة، ولكن الله عز وجل متعه بعافية استمرت لفترة تقرب من التسع سنوات.

ثم أخذ المرض يشتد عليه فأتعب قلبه واضطره للرجوع لأهله لبضعة أشهر قضاها بين الدار والمشافي، حتى وفد على الله تبارك وتعالى في نهاية هذه الحياة الحافلة بالخير وبالبر وبالتقوى.

لقد أخذ القبر أبا موسى، أخذه جسداً ولم يأخذه من مشاعرنا. ولقد عاش بمشاعرنا بما حمل من ملكات كريمة لا ينالها الموت. والملكات وإن كانت تقوم بالجسد، ولكنها تعيش في وعاء الذكرى، ولا تندثر، ولقد كانت له حصة كبيرة.

أولها: نفس كبيرة ما رأيتها تحقد على إنسان حتى ولو اختلفت معه، وأقسى ما تقابل به من قاطعها، أن تتألم لأنها فقدت صديقاً كان يمكن أن لا يفقد، فإذا زاد على ذلك بكلمة عتب لينة أو بشكوى مما قاساه منه لا غير.

وثانيها: لسان عف يترفع عن كلمة بذاء أو نهش عرض إنسان، وإن نَمَّ ذلك فإنما ينمُّ عن سيطرة الإيمان على النزعات، وإلا فالإنسان يغضب إذا أُغضِبْ. حاشا أهل الإيمان وأهل التقوى، وكان منهم.

وثالثها: طهر في النفس يدفعه إلى نسيان ذاته، وإلا غسل ما قد يحدث من سوء تفاهم بينه وبين أحد أصدقائه بنبع من التسامح. وكم من مرة كان يحدث ما

بيننا ما يترك برودة في أجوائنا، به يطرق الباب ويدخل، وكأن لم يكن هنالك شيء، ويقول اشتهيت اليوم أن أشرب عندك الشاي. أو يقول ما لك حرمتني من لقاء أتوق إليه. ثم لا يلبث أن يشفع مجيئه بكلمة من كلمات المودة والحب، فنندمج معاً في عواطف غاية في الصفاء والمودة، وإذا خرج شيّعته وأنا أرمقه بعيني إكباراً، وأحمل له في نفسي شعوراً بالتعاطف وبالإمتنان لهذه المبادرات.

ورابعها: تواضع لا حدود له، يجلى في التلقائية بالسلوك حركة وتعبيراً، وبالمبادرات إلى إرضاء أخوانه إلى درجة تؤلمني أحياناً، إي والله، فكم من مرة انحنى ليقدم لي حذائي حتى صحت أكثر من مرة أن هذا العمل لا يرضيني ولا يسعدني، فيقول ولكنه يرضيني ويسعدني، ثم لا يلبث أن يعقب على هذا العمل برواية أو حادثة عن بعض رموزنا التي نحترمها، مما يشكل موقفاً مماثلاً لموقفه هذا، وكأنه يحرص على إعطائي درساً أخلاقياً عملاً وقولاً.

وخامسها: مرح أو طلاقة وجه في السراء والضراء، نابع من رضًى بما تجري به الأقدار، وإذا مرت عليه الكآبة، فإنما تمر مرور سحابة الصيف لا تلبث أن تنقشع، ليعود بعدها إلى طلاقة الوجه.

ثم بعد ذلك سماحة نفس في العسر واليسر، لا تظن بما عندها، ولا تحسب حساباً فيما تعطي إلا حساب والتماس وجه الله عز وجل، وقد يأخذ هذا الإحسان منحًى غير متوقع، كأن يتصدق عن إخوانه وربما باسم إخوانه. ولقد قال لي، والله عز وجل يعلم - والله يا شيخ أحمد أنا أتصدق عنك دائماً - ولك أن تتصور كم يزرع مثل هذا الفعل من جميل في نفسي، وفي نفوس إخوانه؟ وكم يفتح له قلوبهم؟ هذه الكرائم يا أبا موسى بالضميمة إلى صلتك مع الله فيما تمارسه من طاعة، هي ذخائرك عند الله، وهل هناك ذخيرة أنفع من الذخائر عنده. ولك بعد ذلك ذرائع تعبّد دربك، وتؤنس وحشتك، وتنتهي بك إلى مقعد صدق. وأهمها فيما أرى ثلاث:

ثلاث خصال:

الأولى: مسيرة طويلة في خدمة أبي الشهداء، واجتلاء مواقفه، ونشر مبادئه، والحرص على أن تكون ممن يمتهن خدمته على منابر ذكراه، وفي محافل عزائه، ولقد سمعت منك أكثر من مرة وأنت تقول، لو قدّر لي أن أخيّر بين أن أكون مرجعاً أو خادماً للحسين لاخترت خدمة الحسين.

لقد يممت طريقاً لا تضل به، وانتجعت سيداً لا ينساك في دنياك وآخرتك، ولعمري إنه الفوز العظيم الذي يتوق إليه من يحمل الحسين شعاراً، ومن يتمنىٰ أن يسلك في عداد من يُحْسبُ عليه.

والثانية: قيامك بمهام ممثل المرجعية، قياماً حسناً وعفاً، يترفع عن الإسفاف، ويتكرم عن الأمور الصغيرة، وقد ذاب في مشاعر القاعدة، فاستوجب حبها وتكريمها، وحاز ثناءها، ولبّى مطالبها في حاجاتها الشرعية، وأعرافها الإجتماعية. وليس من السهل مع اختلاف المشارب، وتنوع المنازع يحظى الإنسان بمحصلة من القبول كما حصلت عليه، وذلك ما شهد لك به كل من عرفك، وذلك ما انعكس أيضاً في مشاعر الناس اتجاهك يوم سمعوا نعيك، فآلمهم فقدك، وطفح على ألسنتهم الثناء عليك، والذكر للإنسان عمر ثان.

والثالثة: حصيلتك العلمية، وقلمك النافع، والذي وفق لاختيار قنوات تتصل بآل محمد فكراً وفقهاً وأدباً. لقد دأبت وتعبت وأخرجت هذه الموسوعة التي هي موضع اعتزاز والتي تسمى بمصادر نهج البلاغة، وفي الشروح الفقهية، والتحقيقات في الأخبار والتاريخ، والترضُّب من نبع مُذال من أدب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، اغترف منه المتنبي وغيره، وفي سائر ما كتبت من نافع ومفيد سيبقىٰ لك أثر من الآثار الناطقة بالفضل.

لقد كانت مسيرتك على قصر النوى، ابتداءً من الصفر، وانتهاء بما انتهيت

إليه، وفي كل ذلك كنت لا تنسى إخوانك المعوزين، كنت معطاءً، كنت لا تظن على إخوانك بما تحصل عليه ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، لقد كنت في ذلك مواسياً لإخوانك، وحتى بالقليل، لأنك تأدبت بآداب أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول (الحرمان أقل من القليل)، فكنت تعطي وإن اشتدّ عليك شظف العيش، وكنت تواسي إخوانك، وكنت تجود بما تقدر عليه.

هذا بعض ما تحمله من زاد في مسيرتك إلى الله، فنم أبا موسى مطمئناً في كنف آل محمد، ولئن بَعُدْتَ عن تراب كنت تتوق إليه، فأنت بتربة من سنخ ذلك التراب. سعدت بالإنتماء لعقيلة من عقائل آل محمد، ولئن كان لك في تربها مثوى، فلك في مشاعرنا مثوى لا يفرغ يوماً من الأيام ومهما طالت الأيام أو قصرت فسنلتقي مع أحبتنا في فناء أبي الشهداء، فاقرأ أحبتنا السلام، والتمس لنا في ذلك الظل الوارف، والفناء الكريم، مقعداً حيث أئمتنا الأطهار، وسادتنا الأبرار، وإلى أن نلتقي سنبقى نستمطر شآبيب الرحمة على قبرك، ونستعيد محاسنك، ونسترجع ذكرياتنا الثرية معك، وليس لنا إلا الرضا بما قدر الله تعالى، وإلا العزاء بقوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧]. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حافظ الاسد سيد الوطن(١)

يقول الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

وأنا بصدد الحديث في هذه المناسبة الأليمة، وهذا الخطب الجلل الفادح، لا بدّ من المرور بمحطات سأحاول قدر الإمكان تلخيصها، نظراً لهذا الحشد الهائل الذي ترونه أمامكم، والذي إن دلّ على شيء فإنما يدل على ما لسيد الوطن الراحل من مكانة في مشاعر الناس، وإلاّ نحدد هذا اللون من التوجه وهذا اللون من التحرك العفوي الذي لا أثر فيه للتعمّل، هو إستجابة طبيعية وعرفان بالجميل لنفس وهبت الجميل وأعطت الكثير، لا بدّ من هنا بنقاط في المحطة الأولى، إنني هنا أجسّد توجهات الحوزة العلمية، والهيئة العلمية في السيدة زينب، بكل أبعادها، والتي رغبت بأن تعبّر عن أبسط ضروب الوفاء لسيد الوطن الراحل، وأرادت أن يكون ذلك يتناسب مع مكانة مَنْ فقدناه، فلهم الشكر على هذا التوجه، وأنا هنا صوت من أصواتهم أعبّر عن ما أرادوا، وفي نفس الوقت، إن هذا الرافد الموجود هنا بالضميمة إلى الروافد العلمية، هنا رافد فقه أهل البيت ورافد توجهات أهل البيت المصاب الذي ينضم إلى الروافد الإسلامية الأخرى في تعزية الأمّة في هذا الخطب الجلل العظيم، هذه الهيئة التي ترى أنها أخذت من الرئيس الراحل الشيء الكثير، ترعرعت ونمت حركتها في ظله، في ذلك الظل الواسع والخيمة الكبيرة

---

(١) كلمة الحوزات العلمية في الحفل التأبيني الحاشد الذي عقدته ممثليات المرجعية الدينية في الصحن الزينبي مساء ١٥/٦/٢٠٠٠.
سيد الوطن في تأبين الرئيس السوري حافظ الأسد وكانت كلمة المرجعيات مجلة القصب العدد ٢٠ السنة ٢٠٠٠.

التي اتسعت لكل أبعاد الفكر الإسلامي على اختلاف توجهاته ومذاهبه، فهي تعبّر عن عرفان بالجميل، تعبّر عما في نفسها من مشاعر ازاء الراحل، فلك منّا يا سيد الوطن هذه العواطف الملتهبة التي تراها، لك منّا هذا العرفان بالجميل، لقاء ما أسديت وأعطيت، ولك منّا هذا الوفاء الذي هو من أبسط ضروب الجزاء لما قدمت.

إننا نرفع من هنا عزاءنا للأمّة السورية ثم للأمّة العربية، والأمّة الإسلامية، نرفع عزاءنا ونخص بالذات هذا الوطن، إننا إذ نرفع عزاءنا إليه، فإنما نعزي أنفسنا، لأننا وشعب سوريا لسنا اثنين، وإنما نحن شعب واحد في بلدين، تجمعنا الآلام والآمال والهموم والتطلعات، ورحم الله بعض شعرائنا الذي يقول:

ليس بين العراق والشام حدٌّ   هدم الله ما بنوا من حدود

لولا حالة الحدود المادية، بين الشعب الواحد، فليس هناك من حوائل، إن المشاعر واحدة تسكنها هموم موحدة وتطلعات موحدة،

قد قضى الله أن يوحّدنا الجر. . .   حُ وأن نلتقي على أشجانه

إننا إذ نعزي الشعب السوري، فإنما نعزي أنفسنا، وإنما نحتفل بمصيبتنا، لأن الشعب السوري وقف معنا في كل الظروف من المحن التي مرت بنا، وقف يواسينا مادياً ومعنوياً وفكرياً، ضخ من قوته إلى شقيقه الشعب العراقي ليقلل من أثر المجاعة، وشجب وبشدة الحصار الظالم على أخيه الشعب العراقي، لقد شجب وهو يعمل جاهداً على رفعه، وهذا إذا دلّ على شيء، فإنه يدل على أنه يتحسس آلامنا، ويضع يده على جراحنا ويحمل نفس همومنا. إننا أيها الشعب الشقيق نعزيك بسيد الوطن الذي عايشك ثلاثين عاماً فلمست في ظله الأمن والإستقرار والرخاء والكرامة، إن الراحل أعطاك الكثير الكثير، وأملنا ورجاؤنا أنك ستعطيه الكثير الكثير بما يتناسب وما أعطى، وذلك يتجسد بالتفافك حول امتداده الطبيعي، حول فرخه الذي نشأ في عشه، والذي ترعرع على مدرسته وأخلاقه، ذلك أملنا،

وآمل من الله عز وجل أن يعطيك حسن الإختيار وأن يحقق آمالك، لأنك إذا ارتفعت ارتفعنا وإذا هبطت هبطنا، هذا القول لا يروم جزاء ولا شكوراً، وإنما هي عواطف الأخوة الصادقة، وإنما هي الهموم المشتركة، وإنما هي الآلام الموحدة، والأمر الثالث الذي أعرفه في هذه المحطة هو أننا نبارك لهذا الشعب اختياره، نبارك له ما يختار، فإذا اختار شيئاً فهو موضع رضانا، وإذا التف حول قيادة فهي موضع اعتزازنا ورضانا، إننا نبارك لك كل تطلع، ولكننا نريد من هذا التطلع أن لا يكون دون مستوى التطلعات التي صنعها سيد الوطن، ورفع بها رأس الوطن عالياً، لقد انبثق من هنا مجد، وعلت من هنا صيحة صلابة وبدأ هنا موقف هز الدنيا على تواضع الإمكانات الموجودة في هذا البلد، ولكنها كانت في يد أمينة، كانت في يد واعية، وفي يد قوية، استطاعت أن تحقق لهذا البلد مكانة ما أتيح له أن يحلم بها قبل هذا اليوم، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على و عي القيادة وصلابتها وعدم تفريطها بتربة هذا الوطن، لقد كنّا نسمع نبرة الصلابة والتي تأبى أن تهادن، وكنّا نسمع كلمة المحافظة على هذا التراب حتى لا يمكن أن يفرط بحفنة منه، فحفظ الله مَنْ حفظ لهذا الوطن مجده وعزه وكرامته، ورفع قدره، جزاه الله خير جزاء المجاهدين.

المحطة الثانية، الآية الكريمة تقول: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾، ونحن نقول إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أصبنا بمصيبة ليس من السهل أن ننسى أيام المجد وأيام العز أو أيام الكرامة، أو ننسى المواقف القوية، المواقف التي اهتز لها القريب والبعيد، وليس من السهل أن ننسى البسمة التي كانت تسع العدو والصديق، وليس من السهل أن ننسى ذلك الجناح الذي امتد على كل متطلع للحرية، وكل مدافع عن وجوده وشخصه، كل ذلك كان متجسداً هنا، وليس من السهل أن ننساه، وليس من السهل أن تمر علينا الليالي والأيام فتنسينا الموقف الشامخ، والتطلع الباذخ، ولكن هنا نقطة يجب الإشارة إليها، يقول علماء

المسلمين: إن كل مصيبة إذا وقعت فلا بد أن يعوّض الله بعطاء أكبر منها، لأنه إذا عوّض بعطاء أقل كان ذلك ظلما، وإذا عوّض بعطاء مساوٍ كان ذلك عبثاً، فلا بدّ أن يكون العطاء أكبر من المصيبة، لأن الله عز وجل عوّدنا ذلك بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. إذن ما هو التعويض الكبير الذي ننتظره من وراء هذه المصيبة، لقد ترك الراحل مدرسة، تلك المدرسة تتمثّل فيها الصلابة وبُعد الرأي والنضوج والمعالجة الواعية الحكيمة، كل المدرسة بكل أبعادها بقيت ولن تموت، إذا أخذ التراب جسداً فلن يأخذ موقفاً، وإذا غيّب التراب وجهاً فلن يغيّب عزيمة، وإذا استطاعت الأرض أن تضم في أحشائها كياناً جسدياً، فهي لا تقوى أن تضمّ بين أحشائها روحاً مرفرفة، روحاً حملت العطاء طيلة عقود متوالية، لا يستطيع التراب أن يفعل ذلك.

فإنّ الموت أقصر قيد باعٍ بأن يغتال فكراً واعتقادا

إذن ما هو العطاء الأكبر، ستبقى ملامح مدرسة سيد الوطن الراحل تتفاعل مع القيادة الشابة الحديثة، الجديدة، تتفاعل مع مَنْ يأخذ بها ليدخل بها القرن الواحد والعشرين، تتفاعل مع مَنْ يتبادل عطاء من سبق ليزيده من الإنجاز اللاحق، وذلك أملنا، نأمل من الله عز وجل أن يحقق على يد القيادة القادمة أكثر مما أعطت القيادة الذاهبة.

إذا مات منّا سيد قام سيد.

هكذا علمنا تاريخنا، علّمنا أننا لا نبخل بالقادة النجباء، وستبقى الأمّة وهي حية تلد الأحياء، وتلد العطاء، وتلك رغبة في نفوسنا تعيش وفي مشاعرنا تتحرك، بأن تحصل على أكثر مما أخذت منّا المصيبة، إن الآية الكريمة تقول: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾.

لقد رجع الراحل إلى الله، فبالنسبة إليه لا مصيبة، فالذي يرجع إلى الله لا يرجع إلى مصيبة، وإنما يرجع إلى عطاء لا يُحدّ، قيل لأحد العرب وهو يحتضر:

إن أهلك يبكون حولك، قال لماذا يبكون؟ قالوا: يبكون لأنك تموت، قال الذي يموت إلى أين يذهب، قالوا يذهب إلى الله، قال ما ينبغي أن تبكوا عليّ، ينبغي أن تهنئوني، لأنني ذاهب إلى الله، عائد إلى الله، والآية الكريمة تريد منّا أن نستشعر بذلك، نستشعر أننا إذا انتقلنا من الدنيا فسوف لا ننتقل إلى عطنٍ ضيق، وإنما إلى رحمة واسعة، إنَّا لله، وعطاء الله لا يحدّ، يا ربّ قد وفد عليك مَنْ يرجو نوالك وعطاءك، كلنا سنفد يوماً على الله عز وجل، الوافد على الله وإن ذهب متجرداً فسيأخذ عطاء غير محدود، ويقول سلمان المحمدي في البيت المنسوب إليه:

وفدت على الكريم بغير زادٍ من الحسنات والقلب السليم

أجابه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

وحمل الزاد أقبح كل شيء إذا كان الوفود على كريم

إن الآية تقول، تذكروا أنكم عائدون إلى الله، قالوا ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾، إنَّا ملكه، قولهم إنَّا لله إقرار بالملك، والملك لله عز وجل، نحن مملوكون ونعود إليه، نعود إلى العطاء الذي لا ينضب، عدنا إلى رحمة الله، ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، فذلك إقرار بالهلك، إنّ كل واحد منّا سوف يخرج من هذه الحياة، فينبغي إذا كان يخرج من هذه الدنيا، أن لا يخرج منها إلاّ وقد ترك فيها ما يخلده، بعض الناس يموت كما تموت الديدان، يدخل الحياة ويخرج منها، ولا تشعر الحياة بدخوله ولا بخروجه، والآية تريد منّا أننا إذا خرجنا من الدنيا ونحن ملك الله، نخرج ونترك في هذه الدنيا مما أعطانا الله ما يخلدنا، ما يتركنا على لسان الأجيال، ما يتركنا على ألسنة الناس ونحن كلمة طيبة ونحن ثناء عاطر.

وإنما المرء حديث بعده فكن حديثاً حسناً لمن روى

كل مَنْ يرحل من الدنيا ولم يترك شيئاً فكأنه لم يدخل الدنيا، ولكن مَنْ دخل الدنيا وأضاف إلى الإنجازات إنجازاً، فذلك سوف يخلده الدهر، ونحن نحتفل

بمَنْ ترك إنجازاً وترك عنفواناً، بمَنْ قال للبغي قف، بمَنْ قال للطغيان لا، بمَنْ قال للفقر إذهب، ولم قال للذلة ارتفعي إلى مستوى العزة، كل ذلك إنجاز، وإنجاز سوف يبقى خالداً إذا استولى التراب على أنامل وعلى وجه وعلى جسد، فلسوف لا يستولي على هذا العطاء، هذا العطاء من جنس لا يموت، فالآية الكريمة تريد منّا أن نتذكّر دائماً بأننا ملك لله، يتصرف بنا، وبأننا خارجون من هذه الدنيا، فإذا أردنا أن نخرج عن هذه الدنيا فينبغي أن نترك بصماتنا عليها، وما ترك أحد خرج من الدنيا بصمات أكرم من الجهاد، إن طريق الجهاد هو الطريق الذي يضيء للإنسانية، إن المكافحين والواقفين بوجه الظلم والطغيان وبوجه القتلة، وبوجه الجيوش المتغطرسة، إن الواقفين بوجه ذلك هم الأحياء، هؤلاء هم الأحياء، وسيبقون على هذا الثرى الطاهر، ستبقى كتابة من الدماء، خطت في عهد سيد الوطن الراحل دفاعاً عن الأرض وعن العقيدة، وعن الأمّة، وستبقى ربوات لبنان المخضبة بالدماء صوتاً صارخاً ويداً تشير إلى أن دعماً انطلق من هنا للمجاهدين هناك، فالتقى التوجّه مع البطولة على ربوات الجنوب التي رفعت رؤوس المسلمين والعرب، والتي أعطت وأعطت وتركت لنا صفحة من المجد سوف ترفع رؤوسنا وسوف تخلدنا بين الشعوب.

ربوات الجنوب يا أم جزين وقا.. .. نا سقاكِ غيث نميرُ
ظمأ المجد فاستجاب نجيعٌ يا لنفسي ذلك النجيع الطهورُ
عبّ منه التفاح في زهوة الإ.. قليم واستلهمته صيدا وصورُ

هٰهنا بصمات سيد الوطن الراحل، في دعم هذا التحرك الذي أدى لدعم الثمار على القنيطرة بصمات، وعلى أبعاد هذا الوطن بصمات، وسيبقى هذا التراب على امتداد تاريخه، وهو تراب حمل دماء المجاهدين وليس كدم المجاهدين سلاح أقوى وأقوى يطرد البغي والعدوان، لقد ترك الراحل وأعطى صفحات من ميادين الجهاد، سوف تخلده، وسوف يعيش بها حياً، وهل عاش بالدنيا إلاّ المجاهدون،

لقد خرج الناس، ذهبوا من الدنيا، ولكن المجاهدين لم يخرجوا.

وما ضاع هدراً دم الناهضين إذا طاح حكمٌ به بائدُ
وللمجد في جبهات السنين على كل أفقٍ دم شاهدُ

ولم يقتصر الجهاد في ميادين الدفاع عن الأوطان عن الكرامة، والدفاع عن العقيدة، بل امتد الجهاد ليطرد الفقر، وامتد ليمسح الذل، ليثبت مكانة في الدنيا، وامتد ليقول أنا هنا، كل تلك أعلام سوف تبقى مرفرفة، سوف لا يموت مَنْ حملها، وإذا كان على التراب بصمات، فإن على المشاعر بصمات، لقد كان لسيد الوطن الراحل بصمات من البر، بصمات من الرعاية، لأبنائه من العرب كافة، لقد احتضن كل متطلع إلى الحرية، لقد احتضن كل متوجهٍ إلى رفع الظلم عنه، لقد ساهم في رغيفه، ولا ننسى له كلمة هنا، قالها لبعض مَنْ سلّم عليه وهو في طريقه إلى الزيارة، زيارة السيدة زينب، وقال له نحتاج إلى التفاتتك، فقال إني سأشاطركم برغيفي، لقد شاطرنا برغيفه مشكوراً، وشاطرنا بالعطف والحنان، وشاطر بالمودة واحتضن الآمال والآلام، وهي بصمات، سوف تبقى على المشاعر إذا كانت البصمات المادية تبقى على الأرض، وهل هناك خلود أحسن من هذا الخلود، إن مَنْ يرى الخلود في حجارة مشيدة، يخطىء، ومَنْ يرى الخلود في كوم من الذهب يخطىء، الخلود في قلوب تألمت، وفي قلوب بكت، وفي دموع جرت على خدود ذوي الألم والحاجة، مَنْ مسح دموع الألم والحاجة، ومَنْ مد يده ليواسي بها من ظُلم، هذا هو الخلود، هذا هو الذي يبقي الإنسان، كل شيء في الدنيا يتلاشى إلاّ البسمة الكريمة، واللفتة الرحيمة، واليد الحانية، وإذا كنّا ونحن في أفق الجهاد، وللرجل مساحة واسعة بالجهاد، فنحن هنا نكرّم جهاده، لأننا في موطن من مواطن الجهاد، نحن هنا إلى جانب هذه البطلة الطاهرة، عقيلة الطالبيين، التي كافحت الظلم، والتي وقفت بوجه البغي، والتي أثبتت أن سلاح الحق وإن كان أعزل فهو أقوى الأسلحة، إن صوتها يرفرف هنا، «فكد كيدك واسع سعيك،

وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، وهل رأيك إلاّ فند، وجمعك إلاّ بدد، وأيامك إلاّ عدد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين».

إننا هنا في رحاب مجاهدة، نرفع توجهاتنا ونجري دمعة، ونذكر كلمة وفاء لمَنْ أعطى، فرحمك الله أبا باسل، وسقى تربتك الغيث، فإن مشاعرنا حملت لك الود لما أعطيت ورعيت، وأملنا لكل قادتنا من العرب أن تكون هذه المدرسة مفردة من مفردات الدليل لهم إلى طريق المجد والكرامة.

نحن هنا في لحظات الوفاء، لحظات المودة، لحظات التقدير، لأنها العروش الصحيحة، كل قلب يحمل لك شكراً وامتناناً عن طواعية، فهو عرض لا يهدم، العرض الذي يقوم على الظلم يُهدم، العرض الذي يقوم على التملّق والزيف يتلاشى، ولكن القلوب عروش لا تتلاشى، سوف تبقى هذه العروش، تحمل القادة الذين أعطوها، فتعطيعهم من المودة ومن الحب، ومن الخلود ما تخلدهم به.

إننا نستمطر شآبيب الرحمة للراحل، ونتمنى للخلف القادم، الذي نشأ في هذا العز المجيد أن يأخذ الله بيده ويسدد خطواته، وأن يرعاه ويذود عنه كل سوء، وبعد ذلك هذه مشاعرنا أيها الشعب السوري نحملها إليك من منطلق الأخوة، ومن منطلق الوفاء، فتقبّل منّا، ونحن ندعو لك من الأعماق، بأن يعينك الله على تحمّل المصاب، وأن يبقي هذا البلد مجيداً كريماً عزيزاً.



إيقاع الأصداء[1]

والصلاة، والسلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين، وآله الطيّبين الطّاهرين، وصحبه المنتجبين.

وبعد:

نصف قرن مر، منذ انشقت من شذى الإمام الخنيزي - تغمّده الله برحمته - وكنتُ، يومها) برعماً لدناً؛ لم يشتد عوداً، ولم ينضج مشاعر، ولم تتعمق نظراته إلى الحياة... فتنفذ لما وراء السطور...

وكان نصيبي من تلك العبقة: نصيب المارِّ على روْضٍ، احتشدتْ به الزهور، وتعابقت به الأشذاءُ، وتمازجتْ به الألوان... فسُرَّتْ عَينُهُ بالمنظرِ، وانتعَشَتْ رُوحُهُ بالأَنسام، وارتاح أنفه إلى الشذا... وليس بعد ذلك شيءٌ...!.

ومرت هذه العقود من الزمن، بحلوها، ومرها... وتزاحمت في الذهن: صور من أحداث... في مختلف شؤون الحياة؛ فأخذت الذهن: يميناً، وشمالاً... يسيرُ كما يسيرُ ماءُ النهر؛ تتحكمُ به الأخاديدُ، والمساربُ، فيمشي تبعَاً لها، ويتوزع على خطوطها، ويبقى في فلكها...

وما هي إلا فترة، طغى فيها الحاضر القريبُ، على الغابر البعيد؛ ثم ثاب الذهن، إلى ما كان قد حفر فيه، واستأثرَ باهتمامِهِ... فعادَ يستجليكَ، كأنَّك كُنتَ بالأمسِ ...! شأن الأحداثِ، والأشخاصِ، الذينَ لم يكونوا شيئاً عَاديًا... فإنهم يحفُرون أمكنِتَهم في أعمَاقِ الذّهنِ، ويتحدَّون الزمن أن ينساهم... والذهن أن يُعرِضَ عنهُم...!

---

(١) إيقاع الأصداء ذكرى كتاب الخنيزي.

وهذه ومضة من ومضات الخلود؛ تستنسخها الأجيال بالتلقي... و عن طريقها، تبقى صفحاتُ الخالدين المكتوبة شاخصةً في جُدران الذهنِ!.

وهكذا... ما كاد يُنبِهُني آلُ الفقيدِ، للعودةِ إلى انتشاق عَبقةٍ جديدةٍ... من هذا الروض، الذي لم يجفَّ... ونهلة من هذا النبعِ، الذي لم يزلْ يتدفق، غير الآثارِ المتنوعةِ للرَّاحلِ... فقهاً، وسِجالاً، في ميادينِ المقارعة العقائديَّةِ... وأدباً، وما هو بسبيلٍ من ذلك...!.

حتى اتجهتُ بدُونِ كبيرِ عناءٍ، لأطُلَّ على لوحةٍ عامرة... بالصورِ الجميلةِ...

... ولأجتليَ - مرةً أُخرى - طلعةً، تُشيعُ السُّرورَ في عُيونِ محبيها... وأُبوَّةً تُجددد الحنين، في نفوس أبنائها، إلى دِفْءٍ نعموا بهِ، زماناً ... وظِلالٍ وارفٍ، من روح كريمة، لا تُبارِحُهُم... مهما طالَ الزمَنُ...!.

وقد يرحلُ مَا يعيشُ في القُصورِ، وما يمشي في الدُّروب...

ولكن لا يَرحلُ؛ مَنْ يعيشُ في أعماقِ النُّفوسِ...!.

وحياةُ الخالدين على ذلك دليلٌ...!.

أيُّها الرَّاحلُ الكريم!

نَم مطمئنّاً إلى أنك لا تُنسى؛ فَلكَ سُطورٌ في بُطُونِ الكُتُبِ، قوَّمها الفِكر المسددُ، والإيمانُ الصادقُ، والأداءُ المشرقُ... فكان مِنْ ذلك:

فِقْهٌ من فقيهٍ، تمرَّسَ في الغَوصِ بالأدلّة... في ذهنٍ حاد، والتفات دقيقٍ، وحُسنٍ في السليقةِ، وتمكُنٍ مِنَ التجوُّلِ، في أبعَاده الفَنْ... وآثارُهُ شاهِدة لِذلك...

وحُجَجٍ من مقارعٍ، أخذ بناصيةِ الحجة، في المناظراتِ... وأحسَنَ إحكامَ الطوقِ عندَ الخصومةِ، وابتعدَ عَنِ اللُّددِ، والمماحكةِ الباطلةِ، إلى الطريق

اللاّحب، الذي أنارَهُ الحقُّ، وعبَّدتهُ الموضوعيةُ. . .

وقريحةٍ لأديبٍ، وسيلتُهُ ديباجة مُشرِقة؛ وذوقٌ يُحسنُ الإنتقاءَ؛ وفكرة تتميزُ بالوضوحِ، والحلاوةِ. . .

ومنْ وراءِ ذلك كُله: ذهنية عامرةٌ بالخِصبِ والثّراءِ. . . أنّى اتجهتْ؛ أنتجتْ بتميّزٍ. . . !.

ولكَ آثارٌ في الحياةِ الإجتماعية. . . زَكّاها سَلامةُ القصْدِ، وحُسنُ النيةِ. . .

ولكَ ذِكرياتٌ في نُفُوسِ جِيلكَ، ومَن وعاها منهُم، تعْبق بالثناءِ، وتحفلُ بالرَّائعِ الممتعِ. . . !.

كلُّ ذلك؛ يكفلُ لك بقاءً غيرَ مَخْدُودٍ. . .

ومن فوق ذلك كُلهِ. . . شآبيبُ مِنْ رحمةِ الله - تَبارَكَ وتعالَى - دَأبتِ السَّماءُ، تُغدِقُها على من يَمَّمَ وَجهَ اللهِ - عَزَّ وجَلَّ - في : قوْلٍ، وعملٍ!.

يا أبا الحسن!

إن لم يُتَحْ لي أن أُوَاجهَكَ جسماً، فَقدْ واجهتُكَ رُوحاً. . . وما هي أهميةُ الأجسَامِ، التي لا دَوْرَ لها، إلا ترجمة حركاتِ الرُّوح. . . !.

وما دام - هناك - ما يُترَجمُكَ في حرفٍ يَشعُّ، وعَمَلٍ يُضِيءُ، وذِكرياتٍ تَخْشعُ. . . فَحَسبي ذلكَ سَبيلاً من سُبُلِ اللقاء!.

ولا أنس نُسخَةً كريمةً مِنكَ، تتجَسَّدُ في العَقِبِ الصالحِ، من أبناء، حَملُوكَ في أبعَادِهمْ: رُوحاً، وسُلوكاً، ونَهجاً. . . وحَملنَا لَهُمُ الوُدَّ، والتقدير. . .

إخوةٌ نَسيرُ - وهُمْ - في طريق؛ وننهلُ من نبعٍ واحدٍ؛ ونخشعُ على أعتابٍ واحدةٍ. . .

إنه دَربُ آلِ محمدٍ، الذي وإن تنوَّع المشيُ فيه، فَقَدْ اتحَدَ المقصدُ، والتقتِ الأرواحُ، تتعانقُ على أُفُقِهِ. . . وتنزعُ إلى عَدمِ الحيْدةِ عنْهُ. . . !.

فتقبَّلْ - أبا الحسنِ! - صفحةً: حررَّها الوفاءُ، وأملاها التقديرُ، واستحضرَ مَضامينَها النُّزوعُ الهادفُ، إلى تكريم كُلِّ عَطاءٍ، تركَ على الدُّنيا بصماتِهِ، واستدعى الأقلامَ لترتعَ في رَوْضهِ...!.

هُنَا عَبَقٌ في ثَرَى الخالِدِينَ يَشدُّ الأُنوفَ إلى الأَطْيَبِ

وسلاماً على مَنْ خَلّفت، مِنَ الأهلِ، والأحبّةِ، ورحمةُ الله وبركاته...!.

دمشق: ١٤١٨/٥/٢ هـ



عبقات من شذا الإمام الخنيزي[١]

تشاء الصدفة، وما أبدعها أحياناً! أن يقع بين يديَّ - وأنا في مكتبة الأخ الكريم محمَّد كاظم الكتبيِّ - دفتر صغيرٌ، لم أكن لأتصور أنَّ له أيَّ شأنٍ!.

ولكني عند تقليب صفحاته، طالعني هذا العنوان: «ذِكْرى الإمام الخنيزيْ» فتقع الكلمة الأخيرة، مِنَ العنوان، في ذِهني، على موجةٍ من رواسب ذِكرياتٍ، سبق لَها أن قرعت سمعي، عن هذه الأُسرة الطيبة الذِّكْر!.

وهنا، وبعد أن علمتُ أن هذا الكتابَ، مُعدٌّ للطبع، طلب منيَ الأخ العزيز محمَّد كاظم المساهمة في تكريم هذا الرجل العظيم؛ وأيّده في طلبه العلامة المفضال الشيخ طاهر البدر القطيفي.

لقدْ عدتُ - يا قارئيَ الكريم! - أتملَّى حياة هذا الرجل الجليل، مستعيناً بذكرياتي وانطباعاتي، عَنِ الرَّاحل وأسرته؛ فحاولت أن أقرأه مِنْ مؤلفاته، التي يكفيك منها أن تستمليها قليلاً، ليُقدمَ لروحك وذوقك غذاءً دسماً، ومادةً شهيَّةً طيبةً، متنوعةً؛ هي خلاصة آراءٍ، ودراساتٍ، وجهودٍ فكريةٍ، كان قد قام بها هذا الرجل المفضال.

لَقَدْ قرأتُ مؤلفات الراحل، فوقفت فيها على رسوخ الكعب في المعرفة؛ وبلاغة المنطق، في الحلول العلمية؛ وقوة الحجَّة، في الفقهه الإستدلاليِّ ... فعرفت حينذاك ما قاسى هذا الرجل، من إخضاع شِماس المعنى، واللفظ!.

كما قرأتُ له النفسية الظاهرة، التي تخلَّصت مِنْ شوائب الأكدار، وأدران المادة، فحلَّقتْ حيث الصفاء، راضيةً مرضيةً، وذلك في مؤلفه الأخلاقيِّ ...

---

(١) عبقات من شذا الإمام الخنيزي كتاب ذكرى الإمام الخنيزي.

وقرأتُ له الحوار الجامع، في سبيلِ إحقاق ا لحقّ، وإزهاق الباطل، بحجةٍ أقوى ما تكون الحجّة، ومنطقٍ يُماشيه والحكمة، والمعرفة؛ وذلك في مؤلّفه الكلاميّ.

فخرجت، من هذه الرحلة القصيرة في مؤلفاته، بنتائج طيبة، عن حياته العلمية، الحافلة بالنشاط والمواهب...

ولا عجب إذا كان راسخ القدم في العلم، والمعرفة!؛ فإنّه إحدى ثمرات الحركة العلمية، التي خرجت جماعةً كبيرةً، من أكابر المجتهدين، في عصرٍ، هو من أزهى عصور العلم، في النجف الأشرف، وهو «عصر الآخوند».

وناهيك به مِنْ عصرٍ، مدَّ العالَمَ الإسلاميَّ، بأقطابٍ للفقه، والأُصول، والأخلاق، والكلام، فكانوا المثل الأسمى، في النُّضجِ العلمي، والتفكير الحرّ المتَّزن.

وفقيدنا المترجم له: أحد أزهار تلك الإضمامة، مِنَ العلماء الرَّاحلين - رفع الله درجاتهم.

لكنَّ الزمن لَمْ يفِ لِهذا البطل حقَّه، من شهرةٍ، تتناسب، ومَا لَهُ مِنْ مكانةٍ علميةٍ جليلةٍ!.

ولعلّه الآن جاء مكفّراً عنْ خطاياه، إزاء الراحل العظيم، فسمح للأقلام أن ترتع في خصيب روضه، ومتّع الأبصار بنوار زهره!.

تبّاً لك أيُّها التَّاريخ! فشأن العلماء والأُدباء معك، شأن مَنْ يقول:

لألفينَّك بعدَ الموتِ تندُبنِيْ وفيْ حياتِيَ مَا زوَّدتَنِيْ زادا

ولكن شكراً لك، من ناحيةٍ ثانيةٍ! فقَد سمحتَ بهذا القليل، من الوفاء للرَّاحلين العظماء، في زمنٍ هو وأهله، قد أولعا بنُكران الجميل، وجحْد الحقوق!.

وبعدُ . . . فإني أحارُ - وأيمُ الحقِّ! - عندما أطلُّ مِنْ كثبٍ، لأجلو صفحةً من تاريخ عظماء الرّجال، وأستعرض جزءاً من أدوار حياتهم؛ فإنَّ البيان أعصى ما يكون عندما يظلُّ الكاتب، على حياةٍ، كحياة الفقيد، تكتنفها مخائل العظمة، وتحفُّها آيات الإجلال، فيقف القلم عنِ انطلاقاته، مأخوذاً بسحر هاتيك الشخصيَّة الفذَّة! .

وليست هذه السطور تسجيلاً، أو إعادةً لحياة الراحل، فإنَّ حياة العلماء متّسمةٌ بطابع الشَّباب، وإنَّ تجعَّد وجهُ الدَّهر الهرِم، وصبغتِ الشيخوخةُ النّاصعة ببياضها وجهَ الزَّمن! .

ولا أجدني مغالياً إذا قلت: إنَّ حياتهم تُواكب اللاَّنهاية، في حقل الخلود السَّرمديِّ.

وقديماً قيل:

فإنَّ الموتَ أقصَرُ قيدَ باعٍ   بأن يغتالَ فكراً، واعتقادَا

إنّما هي ذِكْرياتٌ، استوحيتها مِنْ هذا الكتاب، الذي بين يديك، فسجَّلتها تعظيماً للرَّاحل الكريم، وأداءً لبعض حقوقه . . . ! .

رحم الله الرَّاحل الجليل!، وجزا وأولاده حسن الجزاء، لِمَا أسدى للعلم وأهله . . . فهو ربُّ الوفاء، ومنه الإستعانة، وبه التوفيق! .



الطريحي .. وكتابه مساجد الكوفة[١]

تاريخ آل الطريحي:

آل الطريحي من الأسر النجفية العراقية، التي يتوزع أفرادها على المهن المختلفة من تجارة وزراعة وحرف أخرى، ويتوفر قسم كبير من الأسرة على طلب العلوم بحقولها المختلفة، ففيهم رجل الدين الفاضل، والأديب النابغ، والطبيب النطاسي، والمدرس الماهر، والباحث القدير.. وهكذا.

وفي الوقت الذي تختلف فيه الأسرة في اتجاهها المادي والعلمي تتفق في حمل سمة موحدة تلك هي الطهر والبراءة التي عرفت بها هذه الأسرة مع ذكاء حاد وسمات كريمة ترتفع بالبراءة عن مستوى الغفلة، ولقد عايشت هذه الأسرة طالباً صغيراً مع بعض أفرادها وصديقاً وجاراً مع الأسرة كلها مدى سنين طوال فما وجدت - وأيم الله الحق - إلا كل ما يبعث في نفسي الإعتزاز بها واحترامها.

ومن بين بيوت هذه الأسرة التي هي موضع احترامي بيت الشيخ كاتب الطريحي رحمه الله فقد كانت بداية معرفتي لبيت هذا الرجل هي أنني كنت في حفل عرس من الحفلات التي اعتدنا نحن النجفيين إقامتها فيما بيننا بالتبادل حيث يحتفل بالمتزوج من قبل لداتة وأصدقائه وتكون الحفلة من حلبات الأدب التي تتبارى فيها الأقلام وتكثر فيها المداعبات والنكات اللاذعة الحارة، وكان أن انبرى الشيخ كاتب بتعليقه على أحد أبيات القصيدة التي كان الشاعر ينشدها، وكانت نكتة تميزت بالحرارة والظرف مما أوجب أن يشتد الضحك وتعقبها نكات ويومها سألت عنه

---

(١) الطريحي وكتابه مساجد الكوفة مجلة الثقافة العدد ١٤ السنة ١٩٨٢.

وعرفت اسمه وبيته ثم توالت الإتصالات بصورة مباشرة وغير مباشرة فكنت كلما اتصلت به ازدت له حباً لما يحمله من روح لا تعرف الحقد وثغر لا يعرف إلا البسمة ولسان طلق لا يترك شاردة و لا واردة إلا وينقلها ليشعرك بالإحاطة بالمعلومات والموسوعية الذهنية، وكنت أتولى الخطابة الدينية في بعض مجتمعات الكوفة فكنت دائماً أجتمع به وكان يسره أن نكون في ديوانه نشرب عنده القهوة ونتمتع بمجلسه المنوع. وبحكم ذلك عرفت ولده الأستاذ كاظم الذي لا يقل عنه حباً للعلم والأدب، وباقي أفراد الأسرة الذين منهم أولاد الأستاذ كاظم ومنهم مؤلف هذا الكتاب الشاب السعيد المهذب الطلعة، فرأيت فيه روح الأسرة بكل ما لها من خواص أو أبعاد وما في الآباء ترثه الأبناء.



تاريخ مساجد الكوفة

وقد لفت نظري فيه أمران:

الأمر الأول: روح الدأب والمثابرة على استكناه المعرفة ومواصلة البحوث وبشكل يكبر على سنه ومجالاته الأخرى مما ينبىء له بمستقبل زاهر في حقل المعرفة.

والأمر الثاني: وفاؤه للكوفة وأهلها المتمثل في ارتياده مختلف أبعاد الكوفة والكتابة فيها بروح تلمس فيها الحرارة مما ينم عن حماس أصيل غير مفتعل، فكتابة عن آثارها الحضارية، وأخرى في شخصياتها، وثالثة عن مؤسساتها الدينية .. وهكذا.

ولقد قرأت له الكثير من ذلك، وكان مما قرأته له هذا الكتاب الذي بحث فيه حول مساجد الكوفة سبراً واستقصاءً واستكناهاً لملامحها العامة وأحوالها المختلفة، وجاء الكتاب موفقاً في بابه، ومما يضفي على الموضوع أهمية ما يحتله المسجد من مكانة هامة في حضارتنا وتقويمنا، وما لعبه من دور هام في بناء الشخصية الإسلامية فما كانت المساجد في تاريخنا مجرد دور للعبادة وإن كان ذلك أبرز أهدافها وأفعل وسائلها في تربية النفوس ولكنه بالإضافة لذلك محل إجتماع المسلمين الذي يوفر فرص معرفة المسلمين ببعضهم البعض الآخر وإطلاعهم على مختلف شجونهم وشؤونهم مما يحمل على التعاون ونبذ التناحر والتكاتف وذلك من أبرز أهداف الإسلام، وفي الوقت نفسه ما افترقت المساجد عن مؤسسات العلم فهي مدارس لمختلف العلوم الإسلامية والثقافية العربية، وهي مكتبة تتوفر فيها مصادر المعرفة في كل أبعادها، وهي منتدى تتبارى فيه القرائح وتشحذ فيه المواهب..

وبكلمة مختصرة، المسجد نافذة تطل على الإسلام في أبرز خواصه فلا غرو إذا قال النبي ﷺ:

(إن المساجد تضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض)، فهي ضوء للمعرفة وضوء في طريق تقويم السلوك وضوء لتنوير الأفكار .. الخ.

وبقدر ما للمسجد من أهمية تكون الكتابة فيه، لذا فهو بحاجة إلى قلم موزون وواع كما أن القلم الذي ينصرف إلى الكتابة في مثل هذه المواضيع من الأقلام التي قيظ لها أن تكون موفقة وعلى نصيب من الإيمان وما نحتاج إليه في ظرف كهذا عادت فيه الدنيا صحراء خالية من ورقة خضراء أو شجر ذات ظل.

وبعد هذا فالكتابة في مساجد الكوفة لا بد لها من الوقوف على مسجدها الرئيس وجامعها العظيم الذي كان وما زال فيه عبق ذلك العملاق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وطيوفه التي تفرض نفسها على كثير مما له من طيوف بهذا البلد مرتاداً المسجد .. والآثار سواء أكانت ريادة مادية أو تفاعلاً فكرياً مع آثار الكوفة المادية والمعنوية، فالكوفة مدرسة الإمام علي عليه السلام ومعقل شيعة الإسلام ورمح الإيمان وجمجمة العرب.

فعسى لقارىء هذا الكتاب أن يأخذ نصيباً من هذا العطاء ويشرب من هذا المنهل وتحية لثرى الكوفة المقدس وتقدير للكتاب والكاتب.

دمشق ١٥ شعبان ١٤٠١هـ





الفصل الثالث

اللقاءات مع الصحف والمجلات

مقابلة مع مجلة مرآة الأمة الكويتية

س: ما الفرق في رأيك بين السنة والشيعة؟

◄ ج - الفرق الموجود بين المذاهب الإسلامية ككل ومنها ما هو بين الشيعة والسنة فروق ناتجة عن أسباب. . . السبب الأول هو الفهم الخاطىء للأدلة العقائدية التي تتعلق بالإمامة التي تلي النبوة مباشرة، هل تكون الإمامة بالإنتخاب ويقال إن رسول الله ﷺ لم يستخلف أحداً وترك الأمر للمسلمين، والمسلمون التجأوا إلى منهج الشورى. أو أن القرآن الكريم له منهج والسنة النبوية الشريفة لها منهج في اختيار الإمام من بعد الرسول؟ أهل السنة يذهبون إلى أن النبي انتقل إلى جوار ربه ولم يرشح أحداً. . . سوى أنهم استنتجوا من أمره بأن يصلي في الناس أحد الصحابة وكانت السيدة عائشة قالت: ائتمروا أبا بكر فليصلِّ في الناس، وصلى أبو بكر وقال المسلمون ارتضاك رسول الله لديننا فكيف لا نرتضيك لدنيانا؟ فاتجهوا لهذا الإتجاه وهو أن أبا بكر مرشح ثم ينتخب. هذا هو الرأي الذي ذهب إليه أهل السنة وقد يستدل بعضهم بآيتين هما في الواقع غريبتان على الإستدلال، الأولى هي: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والآية الثانية: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] صدق الله العظيم. فليس للآيتين علاقة بنظرية الحكم، أما رأي الإمامية فالخلافة بالنص وبالجعل وهو رأي الشيعة. وهم يستدلون بآيات كثيرة منها: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤] ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦] صدق الله العظيم. هذا هو السبب الأول «المنهج إلى الإمامة» ولو اقتصر الأمر على المناقشة بفهم الأدلة هان الأمر ولكن تدخلت العوامل السياسية والعوامل القبلية وخلفيات أخرى فتضخمت الإختلافات فالسياسة ما دخلت شيئاً إلا وأفسدته. كما أن من أسباب الخلاف يرجع إلى مناهج في الفقه والعقائد عند أهل السنة ومناهج في الفقه والعقائد عن الشيعة.

س: بعض الشيعة يكفرون السنة... ويرون أن من يصلي وراء سني فصلاته غير مقبولة... فما ردكم؟

◀ ج - الوائلي هذا الشيعي جاهل ولا يعقل شيئاً من الدين فمن ينطق بالشهادتين فهو مسلم والذي يكفر مسلماً هو الكافر!!.

س: لما لا يأخذ الشيعة بأحاديث أبي هريرة؟.

◀ ج - لا نأخذ بأحاديثه بكل صراحة لعدة أسباب، أولها: إن جملة من الصحابة كانوا يرمونه بنقص الفهم والقصور، ومنهم السيدة عائشة التي خطأته في أكثر من مورد، فهذا الرجل التقى النبي ﷺ مدة لا تزيد عن ثلاث سنين، ولكن غزارة الأحاديث التي رواها عن النبي توحي لنا بالشك لأن النبي لم يكن متفرغاً في كل وقته لأبي هريرة حتى يروي عن الرسول آلاف الأحاديث. أما السبب الثاني فهي المواقف الكثيرة له التي أعلن فيها بغضه لعلي بن أبي طالب، أما السبب الثالث فهو أن الإسرائيليات دخلت في رواية أبي هريرة وجاء براويات عليها ألف علامة استفهام!.

س: هناك من يقول إن الشيعة يسبون الصحابة... فهل هذا صحيح؟

◀ ج - الوائلي أنا دائماً أقول وأنا على المنبر أنه منذ أن جاء الإسلام إلى خلافة معاوية بعد مقتل الإمام علي... هذا التاريخ كان فيه شيعة، وأنا أتحدى أن يكون في هذا التاريخ أي شيعي شتم الصحابة خلال هذه الفترة. ولكن عندما جاء معاوية بن أبي سفيان إلى الحكم وجاء الأمويون وأخذوا يشتمون الإمام علياً من على المنابر ٨٠ سنة، تولدت بعض ردود الفعل عند البعض فشتموا الصحابة.

س: عملية التقريب بين المذاهب ....أين وصلت؟.

◀ ج - الوائلي الحقيقة أن عملية جمع كلمة المسلمين من أعظم القربات عند الله عز وجل وفي رأيي أن لعملية الجمع بين المسلمين عدة أبواب ويجب أن نلج هذه

الأبواب ومنها أن يقرأ بعضنا الآخر فنحن نقرأ أهل السنة ولكن أهل السنة لا يقرأوننا؟! فللأسف كثير من أهل السنة وخصوصاً الشرائح المتأخرة فهي لا تترك كتاباً شيعياً في مكتبتها إلا إذا لزم الأمر في بعض الأحيان فتحاججه لمحاججة أو مجادلة! فيجب أن يطلع ويقرأ بعضنا البعض الآخر حتى يزول كثير من سوء التفاهم، ويجب أن نرجع إلى تصحيح بعض الثغرات الموجودة في التاريخ والتي اخترعت اختراعاً وكتبت في كتب أهل السنة ضد الشيعة وفي كتب أهل الشيعة ضد السنة، ويجب أن نعرف أن الأصول لا اختلاف فيها بين المسلمين أبداً فلو اقتصرنا على أن نجعل الحد الأدنى هو التمسك بالأصول والإيمان بالأصول، وأما الأمور الثانية والزائدة عن الأصول فلا ينبغي أن نكفر بعضنا بعضاً ولا نختلف مع بعضنا البعض. كما يجب أن يكتب أهل السنة عن أهل الشيعة ويكتب أهل الشيعة عن أهل السنة ودعني أضرب لكم مثلاً فقد صدرت مجموعة الفقه الإسلامي في الكويت وليس فيها رأي واحد لآل محمد؟! وآل محمد ليسوا من كوريا أو تايلند!!... فلماذا لا يوجد فيها أي رأي من آراء آل محمد؟! فنحن نريد من المسلمين أن لا ينظر أحدهم إلى الآخر نظرة غريب وإنما هو جزء من الكيان الإسلامي. ومن أهم الشروط للتقارب التزاوج. فلماذا لا يتم الزواج بين الشيعة والسنة فنحن ليس لدينا مانع من أن يتزوج الشيعي من المرأة السنية! لكن الفتاوى والتي تصدر من بعض الجماعات تحرم هذه الزيجات أي تحرم تزويج السنية من الشيعي... فلماذا؟.

س: هل من المعقول أن يستمر الخلاف بين المسلمين بسبب حرب معاوية مع الإمام علي قبل ١٤٠٠سنة؟ ومن المستفيد من هذا الخلاف؟.

◄ ج - المستفيد قطعاً هو الإستعمار، والإستعمار يغذي الخلاف بين السنة والشيعة لأنه ليس من المعقول أن يستمر الخلاف بين السنة والشيعة لأن الإمام «علياً تقاتل مع معاوية وإنما هناك مصالح عند البعض ولا يريد أن يتخلى عنها فهو يؤجج الفرقة والخلاف حتى يضمن مصالحه.

س: قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] صدق الله العظيم... ما تفسيركم لـ «وأُولِي الأمْرِ»؟.

◀ ج - أولو الأمر عندنا هم العلماء... ولو كان أولو الأمر هم الحكام لضعنا لأن كثيراً من الحكام متهورون لا عقل لهم ولا تفكير.

س: أيهما أوجب الخُمس أم الزكاة؟.

◀ ج - كلاهما واجب وكلاهما أمر بهما القرآن، ولكن الإختلاف في توسيع المفهوم وتضييق المفهوم، فالزكاة لها مفهوم عند البعض واسع وعند البعض الآخر ضيق. أما الخمس فأيضاً القرآن أمر به، قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: ٤١] كل ما في الأمر أن الغنيمة عندنا ليست فقط في دار الحرب فجميع ما يغنمه الفرد وما يحصل عليه الإنسان غنيمة ويجب عليه الخُمس وتصرف في المصالح العامة فيعطى منها للعلويين والباقي يصرف لإنشاء مستشفيات و طرق، فالخمس مأمور به في القرآن وغاية ما في الأمر أن أهل الشيعة يوسعونه إلى ما يكسبه الإنسان إلى الكسب والغنيمة، أما أهل السنة فيقتصرونه على ما يغنمه الإنسان في دار الحرب، وهذا سبب من أسباب الإختلاف بين السنة والشيعة.

س: وماذا يترتب على تارك إعطاء الخمس؟.

◀ ج - عقوبة تارك الخمس هي نفسها عقوبة تارك الصلاة الآن إذا ترك الإنسان الصلاة فماذا يترتب عليه؟ فإذا تركها جحوداً فيعتبر كافراً وإذا تركها عصياناً فيعبر عاصيا ويعاقب.

س: من المُلاحظ أن الشيعة يقومون بضرب أنفسهم وجرح صدورهم في يوم عاشوراء... فما السبب؟.

◀ ج - سبق للعلماء وأعطوا رأيهم في هذا الموضوع وقالوا إن هذا الضرب إن

أضر بالنفس فهو محرم وإذا لم يلحق بالنفس ضرراً فلم يحرم، فهو مجرد تعبير وجداني عن حبهم للحسين عليه السلام.

◄ س: هل تواجهون صعوبات مع الأنظمة الحاكمة؟.

◄ ج - هذا السؤال لا سبيل للإجابة عليه لأنه موضوع خطير!.

◄ س: ما رأيكم بالمناخ الديني في الكويت؟

◄ ج - الكويت بها روح اسأل المولى عز وجل أن لا يغيرها، فيها اتجاه ديني قوي وتوجه نحو الدين على مختلف شرائحها. فهنا في الكويت توجه نحو الدين لم أره في بلاد الخليج كلها.

◄ س: ما المانع من سجودكم على «البسط أو السجادة»؟.

◄ ج - لدينا نصوص تمنعنا من ذلك، فلدينا نصوص تقول إن الوائلي تراث خالدإن الصلاة لا تصح إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض.

◄ س: ما حقيقة «مصحف فاطمة الزهراء»؟.

◄ ج - هذا المصحف موجود في أدمغة البعض وأنا أتحداهم... وأنا على أتم الإستعداد لإعطاء جائزة لمن يأتيني بنسخة وها أنا أقولها عبر مجلة «مرآة الأمة» أنا مستعد لتقديم عشرة آلاف دينار كويتي لمن يأتيني بنسخة من هذا المصحف. فنحن لا نملك أي مصحف غير القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين جميعهم.

◄ س: ما رأيك بالبنوك الإسلامية؟ وهل يجوز التعامل معها؟.

◄ ج - في الواقع كل مسألة من مسائل البنوك لها حساب خاص ولا أستطيع أن أعطي رأياً عاماً فيها، ولا بد من الرجوع في كل معاملة من المعاملات البنكية ونعرضها على المقاييس والأدلة فإن وافقت عليها الأدلة، فهي مقبولة وإلاّ فلا.

◄ س: هل لك أن تحدثنا عن رأيك في زواج المتعة؟.

◄ ج - هذا الزواج عند المسلمين وليس فقط عند الشيعة، لأن إجماع المذاهب

الإسلامية على أن الزواج بنية الطلاق جائز ولكنه يجري بالصيغة الدائمة. فيقول للمرأة تزوجتك وهو في ذهنه ونيته أنه بعد ساعة يطلقها أو بعد يومين يطلقها وهذا جائز. أما من الناحية الثانية فيجب أن تتحقق الضوابط الشرعية لزواج المتعة، فعلى سبيل المثال إذا كان هناك تلميذ يدرس في الخارج فيظل ١٠ سنوات في الخارج فبدل أن يقع في الحرام يتزوج زواجاً يتحمل كل تبعاته وهو وجود المهر والعقد وإذا حملت فالولد ابنه بكل الشروط إلا بعض الشروط الأدبية.

س: من أطلق عليك لقب «جامعة العلم المتنقلة»؟.

◀ ج - هذه تنسب إلى مجموعة من رجال الفضل عندنا وفي طليعتهم المرحوم السيد الشهيد الصدر، وفي الواقع أنا أقل من ذلك فأنا أحد خدام الشريعة الإسلامية.

س: كثير من الشيعة يتساءلون عن كيفية البدء في دراسة المنبر الحسيني؟.

◀ ج - ولوج الإنسان إلى الخطابة الحسينية أصبح يتطلب منهجاً طويلاً، مبدئياً على من يحاول أن يكون خطيباً أن يدرس العلوم الإسلامية بمراحلها ولا بد أن تكون لديه دراسة حديثة حتي يجعل المنبر بوابة لهموم المجتمع ولا بد أن يطلع على أفكار وآراء المسلمين، بالإضافة إلى دراسة علم النفس والإجتماع، ولا بد من أن يتتلمذ على يد أحد الأساتذة.

س: ما حكاية «فَدَك»؟.

◀ ج - حكاية فدك لها وجهان فإما أن نقول إن هناك اختلافاً في فهم الدليل أوجب أن يقف الخلفاء من الزهراء ذلك الموقف بأن أخذوا منها «فدك» دليلاً استند عليه أبو بكر بقوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ولكن الزهراء قالت لا، النبي يورث كسائر الناس واستدلت بالعمومات الموجودة في الآيات الكريمة منها بسم الله الرحمن ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَنُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦] فالزهراء استدلت بهذه الآيات واستدلت

بأن النبي كسائر الناس. ولكن هناك وجهة نظر تقول إن الخليفة بحكم ولايته العامة رفض أن يعطي الزهراء «فدك» لأن بها وارداً ضخماً وهذا الوارد يمكن أن يصرفه في مكان آخر وحتى لا يستعين فيه علي بن أبي طالب في اتخاذ أتباع. وهنا اتضح أن هناك نظريتين نظرية سياسية تختلف عن النظرية الفقهية.

س: هل من كلمة نختم بها الحوار الصريح معكم؟.

◄ ج - في نهاية هذا الحديث أنا أتمنى لوسائل الإعلام الكويتي التوفيق في أداء مهمتها وأقترح على وسائل الإعلام ما يلي: أولاً: إن الأمور الدينية ينبغي على وسائل ألا تقبل أي كلمة أو مقال من إنسان مبلغ ثقافته سوى بضعة أحاديث يحفظها وبدون أن يكون مستوفياً للشروط. وثانياً: لا بد أن تكون عاملاً مساعداً على لَمِّ الشمل وليس التفرقة. وثالثاً: لا بد أن تفتح أبواباً دائمة وليس في المناسبات فقط. وأخيراً أتمنى لكم التوفيق.



مقابلة مع مجلة العرفان اللبنانية

حَول «منتَدى النشر»

أجوبة للشيخ أحمد الوائلي

س: بصفتكم عضواً مؤسساً وإدارياً في جمعية منتدى النشر وحيث إن كلية الفقه تابعة لجمعية منتدى النشر في النجف الأشرف فنرجو الإجابة على بضعة أسئلة تتعلق بالكلية؟.

◄ ج - تأسست عام ١٩٥٨ في عهد الثروة الجبارة.

س: ما هو منهجها وما هي موادها وهل لها ثانوية وابتدائية تابعة لها؟.

◄ ج - نعم لها ابتدائية وثانوية معترف بها ومعادلة مع الثانويات الرسمية لأنها تطبق منهاج وزارة المعارف زائد منهاجها الديني الخاص بها.

أما منهاج الكلية فمنهاج عالٍ ولعلي لا أغالي إذا قلت إنها تمتاز بمنهاجها على جملة الكليات في المواد لأنها تدرس الأدب العربي والفقه والأصول في أحدث ما وصلا إليه من رقي وتهذيب وتدرس الفقه المقارن للمذاهب الإسلامية كافة. وعلم النفس وعلم الإجتماع واللغة الإنكليزية، والمنطق، والقسم العالي من اللغة العربية لتفسير القرآن الكريم والفلسفة القديمة والحديثة وعلم الدراية والتربية.

س: من هم المدرسون فيها وما هي درجاتهم العلمية؟.

◄ ج - لا يدرس فيها إلا حملة شهادة الدكتوراه المنتدبين من الجامعة العراقية الموقرة وذلك في العلوم ذات الإختصاص كعلم النفس وعلم الإجتماع، والأدب واللغة الإنكليزية الخ. . . في العلوم الدينية لا يدرس فيها إلا حملة شهادة الإجتهاد الذين زودوا بشهادات من قبل مراجع الإسلام في النجف الأشرف تؤيد بلوغهم

مرحلة الإجتهاد وفي الوقت نفسه تؤيد هذه الشهادات من قبل وزارة المعارف وتوافق على تعيينهم.

☚ س: ما هي درجة الشهادة التي تمنحها كلية الفقه في النجف الأشرف.

◄ ج - تمنح شهادة بدرجة عالية كما هو الحال في الكليات الأخرى.

☚ س: ما هي الأهداف من تأسيس هذه الكلية؟.

◄ ج - الأهداف من تأسيسها هي إعداد جيل علمي مؤمن بدينه وتاريخه يقوم بنشر العلوم الإسلامية والعربية والعقائد الإسلامية عن طريق التبليغ، والتدريس، والنشر. ويكون مزوداً بالعلوم الحديثة بالإضافة إلى العلوم الدينية حتى يتسنى له أداء واجبه الديني والإجتماعي بما يتناسب والحضارة الحديثة ولغة العصر.

☚ س: ما هي مصادرها من الأموال؟.

◄ ج - لها بعض الأوقاف تدر عليها ريعاً ولها منحة قليلة من وزارة المعارف الجليلة وأهم مورد تعتمد عليه هو مساعدات المحسنين من أهل البر.

☚ س: ما هي شروط القبول للطالب الذي يرغب الدخول فيها.

◄ ج - أن يكون ممن يحمل شهادة الدارسة الثانوية أو ما يعادلها أو يكون ممن درس دراسات خصوصية للعلوم الآتية: اللغة العربية، والمعاني والبيان، والمنطق، والفقه، وأصول الفقه، والعقائد، بدرجة تسمى في عرف مدرسة النجف درجة السطوح ومع ذلك يخضع لامتحان القبول في هذه العلوم من قبل أساتذة اختصاصيين فإذا نجح في ذلك يدخل في الصف التحضيري سنة ثم منها إلى الكلية التي تكون مدة الدراسة فيها أربع سنوات كاملة ثم لا يفوتني أن أنبهكم إلى أن هذه الكلية تعد خريجيها لحضور أبحاث العلماء الأعلام التي تسمى بحوثاً خارجية وعلى كل حال هي دائماً تحت ظل العلماء الأعلام وجزء لا يتجزء من الحوزة العلمية المقدرة.

☚ س: من هو عميد الكلية ومن هم أعضاؤها وهيئة التدريس فيها؟.

◀ ج - عميدها سماحة حجة الإسلام الشيخ محمد رضا المظفر وسماحة حجة الإسلام السيد محمد تقي الحكيم وسماحة الحجة الشيخ نصر الله الخلخالي عضو الشرف وأصحاب السماحة الحجة الشيخ محمد تقي الايرواني والشيخ علي سماكة والشيخ عبد المهدي مطر والسيد محمد تقي الحكيم هيئة التدريس فيها، ومن الأعضاء بالجمعية أصحاب الفضيلة الشيخ محمد كاظم شمشار والشيخ محمد مهدي شمس الدين وفضيلة السيد هادي الفياض مدير الجمعية والشيخ مسلم الجابري والسيد عبد الحسين الحجار والشيخ محمد جواد قسام(١).



(١) مفكر إسلامي من العراق، وأحد أبرز خطباء المنبر الحسيني.

لقاء مع مجلة الشاهد اللبنانية

لقاء مع الدكتور الشيخ أحمد الوائلي

س: العالم يتطور بسرعة كبيرة والمفاهيم تتغير وهو أمر جعل من وسائل الإتصال ونقل المعلومات مصدر خطورة على المفاهيم وعلى الأديان والقواعد الأخلاقية. فهل تعتقد أن هناك خوفاً على أجيالنا من تأثيراتها السلبية؟.

◀ ج - ما يدخل إلى الذهن والوعي من غذاء مثله ما يدخل إلى الجسم من غذاء، فإذا كان في الجسم مناعة لا يتأثر بما هو ضار. كذلك جهاز التلقي الذهني يحتاج إلى مناعة تقيه من المؤثرات السلبية.

س: هل تتيح سرعة المتغيرات وصعوبتها، الفرص لبناء مثل هذه المناعة، بمعنى هل العقل البشري محصن إلٰهيا إلى حد ما؟.

◀ ج - العمل على تكوين جهاز المناعة عند المسلم يبتدي فيما نعتقد من الأسرة، فالمدرسة، فالمجتمع، وأهم هذه الوجوه هو الأسرة. ولا يعني ذلك عدم أهمية الوجوه الأخرى. و لا شك في أن المسؤول عن التربية الدينية في الأسرة هوالمؤسسات الدينية التي ينبغي قيامها بهذا الدور واستخدامها الوسائل التي أتاحها العلم وتوفير الكفاءات والمناهج العلمية قدر الإستطاعة وانتقاء الغذاء التربوي الجيد الذي هو متوفر والحمد لله في تراثنا، إن ذلك يضع الأسرة في أجوائها الإسلامية خصوصاً إذا أخذنا بعين الإعتبار أن كل أسرة مسلمة عندها خميرة من النزوع إلى جذورها وتراثها والإعتزاز بأولوياتها.

س: هناك خوف من الفضائيات والإنترنت وسواها من وسائل الإتصال الألكتروني التي قد توظف ضد الأديان وخصوصاً الإسلام باعتباره خاتمة الأديان؟.

◀ ج - الذي تمم ما سبق هو أسلمة الأدوات المؤدية إلى الهدف كالقناة الفضائية المسلمة، والمادة الإسلامية التي نغذي بها قنوات الإتصال، والمعلم المسلم الرسالي الذي ينبغي أن يوكل إليه تدريس الدين واللغة، فروافد المجتمع هي الأسرة والمدرسة. فإذا تم التركيز عليهما فذلك كفيل بنتائج طيبة. يضاف إلى ذلك ينبغي فتح أعين الأجيال على إفلاس الحضارات الأخرى وعجزها عن ملء الفراغ الذهني عند الإنسان وعن عدم قدرتها على أن تشده إلى قضية محورية يعيش من أجلها وتستهويه وتدفعه لمضاعفة جهده في ذلك. كما يصنع الإسلام في دفع الفرد المسلم إلى أن يبقى ينشد رضا الله عز وجل بكل نشاطه الدنيوي وعمله لما بعد الحياة وهو هدف يظل قائماً ويسعى الإنسان إليه متواصلاً وبذلك ينعدم عنده الفراغ والسأم ويعيش في لذة وسعادة متواصلة.

☚ س: ذكرتم أن التربية الدينية تؤسس جهاز مناعة خلقياً عند الفرد المسلم يحفظه من سلبيات قد يتعرض لها نتيجة تفاعله مع أجواء حضارية غريبة وذلك يستدعي أن تكون في الإسلام إجابات كاملة على معالجة ما يجد من أمور متنوعة فهل هو كذلك؟.

◀ ج - أولاً إن طرح مثل هذا السؤال يدل على عدم معرفة الكثير منّا بالمحتوى الحضاري الغزير في الإسلام وأحد أسباب ذلك هو عدم المعرفة، وثانياً إن كل من له إلمام بالشريعة الإسلامية يعرف أنها تحمل الإجابات على ما هو موجود وما قد يوجد من الأمور التي يبتلى بها الإنسان وذلك بداهة أن الله عزَّ وجل لا يكلف إنساناً حتى يعرفه السبيل إلى الإستجابة. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إن الله عزَّ وجل لم يتعبدنا بشريعة ناقصة يمكن أن تعجز عن تغطية حاجاتنا بل أكمل لنا الدين وأعلمنا ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] ولذا فإن كل من له صلة بالشريعة يعلم أنها وافية بكل الحاجات.

☚ س: فما الذي يحصل إذن؟.

◀ ج - غاية ما في الأمر أن بعض المذاهب الإسلامية يرى أن هناك مصادر للتشريع (أيضاً مصدر مشروعيتها الدين نفسه) جاءت مكملة لمحدودية النصوص. وتكثر الوقائع مثل القياس والإستحسان والمصالح المرسلة وغيرها، بينما البعض الآخر ومنهم الإمامية يذهبون إلى أن نصوص الكتاب والسنة وماتفرع منهما وافية لتغطية كل ما يجد. والأخبار الصحيحة والمصادر ذكرت ذلك بالتفصيل. وكمثل لذلك ما جدّ من معاملات في حقل المصارف والإقتصاد بعامة، وما جد في حقل الصحة كنقل الأعضاء من إنسان إلى إنسان ونقل الدم وترقيع الأجسام وما جد في عالم الإستنساخ والأرحام والمتاجر والتلقيح الصناعي وما جد من الإنتفاع بوسائل تكنولوجية جديدة وأمثال ذلك غطاها فقهاء المسلمين تغطية كاملة على الرصيد غير القليل في الشريعة.

☚ س: لكن المكتشفات الطبية والعلمية الجديدة، يقال إنها خارجة عن حدود أحكام الأديان؟.

◀ ج - الإسلام ليس عاجزاً عن التعامل مع المستجدات في أي مجال والفقهاء غطوا ما سبق بما في ذلك الجديد الآن. وسيبقى في الشريعة الغنى الوافر لسد حاجات الإنسانية ونشير إلى بعض المؤلفات في ذلك للإرشاد إلى ما ذكرناه وذلك في ذيل هذه الإلمامة القصيرة بهذه المواضيع إن شاء الله.

إختلاف المذاهب

☚ س: ما الحكمة في إختلاف مواقف وأحكام المذاهب؟ فقد يقف الفرد المسلم وهو في حيرة وتردد فما يرى من إختلاف المذاهب الإسلامية في العقائد والأحكام فلا يدري أين موقع الصواب وما هو المقدر له أمام الله عزَّ وجل؟ وهو يتصور أن ليس كل هذه الآراء صائبة فما هو تكليفه في مثل هذه الموارد؟.

◄ ج - نحن نعلم أن في الإسلام مذاهب متعددة. ويتبع كل مذهب منها مجاميع من العلماء. وهنا يتعين على غير الفقيه من سائر المسلمين المكلفين إذا أراد الوصول إلى مسألة عقائدية أو أراد الوصول إلى حكم شرعي ما يلي:

أولاً: أن يتحرى ويبحث عن الفقيه الجامع للشروط التي تشترط عادة في الفقهاء المستعدين للإجابة على المسائل الشرعية وبدرجة توصله للتأكد من أهلية هذا الفقيه. ولا يقتصر على الإنتماء التقليدي، بل لا بد من إحراز أن المسؤول من أهل العلم المؤهلين للفتيا والجامعين لأدواتها بالإضافة إلى أنه متصف بالورع والتقوى.

ثانياً: إنه إذا أحرز ذلك، فليس عليه أن يعرف ما هو دليل الفقيه. فإن ذلك موكول للفقهاء أنفسهم كونهم أهل الإختصاص وتبقى المسؤولية على أعناقهم لا عليه.

ثالثاً: وهنا نلفت النظر إلى أن الإختلاف في العقائد والأحكام - كما هو المفروض - له مناشىء علمية يعرفها أهل العلم، تعلق بالسند وبمضمون النص وملابساته الباقية. فقد يكون بعض رجال السند موثقاً عند البعض وعند الآخرين ليس كذلك. فيأخذ بعضهم بروايته ويرفضها البعض، وقد يكون منهج البعض الأخذ بخبر الآحاد ومفاده في بعض الموارد بينما لا يأخذ به الآخرون. وقد يحمل بعض الفقهاء اللفظ على ظاهره ويذهب آخرون إلى تأويله، وقد يحمل البعض اللفظ على الحقيقة ويحمله الآخر على المجاز. وكذلك في فهم المضمون، مثلاً: يقول الله تعالى فلو أن امرأة حاملاً بتوأم تضع واحداً منهما فالبعض يرى أنها مجرد وضع الحمل حلت للأزواج لأنها صدق عليها أنها وضعت بينما يذهب الآخر إلى أن المراد من الوضع هو إفراغ الرحم فلا يحل إلا إذا صار رحمها فارغاً من حملها وهكذا. ومثلاً يقول القرآن الكريم والكفن هو الجمع والضم فيرى بعضهم أن من ينبش قبر ميت ويسرق كفنه تقطع يده لأنه سارق سرق من حرز بينما يقول الآخر إن

هذا الحرز لا يختص بالميت في تفصيل طويل فلا يرى عليه القطع بل عليه التعزيز والتأديب، وعلى العموم إننا نؤمن بأن فقهاء المسلمين إذا ذهبوا إلى رأي في حكم أو عقيدة فإن مصدرهم الشرع في اجتهادهم وإن اختلفت نواحي الإستظهار عندهم.

التكفير

س: ما هو حكم من يخطئ منهم؟.

◀ ج - قد يخطئون بعد استفراغ الوسع في عملية استنباط الحكم ولكنهم معذورون بعد ذلك الجهد والوسع إلا من يثبت على سبيل القطع أنه ليس على صواب، إما لأنه ليس من أهل العلم أو لأنه يريد العبث. وهؤلاء هم في غاية الشذوذ، وفقهاء المسلمين إن شاء الله بعيدون عن هذا الغرض. إننا يجب أن نحسن الظن بفقهاء المسلمين ولا نجترئ على رميهم بالإبتعاد عن الإسلام أو تكفيرهم لأبسط الأمور كما يفعل بعض من لا يقدر حرمة وكرامة أهل لا إله إلا الله.

س: ما هي الحكمة الربانية من تعدد المذاهب؟

◀ ج - تعدد المذاهب لم تشرعه السماء حتى يقال ما هي حكمة السماء في ذلك، وإنما نشأ من أسباب هي على أحسن الفروض من اختيار بعض الجهات لأشخاص رأت أنهم أولى من غيرهم إما علمياً وإما اجتماعياً. ولكل منهم آراؤه واجتهاداته وتبعهم جماعة كونوا أسرة المذهب. والمذاهب غير مقصودة لذاتها بل المفروض إنها طرق مؤدية إلى الشرع. وأهم فائدة في تعدد المذاهب هي التوسعة على الناس لتعدد الآراء وعدم حبسهم على رأي واحد فتكون روافد متعددة كلها تؤدي إلى الشريعة.

س: هل هناك وجه آخر لتعدد المذاهب؟.

◄ ج - نعم. فإلى جانب الفائدة هناك سلبيات من أهمها التشرذم والتعصب وجعل المذهب غاية لا طريقاً مما يؤدي إلى التمزق.

☚ س: وهل هناك تضارب في بعض أحكام هذه المذاهب؟.

◄ ج - لا أسميه تضاربا، وإنما هو اختلاف في المنهج ووجهات النظر، وقد يؤدي أحياناً إلى التقابل. ولكن إذا عرفنا أن ذلك ناشيء من أمور موضوعية وليست من قصد سيء فإن ذلك يبعث على الإطمئنان ويحض على احترام وجهات النظر ويحمل على سعة الصدر لقبول وجهة النظر الأخرى.

☚ س: هل في أي من الخلاف في أحكام المذاهب، ضرر أو خطر على الإسلام طالما أن أحكام هذه المذاهب ليست منزهة أو معصومة ولا ترقى إلى عدم الخضوع للمناقشة؟.

◄ ج - لا خطر منها ما دام أكثر من رأي وطريق يوصل إلى الإسلام والمسلم إذا تعبد بواحد منها بعد بذل الوسع في الإختيار واستنفاد الوسائل السليمة في ذلك أجزاه ويكون ممتثلاً لحكم الله عز وجل. أما المجتهدون أنفسهم فبعد بذل الوسع في استنباط الحكم لهم أجران إن أصابوا حكم الله فأجر واحد من أجل جهدهم وعنائهم.

العولمة

☚ س: هناك في العالم اليوم ما يعرف باسم العولمة وهناك ما يسمى بثورة المعلومات. وهناك خوف فعلي من أن يقود النظام العالمي الجديد والدعوات المتزايدة لحرية الأديان وحقوق الإنسان وارتباط العالم بالبريد الإلكتروني، إلى توحيد للأديان لكن ليس وفقاً لما يريده الله وإنما لما يفرضه الأقوياء حماية لصناعاتهم ومصالحهم؟.

◄ ج - لا يمكن لكل من العولمة وثورة المعلومات أن تؤدي إلى صهر الأفكار

والمعتقدات في فكر واحد. وذلك لأن العولمة تحاول رفع الحدود المادية وثورة المعلومات تطرح أفكاراً جديدة وكل منهما موجود بالفعل يمشي عبر الحدود ولا يرده حاجز. ومع ذلك ما تزال الأديان متعددة والمعتقدات متنوعة. وإنما كل الذي نخشاه هو عدم خلق مناعة علمية وخلقية في الساحة الإسلامية تمنع تأثير الأمور الوافدة. وهذا الأمر يضاعف مسؤولية المؤسسات الدينية سواء الرسمية منها وغير الرسمية. ويحملها التبعة لتضاعف نشاطها في بناء الشخص المسلم بناء يوازي حجم المستجدات ويرضي التطلعات خصوصاً ونحن على ثقة بأن محتوى الشريعة فيه ذخيرة لا تنفد لتغذية الأجيال فلم يبق إلا البحث في كنوز الشريعة وإعداد كوادر علمية مؤهلة ومنتجة لسد الحاجة وأن تكون مؤسساتنا الدينية مراكز بحث وتطوير وإعداد كفاءات وليست مؤسسات الإرتزاق على حساب ديننا.

- س: المسلمون اليوم في وضع لا يحسدون عليه، متفرقون مشتتون، مختلفون في مصالحهم ومواقفهم، لكن هل هناك خوف على الإسلام بسبب ضعف المسلمين؟.

◄ ج - الإسلام فكر والفكر لا خوف عليه إنما الخوف على المسلمين الذين يتعرضون إلى مخططات لإبعادهم عن الإسلام بوسائل شتى أو تركهم لا يعرفون من الإسلام إلا مظاهر جوفاء. أما مضمون الإسلام فيفرغ من محتواه. وهذا الأمر يعيش على الساحة عند جميع المذاهب الإسلامية مما يؤسف له أشد الأسف مما جعلنا نرى المسلم الشكليات. لا المسلم الموقف والرجولة والعطاء وصدق العقيدة وغير ذلك مما هو من مقومات الإسلام الصحيح.

- س: ألم يحن الوقت لحوار حقيقي بين الأديان؟ وهل يمكن أن يكون لخطوة من هذا النوع جدوى في التقريب في وجهات النظر وتقليل التنافر العرقي وصراع الأقليات والتركيز على التعاون في مواجهة تحديات العصر مثل الأوبئة والفقر والتلوث وسواها؟.

◄ ج – لعل الإسلام يعتبر مجلباً للدعوة والحوار بين الأديان وذلك لأن الإسلام يقف على قاعدة صلبة لما فيه من أسس متينة ومتطورة ومستوعبة لحاجات كل العصور. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ولأنه يرى ويعلم أن الأديان. وأقصد بها الأديان السماوية كماهي في أصلها، كلها روافد من السماء ولكل دين دوره وعهده في أداء رسالته وقد ختم بالإسلام حيث ما هو من الثوابت قد جمعه الإسلام وما هو من المتطورات قد حمله ونبه الأذهان له. ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤] من هذا المنطلق وهو استيعاب الإسلام للثوابت وغير الثوابت في الأديان الأخرى، إنطلق الإسلام يدعو إلى الحوار، ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا﴾ [آل عمران: ٦٤] ولم ينطلق من فرض أنه الوحيد وغيره مرفوض بل فتح الأبواب لصراع الأفكار وفق الأصول [illegible] إلى لم هو الحق. ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤]. وبناء على ذلك فلا خشية من أن يخذل الإسلام أو ينهزم في أي حوار شرط أن يكون المحاورون موضوعيين ومؤهلين للحوار لوجود أرضية علمية عندهم. وإذا استكمل الحوار بشروطه الموضوعية فلا شك في جدواه. إن الإنسانية قد تعبث في بحثها عن الأفضل وعلينا أن نبحث في دفائن ديننا من الكنور لنقدمه زاداً للإنسانية ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ﴾ [التوبة: ١٠٥].. الخ.

حوار الحضارات

☚ س: يروج البعض لمخاوف من احتمال افتعال العرب والمسلمين حرباً ضد الحضارة الغربية، ويقال إن دوافع إقامة المشروع الأميركي الجديد المعروف باسم استراتيجية درع النجوم أو وليد حرب النجوم، تنبع من أوهام مثل هذه ما رأيك؟.

◄ ج – منذ ولد الإسلام طرح أراءه مقابل المفردات الحضارية المنوعة عند كل

الأمم، وأعلن موقفه فيما يقبل منها وما يرفض. وفي خصوص الحضارة المسيحية سواء في الغرب أو غيره يقف منها موقفاً يختلف. فإن كانوا مواطنين يترك لهم حرية البقاء على دينهم بشرط التزامهم بشروط تحقق المواطنة السليمة وتوازن بين حقوقهم وحقوق الدولة الإسلامية. وإذا كانوا خارج الدولة الإسلامية فهم حتى ولو كانوا كفاراً محاربين فلولي أمر المسلمين مهادنتهم إذا كانت المصلحة في ذلك. وهناك أحكام تحدد علاقة المسلمين بغيرهم وتتسم بالإنسانية في أعلى صورها ولا يخرج الإسلام عن هذا الإطار إلا إذا وضع في حالة الدفاع عن النفس أو عن الدين. فدعوى هؤلاء إنهم يخشون من الإسلام مثل باقي ما يدعونه عن خطر الإسلام والأصولية. والحقيقة أن المحارب والمحاصر هو الإسلام الذي اخترعوا عشرات العناوين المبررة لمحاربته. وفي التاريخ مرايا صادقة تعكس ممارساتهم مع الإسلام والمسلمين. إنني هنا ألفت نظر الباحثين وطالبي الحقيقة إلى الرجوع إلى التلمود وللحروب الصليبية وتاريخها نظرياً وتطبيقياً وكذلك الرجوع إلى حروب القرون الوسطى وما جرى في الأندلس، ثم الرجوع إلى كتب التاريخ الإسلامي وكتب الفقه الإسلامي في باب الجهاد للتعرف على من يشكل الخطر على الحضارات ويريد نفي الآخر. إن شعار الإسلام ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: ٢٤] هذا الطرح المفتوح حتى يتم الوصول للحقيقة.

■ س: دفعت التطورات العلمية الجديدة والاكتشافات الطبية المذهلة مثل الإستنساخ وسواه. إلى بروز تحديات كبيرة للأديان وخاصة الإسلام، فهل أغفل الدين الحنيف مثل هذه الأمور، أم أن في بيان نصوص القرآن الكريم والفقه مع كل حالة على حدة بنفس المنطق الرباني العظيم الذي يعالج به الرحمن الأمور الأخرى؟.

◄ ج - لا أسمي أمثال هذه الأمور التي ذكرتها تحديات بل هي أمور ألهم الله تعالى بها الذهن البشري وأقدره عليها على أن يتحرى بها خدمة الإنسان لا ضرره. وهذه

الأمور تشكل موضوعات غطتها أحكام الشريعة وهي جميعها عالجها الفقه الإسلامي وتناولها فقهاء المسلمين تفصيلاً وأعني بهم الفقهاء المعاصرين، لأنها أمور حدثت متأخرة ومن بعض هذه المصادر التي تحضر ذاكرتي إتماماً للفائدة وللتدليل على أن الإسلام يتسع في نصوصه وقواعده لكل ما يمر على الدنيا من أمور ستكون موضع ابتلاء الإنسان: شرح عهد الإمام علي لمالك الأشتر - توفيق الفكيكي، الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، منهاج الصالحين للسيد الخوئي قدس سرّه. الفقه للمغتربين للسيد علي السيستاني دام ظله، الإستنساخ للسيد سعيد الحكيم دام ظله، عقليات إسلامية للشيخ محمد جواد مغنية طاب ثراه، فقه أهل البيت للسيد محمود الهاشمي دام ظله، المذاهب الإسلامية للشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي دام مسددا، بحوث في الفقه المعاصر للشيخ حسن الجواهري دام ظله ومستحدثات المسائل للسيد الخوئي قدس سرّه.

دولة إسلامية

☚ س: ما هي فرص قيام دولة إسلامية كبرى في العالم؟ وهل هي ضرورة أم أن الله عزّ وجل كفيل بأمر صيرورة الدنيا قبل قيام الآخرة؟.

◄ ج - فرص قيام دولة إسلامية عامة ليس بمستحيل عقلاً ولا ممتنع ذاتاً ولكن له شروط لا بد من توفرها، وهي تحتاج عادة إلى زمن طويل لأن عنصر الزمن دخيل في تكوين الأشياء بحسبها. والدولة الإسلامية مرة تكون إسلامية عقيدة وأحكاماً لا بد من تطبيقها والناس فيها من المواطنين المسلمين الملتزمين بالعقيدة والأحكام، وأخرى قد تكون محكومة من قبل المسلمين وأهلها ليسوا كذلك بل في الأديان كالمسيحيين واليهود والمجوس وحتى الصابئة أي من لهم كتاب. ولكل منهما تفاصيل استوفاها الفقه الإسلامي. غالباً في باب الجهاد من كتب الفقه. وكما ذكرت إن قيامها يبقى مفتقراً إلى شروط لا بد من تحققها ودعني أضرب لك مثلاً

واحداً هو اللغة العالمية الأسبرنتو التي أريد لها أن تختصر الحواجز وتجمع الناس على وسيلة موحدة للتفاهم، وإلى الآن والفكرة في مكانها لم تتحرك مع إنها محبوبة للنفوس ولا تشكل ضرراً للأمم أو الأفراد اللّهم إلا ما يرتبط باعتزاز كل أمة بلغتها فكيف يكون الأمر بالنسبة للعقائد والشرائع؟.

س: هناك أيضاً لغط عن موقف الإسلام من مفهوم الديمقراطية فهل الإسلام ضد نظام مثل هذا تطالب به أغنية البشرية الآن؟.

◄ ج - إذا تحدثنا عن موضوع الديموقراطية وتفاصيلها وخصوصاً موقف الإسلام من الديمقراطية بمعناها المصطلح فإن المسلم من الناحية العقيدية والناحية التشريعية ملزم بالعمل بما شرعته السماء، أو من ناحية التطبيق وذلك بأن تحكم الأُمة نفسها بنفسها فهذا يتم على نحوين من التصور في هذه الفترة: النحو الأول أن يتولى الفقيه بما له من ولاية عامة حكم الأمة وفق قوانين الله عز وجل وذلك له تفصيل موسع في كتب الفقه. والنحو الثاني كما يذهب إليه البعض أن الأمة لها ولاية على نفسها فتنتخب من يحكمها وفق الشريعة. وعلى العموم من الناحية التطبيقية أمر الديمقراطية سهل، على أني ألفت النظر إلى الدول التي تدعي أنها تطبق الديمقراطية، هل إنها ملتزمة بشروط الديمقراطية أم هو مجرد شعار؟.

حقوق الإنسان

س: وما موقف الإسلام من قضية حقوق الإنسان التي باتت مسألة حيوية تقيم الشعوب والأمم والأديان على مدى إلتزامها بها؟.

◄ ج - موقف الإسلام من حقوق الإنسان واضح. فلا أعتقد أن هناك شريعة كفلت حقوق الإنسان كالشريعة الإسلامية. فالإنسان كل الإنسان موضع تكريم الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]. يقولها القرآن الكريم ويقول الرسول الكريم في خطبته في حجة الوداع: وقد سأل الصحابة رضوان الله عليه أي

يوم هذا؟ قالوا: أعظم الأيام، وأي شهر هذا؟ قالوا أعظم الشهور، وأي بلد هذا؟ قالوا أعظم البلدان، وأي بيت هذا؟ قالوا: أعظم البيوت، قال: إن حرمة المؤمن أعظم عند الله من بيتكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا. . .الخ. ولقد قال النبي ﷺ: «الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره». ويقول الإمام علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر: «الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق». الناس سواسية كأسنان المشط، وقد أفاضت كتب التاريخ والسيرة في تفصيل تطبيقات ذلك بما لا يسعه هذا المختصر. وأرجو أن نفرق بين الإسلام وبين بعض المسلمين الذين ينبغي أن لا تحسب تصرفاتهم على الإسلام بل لا بد من الإقتصار على ما رسمه التراث ورسمته السنة النبوية ورسمه خلفاء النبي حقاً.

☚ س: الأمر الآخر المثير للجدل هو الفهم الخاطىء من قبل البعض لموقف الإسلام من حقوق المرأة. فما هي الحقيقة في هذا المجال؟.

◀ ج - لا سبيل إلى الإفاضة في أمر مثل هذا، لأن الإسلام أكرم المرأة بما أراده الله لها وليس وفقاً لمشتهى البشر، ولكن ما ينبغي الإشارة إليه أن كل الحقوق التي كفلها الإسلام للصنفين الذكور والإناث إنما هي متصلة ومربوطة بفطرة كل منهما.

فالمسألة إذاً مسألة تصنيف لا مسألة تفضيل، إن بين الرجل والمرأة عشرات من الفروق النفسية والجسدية والاجتماعية، ولكل منها حسابه الخاص. أما من حيث المنشأ والخلقة فكل منهما عمدة من أعمدة التكوين، ويقول النبي ﷺ: «النساء شقائق الرجال»، فالأمور التي تنعدم فيها الفروق بين الصنفين هما فيها سواء كحق التعليم، والنفقه المالية، وحق التكريم. . . إلخ.

أما الحقوق التي لا يمكن المساواة فيها كحق التعدد للرجل الذي شرعه الإسلام لتغطية بعض الحالات فلا يمكن المساواة فيه ومثل الأمور التي ترتبط بغزارة الجانب العاطفي عند المرأة وتكليف الذكر ببعض الأمور التي ترتبط بتكوينه

العضلي فالإسلام يفرق بينهما. وبالجملة كل حق مشروع ينسجم مع الخلق الكريم والفطرة السليمة أعطاه الإسلام للمرأة ومنعها مما يفسد فطرتها ويهين أنوثتها وصدق الله العظيم.

إن الإسلام كفل المرأة في كل حالاتها. كأم وزوجة وبنت. وكرّم مقامها وجعل الجنة تحت أقدامها، وقدم حقها كأم على حق الأب على رأي كثير من الفقهاء فأوجب تقديم ما تأمر به على ما يأمر به الأب لو تعارض الأمران، وجعل لها ثلاثة أرباع الحق في الولد وللأب ربعاً وأعطاها أجر الشهيد إذا ماتت أثناء الولادة وأعطاها ما لا يتسع ذكره هنا.



لقاء مع مجلة آفاق حسينية

- متى كانت أول تجربة في حياتكم المنبرية وكيف تنظرون إلى تلك اللحظة ومن هو الذي شجعكم على صعود المنبر واختيار هذا الطريق؟.

- ولجت ميدان الخطابة في سن مبكرة جداً وكان لي من العمر عشر سنوات أو أكثر بسنة أو سنتين وكان ذلك سنة ١٣٧٥ هجرية ١٩٥٩ ميلادية، وكانت البداية مع والدي الشيخ حسون سعيد وهو خطيب غير مشهور كما كان قليل القراءة وذلك لأنه دخل ميدان الخطابة في المنتصف من عمره حيث كان يشتغل بتجارة الحبوب والتمور إلى أن تصدى صهره الخطيب الشيخ محمد علي قسام وأقنعه بترك العمل بتجارة الحبوب فكنت أصحب والدي وأقرأ أمامه المقدمة. بقيت على ذلك فترة من الزمن إلى أن أشار عليّ بأن أتتلمذ على أيدي الآخرين الذين لهم شهرة واسعة ومجالس كثيرة فإن ذلك يوفر فرص النجاح أكثر وبالفعل فقد تتلمذت في البداية على الخطيب المرحوم الشيخ مسلم الجابري والمرحوم الشيخ محمد الكاشي وكانت تلمذتي عليهم لا تتجاوز الخروج معهم للمجالس وقراءة المقدمة ليس إلا، لأن مجالسهم كثيرة في النجف، ويضمن ذلك التعرف عفوياً على أساليبهم في الأداء ونمط تأليفهم للموضوع الذي يطرحونه ومفرداته.

وكان لكل من هذين أسلوبه الخطابي المتميز فكان لكل واحد منهما تأثيره عليّ في التعرف إلى أسلوب الخطابة المؤثر والمرغوب فيه والتحقت بعد ذلك بمجالس المرحوم الشيخ جواد القسام الذي كان له طابعه الخاص ثم قرأت مقدمة ولفترة طويلة للخطيب المرحوم السيد باقر البهبهاني المعروف بـ (سليمون) وهو معروف بالطهر والإستقامة وبساطة التصرف كل ذلك حملني على البقاء طويلاً في التلمذة عليه مع إني أقتصر على مجرد القراءة أمامه والإستفادة من هديه وأخلاقه لا

غير، وخلال تلمذتي على يده أستفدت من القراءة منفرداً لأنه كانت له مجالس أسبوعية يقرأها في البيوت وقد يزحم تلك المجالس بعض مجالس المناسبات فيرسلني لقراءة مجالس الأسبوع المسماة بالعادة.

وقد كانت تلك المجالس فترة تدريب ممتازة استفدت منها كثيراً ومارست تطبيق محفوظاتي. أما الخطباء الذين تتلمذت عليهم بمعنى التلمذة من حيث الإستفادة من مجمل منابرهم شكلاً ومضموناً فهما اثنان المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي والمرحوم الشيخ محمد علي القسام وكنت أحضر مجالس المرحوم السيد حسن شبر وكان له منهج خاص وأداء يعرف به وحضرت مجالس الشيخ عبود النويني والشيخ مهدي البديري رحمهما الله.

- نتيجة لتجربتكم الطويلة والرائدة في عالم الخطابة ما هي في نظركم الأمور التي ينبغي أن يراعيها الخطيب لكي يكون منبره ناجحاً؟.

- قد تكون معرفة الخطيب الناجح من الأمور التي يصعب تحديدها لأنها:

أولاً: في غالب الأحيان مرتبطة بالمزاج لأهل بلد معين ومجموعة معينة ونحن نعرف أن المزاج لا يخضع لضابطة معينة وإلى مقاييس موضوعية اللّهم إلا في أمور خاصة تعتبر من الثوابت مثل سعة الإطلاع وتنوع المعرفة وما أشبه ذلك.

ثانيا: إن المنبر مثله كمثل بعض الأحكام التي تتغير بتغير موضوعاتها فلا تبقى أكثر مكوناته ثابتة فمن هنا قد يكون المنبر ناحجاً في زمان دون الزمان الذي يليه فلذلك ينبغي على المنبر أن يطور آداءه لملاحقة التطورات المتجددة في عالم اليوم.

ثالثا: إن كل رأي من الآراء يكون أقرب إلى الكمال إذا كان رأياً جماعياً ومن هنا جاءت أهمية الإستشارة التي قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: «من شاور الرجال شاركها في عقولها» إلى غير ذلك من الأسباب التي تدعو إلى تظافر الآراء وتعدد

الرؤية فيما ينبغي أن يكون عليه المنبر في كل فترة من الفترات التي تمر بها الأجيال شأنه شأن باقي أمور الحياة المتحركة التي تحتاج إلى ملاحقة التقويم وتحديد المناهج تبعاً للأزمنة ومن هنا أوجه دعوتي إلى إخوتي من المتصدين للشؤون المنبرية أن يساهموا بملاحظاتهم حول كل ما له علاقة بالمنبر لنضع لبنات قابلة للنمو في خدمة المنبر حتى يكون قريباً إلى الكمال المستطاع.

ويمكن أن أسجل تصوراتي حول العوامل المساعدة للخطيب على النجاح وأن يكون منبره مؤثراً وذلك بمراعاة أخلاقيات المنبر ويمكن أن نحددها في ضمن نقاط:

الأولى: أن يستهدف عمل المنبر وجه الله تعالى ولا يحيد عن ذلك لمال أو جاه ومكانة.

فإن هذه أهداف محدودة تحول المنبر إلى دكان يعرض بضاعته وتعجل بنهايته فإن المرتبط بالزائل زائل، أما إذا استهدف وجه الله تعالى في ترسيخ العقائد والأحكام والأخلاق فقد سلك الطريق القويم وضمن للمنبر أن لا يزول لأنه ربطه بالدائم وكذلك فإن مراعاة وجه الله منهج فاعل في تلقي العلوم والعطاء والفيض الإلهي.

الثانية: ومن الأخلاقيات التي ينبغي أن يراعيها الخطيب الإرتباط بالصالح العام والإرتفاع إلى هذا المستوى وأن لا يتحول إلى مدية بيد فئة أو حربة لطعن فئة أخرى بل يكون مشعل هداية للجميع يضيىء لهم الطريق ووسيلة تشترك مع الوسائل الأخرى في التقويم والتسديد ولا أريد بذلك أن يتناول الخطيب في خطبته معالجة الأخطاء الإجتماعية أو مواطن الخلل في جسم الأمة بل أريد أن يكون التقويم مرتفعاً عن الهدف الشخصي إن كان لنفسه أو لفئة أخرى ويصب في الصالح العام.

الثالثة: الإرتفاع بالمنبر عن إرضاء القاعدة الهابطة على حساب الحقائق

والقيم وكل ذلك لتحصيل مكانة أو سمعة أو إستقطاب جمهور فالطعام الجيد لا يضره أن لا يتذوقه أحد كما أن الطعام الرديء لا يصعد به أن يأكله عدد أكبر من الناس.

ويمكن أن أضيف إن العناية بإسلوب الطرح من الأسباب المساعدة للخطيب على النجاح وذلك بانتقاء المفردة العذبة المحببة إلى النفوس والتي تستهوي المستمع ولا تنفر منها المسامع والحديث النبوي وأحاديث أهل البيت عليهم السلام طافحة بالشواهد على ذلك.

س: هل لكم أن تحدثونا عن تجربتكم المنبرية وماذا استفدتم منها خلال هذه الفترة الطويلة؟.

◄ ج: المنبر مدرسة ليست للجمهور فقط بل للخطيب الذي يرتقي المنبر فهو باعتباره تجربة من تجارب الحياة يتعلم منه مرتقيه فوائد جمّة وقد كانت هناك بعض الأمور التي استفدتها من خلال المنبر يمكن أن أقسمها إلى نوعين:

النوع الأول: أمور لم أكن عملتها وقد ثبت لي بأن من المفروض الإهتمام بها وأخذها بعين الجدية لذلك أدعو إخوتي الخطباء إلى الإلتزام بها لأني اقتنعت بجدواها كلما مرت الأيام وتكثفت التجارب وهي عدة أمور:

أولها: أن يكمل الخطيب الدورات الدراسية المتعلقة بالدراسات الإسلامية من الفقه والأصول والفلسفة والدروس النحوية وهي ما يطلق عليه بـ (الدروس الحوزوية) فقد كان ينبغي ألا يكتفي بدورات غير مكثفة بل لا بد من الإحاطة بتلك العلوم إحاطة تامة فإنها تعتبر أساساً ضرورياً للمنبر، وبدون ذلك سوف يبقى لديه شعور بالنقص، بل سيكون عرضة لتبكيت بعض من يحسبون على أهل العلم لسبب أو آخر.

وفي نفس الوقت لا بد من الإلمام بالعلوم الحديثة وأخذ قسط وافر منها

والإحاطة بلغتين رئيستين على الأقل إضافة إلى العربية لشدة الحاجة لذلك في ميادين مختلفة.

والثاني منها: المفروض أن يدوّن الخطيب ما يمر به من المراحل وتسجيل خواصها وملابساتها كي يمكن له الإبتعاد عن سلبياتها والإستفادة من تلك الظروف والتجارب المدونة حيث تمر على الإنسان أحداث متنوعة تتفاعل في جملتها فتكون جديرة بالدراسة والإستفادة من معطياتها، ولو احتفظنا بها لشكلت ذاكرة نافعة نتعامل معها تنير لنا درباً أو تكون مناراً لمن يأتي بعدنا إذا تعرض لأمثالها.

والأمر الثالث: أن يستغل الفرصة ولا يجعلها تضيع من بين يديه فإن هناك مشاغل تدخل في حياة المرء قد تبعده عن أهدافه ولا تغني عنه شيئاً كالصداقات والعلاقات التي لا تؤدي به إلى التكامل بل هي مضيعة للوقت ومن البديهي أن الوقت سلاح ذو حدين إن لم تقطعه قطعك وخصوصاً في مراحل العمر الأولى وأيام الصبا فإن الوقت فيها ثمين وما يحصل عليه الشاب من تجارب تبقى ثابتة في ذهنه أما في أيام الكبر فما أسرع ما تذهب تلك الفوائد والمعلومات عن الذهن.

من هنا أدعو الطلائع التي هي في خط المنبر أن لا يستأثر بوقتها غير الإنشغال بالتحصيل واكتساب العلوم وتكميل النفس من هذا الجانب.

الأمر الرابع: الذي أدعو إليه وقد ثبت لي أن الإهتمام والتخطيط له في الخطابة الحسينية أمر على درجة كبيرة من الأهمية هو ربط المجتمع عن طريق المنبر بالمرجعية الدينية وتجنيده لأجل أن يتبنى أهداف المرجعية بصورة عامة وليس المقصود أن يتبنى مرجعاً بالذات أو يدعو إلى الإنتماء لواحد، بل للعنوان العام لكي يتحاشى الإستقطاب أو يوضع في أجواء منافسة لا مصلحة عامة فيها ولكن هناك جواً عاماً للمرجعية الدينية، وهذا يحقق جملة من الفوائد أهمها:

الإلتزام بالضوابط العلمية وإنعكاس الأخلاق الشرعية على سلوك الخطيب، وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المغرضون والتحام المنبر بهدفه الأساسي وهو

الدفاع عن بيضة الإسلام مجسدة في أشخاص نواب الأئمة جميعهم، وإعطاء الإنطباع بأن الجهاز الديني موحد بكل أجزائه وتوجهاته وأن يسعى لجعل أفراد المجتمع متدينين على وعي بالمسائل الشرعية التي هي محل ابتلائهم، وعلى التصاق بأئمتهم فإننا نرى مستمعي المجالس يقل فيهم من هو مطلع على أحكامه الشرعية والعقائدية كما يقل منهم من يعتبر جندياً للإسلام يقف للدفاع عنه إذا جد الجد.

ومن التجارب: التي استفدتها هي أن تعدد المجالس في اليوم الواحد له أثر سلبي على قدرات الخطيب ويؤدي إلى تحويل المنبر إلى ممارسة خالية من المحتوى لا تؤدي الغرض منها، إن الإقتصار على مجلس واحد في اليوم يصعد بالخطيب إلى المستوى المطلوب منه وهو أن يكون محاضراً جيداً يقصد الناس مجالسه ويستفيدون منه وفي نفس الوقت يجعل المنبر مدرسة تبني المجتمع وتربيه هذا هو الغرض الذي جاء المنبر من أجله. إن إقتراح المجلس الواحد له إيجابيات إضافة لما قلت فإنه يوفر للخطباء الآخرين المجالس التي يحتاجونها ولا يتيح للخطباء البارزين فقط أن يستأثروا بالمجالس دون غيرهم ورغم إيماني بأن الخطيب قد نذر نفسه لخدمة المنبر وليس له مورد آخر للعيش إلا إن هذا المنهج لو دأب الخطباء على تبنيه لأصبح سائداً وارتفع معه أَجر الخطيب وترتبت عليه باقي الإيجابيات و لا بد من تضحية بادىء الأمر.

واقترح دمج خطباء المنبر الحسيني بالحوزة العلمية التي تكفل سد حاجتهم من الحقوق الشرعية وهذه الصورة هي السائدة بالفعل عند باقي فرق المسلمين وإن كان تمويل الخطيب عندهم تقوم به وزارة الأوقاف غالباً.

النوع الثاني: من الأمور التي استفدتها من المنبر الحسيني التي عملتها وأثبتت التجارب صوابها وجنيت ثماراً منها فهي أربعة أمور:

الأمر الأول: التكيف مع المنبر أو بتعبير آخر البيئة التي يعيش فيها الخطيب، فالخطيب كغيره من الكائنات يريد أن يعيش ويتميز على غيره، ولكن هناك أساليب

غير صحيحة للتكيف مع المنبر واكتساب الشهرة، فمثلاً التوسل بالدعايات والإدعاءات والطنين وحشد المساندين واستئجارهم لذلك فإن هذه الأساليب ينكشف زيفها وتعطي مردوداً سيئاً، أما الوسائل الطبيعية فهي التي تقوم على الجد في العمل والمثابرة والنية السليمة فإنها تصل بالمرء إلى الغاية المرجوة خصوصاً إذا شعر الخطيب بأنه فرد من أمة يجب بناؤها فإنه سيبدأ بنفسه أولاً وتقويمها والصعود بها وبذلك يتكون لديه هدف رسالي وبصورة خاصة إذا حمل هموم أمته وشعر أنه في موقع المسؤولية.

الأمر الثاني: الذي ثبتت لي جدواه وهو حصر المنبر في حدود اختصاصه، فهدف المنبر هو إعطاء الأمة تكليفها الشرعي والعقيدة الصحيحة ونشر المعلومات والحقائق وهو بذلك واجهة فكرية ونبع يراد له أني يبقى متدفقاً يعمل على تنوير الأمة بالوعي فلا ينبغي صرفه إلى أهداف أخرى كالخط السياسي المعين فإنه يكون بذلك عرضة للقوى السياسية المعارضة لضربه وهدمه وذلك عمل يخلو عن الحصافة والفكر السديد.

ولا يعني ذلك إخفاء المعلومات السياسية السليمة في الفكر الإسلامي ووقوفه إلى جانب الأمة لنيل حقها وما شابه فإن ذلك من أول واجبات المنبر، ولكنني أقصد أن لا يكون للمنبر دور تجسيدي لخط سياسي معين ولا بأس بأن يطرح الخطيب نظرية الإنتخاب مثلاً على أنها نابعة من مفهوم الشورى ويشرحها ويدعو إلى تبني هذا المنهج بدون أن يكون هو المقر الإنتخابي لمجموعة معينة وفئة خاصة.

الأمر الثالث: الإنفتاح على تراث المناهج الإسلامية الأخرى والتفاعل معها ومناقشتها بأعصاب هادئة وموضوعية تامة اتباعاً للدليل، وقد برهنت لي التجارب أن هذا الإسلوب هو الأنجح والأكثر ثمراً في تذليل العقبات والمزيل لما يؤدي لسوء التفاهم ولقد كان لهذا الأسلوب الأثر البالغ في الولوج إلى أبواب واسعة مع

الآخرين وتصحيح كثير من الأفكار المأخوذة عنا خطأً. والنظرة الموضوعية للأمور لها أثر إيجابي على نفوس الآخرين - فكما للآخرين سلبيات وإيجابيات فلنا أيضاً من الأفكار ما قد يكون غير صائب - فعلينا أن ننظر ونناقش بموضوعية وبهدوء أعصاب وبشكل علمي وهذا من ألزم اللوازم للمنبر الهادف.

الأمر الرابع: الإرتفاع بالمنبر عن كونه سلعة تحدد خدماتها بأسلوب المساومة وإن كان ذلك جائزاً شرعاً إلا أنه يفقد المنبر شفافيته، وفيه نوع من الجفاف لا يلتقي والرسالة التي يجب أن يؤديها المنبر مع إيماني بأن بعض أرباب المجالس لا يقدرون جهود الخطيب وأتعابه ولكنّي لا أرى أن يكون الخطيب طرفاً في هذه المعادلة، ولا يتخذ من المنبر وسيلة لجمع المال لأي سبب من الأسباب حتى بأن يسمح بجمع المال لأي مشروع ولو كان دينياً من خلال المنبر لكي لا يهبط بالمجلس الحسيني إلى مستوى لا يليق به ولأن هذا العمل يحول الخطيب مضغة في أفواه الناس حتى لو كان عفيفاً ورعاً.

☚ س: ما هو رأيكم في المنبر اليوم وهل استطاع أن يواكب العصر ويبحث قضايا الأمة في الوقت الراهن؟.

◄ ج: قبل كل شيء هناك عامل متحرك في المنبر لا يمكن احتواؤه وهو عدم حصر كل المنابر والإطلاع على مدى حجمها وعطائها ووقعها عند الجمهور بكل أقسامه مما يقف حائلاً عن إعطاء حكم عام عند التقييم لكن ذلك لا يمنع من رسم خطوط بيانية يصح معها إعطاء التقييم بالجملة وهنا نقول: أما الإتجاه العام للمنبر فلا شك أنه نحو الصعود في مجمله إذ أَن المنبر جزء لا ينفصل عن الوضعية الثقافية في حركة فكر الأمة فإننا نلحظ تزايد الوعي في أفراد الأمة وارتقاء مستوى الفرد حضارياً. ويضاف إلى ذلك ما يبذله البعض من جهد شخصي لإغناء المنبر بالمواد الأساسية والكمالية وتحري المنهج المناسب وعندنا في هذا المستوى نماذج أتمنى لها التوفيق.

وهنا أنماط أخرى أحرزت كمية من مادة المنبر لا بأس بها ولكن على حساب الكيفية وأنماط أخرى معزولة عن التفاعل مع العصر وتخاطب مجتمعاً لا وجود له إلا قليلاً وإني مع إيماني بأن لكل منهم دوراً يؤديه مع رجائي أن يثيبهم الله ما داموا في رحاب خدمة المنبر - ولكن أرجو أن يتحركوا نحو الأفضل فعطاء المنبر وفضله على هؤلاء - أعني الخطباء - لا ينكر.

ومع ما ذكرناه من ارتفاع المنبر في الجملة وتناوله لأبعاد جديدة لا بد أن نشير إلى أن هذا التوسع جاء على حساب الأسس والمبادىء في بعض الأحيان، فإن وقت المحاضرة ينبغي أن يستثمر في ما هو أساسي فيتناول مثلاً في شرحه لحياة الإمام الصادق عليه السلام الدور الذي كان معهوداً له من حمايته عليه السلام لعقائد الأمة من الهجمات الإلحادية والفكرية التي استهدفتها، وهناك من يقوم بتكريس المنبر للنياحة والفجائع وإيراد شواهد وأحداث تفجر الدموع وتحرق القلوب ولا شيء غير ذلك مع إن حصة الدمع مع المنبر لها حجم معين لا يستدعي هذا الكم الكبير والروايات الواردة في فضل البكاء على الحسين عليه السلام وإن كان لسانها الإطلاق فهي مقيدة بعدة قيود وقد وردت تلك الروايات حيث كان الدمع يمثل موقفاً أو جزءاً من موقف يلعب دوراً في الإعلان عن ظلامة أهل البيت وشجب موقف أعدائهم ويعمل على الشحن والتعبئة ضد المنكر. وأقول أخيراً إن المنبر مثله مثل كل عملية تربوية - تستهدف تربية الإنسان - فيها إيجابيات وفيها ثغرات يمكن التغلب عليها - إذا صح العزم وصدقت النية وبذل الجهد - فإن ذلك يحتاج إلى مزيد من جهد ولا ينبغي أن يستهان بذلك لأننا نعلم أن مساحة المنبر بدأت تتسع لتشمل كل أنحاء العالم حيث يوجد مسلمون - وبالذات الشيعة - وقد تنوعت ثقافاتهم وتوحدت والتقت إراداتهم على إحياء ذكرى الحسين عليه السلام وقد يكون هناك أمكنة لا يصلها الخطيب ولا توجد فيها مؤسسات لمثل هذه الفعاليات فينبغي تغطية احتياجاتها العقائدية عن طريق القنوات الفضائية وقد دار بيني وبين بعض إخواني في أوروبا

وفي أنحاء من العالم أكثر من حديث حول ذلك والمسألة لا تحتاج أكثر من بذل المال واستئجار قناة في المواسم واختيار المادة التي تتناسب مع المستوى اللائق لتغطية هذه المحطة الفضائية وعندنا من تراث أهل البيت عليهم السلام ونبع آل محمد ما هو جدير بكل احترام ولا يحتاج إلى أكثر من تجليته وتقديمه غذاءً سائغاً.

س: هل هناك مشكلات واجهتكم أو تواجه الخطيب وكيف يمكن له أن يتغلب عليها؟.

◄ ج: لا يمكن لأي مسيرة أن تخلو من المشاكل ولقد واجهتنا الكثير منها ولكن يمكن التغلب عليها بالتوكل على الله والعزم والتصميم على بلوغ الهدف والإستفادة من تجارب الآخرين وبالتالي فإن لكل واحد منهج لا بد أن يختطه لنفسه لمواجهة العقبات ويختلف ذلك بحسب ظروف كل شخص.

س: يعاني كثير من الخطباء والمرشدين من مشاكل مادية أو قانونية حين يريدون الإنطلاق إلى بلدان العالم لأجل التبليغ، فلماذا لا تنشأ مؤسسة تتبنى هذه القضايا ومن المسؤول عن إنشاء هذه المؤسسة؟.

◄ ج: لقد انتهيت إلى قناعة بأن محاولة بناء المنبر بشكل جماعي لم تكن ظروفها متوفرة ولا القاعدة مهيأة، هذا من جانب ومن جانب آخر إن مشروعاً كهذا يتطلب أموراً لا يقوم بها فرد عادي بل لا بد من هيئة لها إمكانات كبيرة وغطاء شرعي وارتباط بجهة تستطيع قطع الطريق على المزيدات التي يتوقع أن تحصل وبتعبير آخر إن الجهة التي تستطيع القيام بذلك هي المرجعية وفق صورة معينة، لقد أيدت تجربة منتدى النشر في هذا الموضوع صحة تصوري، لقد أثبتت أن مشروعاً كهذا يحتاج إلى مسح شامل لساحة ولأطراف المعادلة ولمقدار التحرك وإلا فهناك ألغام مزروعة تتفجر عن أبسط ملامسة فيضيع معها الجهد المبذول وترد الفكرة إلى الوراء. لذا اقترح دمج خطباء المنبر بالحوزة العلمية التي تكفل سد احتياجات الطالب فيها من الحقوق الشرعية وأن ربط المنبر بالجو العام للمرجعية يحقق جملة

من الفوائد ذكرتها سابقاً وأهمها سد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المغرضون، والإلتحام بالهدف الأساسي من المنبر وهو كونه قناة للدفاع عن بيضة الإسلام مجسدة في نواب الإئمة.

وإعطاء الإنطباع بأن الجهاز الديني موحد بكل أجزائه وواجهاته صياغة تجعلهم متشرعين على وعي لمحل الإبتلاء من الفروع الدينية وعلى التصاق بأئمتهم عليهم السلام.

س: هناك كرامة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام في شفاء كريمتكم ذكرتها على المنبر فهل توجد كرامات أخرى يمكن أن تحدثونا عنها؟.

◄ ج: موضوع كرامات أهل البيت عليهم السلام معروفة ومعترف بها عند الجميع ولكن أريد أن تكون بيني وبينهم.

س: كلمة أخيرة تريدون توجيهها إلى الخطباء أو إلى الجمهور الحسيني بشكل عام؟.

◄ ج: كلمتي لإخواني الخطباء أن يخدموا المنبر عملياً وخلقياً مع تمنياتي لهم بالتوفيق والتسديد وأما كلمتي للجمهور فهي أن يحسنوا الإختيار فيمن ينذبونه لخدمة أهل البيت عليهم السلام.

وختاماً أتمنى لكل إخواني الخطباء أن تشملهم عناية سيد الشهداء عليه السلام وأن يكونوا في ساحة رعايته الكريمة كما أهنئهم بهذا الإنتماء الذي لا شك في كونه شرفاً في الدنيا وأجراً وثوابا في الآخرة.

وأحب أن أذكرهم كما أذكر نفسي بعدة نقاط لا أضنها غائبة عن أذهانهم وإنما من باب أن الذكرى تنفع المؤمنين:

أولاً: إن المنبر لم يعد عملاً خاصاً يمارسه الفرد من منطلقاته الذاتية ووفقاً لتوجهاته الخاصة وإنما صار مؤسسة لها ضوابطها وأركانها وكل خطيب هو عضو

فيها وتلزمه هذه العضوية بكل ما يحقق الإنتماء السليم لها.

ثانياً: إننا نعيش في ظل ألطاف الإمام الحسين عليه السلام وكرامته فينبغي علينا أن نضاعف جهودنا ونحصل على أكبر قدر من العلم والمعرفة ولا نركن إلى الدعة بل يظل رائدنا تقديم الجهد المتجدد والمناسب في حجمه لما حصلنا عليه من المنبر.

وأخيراً أود أن ألفت نظر أخواني من الخطباء أن الدرب طويل والجهد شاق والفرص غير مضمونة فعليهم أن يتذرعوا بالصبر.

في ختام اللقاء باسم مجلة آفاق حسينية أود أن أعرب عن شكري وتقديري لسماحتكم على التفضل بإعطائنا هذا القدر من وقتكم الثمين داعين الله العلي القدير أن يديمكم علماً من أعلام المنبر.

أجرىٰ اللقاء

الشيخ عبد الجليل الديواني





الفصل الرابع

الشعر

رسالة الشيخ أحمد الوائلي إلى الإمام الحسين عليه السلام[1]:

عُنقٌ عشت فيه ستّين عاماً ... كنتَ عقداً يزينه ووساما
كلّ يوم يستافُ منك ويستو ... حيك سيفاً وفارساً وإماما
ملأ الكون من صليلك إيقا ... عاً وهل فارق الصليل الحساما؟
فإذا ما استعاد ذكراك وقعاً ... حوّل الكون كلّه أنغاما
وجلا الطفّ من خلالك يوماً ... علوياً يُنضِّرُ الأيّاما!
طاب من طيب ما حوى من حسينٍ ... سل إذا شئت عن دماء الخزامى
كم بأغلى العقود جُدتَ عليه ... ثمّ سددتَ خطوهُ فاستقاما
أفترضى حاشا وأنت تراهُ ... واهنَ الجسم يجرعُ الآلاما!
ولك التربة الشفا وحباك ... الله ما شئت رفعةً ومقاما!
فاسأل الله يا بن أكرم رهطٍ ... أن ينحّي عنه الأذى والسقاما
أنا لا أطلب الدوام بدنيا ... كيف أرجو من الفناء الدواما
غير أنّي لديّ بضع أمانٍ ... وأمانيّ أن أنال المراما!
ثمّ أمضي كما مضى الناس قبلي ... لكريم آلاؤه تتسامى!
عند بابٍ عطاؤه لا يجارى ... وفناءٍ نزيله لن يضاما
أتفيّا بظلّ عفوٍ سخيٍّ ... يمسح السيّئات والآثاما!
وأعبّ النعمى بجنب حسينٍ ... وعليّ ومن بهم أتسامى!
ربّ فارحم خفري فأنت عطاءٌ ... كم تصدّى محقّق الأحلاما!
واسقِ غرساً غرسته فلقد عا ... دَ بقلب الهجير يشكو الأُواما!

---

(١) ذكرياتي حسين الشاكري.

رسالة الشيخ أحمد الوائلي إلى الإمام الرضا عليه السلام:

سيّدي يا أبا الجواد ويا بن الـ خير موسى ويا مناط الرجاءِ
يا مقيماً بقلب كلّ محبٍّ رغم أنّ المدى بعيدٌ نائي
يا بن أصلاب من أعزّ رجال وابن أرحام من أعفّ نساءِ
يا بن بيتٍ به هابط جبريل ومحراب سيّد الأنبياء!
يا إماماً من الأئمة في عقدٍ زها في فرائد عصماءِ
حملتني الآمال نحوك أرجو أن تُذاد الضرّاء بالسرّاءِ
والثرى إن ألحّ جدبُ عليه وجّه الوجه ضارعاً للسماءِ
سيّدي إنّني ابنكم ولو أنّي لست أرقى لمستوى الانتماءِ
بيد أنّ الأبناء لن يعدموا العطف برغم العقوق للآباءِ
مدّ كفّيك يا بن فاطم وامسح عنقي بالشفاء من كلّ داءِ
ولتكن هذه يدٌ من أيادٍ غمرتني بالفضل والآلاءِ
سيّدي إنّكم مزاج تلاقى عنده الأنبياء بالأوصياءِ
فتسامى الإبداع في نطفة أمشاج أهدت للكون أهل الكساءِ
الميامين والذي إليهم تتأدّى نهايتي وابتدائي

أحمد الوائلي - لندن



عتاب الجراح

هذه صرخة طلب النصف من العرب والمسلمين أوحت بها مأساة الخليج.

فاض بالصدرِ من الآلامِ طفحُ فليسعنا من بني الأعمام صفحُ
ليس هذا العتب عن موجدةٍ فكريم الأصل بالعادةِ سمحُ
غير أنّا كلُّنا نسمعها آهة الجرح إذا ما ذُرَّ ملحُ
خُلِقَ الانسان كالنبت إذا اشتدَّ وقدُ حوله خفف نتحُ
وانفعال الذوق طبعيٌّ إذا ما مرّ في أجوائه حُسن وقُبحُ
ومتى ألححت في ضغط على الزق يندى من خزين الزُّق رشحُ
وإذا ما عُرك الزند فلا بُدَّ أن يومض عند الزند قدحُ

يا بني أعمامِنا معذرةً فالجوى تحت حنايا الضلع لفحُ
والأسى والعتب كلٌّ منهما ثارَ حتى لا يردَ الوثب كَبْحُ
لنصرّح فمن الإدغال ان ينطوي منا على الأحقاد كِشحُ
إنَّ عبئاً أدَّكم من ثقلهِ أدَّنا منه بحكم الدم رزحُ
نحن بالشوط رعيلٌ واحد خيبةٌ بالشوط أم بالشوط نُجحُ
ويحمُّ الجانبُ الأيمن للجانب الأيسرِ ان شظّاه فَلْحُ
فلماذا نحن في ساحتنا قمةٌ للبعض والآخر سفحُ
ولماذا بعضُنا أصواتُه نغمٌ والآخر المسكين نَبْحُ
ولم الطوفان إذ يُغرقنا لم يبللكم ولو بالثوب نضحُ

هـكـذا حـرٌّ وبـردٌ جُـمـعـا وهـوانـا واحـد والـسـطـح سـطـحُ

يـا بـنـي أعـمـامـنـا لـيـس مـن الوعي والحنكةِ أن يُهمل نصحُ
إن نـهـجَ الـحـقـد نـتـنٌ ريـحـه وشـذاً رائـحـة الـحـب ونـفـحٌ
نـحـن رهـط فـلـيـكـن إحـسـاسُـنـا عـنـدمـا لـجَّ بـهـا قـطـعٌ وذبـحُ
وكـشـفـنـا الـوحـش والـرهـط الـذي حـولـه وازداد ايـضـاحٌ وفـضـحُ
فـأبـيـتـم قـولـنـا واسـتـيـقـظـت نـزعـاتٌ وانـتـخـى حـقـدٌ وردحُ
وصـرخـتـم إذ دعـونـاكـم إلـى رصّ صف ليس منها حنٌّ قِدحُ

كـم تـنـسـمـتـم هـواءَ أصـفـراً فـيـه مـمـا أوقـد الـشـيـطـان فـحُّ
وتـوسـمـتـم صـلاح الـديـن فـي بـطـلٍ فـيـه مـن الأسـلاف لـمـحُ
والـتـقـت مـن حـولـه أذرُعـكـم مثلما التفَّ على الوديان طلحُ
وتـهـامـت فـوقـه أمـوالـكـم وسـلاحٌ مـالـه بـالـمـجـد فـتـحُ
هـو لـلأهـل شِـفـارٌ ولـظًـى ولاسـرائـيـل ريـحـان وروحُ
قـد زرعـتـم نـبـتـة أعـطـتـكـم ثـمـراً مـرّاً ومـا بـالـشـوكِ قـمـحُ

يـا بـنـي أعـمـامـنـا لا دغـلٌ لـو تـأتّـى بـدل الـمـكـنـون بـوحُ
آن أن تـسـأل عـن أشـيـاء هـل خطّها بالقدر المحتوم لوحُ
صُـنّـف الـنـاس بـهـا فـي مـعـشـر طـرب والـمـعـشـر الآخـر نـوحُ
وفـريـقٌ مـا لـعـيـنـيـه مـدى وفـريـق لـمـدى عـيـنـيـه سـرحُ
ورعـيـلٌ ظـلُّـهُ الـشـمـس كـمـا لـرعـيـل وارف بـالـظـل دوحُ

لـو رجـعـتـم لـمـسـار صـائـب ربـمـا يُـطـرحُ غـيـر الـبـر طـرحُ
وإذا لـم يـرتـفـع صـوتُ الـنـهـى فـسيـأتـي الـجـد إذ يـذهـب مـزحُ

يـا بـنـي الـعـم وإن لـم يـحـمـنـا عَـلـم أو مـا لـنـا سـيـف ورمـحُ
فـلـنـا هـامـات مـا ألـوى بـهـا رغـم طـول الـعـهـد بـالعدوان نـطـحُ
وشـرايـيـن تـصـدّت لـلـمُـدى فـهـي إذ تـدفـع اعـطـاءٌ ومـنـحُ
إن تـكـن أبـعـادنـا مـجـدبـةً فـلـقـد يُـنـبـت بـعـضَ الـشّـعـر جَـلـحُ
ربّ غـيـم لا تـراه مـمـطـراً ثـم يـجـتـاح بـه الـوديـان سَـحُّ
لا يَـعـرونـا وجـوهـاً إن دعـت حـاجـةٌ تـسـفـر أولا فـهـي كُـلـحُ
حـددوا مـا بـيـنـنـا فـي وضـحٍ أهـو حـربٌ كـاشـح أم هـو صـلـحُ
بـيـتُـنـا فـيـه ركـامٌ هـائـل وهـو يـدعـونـا أمـا لـلـبـيـت كـسـحُ

يـا بـنـي أعـمـامِـنـا والآن ان كُـشـفَ الـزيـف وإذ أسـفـر صـبـحُ
عـدلـوا الـكـيـل فـمـا فـي صـفـقـة فـي نـطـاق الأهـل خُـسـران وربـحُ
ولـيـكـن عـبـر الـمـدى فـي وعـيـكـم مـا لـقـيـنـا ولـيـقـم سـبـر ومـسـح
ألـفُ قـرح عـبـر دهـرٍ مـسّـنـا إن يـكـن مـسّـكـم بـالأمـس قـرحُ
ومـآسـيـنـا عـلـى الإجـمـال قـد تـمـلأ الـدنـيـا فـمـا لـو طـال شـرحُ
وقـصـيـرٌ سـبـحـكـم فـي مـحـنـةٍ ولـنـا طـال عـلـى الـمـحـنـة سـبـحُ
ومـذ اشـتـدَّ عـلـيـنـا مـخـلـبٌ شـرس يُـسـكـره بـالـدم سـفـحُ
جـرَّح الـجـنـبـيـن وحـشٌ واحـدٌ وهـمـا مـن طـيـرنـا جِـنـح وجـنـحُ
فـنـقـيـضٌ صـارخٌ أن يـلـتـقـي مـنـكـم فـي حـقـه ذمٌ ومـدحُ

واعــذرونــي يــا بــنــي أعــمــامــنــا لستُ في عتبي لاحِ جاء يلحو

أنــا صــوتٌ مــن ضــميـرٍ مــخـلـص ينشد الحب وللتوحيد ينحو

فــإذا الــفــيــتــمــونــي ســاعــداً يدفع الناكبَ للدربِ ويدحو

لا تــســمــوا ذاك عُــنــفــاً فــلــقــد يركل السكران بالرجل ليصحو

انــه عــتــبُ جــراحِ عــنــدنــا طالما تغتفر الذنب وتمحو



خواطر وفاء للإمام الشهيد محمد باقر الصدر «رض»[١]

عـزائـي ولـولا ذاك عـز عـزائـي بـأنـك حـيٌ رغـم كـل فـنـاءِ
مسست الردى فاهتز حياً مغرداً كما اهتزت الأرض الموات بماءِ
ومثلك لا يفنى فما الفكر ميتٌ وما كان طبعُ الفكر غيرَ بقاءِ
وهل ملك الدنيا سوى العلم وحدهُ وهل خالدٌ فيها سوى العلماءِ
فـمـا انـا إذ أدنـو الـيـك مـؤبـنٌ ولا من دعاة الحزن رغم شجائي
ولـكـنـنـي أدنـو لأقـتـبـس الـلـظـى وأحـمـلـه جـمـراً لـيـوم لـقـاءِ
فقد غمر الدنيا الجليد فاجدبت فـلا تـنـتـهـي دون الـلـظـى لـنـمـاءِ
فما عصفت بالظالمين ورهطهم سوى جولة في الساح يومَ فِداءِ
ولمْ لا وإن الموت في الناس يستوي بـه أجـلُ الـشـجـعـان والـجـبـنـاءِ
فمُت مرة كي لا ترى ألفَ موتةٍ تـمـوتُ بـهـا في قبضة الحقراءِ
هـو الـوثـب إمـا مـوتـةٌ مـشـرئـبـة وإمـا صـعـود الـمـجـد في خيلاءِ
أبا الفكرِ من أردوك ما كان همهم شـفـاءَ غـلـيـل لانـتـهـى لـشـفـاء
ولا هو محض الانتقام من الذي تـحـداهُـم فـي عـزمـةٍ ومـضـاء
ولا عطشٌ للدم فالقومُ أشبعوا ثرى الوطن المنكوب بحرَ دماءِ
فهم من فصيل تستوي في حسابه دمـا عـبـقـري أو هـزيـلـةُ شـاء
ولـكـنـهـم ألـفـوك نـسـراً بـوسـعـه بـأن يـرتـقـي فـي نـزعـة لـسـمـاء

---

(١) مجلة القصب.

وخافوا لواءً راح يخفق ظلّه ... على أمة في حاجة للواء
فأرداك حقد ينتهي بجذوره ... إلى دمنة غذته شرّ غذاء
لآكلة الأكباد للشفة التي ... تبلُ غليلاً من دمِ الشهداء
وما زال فينا من بنيها عصائب ... هي الأمس لكن يختفي بغطاء
يمزق إذ يقوى ويرفع إن كبا ... (مصاحفه) الصفراء للبلهاء
أبا الفكر عمر الورد حتى لو انتهى ... سريعاً يظل العطر غير نهائي
وعطر دماء الواهبين ملاحم ... مضمخة ما هن محض شذاء
فليت الذي يبكونهم يندبونهم ... بملحمة حمراء لا ببكاء
فما ارجع الدمع الحقوق ولا انتهى ... لفتح ولا روّى غليل ظماء
فقل للقوافي الهادرات فصيحة ... كلام المواضي أفصح الفصحاء
ومن مرضو بالذل أن دواءهم ... كؤوس المنايا فهي خير دواء
أبا الفكر يُربي محنة الفكر لو غدت ... تحكم فيه قبضة الجهلاء
ولو مشت الظلماء في غمرة الضحى ... لتغتال زهو النور عبرَ فضاء
وأن تتداعى ألسنٌ حشها الهوى ... لتمدح فحوى العار دون حياء
وكنت أخال العلم دون تعصب ... يعم الورى من عدله بسواء
ويثأر للمظلوم دون هوية ... وكان الرجا هذا فخاب رجائي
تسائلني نفسي أما كان (باقرٌ) ... فتًى من جنود الله والأمناء
أما استهدف الإلحاد واهتز للهدى ... حساماً ورمحاً ما التوى بأداء
أما كان سبطاً للنبي إذا أبى ... له البعض أن يدعى ابنَه بنداء
أليس أبوه وهو فوق خلافة ... لدى البعض يُدعى (رابعَ الخلفاء)
أليس أمه الزهراء سيدةُ النسا ... إذا ذكرت بالفخر أيُّ نساءِ

فـمـا بـال آلِ الله إخـوةِ دربـه نـسـوه فـمـا أعـطـوه حـق إخـاءِ
وليتهم ما ارتاح للذئب سمعهم وقد سمعوا للذئب صوت عواء
فيا باقر العلم الذي ما أجاره بـنـوه سـوى أن أكـثـروا بـدعـاءِ
ولاقـاه أبـنـاءُ الـعـقـيـدة بـعـدمـا قضى العمر في تكريمهم بجفاءِ
ستبقى ولا يبقى سوى من تجردوا ومـن اخـلـصـوا الله مـن حـنـفـاء
وتبقى الدما هدراً إلى أن يجيء من يُـجـلـجـل بـالـبـارود لا بـرثـاء
ويا أيها الشلو الدفين (بكوفة) من الرملِ في وادي الحمى المتنائي
بـوجه يـشع الـنور في قـسماته دلـيـلاً عـلـى طـهـر بـه ونـقـاء
وثغر كأن الشمس في بسماته تـضـيء فـمـا تـلـقـاه غـيـر مـضـاء
اليك على بعد مشاعر عانقت جـراحـك تـسـتـوحـيـك رمـز إبـاءِ
وتـمـسـح قـبـراً كـلُ جـزء بـرمـلـه فـمٌ صـارخ فـي أوجـه الـعـمـلاء
وتـسـتـمـطـر الأنـواء لـطـفـاً ورحـمـة لـثـاوٍ سـقـى رمـل الـحـمـى بـدمـاءِ
وقـرب نـحـراً فـي نـحـور تـعـاقـبـت بـدرب (عـلـي) والـدِ الـشـهـداءِ
يـوحـدهـا درب الـفـداء فـتـلـتـقـي كـبـار الـمـنـى فـي حـلـبـة الـكـبـراء
وللجرح في وعي الشعوب مكانةٌ ولـلـجـرح عـنـد الله خـيـر جـزاءِ
وعندي وقد عايشت فيك خلائقا كـمـثـل شـفـيـف الـنـور يـوم صـفـاءِ
سجاحة طبع أريحيٌ تمازجت بـمـتـزن مـن هـيـبـة الـفـقـهـاء
فيا صدر ما ضاقت رحاب فسيحة على الأقرب الأدنى ولا البعداء
وداعاً فقد ألقاك إن جادت المنى بـمـقـعـد صـدق فـي أعـز فـنـاء



قانا وفتح الدم

قانا هو الدمع مأوى كل من هربوا فكفكفيه ولو يُغرى به الهَدَبُ
وإن جرحك أسمى من معادلةٍ بلهاء لا يرتضيها المجد والحسبُ
ما أهون الدمع في عينٍ معوّدةٍ على البكاء مدى الأيام تنتحبُ
فأجّجي النار حتى في ترائبنا فربما ألهبتنا وهي تلتهبُ
لقد أُصبنا بقرضٍ في مشاعرنا فليس يوقظُ منا ندبُ من ندبوا
كأننا والسبايا تستجير بنا والسيف يحصدُ من أعناقنا خُشُبُ
هذي جهنم تشوينا بجاحهما وأنتم بالجنان الخضر يا عُربُ
لمن إذن والحمى نهبٌ لغادرةٍ هذي الفيالق والألقابُ والرتبُ
كما هو الرعد لا غيث يصدّقه ولا تفرّج عن أنواره السحب
لمن تعانق أصوات الجراح لمن تدعو وتدعو إلى أن هدّها التعبُ
وهكذا السمع إن أودى بهم صممٌ فعنده يتساوى الصمت والصخبُ
ويح الجراح التي عشنا نطبّبها ببلسم كله الأشعار والخطبُ
واستحقرت موتنا دنيا نموت بها موت الذباب وقالت بئس ما اكتسبوا
قانا ألا ترتجي من ليلنا شهبٌ فالليل من بعض ما في عتمه الشهبُ
إلام نخبطُ في عشواء لا ضيم أقدامنا فيه تستهدي ولا نصبُ
شعبٌ يظل عزيزاً في حقائقه وربّ أشياء منها يعجب العجبُ
فالناس يجمع منها الخطب وهو على شيءٍ تساءل عنه العرقُ والنسب
وهان حتى استحى منه الهوان لما أضحت عليه نفايات الورى تشبُ

وارتاح للوضع حتى لا أنين به   واستعذب الذل فهو السائغ العذبُ
هشت يداه إلى قيدٍ وراق له   لأنه لامعٌ في شكله ذهبُ
وكان أقصى نزوعٍ في مطامحه   أنّ اليهود رضوا منه وما شجبوا
لله أنت أتنسى ألف مجزرةٍ   حمراء تحفظها الأجيال والحقبُ
وبالنفوس عزيزٌ لا يقرّ لها   إلاّ على القرع رأسٌ ما به عصبُ
وما لمعتذرٍ بالقهر عاذرةٌ   فالموت يملكه في الهم محتسبُ
قانا أغاريدُ بالعرس الذي بليت   به صبايا كريمٌ جذرها شُجُبُ
مرّ الصباح عليها والشباب بها   غض وأحلامها البيضاء والأربُ
جاءتك تنشد أن تحيا غداة غدٍ   ربوعها البغي والبارود واللهبُ
فزفها مدفعٌ شظّى ترائبها   وضاع بين الشظايا حلمها الخصبُ
وتلك حلتها البيضاء كم كفنٍ   وتلك حجرتها الأحجار والتُربُ
ورضّع يد إسرائيل تلقمهم   ثدي الرصاص فمنه الورد والحلبُ
براعمٌ من صبا لبنان رقّتهم   رقّت وأوجههم للورد تنتسبُ
ترقبوا العيد يأتيهم بفرحته   وأن للغد يلقاهم رغبوا
وما دروا أن إسرائيل يُطربها   بأنهم للظى أحقادها حطبُ
رأت بنا لسلاحٍ خير مختبرٍ   فنحن من ضُربوا دهراً وما ضربوا
وحسبها أن تخوض الإنتخاب ولو   على الجماجم والأشلاء تُنتنخبُ
أدرى لظاها من التلمود ما رسمت   أحقاده ومن نيويورك ما تهب
وسرها أن تقيم الإحتفال على   الأوداج تشخبُ والأجساد تضطربُ
وما تصدى لها في ذاك منتفضٌ   فالأبرياء على صدقٍ وإن كذبوا
بل نحن من دان شرم الشيخ صرخته   ونحن من عنده الإرهاب والرهبُ

قـضـيــة أخــذوهــا مــن أوائــلــنــا ... يكوى السليم ويُعفى من به جربُ

قد باركتهم ذئابٌ من فصيلتهم ... والذئب للذئب مشدود ومنجذبُ

ونحن صمت كما يهوى الخنوع فلا ... عقيدة رفعت همساً ولا غضبُ

يا بنت جندب يا أعماق ما برحت ... مع المدى منذ ألفٍ وهي تنتصبُ

تنشأت في دعاءٍ داف طينته ... أبو تراب الذي للصاعدات أبُ

واستمسكت بالإباء المر واعتذرت ... بالحق واستيقنت هذا هو القلبُ

كم سامها الضغط والإغراء يمطرها ... تبراً فما لان منها عودها الصلبُ

سجيّة من تراب الطف يحملها ... الثوار فهي على أخلافهم لقبُ

ما ضرهم أن أغلى لبسهم خشنٌ ... وأن أشهى طعام عندهم جشبُ

وأنـهـم ورثـوا الأخـلاق رائـعـة ... فذلك الإرث لا الأموال والنسبُ

يا بنت جندب إن المجد أعرفه ... أما الشموخ وأما الموت والعطبُ

لقد درجنا على الجُلى نعبّ بها ... عبّ الظميّ ولا شكوى ولا نصبُ

سلي ترائبنا والرمح يشجرها ... هل اشتكت وصبٌ أم يشتكي الوصبُ

ما أوحشتنا بعتم الدرب وحدتنا ... فدرب أهل المبادي مشرقٌ أشبُ

وإن تكن قدعت عنا وشائجنا ... في النائبات فلا عُتبى ولا عتبُ

يبقى أخاك وإن شالت نعامته ... أخٌ به منك موروثٌ ومكتسبُ

فنحن مهما أراد الزائغون بنا ... غدٌ وأمسٌ ودربٌ واحدٌ لحبُ

تمضي الرياح وإن كانت عواصفها ... هوجاً وتبقى الجبال الشمُّ والهضبُ

لبنان أسعد روحي أمس مرتفعٌ ... من المشاعر ممن كان يحتربُ

تعانق الدم والهامات وامتزجت ... عواطف من ثرى لبنان تنسكبُ

ذابت حواجز مما ساد منتفعٌ ... خبٌّ وما اجترح الأوزار محتطبُ

وأصحرت فكرٌ بيضاء لوّثها بالحقد مهدٌ لئيم كله وصبُ
فارتد لبنان قلباً واحداً وهفت إلى المآذن في محرابها الصُلُبُ
فباركي الدم يا قانا فرُبّ دمٍ فتحٌ به أبعد الآمال يقتربُ
واستمطري للضحايا هنا رقدوا وهم عطاشى ومن ورد الردى شربوا



ذكرى الشريف الرضي

لكَ رغمَ الهجير روض خَضِيلُ   الشَّذا الغمرُ والنَّسيمُ البليلُ
والجِنانُ المفوفات لديها   أكلٌ دائمٌ وظِلٌّ ظَليلُ
مُنعشٌ من ربيعهِ يَبَس الدُّنيا   وبالغيثِ تستجيرُ الرُّمولُ
ومدى عشتَ بين بعدين منهُ   سَحَرَ الدهرَ فجرُه والأصيلُ
ليس عمراً بل عشتَه ألْفَ عُمْر   كلُّ عُمْر بهِ عَطآء جَزيلُ
سوف يبقى والرائعُ الفذُّ يبقى   لم ينلْ روحَه المدى المستطيلُ

تَتساوى به الروائعُ لا يُعرف فيها مُقصِّرٌ وفضيلُ

السَّجايا به توائمُ بيضٌ   بعضُ أوصافها الأنيقُ الجميلُ
والمزايا بهِ لظى وهجيرٌ   وشموخٌ ورقَّةٌ وهَدِيلُ

هو سرُّ الإعجاز أنْ يكبر المظروفُ ظرفاً ويصنع المستحيل
هكذا الأربعون عمرُك أغنانا وقد يفعلُ الكثيرَ القليلُ

أيُّها الواحدُ الذي بينَ بُرديه كثيرٌ ورُبَّ فرد قَبيلُ
دخلَ الكونَ خالداً ثمَّ لم يرحل عنه وللأنام الرحيلُ

وأخُ الفكر كالحقيقة يبقى   حالُهُ والأحوال طُرّاً تَحُولُ
حملته العيونُ بدراً مضيئاً   في الأماقي لا يعتريه أفولُ
ورأى الوعيُّ فيه فكراً أصيلاً   وقليل في الكون فكرٌ أصيلُ
سكب الروحَ في إطار أنيق   فإذا الفكرُ للحياة عَديلُ

وأرانا تراثه صوراً منه ويحكي الإنسان فكر وقيلُ
فإذا عفَّةٌ ومجدٌ وعزمٌ بمدى النَّجم حبلُه موصولُ
هِمَّةٌ تعبر النجوم لأسمى وترى أنّ كل صعب ذلولُ
سِمةُ الصقرِ يحسنُ النَّزْعَ حتى لو أضرَّتْ بأخمصيهِ الكُبولُ
سخرت من خلافة ليس إلاّ طيلسانٌ مزركشٌ وطبولُ
عندها المجد في دروب النبوّة فما بالكرسيّ عنه بديلُ
كان هذا وكان أكبر من هذا فأنّى يَطاله التفصيلُ
نسخةٌ من أبي تراب رؤاها وعَلى الفرع تَستَبين الأُصولُ
وانتساب الأنغام للعُود طبعٌ ما بهِ خُدعةٌ ولا تمثيلُ

يا يَراعاً ينمنم الورد من نهج عليٍّ والنهجُ سِفْرٌ جليلُ
دَلَّ النبرُ أنّه لِعليٍّ رُبَّ قول عليه منه دليلُ
إنّه في البيان شمسٌ فلا الفانوسُ من سِنْخهِ ولا القنديلُ
نَظَمَ الرائعات مَبنى ومعنى فإذا الأحرفُ الشّذا والخميلُ
كلُّ فصل أبو تراب بهِ يَبدو فتهتزّ بالهَدير الفُصولُ
غير أن النفسَ المريضة تهوى أن يغطّي الحقائقَ التّضليلُ
زعموه نسجَ الرضيّ ومَهْلاً أين من هادر الفُحولِ الفصيلُ
لا تُعِزْ قَولَهم فما هو شيء كي يصفيه الجرح والتعديلُ
إنَّه العَجْزُ والقُصور وماذا غير أنْ يحسدَ المتينَ الهزيلُ
قد أفاضت «مصادرُ النهج» فيما رُدَّ فيه معاندٌ وجهولُ
ودرى الباحثون في أنَّ دعوى عَزْوه للرضيّ قولٌ عليلُ

وأبى الحاقدون أن ينظروا إلا ازوراراً وأعينُ الحقدِ حُولُ

ولو «النَّهجُ» نهجُ صَخْر بن حرب فعلى القَطْع إنّهُ مَقْبولُ

لكن النَّهجُ كان نهجَ عليٍّ وَعَليٌّ على الدَّنيِّ ثَقيلُ

إيهٍ بغدادُ يا رُؤى مترفات ما مَحاها الزَّمانُ مَهْما يَطولُ

يومَ كانتْ وللفوارسِ فيها ألف شوط وللخُيولِ صَهيلُ

والسَّرايا طيوبُها من نَجيع ومن النقع فَوْقَها إكليلُ

فاتحات لم تعرف الزهو والبغيَ ولا كان هَمَّها التقتيلُ

إنَّما همُّها حياةٌ عليها الحُكم نُعمى، والعَدلُ ظلٌّ ظليلُ

عندَها للجهادِ سيفٌ وللرحمة قلبٌ وللهُدى تَهْليلُ

وببغدادَ سيِّدٌ مَلأ الدنيا صَدى والزمانُ عبدٌ ذَليلُ

ذاك عصرٌ مُحفَلٌ بصُدور مُتْلَعات ما زاحمتها الذّيولُ

من مزاياه مُرتضى وَرَضيٌّ ونَصِيرٌ وصاحبٌ وخَليلُ

أيُّها الكرخ ألف باقة ورد من مَغانيك عطرها مطلولُ

خطرتْ حلوة فأنْقت الدُّنيا وَغَنَّتْ على رُؤاها الطُّلولُ

نَفَثَتْ سِحرَها على كلِّ ذِهْنٍ فَلها عندَ كلِّ ذِهْن مُثُولُ

وتبارت بالعلم والأدب المترف فيها قرائحٌ وعقولُ

في صُروح للعلم يسرح في أبعادها الفكر والفهوم تجولُ

ومحاريب عامرات بآل الله والليل ستره مسدولُ

كلّ حَبْر بَراهُ حسنٌ خَفِيٌّ فَهْوَ فيهِ المتيَّمُ المَتْبُولُ

إن تلا آي ذكر هزته منها رعدة فهو كالغصون يميلُ

جُنَّ بشر الحافي بها وعرى ابن الفارض العشق فهو نضو نحيلُ

وتسامى الحلاج فالله فيه حالةٌ ذاب عندها لا حُلولُ

عَرَفُوا أنَّ ما سِوى الله وَهمٌ وبأنَّ الحياة مرعى وَبيلُ

وَحَداهُم حاد مِنَ الغيبِ فاشتاقوا وَجُدَّ السُّرى ولَذَّ القُفُولُ

ولنار الحبيب تومىء كف هذه النار نار ليلى فميلوا

رتعُوا بالحِمى فهامُوا بوجه ذي جَلال جَلاله لا يَزولُ

وبوعيي يا كرخ في الطرف الثاني هوى ذاب في جواه رعيلُ

إذ مقاصير الف ليلة أسمار لديها الشهيُّ والمعسولُ

نَفَذَ الدَّهرُ والمفاتِنُ مِنها لَمْ تَزَلْ في الزَّمان نَبْعٌ يسِيلُ

ولَيال تَنَوَّرتْ بنُجُوم قمرُ الكرخ بَينَهُنَّ ضئِيلُ

واللذاذاتُ مِن مفاتن قصر الخلد منع للصب أو تنويلُ

رَسَمَتْها بجبهة الدَّهر حُسْناً طَلْعة حُلوةٌ وفَرعٌ رَسِيلُ

فَتَألق فما عَهِدتُ ابْنَ ألف مِثلما أنت وجهُه مَصْقُولُ

هكذا أنتَ في خَيال الليالي الأمالي والشَّذو والترتيلُ

للمصلي وللمغني وللعالم في كونه ذرى ومقيلُ

إيه مَهدَ الرَّضيِّ هَلْ تحفظُ العَهْدَ وَحفظُ العُهود غالَتْهُ غُولُ

هل تقولُ الصَّوابَ هذا أصيلٌ حِينَ يُنْمى جذرٌ وهذا دَخيلُ

إن شر العقوق لو عاد رب البيت يُقصى ويستقر النزيلُ

والشَّريفَ الرضيّ يا كرخُ فخرٌ يوم تُدعى بهِ ومجدٌ أثِيلُ

ولمحض انتمائه لك أمر أنت فيه على السهى تستطيلُ

أو لم ينظم النجوم على افقك عقداً تقلدته العقولُ

فإذا بالفرائدِ البكر سِفْرٌ ضاء فيه المعقولُ والمنقولُ

وإذا بالقريض عُودٌ وسيفٌ يَتَغنّى هذا وذاك يصولُ

وإذا بالصفات تحسد راعيها ويزهو بالحامل المحمولُ

السماح الغني والأدب المفرط لينا والاعتداد النبيلُ

خُلُقٌ من محمّدٍ وعليٍّ في كثير ممّا بهِ تَعليلُ

وسؤال عندي أبا الحسن اسمعه وقد يعرف الجواب السؤولُ

ليلة عشتها اقتصاصاً وزاداً الدَّبور احتفى بها والقبولُ

ثمراتُ العناق زادُك فيها ورُضابٌ مِزاجهُ زنجبيلُ

حيثُ يهدي لموقع اللثم ثغرٌ ويمدُ الظلام جعد أشيلُ

وأحبّ الظلال ما صنع الشّعرُ ونغمَ الدَّليلُ ثغرٌ دليلُ

أتراها كانت خيالاً من الحرمان يمليه عالمٌ مأمولُ

قد يغذّي الأحلامَ ليلٌ كريمٌ حين يَقسو لها نهارٌ بخيلُ

الخدودُ المُصعّراتُ نهاراً نابَ عنها في الليل خدٌّ أسيلُ

أم تراها عن واقع ويقين كلّ ليل لديك عفٌّ بتولُ

اظمأتك التقوى ولو شئت تسقى لاستجابت واغرقتك السيولُ

فليالي الزوراء لو شئت فيها نغماتٌ وكاعبٌ وشَمُولُ

غيرَ أنّ العِشقَ الكبيرَ صُعودٌ وسماتُ العشق الصغير نزولُ

أنت قلب الدنيا الكبير وطبع كل قلب عن الجسوم حمولُ

فإذا ما قستْ عليكَ الليالي دونَ باقي الورى وصُبّتْ ذحولُ

فَسُراها مع الكرام وَجيفٌ وسُراها للآخرينَ ذَميلُ

ولئن يُجتبى سواك وتنسى فَلَكم ساد فاضلاً مفضولُ

مِثلما الشمس اهملت واحاط القمر المدح والثناء المكيلُ

وهو من نورها استمد وكم يحرم كدحٌ وللنؤوم الحصيلُ

وحنانيك أنّ مجدَكَ حقٌّ وإن ازْوَرَّ عن عُلاه جهولُ

والذي رام ينحت الريح مجداً سَلْهُ ماذا سينحتُ الإزميلُ

ويح بغداد إذ تذودُكَ عنها هل دَرَتْ أنّ عرشَها المَثْلُولُ

أنت إن رمت تطردُ الغيث عن أرض فما بعد ذاك إلاّ المحولُ

أنتَ بغدادُ حيثما كنتَ كانتْ إنَّ بالأهل يشمخُ المأهولُ

والذي ظنَّ أنه يقتل الفكر فلا شك أنه المقتولُ

أو رأى أن يذلَّ بالسوط فكراً فسيبقى وهو المهينُ الذليلُ

إنّ للفكر حيثما حلَّ رَبْعاً ورجالاً ودولة لا تدولُ

كل زيف سينتهي ولو استشرى دوي من حوله وصليلُ

وسريرُ المفكرين رؤوسٌ وسريرُ الموتى ترابٌ مهيلُ

فاتلق أيها الشريف فللأشراف دنيا خلودها مكفولُ



الإمام الجواد

حدث فانك في الأجيال نشاء وقل فمنا إلى ماضيك أصفاء
مرت بمسرحك الأحقاب عابرة وعندها صور بيض وسوداء
فعامرات من الإيمان يملأها وفارغات من الوجدان جوفاء
وعاطرات كأن الورد وشحها ومتننات فأقذار وأقداء
ومائرات من الأخلاق طابعها وفاجرات من الاجرام عوراء
يا فدفد الدهر كم جازتك قافلة حدا بها للذي تبغيه حداء
شتان بين مناحيها فواحدة هزيلة العقل في التفكير عجفاء
مستامة ترتعي أقصى مطامحها عود ودن وماخور وهيفاء
أما النهار فعند الباز ياربها دراية فهو عند الصيد عداء
والليل إن جن سل إسحاق قصته فعنده من حديث الليل أشياء
ومعشر حلقت بالروح صافية مما يدنس قدس النفس غبراء
ما أترعت جامها خزيا ولا رتعت في مرتع وخم عقباه شوهاء
يلف منهم ظلام الليل كل فتى تنجاب عن صفحتي خدّيه ظلماء
يعاقر الليل كأساً من مدامعه وتسكر الفجر من نجواه أصداء
وتعبق الأرض طيباً من مساجده وترتوي من صبيب الدمع حصباء
مراوحاً بين كفيه وجبهته ما مسهن لعظم الشوق إعياء
حتى إذا الصبح أرخى من غلائله ومازجت سبحات النور أنداء
شعت له من سماء الفكر صافية بالعلم والحلم والتوجيه أضواء

هيا بنا لربى (الزوراء) نسألها عن ثلتين هما موتى وأحياء
فقد مشت وبني العباس سامرة في ألف ليلة حيث العيش سراء
تجبك أن ديار الظلم خاوية وأن للمتقين الخلد ما شاؤوا
ومل إلى (الكرخ) وأنظر قبة شمخت تجاذبتها الثريا فهي شماء
وحيّ فيها (جواداً) من أنامله سحابة الفضل والأنعام وكفاء
يا بن البتول وحسبي من مآثرها بأنها في مجالي المجد (زهراء)
كم رام منك بنو العباس ما عجزوا عنه وفي فشل من غدرهم باؤوا
جاؤوا (ويحى) بحشد من مسائلهم فرحت توسعهم شرحاً لما جاؤوا
حتى إذا وهنوا القيت مسألة كل المفوه عنها فهو فأفاء
وعند قطع يمين السارق اختلفوا فكان منك برغم القوم إفتاء
هو الصواب ووحي الله مدركه لدى أبي الصلت منها ثم أنباء
يا نفحة الروض في ريا شمائله وطلعة البدر حيث البدر وضاء
وعبقة من أريج المجد أنجبها (محمد وعلي) فهي أشذاء
وخفقة النور من إشعاع (فاطمة) تحدرت فهي إشعاع ولألاء
يا ليت كفاً سقتك السم واهتصرت نامي شبيبتك الفينان أشلاء
تحشر منك نياط القلب ناقعة من السموم ويبري جسمك الداء
ملقى على السطح لم يحضرك من أحد تصارع الموت لأظل ولاماء
حتى قضيت برغم المجد منفردا
لم يكتنفك أحباء وأبناء

علي الأكبر

هلْ من سبيلٍ للرُّقادِ النائي ليداعبَ الأجفانَ بالإغفاءِ
أمْ إنَّ ما بينَ المحاجرِ والكَرى ترةٌ فلا يألفنَ غيرَ جفاءِ
أرقٌ إذ هدأ السميرُ تقومُ بي الأشواقُ في لججٍ من البرحاءِ[١]
أقسمتُ إنْ أرخى الظلامُ سدولَهُ أنْ لا أفارقَ كوكبَ الخرقاءِ
فإذا تولى الليلُ أسلمني إلى وضحِ النهارِ محطَّمِ الأعضاءِ
لا عضوَ لي إلاّ وفيهِ منَ الجوى أثرٌ يجرُّ إليهِ عينَ الرائي
فعلى الجبينِ منَ الوجومِ دُجنَّةٌ[٢] وعلى الشفاهِ بوادرُ الإعياءِ
قلقُ الوضين أبيتُ بين جوانحي همٌّ تحاولُ مصعدَ الجوزاءِ[٣]
همٌ أبتْ إلاّ العلوَّ كأنَّما مدتْ لتجذبَها أكفُّ علائي
وغذا توقدتِ العزائمُ في الفتى فالجسمُ في سُقْمٍ وفي لأواءِ[٤]
أنا إن يحاربني الزمان مجاهداً فلأنني من طالبي العلياءِ
جرّبت منه طرائقاً وخلائقاً فعرفت أن الدهر من خصمائي
قالت سعادُ وقدْ تملكَ ناظري مترقرقٌ من أدمعٍ حمراءِ
إني عهدتُكَ للشجونِ مغالباً فمتى ألفتَ تنفّسَ الصُعداءِ
فأجبتها والمورياتُ تحشدتْ تُذكي أوارَ الحزنِ في أحشائي

---

(١) البرحاء: الشدة والمشقة.

(٢) الوجوم: العبوس لشدة الحزن. الدجنّة: الظلمة.

(٣) الوضين: حزام الفرس. الجوزاء: برج من السماء.

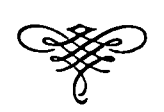
(٤) اللأواء: الشدة والمحنة.

حزنُ ابنِ ليلى يستدرُّ مدامعي وعظيمُ همتهِ يُثيرُ هنائي
ندبٌ تحدَّرَ من سُلالَة فتيةٍ ملأوا رباعَ الأرضِ بالآلاءِ
بدرٌ تتوجّهُ خلائقُ أحمدٍ بفصاحةٍ وسماحةٍ ومضاءِ
متجلببٌ من حيدرٍ بشجاعةٍ ومن الحسينِ موشحٌ بإباءِ
سلْ عنهُ أكنافَ الطفوفِ فكمْ بها تركتْ صفيحتُهُ من الأشلاءِ[1]
وسلِ القواضبَ والقَنا عن نثرهِ والنظمِ فهيَ بهِ منَ الخبراءِ
ملكَ الوغى بحسامِهِ فأحالها دهماءَ أعيتْ ألسنَ البلغاءِ
خرستْ مقاولُها فلا متكلّمُ وغدتْ تشيرُ إليهِ بالإيماءِ
سيانَ عندَ سنانهِ وحسامهِ يومَ الهياجِ قريبُها والنائي
بطلٌ تخبُّ بهِ ربيبةُ سبسبٍ[2] يهتزُّ صلواها[3] من الخيلاءِ
غرّاءُ تستبقُ النواظرَ إنْ سرتْ أوحتْ لذهنكَ ليلةَ الإسراءِ
غيران[4] يفتكُ بالألوفِ وعمرُهُ ما جاوزَ العقدينِ في الإحصاءِ
والبسطُ يرصدُهُ وفوقَ جبينهِ للناظرينَ بوادرُ السرّاءِ
وأصاخَ يسمعُ رجزَهُ ويُجيبهُ الميدان عندَ الرجزِ بالأصداءِ
وإذا بهِ يدعوهُ أدركني فقدْ دارَتْ عليَّ بجمعِها أعدائي
فانقضَّ مثلَ الصقرِ شامَ فريسةً وجلا الصفوفَ وجالَ في الأرجاءِ
حتى إذا دفعَ العِدى عن شبلِهِ آوى اليهِ بلوعةٍ وبُكاءِ

---

(١) الصفيحة: السيف العريض.
(٢) سبسب الأرض: البعيدة المستوية.
(٣) الصلا: وسط الظهر.
(٤) الغيران: صاحب النخوة.

الفاهُ منعفرَ الجبينِ تمازجتْ حمرُ الدماءِ بوجنةٍ بيضاءِ
ورأى شفارَ المرهفاتِ تلاعبتْ بجمالِ تلكَ القامةِ الهيفاءِ
فجثا وأقنعَ للسماءِ بشيبةٍ مغمورةٍ بمدامعٍ ودماءِ
يا عدلُ قدْ قتلوا شبيهَ محمدٍ أنزلْ بساحتهمْ عظيمَ بلاءِ
وأحلَّ رأسَ وليدِهِ في حجرِهِ وانصاحَ يمسحُ عثيرَ[1] الغبراءِ
يا نبعةً غذيتُها بدمِ الحشا وغرستُها في روضةٍ غنَّاءِ
لمْ أنسَ إذْ حملتهُ فتيةُ هاشمٍ لحرائرٍ يندبنَ وسطَ خباءِ
فحنَتْ عليهِ الثاكلاتُ لواطماً حرَّ الوجوهِ بلوعةٍ وشجاءِ
لهفي لزينبَ إذ رأتْ وفراتِهِ مخضوبةً بدمٍ عن الحنَّاءِ
عقدَ الأسى منها اللسانَ فأعولت لفقيدِها بالدمعةِ الخرساءِ
أبنيَّ قد كنتَ الأنيسَ إذا دجا الليلُ البهيمُ وكنتَ بدرَ سمائي
يا صرحَ آمالٍ ألوذُ بجنبهِ عندَ الخطوبِ فهُدَّ صرحُ بنائي
فإلى اللقا يوم المعادِ فلا أرى الأيامَ تُسعدُ قبلَهُ بلقاءِ



(١) العثير: التراب والعجاج.

الإمام علي

لا تلمني إن خانني التعبير فمتى يحتوي الكبير الصغير
أنت ملءُ الدهور حجماً ومعنى وأنا بعض ما حوته الدهور
بيد أني ألقاك في أفق العشق كما يلتقي الفراش النور
ولكل منا هنالك دور أنت تهمي السنا ونحن ندور
إن تكن تأسر المشاعر قهراً ما هو العدل أن يلام الأسير
فمتى يؤخذ الأسير اختياراً ومتى اختار قاهراً مقهور
ركضت خلفك القلوب وسرنا خلفها وانتهى إليك المسير

سيدي يا أبا تراب يتيه النبت فيه وتشرئب الجذور
أنا فيما ينمى إليك وما ترويه عن وجهك الرؤى مسحور
هزني أنني المنوم في دنياك حتى يفيق مني الشعور
لتصلي مشاعري عند محراب تصلي على صداه العصور
أنا ما غبت عنك يوماً ولكن لمسة العشق شأنها التخدير
وبمحراب الشوق من عاش يدري أن من ذاب بالهوى معذور
إن قلباً من عشق وجهك يخلو هو خال من الأصالة بور

سيدي كلما تلبد أفق وتمادى بعتمه الديجور
وتجنت صحائف خط منها قلم الحقد والهوى والزور

مر بالأفق من رؤاك جبين بعض أوصافه السنا والعبير
الجبين الذي أحاطوه شتما وإلى الآن بالجيوب الكثير
فحباهم براً وطيباً كما يفعل إن زج باللهيب البخور
ومن الشتم للكريم جناح يرتقي فيه للعلى ويطير
فتمهل أبا تراب فدون الشتم من حولك الفضائل سور
إن أشادت بك السما وأفاضت أي ضير لو سبك البعرور

يا وليداً كانت له الكعبة الغراء مهداً وبيتها المعمور
حضنت بالوليد سيفاً فكانت جفنه وهو سيفها المشهور
غير أن الأصنام إذ كسرتها يده زمّ حقدها الموتور
فأصرت تذوده عن مقام هو فيه اللباب وهي القشور
لا تعاب البدور إن لم تحطها هالة بل تضل وهي بدور
إنهم أنكروك مهداً وقبراً واصطلت بالرصاص حتى القبور
ثم ولى الرصاص والمدفع الأهوج والطيش والحساب القصير
مضغوا بعده الهوان وصاح الويل في قلب بيتهم والثبور
وتوقع وذو الفقار مدين أن يلاقيك كل ليل هرير
إنك الشمس إن تعامت عيون عنك أو فار عندها التنور
لا تلمها فإن هذا بديه أنها أعين الضغائن عور
فسيبقى بكل قلب نقي لك بيت وموقع وحضور

سيدي يا أبا القشاعم لا تعرف إلا على سماه النسور

إن تـرب الأوطـان فـي الـذود عنـه يـرخـص الـمـال والـدم الـمـهـدور
وهـنـا والـجـنـوب يـؤسـر رهـط مـنـك غُـر نـاداهـم الـتـحـريـر
فـتـداعـوا لـثـورة الـحـق لـمـا ظـلـمـوا والـذلـيـل مـن لا يـثـور
عـانـقـوهـا شـهـادة فـي سـبـيـل الـلـه مـا شـاب صـفـوهـا تـكـديـر
واستعـاضـوا عـن الـشـبـاب بـعـقـبـى عـنـد رب نـعـيـمـهـا مـوفـور
ودعـاهـم رعـيـل بـدر وأُحـدٍ فـتـلاقـى مـع الـنـفـيـر الـنـفـيـر
ألف مرحى لبنان هذا هو الفتح وهـذا سـبـيـلـه الـمـنـصـور
تتلاشى الدنيا وتبقى الرسالات لـواءً لـلـثـائـريـن يـشـيـر

ربـوات الـجـنـوب يـا أم جـزيـن وقـانـا سـقـاك غـيـث غـزيـر
ظـمـاء الـمـجـد فـاسـتـجـاب نـجـيـع يـا بـنـفـسـي ذاك الـنـجـيـع الـطـهـور
عبّ منه التفاح في زهوة الإقليم واسـتـلـهـمـتـه صـيـدا وصـور
أتـعـب الـبـغـي فـي مـدافـع إسـرائيل مـا أهـرقـتـه تـلـك الـنـحـور
يـا لـعـرس الـفـداء يـفـتـرع الـمـجـد وإن اثـقـلـت عـلـيـه الـمـهـور

قل لمن عانق النياشين صيغت دون شـوط وعـانـقـتـه الـحـور
واستعيرت له المناصب والألقاب مـن أجـل مـا أراد الـمـعـيـر
تـتـقـرى أوطـانـه لـقـمـة الـعـيـش ويـزهـو كـأنـه أردشـيـر
قـد أبـيـحـت ديـاره وهـو لـيـث فـي الـمـقـاصـيـر فـتـكـه والـزئـيـر
صـنـتـه يـد تـجـيـد الـرزايـا وبـنـاه مـن بـالـمـسـوخ خـبـيـر
ويـك شـعـب يـفـنـى ودار تـشـظـى كـل هـذا لـيـحـتـويـك سـريـر

سوف تمضي خلافه بعد أيام ويفنى التطبيل والتزمير
ثم تفنى والكون يفنى وتهوى شرفات منيعة وقصور
وتعيش الشعوب سفراً مجيداً تتلظى حروفه والسطور

يا نسيجاً به التناغم أصل فهو فينا عن الجنان سفير
هو لبنان في السما مرج نجم والثرى مرج طرزته الزهور
الشواطي الزرقاء والجبل الأخضر والسهل سندس وحرير
والأساطير الحمر في القمم الشم تراث تحضنته الصخور
وخرير الينبوع عانقه الموال فالنبع ميجنا ونمير
وحكايا الهيام في موسم الزيتون والكرم صاغها الناطور
هذه عندنا هوية لبنان فماذا البارود والتدمير
ليس عيسى ولا محمد إلا قنوات إلى السما وجسور
ومزاج السماء لا حقد فيه والنبوات جنة لا سعير
من منانا لبنان إنك دوماً بلد طيب ورب غفور

إن لي في تراب لبنان جذرا أنا فيه مدى الزمان فخور[1]
قد نماني له وشد عروقي فيه جد حبر وبيت وقور
نسبة قد عرفتها بدمائي عنفواناً يجري وحباً يمور
فإذا الحزن مسه مس روحي وأصلي ليعتريه السرور

---

(١) أمي بنت علي بن محمد حسين بن زين العابدين الجبعي العاملي من علماء لبنان.

ولــه مــشــفــق وبــيــض أمــان أشــتــهــيــهــا لــه وحــب غــيــور
والأمـــانـــي والــــهــــم والـــدم أم أرضــعــتــنــا فــثــديــهــا مــشــكــور

ســيــدي يــا أبــا تــراب ويــا مــن تــربــه لــلــخــدود فــرش وثــيــر
هــجــعــت حــولــه الــمــلايــيــن تــرجــو وهــو فــي مــنــتــهــى الــرجــاء جــديــر
سيدي إن بعدت عنك فلم يبعد وجــه عــلــى الــقــلــوب أمــيــر
فــاحــتــفــر لــي عــلــى تــرابــك شــبــراً وحـــوالـــي شـــبـــر وشـــبـــيـــر
لا تــذرنــي وأنــت أهــلــي بــعــيــداً إنــنــي لــلــنــدى الــوهــوب فــقــيــر
هــا أنــا بــاســط ذراعــي بــبــاب الكهف حيث الوصيد عندك طور



السيدة رقية

في ربى قاسيون قبر صغير فيه غصن من البتول نضير
تربة هوّمت رقية فيها حضن الطُهَر رملُها والحفير
عندها من محمدٍ وعلي والحسين الشهيد شيء كثير
والسمات المطيبات تراث يتجلى به البشير النذير
يحمل العبرة الصريحة إن الحق يبقى ويذهب التزوير
والضريح الذي يضم نسيجاً علوياً بالإحترام جدير
يطلب الورد عاطش الروح منه وبيوت النبي نبع نمير

وبدرب العيون صرح تسامى الفن فيه وأبدع التعمير
روضة تأشب النظارة فيها ويجلي أبهاءها التنوير
إن أطلت شمس الصباح عليها يتبارى بها السنا والعبير
وصخور تماوجت بالمرايا فكأن الشعاع فيها غدير
ويخط البللور والذهب الإبريز ما عنه يعجز التصوير
حفلت بالشموخ مبنًى ومعنًى فالمزايا جنباً لجنبٍ تسير

إيهِ بنت الحسين يومك يُسر وأمام الطغاة يوم عسير
المدى فيك بالخلود طويل والمدى عند شانئيك قصير
والرقيم الذي على صرحك الشامخ فيه البيان والتفسير

أن يحيق الهوانُ بالآسر الباغي ويسمو كما يشاء الأسير
وتروح القصور والترف الفاجرُ والوشيُ لامعاً والحرير
والعروش التي على البغي قامت وجنود ومنبر وأمير

أيدانيك ظالم بسريرِ وقد انحط للهوان السرير
ممن اجترّ حقد بدر وأحدٍ وتمادى سُعاره الشرير
من رعيل دم الشهادة فيهم ملءُ قرقارة الشراب خمير
ولأسنان أمهم في لحومٍ ممن استشهدوا بأحدٍ صرير
فذريهم إلى الهوان مصيراً وليدم منك للخلود مصير

يا بنة المتقين عاقبة الأبرار عما ينالهم تبرير
أنظري خربة أقمت بها بالشام تُربُ فراشها وحصير
إنها عبرة على شفة التاريخ يشتارها السميع البصير
أنت فيها رمزٌ وصرخةُ حقٍ عند سمع الطغاة منها هدير
صاح فيها صوت الضمير وعدل في الموازين لو أفاق الضمير
سيطال الخرابُ أروقة الظلم ويجتاح صرحها التدمير
وسيبدو للتائهين بأنَّ الله في فعل ما يشاء قدير

أيها الشجنة التي أذبلتها لوعة الأسر والفلا والهجير
فهي من زحمة القيود على الصدر أنين شهيقها والزفير
طفلة يكمن الذهول بعينيها فيبدو بدمعها التعبير

حملت قلبها الكسير على يُتمِ وقلب اليتيم قلب كسير
إنها برعم وما اشتد منها عودها الغض والفؤاد الغرير
لم يزل مثلها تهدهده الدمية والحلم والفراش الوثير
فإذا بالزمان يُثقل كتفيها بما قد ينوء منه ثبير
فهي جسم يدافع السوط بالكف وعين بدمعها تستجير

يا لوجدي وقد مررت عليها وعلى القبر من أساها سطور
فبدا طيفها لعيني نضواً من سياط حدا بهنّ الغرور
قد تعاورنها ودرن عليها وهي من وقعها الأليم تدور
وبراها السرى ففي عودها الناحل وهن مبرح وضمور
تسأل الأمهات أين أبوها كيف أغضى وهو الشفيق الغيور
كُنّ يوهمنها بأن أباها غائب حان عوده والحضور
غير أن الغياب طال عليها والعشي امتدت بها والبكور
وألحت تريده ذات يوم فهو في قعر ذهنها محفور
فأتوها بالرأس وأغفت كما أغفى على دفء أمه عصفور
حضنت رأسه وأسلمت الروح وجفت كما تجف الزهور
أيها الزائرون في ود ذي القربى سعيتم فسعيكم مشكور
هل لمحتم شمائل الأم في البنت فللفرع ما روته الجذور
ما هو القبر بل شعائر قدس في محاريبها يطوف الشعور
يُكتب السعي في المسير إليها فهي آثار فضلها مأثور
الثموا تربها الطهور احتساباً إن ترباً ضم الطهورَ طهورُ

وانظروا كيف يزدهي القبر فيها والتراتيل والشذا والنور
فلكم أوحشت قبور بأهليها وشعت بساكنيها قبور



المدافع والإمام الحسين

إن تهاوى الضريح والإيوان ما تهاوى الشموخ والعنفوان
إنما تهدم الحجارة والمضمون يبقى على المدى ويصان
وبديه أن الحقائق تبقى وتموت الأحقاد والأضغان
أنت أسمى من أن ينالك يوماً مدفع حاقد وكف جبان
أنت منذ الطفوف في الأفق صوت هادر الوقع صاخب مرنان

يابن تلك البتول والفارس الأنزع والفحل يوم يضرى الطعان
وابن من للسماء نور وللأرض كتاب وللهدى عنوان
وابن ذاك العقد الفريد يتاماه قصي إن شئت أو عدنان
وطأوا قمة الكواكب فالشعرى محط الأقدام أو كيوان
أيها الحلم ما غفت أعين المجد على مثله ولا الأجفان
يا رنيناً أصغى له الكون دوماً ودوياً صحا عليه الزمان
عاش وقداً في نفس كل أبي ثائر فالتظت بها النيران
خالداً في الزمان فهو امتداد ما خلا من وجوده فيه آن
تسرح العين في رؤاه ويحسو الثغر منه وتطرب الآذان
وتغذي كرائم منه دنيانا ففيها من رفده ألوان

يا خميلاً ترابه الخصب الطيب والنبت خيّرات حسان

أترى يابن كل هذي الصروح الشم يستام من علاك فلان
لا أسميه فهو أتفه من أن يلطخ الشعر باسمه والبيان
إنه من فصيلة هتكوا البيت وعاثوا بقدسه واستهانوا
واستباحوا قبر النبي وبالحرة كم دنست كعاب حصان
كم رمى منجنيقهم كعبة الله فطاح الحطيم والأركان
هكذا يهبطون في حين يرقى لك بيت ويشرأب مكان
أنت قدس مطيب وهم الدمنة والوحل منذ كنت وكانوا

يا أبا الطف ألف عذر وما أحب للعذر في الرزية شان
كان ظني بأننا عُدة البلوى وعون إن عزت الأعوان
ولنا فيك أن يكون التأسي قدوة لو يسومنا الإمتهان
أولسنا الدم الأبي وإن صال علينا بجيشه السلطان
أو ما كان شلونا يتحدى حين يبغي سيف ويضرى سنان
فلماذا يسومنا الذل حتى إننا عند خصمنا أقنان
كل ما نرتجيه من ذلك السيف الذي استام أهلنا غفران
قد هبطنا حتى اشتكت كبرياء الجرح من فرط ما تمادى الهوان
ليس بدعاً لو استرقت وماتت أمة مات عندها الإيمان

سيدي يا غذاء روحي ويا نبعاً سخياً يؤمه الظمآن
يا ربيعاً حملته بين أضلاعي فعندي من خصبه أفنان
يا كتاباً ضخماً عكفت عليه فبروحي من قدسه قرآن

أنت كون أوصى فحلق فكر بين أبعاده وجلا لسان

سيدي إنني وإن شطت الدار وغابت عن ناظري الأوطان

ذلك القلب ذائب برمال الطف صب بعفرها هيمان

سحرتني فيك العزيمة والموقف والروح صلبة والجِّنان

والذي عاش بالمشاعر لا يبعد مهما تباعد الأبدان

فاستلمني شاعراً سكنت تربك حتى ولو جلا السكان

خلني في مداك أستلهم الطف فإن المدى لديك جنان

وأشم العطر المقدس في ترب مذاب برمله الأقحوان

وإلى أن أراك في ساحة الحشر بظل يمده الرحمن

وأرى حولك الرعيل الذي قربت حتى سما به القربان

شد كفي بحجزة من بني الزهرا فثم المنى وثم الأمان

حيث أنتم ذرائعي لعطاء الله وهو المؤمل المنان

رب هذا ذوب الفواد وهذا ما اجتلى الوعي واحتوى الوجدان

إنه خشعة بأعتاب صرح تفتديه العروش والتيجان

وقصيد يمتار آلك فضلاً فأنا في مديحهم حسان

فتقبل عقيدتي بشرى الطف وهبني رضاك يا مستعان



الحسين

يومٌ طلعتَ على الزمانِ وليدا ... سيضلُّ ملءَ فمِ الزمانِ نشيدا
يممتُ يومَكَ كالظماءِ بلفحةِ ... الصحراءِ تلتمسُ الغديرَ ورودا
فرأيتُ بينَ شروقهِ وغروبهِ ... صوراً تعزُّ على النعوتِ حدودا
مثلتَ خيرها ومثَّلَ شرَّها ... نفرٌ فكنتَ سَماً وكانَ صعيدا
وإذا أراقَ اليومَ زاكيةَ الدما ... فغداً سترفعُها الشعوبُ بنودا
فرأيتكَ العملاقَ جيداً متلعاً ... ينعى على الأقزامِ تُهطع جيدا
ورأيتُكَ الفكرَ الحصيفَ يشقُّ ... أستارَ الغيوبِ ويستشفُّ بعيدا
ورأيتُكَ النفسَ الكبيرةَ لم تكنْ ... حتى على مَنْ قاتلوكَ حقودا
فعلمتُ أنَّكَ نائلٌ ما تبتغي ... حتماً وإنْ يكُ شلوكَ المقدودا
وبأنَّ من قتلوكَ وَدّوا عكسَ ما ... قدْ كانَ لو علموا المدى المقصودا
ظنّوا بأن قتلَ الحسينَ يزيدهُم ... لكنَّما قتلَ الحسينَ يزيدا[1]



(١) القصيدة طويلة ولا توجد عندنا الآن سوى هذه الأبيات منها.

السيدة زينب

زينَبٌ لا الثّنا ولا التَّمجيدُ يتَأدّى إليكِ مَهما يُجيدُ
أنتِ معنًى احتَوى اللفظَ فيه فاجَأ القَائلينَ فيهِ جَديدُ
هكذا أنتِ قِمَّةٌ في مَبانيها منَ المجدِ طارِفٌ وتَليدُ
حيثُ حجرُ الإِسلامِ ربَّى وَحيثُ الأصلُ من مَنبتِ الجُذورِ فَريدُ
النَّسيجُ الّذي تكوَّنتِ مِنْهُ هَدَفٌ في تُراثِنا مَنشودُ
نَجتَليهِ لِجيلِنا مَثَلاً أعلَى كَما تنشدُ العُلى وتُريدُ
فَابزغي يا عَقيلَةَ الوحي نُوراً في سَمانا إنَّ الظلامَ شَديدُ
إن جذراً نماك عقدٌ ثَريٌّ بالعقيلاتِ دُرُّه مَنضُودُ
قِمَمٌ مِن عَواتِكٍ وَيَليهِ نَمَطٌ مِن فَواطِمٍ مَعدودُ
شَاخصاتٍ بِوجهِ أمِّكِ وَالجدّة في وَجهِها فَهُنَّ شُهُودُ

إصعَدي يا بنةَ الجِهادِ فَعُقبَى وَثَباتُ المُجَاهِدينَ صُعُودُ
وَاشْمَخي يا حَفيدَةً لِنَبِيٍّ بُورِكَ الجَدُّ شَامِخاً وَالحفِيدُ
يا بنَةَ المرتضى عَليٍّ وَمَن شَادَ منَ الدينِ سَيفُهُ المعهُودُ
وَالذي رُغمَ شَاسِعَاتِ الصَّحارى أنعَشَ الكَونَ ظِلُّهُ الممدُودُ
يَا امتِدادَ الزَّهرَاءِ أثمَّ أبيها يا تُرى هل لِبعدِ هذا مَزيدُ
أيُّها المَوقِفُ الذي قَارَعَ البَغيَ وَرَدَّ الطُّغيانَ وهوَ عَنيدُ
إنَّما الطَّفُّ مِن حُسينٍ دِماءٌ شَامِخَاتٌ وَمِنكِ قَولٌ سَديدٌ

سَتعيشينَ زينباً يَا بنةَ الإسلامِ مَـهـمَـا يَـبـيـنُ فِـيـنـا يَـزيـدُ
وَسَـيَـمـتَـدُّ لُـلـطُّـغَـاةِ فَـنَـاءٌ وَسَـيـمـتَـدُّ لِـلـهُـدَاةِ خُـلُـودُ

يَا لِوَاءَ يُومي إلى النَّاسِ هَيَّا وَلَو أنَّ الـمَزارَ عَـنـكُـم بَـعـيـدُ
إنْ أَلَحَّ الظَّما المُلِحُّ عَليكم هٰهُنا النَّبعُ فَانْهَلوا وَاستَزيدوا
هٰهُنَا صَوتُ الحَقِّ مَا زَالَ يَعلُو مُـنـذُ ألـفٍ وَمَـا لَـواهُ الـوَعـيـدُ
هٰـهُـنَـا بِـنـتُ حَـيـدَرٍ لَـبـوَةٌ تَـزأرُ تَـحـمـي أَشـبَـالَـهـا وتَـذُودُ
هٰهُنَا زَينبٌ نسيجٌ هُو الإقدَامُ وَالـصَّـبـرُ كُـلُّـهُ وَالـصُّـمُـودُ
إنَّـهـا كَـعَـبـةُ الـقُـلـوبِ إذا مَـا لـوَّحَـتْ هَـروَلَـتْ إلـيـهـا الـوُفُـودُ

في وِعاءِ الزَّمانِ تُحشَدُ الأجيالُ طُـرّاً شَـقِـيُّـهـا وَالـسَّـعـيـدُ
بَعضُها صَارَ في التُّرابِ رَميماً لـفَّـهُ الـمَـوتُ وَالـبِـلَـى وَالـرُّقُـودُ
بَـيـنَـما بَـعـضُـها رَنـينٌ بِـسَـمـعِ الـدَّهـرِ يُـبـدِي ذِكـرَهُ وَيُـعِـيـدُ
عَـرِفَـتْـهُ الـحَـيَـاةُ وَثْـبةَ إصـرارٍ أَبَتْ أَنْ تَـعيثَ فِيهـا العَبِيدُ
إنَّـهـا الأمَّـةُ الَّـتـي قَـلَّ مَـوتَـى بَـيـنَ أبـعـادِهـا وَزَادَ شَـهِـيـدُ
وَالَّتِي جَاهَدَتْ بِهَا الأُمُّ وَالأُختُ وَبِـنـتٌ كَـرِيـمَـةٌ وَوَلِـيـدُ
أَمَّـةٌ تَـحـمِـلُ الـجِـرَاحَ وِسَـامَـاً سَـبَـكَـتْـهُ نَـارُ الـوَغَـى لا الـعُـقُـودُ
أُمَّـة زَيـنَـبٌ بِـهـا وَحُـسَـيـنٌ هَــذِهِ مِـقْـوَلٌ وَهـذا وَريـدُ
فَـاشْـمَـخـي أَيُّـهَـا الـعَـقِـيـلَـةُ رَمـزَاً بِـجِـهـادِ لِـجَـذرِهِ مَـشـدُودُ

يَـا بـنَـةَ الـطَّـاهِـريـنَ عُـذراً إذا مَـا قَـعَـدَتْ بِـي عَـقـيـرَتـي وَالـقَـصِـيـدُ

قَدْ يُزَكِّي الإِخلاصُ وَالحُبُّ زَادَاً وَلَـو أنَّ الـزَّادَ الـمُـعَـدَّ زَهِـيـدُ
أَنَـا مَـولاكُـم أَعُـبُّ بِـنُـعـمَـاكُـم وَتَـزهُـو بِـمَـنْـكَـبِـيَّ الـبُـرُودُ
فَـاسْـأَلُـوا الله أَنْ يُـطَـيِّـبَ دَائِـي فَـلَـدِيـهِ مُـقَـامُـكُـمْ مَـحـمُـودُ
وَضَـعُـونـي بِـظِـلِّـكُـمْ يَـومَ يَـشْـتـدُّ هَـجِـيـرٌ وَيَـومَ تَـظْـمَـا كُـبُـودُ
وَاجـعَـلُـونـي تَـبِـيـعَـكُـم فَـبِـأهـلِ الكَـهـفِ يُـنـشَـدُ كَـلـبُـهُـم وَالـوَصِـيدُ



في رحاب مدرسة الإمام السجاد عليه السلام

حريٌ لو استعلى بمجدك هاشمُ فثم جدودٌ بالحفيد أعاظمُ
أما في رسول الله من ذاك شاهدٌ على الصدق في هذي المقالة قائمُ
ومن جاز أبعاد المناقب وانتهى إلى قمم تنحط عنها الغمائمُ
فذلك من يدعى لدى الفخر سيداً تنافسُ فيه في القراع المكارمُ
(وإن وليداً بين كسرى وهاشم لأكرمُ من نيطت عليه التمائمُ)
فلله روح فيك ما ضاق رحبها وقلبٌ به حتى لمروان راحمُ
أجل تلك أخلاق السماء أتى بها من الله نهجٌ للمربين عاصمُ
أيا راهباً في خشعة هو والدجى لوقع مناجاة بها الليل حالمُ
تُزاوله من خشية الله رعدةٌ إذا خطرت بالوعي منه العزائمُ
وتنعشهُ من رحمة الله هبّة تمرُّ بها للمتقينَ نسائمُ
فمن أجل هذا كنتَ يا موئلَ التُّقى تُجلّيك زين العابدين المعاجمُ
ومن ثفنات في جبينك لوّحت تسميّك بالسجّاد تلك الوسائمُ
وما قلّ عن ليل نهارُك رُتبةً فأنتَ على الحالين حَبرٌ وعالمُ
كبارُ رزايا أطبقت منذ كربلا وعاش ببقيا العمر منها ملازمُ
مصارعُ أحباب وترويع نسوة ونارٌ بأطناب وسوطٌ وظالمُ
مشاهد بين الوجد والدمع عشتها بقيّة عمر لازمته المآتمُ
إلى أن ذوت روحٌ وفاضت لربّها وفيها مآسي كربلاءَ معالمُ
ونامت على رمل البقيع تبلُّها سحائب حزن والدموع السواجم
فلا بارحت رملَ البقيع مشاعرٌ زكت وقلوبٌ بالولاء حوائمُ

في رثاء حافظ الاسد فدى المأساة

لا تقل مات فالأموات من قبروا وحافظ ماثل في وعي من حضروا
يؤنّق الوعي من ريّا محاسنه كما يؤنّق قلب الروضة الزهر
ويأسر العين سحر في شمائله فالعين فيما لديه بعض من أسروا
أما المواقف في دنياه فهي مدى من الشموخ به الأجيال تفتخر
قيادة صنعت ما لا يموت فما موت على المنجزات البيض يقتدر
الميتون هم العبء الذي حملت منه الحياة غثاءً لفه الوضر
والخالدون مدى الأزمان من حملوا الأعباء واقتحموا الأشواط وانتصروا
فيا خلوداً بسفر الدهر قد حملوا به إلى القبر دنياً كلها ظفر
إذا حدا بك صمت القبر واضطجعت على الرمال خدود ما بها صعر
فسوف تنطق أعباء نهضت بها وتلك أقوال صدق ما بها هذر

قالوا استطال به داء فقلت لهم كلا ولكن تأنّى الطارق الحذر
تردد الموت أن يدنو لمحتلب صم الصخور وها قد لوّح الدرُر
هل يمهل العمر والأثمار ناضجةٌ والنصر عن كثب والشوط مستعر
أم يخترمه وإن جلّ المصاب لكي يجيء من رحم المأساة منتظر
وبين هذا وهذا طال موقفه ثم استجاب لأمر الله مؤتمر
فراح يقبض روحاً ظلّ في يده منها شميم طيوب نفحها عطر
وحلفة يا أبا بشّار أحلفها لم يجرؤ الموت لولا أنه قدر

ضعي على القلب سوريا يداً وثقي أنّ الحمى فيه شبل نسل من زأروا
واستوعبي الخطب في صبر فما ثبتت في النائبات سوى أقدام من صبروا
شدي الأكفّ بعشّ النّسر إنّ به ما تنشدين إذا ما الأفق يعتكر
لا يأخذ الله ما أعطى بلا عوض ولا يعوّض إلاّ فوق ما خسروا
فاسترقدي منه إنّ الصّرح مرتفع والحقل مخصوصب والنبع منهمر
إذا ألحّ الرّجا تعطي السّما خلقّ بالجود يندى إذا استعطاه مفتقر
وما يطمئننا أنّ الثرى خصب والخصب لا بدّ فيه يسمق الشجر

بشّار والأمل المرجو موعده غداً يغرد في أبعاده الوتر
غداً يوشّح في أفق ملامحه أن لا ضرار بوادينا ولا ضرر
أوحت إليّ بهذا وهي صادقة فراسة صدّقت إيحاءها الخبر
ترسّمت ويد الزرّاع قد جهدت أنّ الجنائن ميعاد لمن بدروا
قد أطلعتك حقول أخصبت ثمراً وليس في كلّ حقل يُرتجى ثمر
وكونتك وراء الغيب مبدعة فتًى يُمتّع فيه السمع والبصر
تحضنتك وكان المهد في قمم شمّاء عنها بغاث الطير تنحسر
وترجمتك السهول الخضر حاملة هوية وجه سوريا بها نضر

بشّار تصنع كفّ الغيب في كرم ما ليس تقوى على تصنيعه الأطر
تُعدُّ حجراً كريماً مدّه رحم عفّ فينشأ من هذين من كبروا
ألست فرخاً أبوه النسر علّمه سكنى الشواهق لما استشرت الخفر
وزجّه في حقول الجمر ملتمساً له النضوج وحقل الجمر مختبر

رواه ملحمة سارت لغايتها وما ثنى العزم دربٌ شائكٌ وعر
كم صحّحت خطأً واستلهمت فكراً بيضاء لا غبشٌ فيها ولا كدر
ينتابها الأب للأجيال مدرسة وظلّ للإبن ما يبني ويبتكر
سجية المعطيات البيض إن غربت شمس يقوم بطرد الظلمة القمر

شآم يا خطرات بالزمان إذا مرّت على الذهن هزتنا بها الصور
أيام تسترفد الدنيا كرائمنا وتستقي فيُروّي جدبها المطر
يا بقعة في خيال من مساجدها بلال يخشع من تكبيره السحر
حضارة حمل التاريخ رونقها فكاد ينطق عن مضمونها الحجر
عروبة ربّها وحي السماء كما بين الأثير شفيف النور ينتشر
فمن مزيجهما امتدّ الشعاع إلى غياهب ضاع في ظلمائها البشر
حيث الدروس ضجيج في جوامعها وفي الخزائن للأسفار مُدّخر
هنا قباب لأهل البيت شامخة وللصحابة أجداث ومحتفر
وللفتوح من الآثار باذخة ولابن عبد عزيز باذخ عمر
يا أم حطّين والمرّان مشرعة والضُّمّر الدُّهم للأشواط تبتدر
ينغّم الشوط وقعٌ من سنابكها وبين ليل قتام تلمع الغرر
شآم لا ألبستك اليأس فاجعة فالكون في كل من حلّوا به سفر
سلي الرمال أما كانت أباطرة لها المفارق والتيجان والدُّرر
كثبان تسحقها رجل ويزرعها حقل وتضحك في طيّاتها العبر
أحالها الموت كثباناً يحركها عصف لوم تدري أين الورد والصدر
بعهدتي سيعود الدّهر مبتسماً حلو الرؤى ويعود اليأس يعتذر

إليك بشّار وعد الأمس جاد به أبٌ فبورك من جاؤوا ومن غبروا
تفائلي بعطاء الأمس يرفده غد مضيئٌ فنعم العين والأثر

دمشق

في ٢٠\٦\٢٠٠٠



وقفة على قبر أبي رشاد

عند القبورِ صوادحٌ وهديلُ ولدى الديارِ نوائحٌ وعويلُ
قد تُعْكسُ الأحوالُ في مألوفِها حيناً ولا يُستغربُ التَّحويلُ
تلكَ عَزَفتُ عن الديار فعاذرٌ إنَّ الإقامةَ بالطلولِ رحيلُ
وإذا توطنتُ القبورَ فهٰهنا أهلي وممن أصطفيه رعيلُ
أمسي ويومي عندها وأنا هنا نِضوٌ يعبُّ الذكرياتِ نحيلُ
هذا سبيلي في الأسى عللتُهُ ولقد يُبرّرُ لوعةً تعليلُ

أأبا رشادٍ حيل بين لقائنا حتى افترقنا والفراقُ طويلُ
أسلمتني للأمس أسْبِرُ ما مضى وأعبُّ منه وأَحتسي وأُطيلُ
عهدان عهدٌ للغضارةِ والصِّبا عِشناهُ وهو من الشَّباب خضيلُ
وأظلنا الثاني ونحن على الإخا إلفُ وظلُّ النعمياتِ ظليلُ
نتبادل الأسمار من أزوادِها أدبٌ وفكرٌ ما علمتُ أَصيلُ
وفرائدٌ نختارُها وقرائحٌ نشـ تارها ففراغنا تحصيلُ
في نخبةٍ جلّى بهم خلقٌ ومن أعراقِهم جلّى أبٌ وقبيلُ
درجوا بتربِ أبي ترابٍ وإنّه بنبوغِ من ينمو عليه كفيلُ
سعداءُ عِشنا رغم أنَّ العيشَ في يَبَسٍ وحقلُ الأمنياتِ محيلُ
لكنّها الدّنيا فكلّ صفائِها كدرٌ ومحضُ وضوحِها تضليلُ
يَبَسَ الخميلُ غداةَ صفائِها كدرٌ وذوى بأيامِ الحصادِ حصيلُ

أأبا رشادٍ أمسنا في وعينا صورٌ أقلُّ حقوقِها شيخٌ أبرّ جليلُ
ونوابغٌ في الفكر يرتجلُ النّهى والنور فقةٌ عندهم وأصولُ
يبغونَ وجه الله فيما زاولوا حتى استطالَ على هداهم جيلُ
ومشوا على السّنن القويمِ لربِّهم ونهايةُ السّننِ القويمِ وصولُ
أولاءِ يحترقُ الزمانُ ودوحُهم ريانُ من نبعِ الخلودِ بليلُ

أأبا رشادٍ ما افترقنا عن قلى فأخو الوداد متيّمٌ متبولُ
لكنه خلقُ الزّمان يسوؤه لو أن شمل أحبةٍ موصولُ
ما كان ضر لو اتبعتك نظرة حتى يواريك الثرى ويحولُ
فلكنت أوصيت التراب الرفقَ في صدغَين حيث الفكر والتحليلُ
ويعفُ عن شفتينِ عهدي فيهما يحلو حديثهما ويصدقُ قيلُ
ولقمتُ فوق القبرِ أذرفُ دمعة عدم الرياء بها أو التمثيلُ
ولوسّدتك خواطري ومشاعري في حيث خدّكَ وسدته رمولُ
فأنا الذي لأحبتي بجوانحي مثوى ودارُ إقامةٍ وحلولُ
لي في الترابِ من الميولِ تناقضٌ ولقد تُناقضُ في الوحيدِ ميولُ
أبغضتُهُ أن يستبدَّ بأوجهٍ أحببتُها فربت عليه ذحولُ
وهويتُهُ أن صار دارَ أحبتي فهو الهوى وهو الغدُ المأمولُ
وينوبُ عن وجهِ الحبيبِ إذا اختفى قبرُ الحبيبِ فذاك عنه بديلُ
ويح التراب حبائب ومصائب فالحب يبسمُ والدموعُ تسيلُ
دفنت به الآلام والآمال والنجوى وما يعيا به التفصيلُ
في كلِّ جزءٍ بالترابِ على الحلى والسحر في الثغرِ الأنيقِ دليلُ

أأبا رشادٍ كانَ ليلُكَ سامراً حلواً وأنتَ بقلبهِ قِنديلُ
كَلِفٌ بصحبكَ لا تطيقُ فراقهم فهموا وأنت صوادحٌ وخميلُ
يَرِدُونَ من نبعِ القريضِ فليلُهم ألقٌ وصبحهم الشّذا المطلولُ
ويؤججونَ الفكرَ شعلةَ نابغٍ أكرم بأفقٍ أسرجتْهُ عقولُ
القانعونَ إذا تواضعَ ثوبُهم ورغيفُهم فيه رضًى وقبولُ
والباسمون وإنْ طحا بمتونِهم حِمْلٌ بألوان الهمومِ ثقيلُ
أوحشتَ ناديهم وآنستَ الثرى فالتّرب للثمر الأنيقِ مقيلُ
ولو اجتليت التربَ غَرّد مزهر وتبرجت فتن ولاح كحيلُ

أأبا رشاد تلفتت عيني فلم أرَ من لهم يهفو الحشى ويميلُ
ممن أفاض عليّ من آدابه والفكر ما أسمو به وأصولُ
ومن الحياة بدونهم فيما أرى عبءٌ ومحض تفاهة وخمولُ
تِربُ الصِّبا وعشيرُ ألعابِ وأستاذٌ نَعُمْتُ بفضلِهِ وزميلُ
ما زلتُ أحيا في نعيم طيوفِهم فأنا عن الدّنيا بهم مشغولُ
حلّوا شغافَ القلبِ دون سواهم والفضلُ لا تطغى عليه فُضولُ
رَحَلوا فروحي غربةٌ ومشاعري نَهبٌ ودمعُ الكبرياءِ ذليلُ
سأعيشُ وحدي دونَ هذا الحشد في الدنيا فروحي عنهمُ معزولُ

أأبا رشادٍ كان آخرَ عهدِنا يومٌ بلبنان الأغر جميلُ
ما زالَ من جزّين عندي صورةٌ ذكرى اللقاء والذّكرياتُ مُثولُ
وأنا وأنتَ وثالثٌ من سِنْخِنا نحكي همومَ بلادِنا ونقولُ

فكأنّنا رغم التباعد والنّوى   في رملةِ النّجفِ الحبيبِ نجولُ
نَجْلوا الغريّ رؤًى يِغارُ لحسنِها   لبنان وهو المترفُ المعسولُ
ونَعُبُّ صِرفاً من هموم بلادِنا   والصّرفُ من همِّ البلادِ شَمولُ
أتُرى حَملتَ إلى القبورِ همومنا   الكبرى فإنَّك للهمومِ حَمُولُ
أقرِ السّلامَ أحبتي ومشائخي   وأطنبْ فإنَّك للودادِ رَسولُ
ميعادُنا وادي السّلامِ فنمْ بِهِ   فالكلُّ للوادي الكريمِ يؤولُ
بحمى الوصي بحيث لا بجوارِهِ   خوفٌ ولا وَغدٌ لهُ ممطولُ
ومن استضاف النبع يؤنسُ روحَه   خصبٌ ويبردُ من حشاهُ غليلُ



ايحاءات نـهج البلاغة (شعر)

في مجالي نهج البلاغة حورُ	شـهـد الأفـقُ انـهـن بـدورُ
آخذات باللب مبنى ومعنًى	فالمعاني مضيئة والسطورُ
هي دنيا فكر بها الأرضُ تزهو	بالبراعات والسماءُ تمورُ
صعدت عندها الروائع فالأنجم	درب بـافـقـهـا وعُـبـورُ
ساحرات الرؤى فليس ببدع	إن من يلتقي بها مسحور
وسُلاف من خالها دون أن يشرب	يـغـدو وذهـنـه مـخـمـور
أفهل للملام معنى لأنف	أخذته بما تنث العطور
وهل العاشقون إلاّ سبايا	وأخو العشق مرغم مقهور
قلت للسائلين والقلم التافه	يـفـتّـن فـيـه إفـك وزورُ
وضح الانتماء بالنهج فليسكت	زعـم يـخـطـه مـوتـور
إنّه ابن القرآن والإبن كالأب	وإن لـجّ حـاقـد مـأجـور
يتمادى فينكر البديهيات	فـحـجـر بـوعـيـه مـحـجـور
وغباء أن لا يرى الأصل بالفرع	وبالفرع تستبين الجذور
فوراء الشعاع لا بد شمس	ووراء النهج الشذي زهورُ
غير أن الأنغام يسأل عنها	صادحات الخميل لا اليعفورُ
قممُ الفكر في كتاب علي	شاهقات تنحط عنه الصقور
نائيات بها الشوارد إلا	لجناح على الصعود صبور
وعروس الأفكار إلاّ على ذهن	حـصـيـف جـمـالـهـا مـسـتـور

فإذا لم يسد الذهن إلهام فلا يجتلي الخفاء ظهور
هو قانون الضوء من دونه الأعين لا يستجيب فيها النور
فأعنّي لاجتلي إن طرفي عنك من شدة السنا محسور
إن يك النهج وهو نحوك دربٌ فيه ما قد تقلدته النحور
فعلى القطع أنت مقلع در جانباه المنظوم والمنثور
فكرٌ حرٌ وديباجة غرٌ ونبرٌ مموسق وأمورُ
ومعان من خدرها سافرات ومعان تضمهن خدور
إنّه النهج محض باب إلى حقل به الخصب والجنى موفورُ
أنت فيما به كتاب وسيف وهزار يشدو وليث هصور
ونبي البيان مثل نبي الشرع تشفى بما يقول الصدور
يا خميل الفصحى وروض المعاني وسط صحراء بالهجير تفورُ
إن يك النهج ما لفظت فماذا أنت يا فلتة روتها الدهور
يا تسابيح ناسك ما تعاطى دنس الشرك بيته المعمور
يا صدى راهب يهز حشايا الليل والنجم في السماء يغور
أنت معنى من وسعه كل لفظ فيه ضيق عن حجمه وقصور
إغتفر أيها الوحيد فللإلحاد حجم تضيق عنه الكسور
سيدي يا أبا تراب يتيه الغرس فيه وتشرأب الجذور
أنا فيما ينمى إليك وما تحكيه عن وجهك الرؤى مأسور
هزني انني المهموم في دنياك حتى يفيق مني الشعور
وتصلي مشاعري عند محراب به تدمن الصلاة العصور
أنا ما غبت عنك يوماً ولكن أثملتني الرؤى فدب الفتور

وبمحراب العشق من عاش يدري أن من ذاب بالهوى معذور
إنّه ديدن المحبين أدنى ما يلاقوه أن يغيب الحضور
قد سألتُ الزمان يوماً لماذا عنك يلوي بوجهه ويحور
يتحاشى النبع المذال ويحسو وشلا ما تذوقته الثغور
فكأن العيون ما بين مرآها وما بين نبيك الثر سور
فتعرفت منه أنك سنخ ليس من سنخهم فكان النفور
إن كل الرياح جنس ولكن عُد منها الصبا ومنها الدبور
قد قضى الله أن بالأرض فيروزا وفيها جنادل وصخور
وقضى أن معشر الجُعل المنتن بالطبع عشقه البعرور
وبأن الفراش يعشق حسنَ الضوء حتى يموت وهو يدورُ

ودمتم



السيدة زينب

نظمت عام ١٤١٨هـ والقيت بالحفل بمرقدها الطاهر

أسفر الصبح يا شآم فقولي   لبقايا الظلام في الأفق زولي
لنسيج الأصنام وابن الزبعرى   صادحاً في نشيده المنقول
خبريه أن الخبايا تجلت   وتبدى ما كان من مجهول
جولة الباطل انتهت واستقرت   دولة الحق في مداها الطويل
أين عرش القلوب فيما بناه   من عريش مزور منحول

مر حين والحق بدر ولكن   نظروا نحوه بطرف كليل
ليس ذنب العيون بل ذنب ليل   لم تبن فيه روضة من وحول
غير أن المقياس هب ليخطو   في مسار الصحيح والمعلول
وانتهى للجفاف نبع افتراء   وتناهى نباته للذبول
وقليل باق وعندي يقين   سوف تمضي حتى بقايا القليل

أيها الدهر هل بوعيك ذكر   لعديل الكتاب رهط الرسول
شده الله للسماء وثيقاً   ونماه بحبله الموصول
حمل النبع من تراث رسول   الله ثراً في طعمه السلسبيل
كان من فرط ما تكلل مجداً   ما به حاجة إلى إكليل
فأكاليل الزور تفنى وتبقى   عمة الصدق موضع التبجيل

هو حبر في جوف ليل وسيف ... في جهاد وسيد في قبيل
وشهيد بالأفق لون وعطر ... عابق من نجيعه المطلول
إنه اشتق من نسيج علي ... ودم الأب في عروق السليل

أسرته ديون بدر وأحد ... وأحاطت زنوده بالكبول
وروته بأنه خارجي ... يا لهذا الإمعان بالتضليل
أبنوا الوحي مارقون وأهل ... اللات أهل الكتاب والتنزيل
أيها السادرون هل بظلام ... الليل عن أنجم السما من بديل
إن هذا الزمان لا بد يصحو ... ذات يوم من بعد نوم ثقيل

هوّني فالظلام طارده الصبح ... فولى إلا بقايا فلول
واقرئي يا شآم ملحمة الحق ... كتاباً يخط فوق الرمول
بدم ثائر ودمع بجنب ... الدم خطا ملاحماً في فصول
ومن الدمع ما يكون سلاحاً ... يصنع النصر كالحسام الصقيل
إنها كربلاء تمتد للشام ... لتروي عدل السما للعقول
حيث يهوي للقاتلين لواء ... ويرف اللواء للمقتول

يابنة المجد في مدى آل فهر ... وابنة الوحي في مدى جبرئيل
وابنة الطهر فارق الجاهليات ... وأعراقها بجذر أصيل
يا مزاجاً به جهاد علي ... وهدى أحمد وصبر البتول
وشموخاً ما أركعته الرزايا ... يوم صُبت مصائب كالسيول

وفماً أبلج البيان ورأساً علوياً لم ينحني للذيول
لست أنسى عينيك وهي ذهول بين رزء غمر وصبر جميل
بين أسرى تقسو السياط عليها وزغاليل روعت وعليل
كصغار القطا ذوت من هجير ردها بعد نضرة لذبول
يترشفن أرؤساً ووجوهاً فحذقن النشيج دون عويل
أنت قلب تناهبته الرزايا فهو خفق وآه بجسم نحيل

غير أن الذي رواك شموخاً عزمات رغم المصاب الجليل
ورزايا بلا مثيل ولكن عندك الصبر ما له من مثيل
تقر عين الخصوم بالمنطق الفصل فيأتي الدليل تلو الدليل
ازئري فالزئير عندك إرث ومزاج الأسود إرث الشبول
يا لها من مواقف كشفت عند ك طبع الحسام عند الصليل

يا نبي الهدى يسمعك صوت يوم مرت قوافل بالحمول
من فم حاقد تمنى لو الأشياخ عادوا إليه بعد الرحيل
ليروا كيف هند عادت مع الأ بناء ثأراً لأمسها المخذول
تسترد الديون من خفرات وعليل مقيد مغلول
ورعابيب أثكلت وبكل الوصف عن لوعة بعين الثكول
وعلى سرحة نعيب غراب هاج ما كان كامناً من غليل
صور وقعها بقلبك مما حملت من أذى كوقع النصول
عاش منها الزمان يبكي ولما ينضب الدمع رغم طول همول

وسيبقى يبكي لقتلى وأسرى وقبور ملاء الربى والسهول

أيها الرمل في مشارف جير ون عليه إجابة للسؤول
أنت فيما وعيت تشهد بالعدل وماذا بعد الشهود العدول
قد سمعت الإيمان عند رعيل وسمعت الإلحاد عند رعيل
من ثغور معبآت بذكر وثغور تعبأت بالشمول
وتبينت كيف ينكشف الزور برغم الإغراق بالتأويل
يوم عاد الدوي والترف الفاجر والعرش كلها لأفول
وتهاوت زعامة شيدوها بكذوب الثنا وقرع الطبول
وبنا الدم والشهادة والموقف صرح الخلود عرضاً بطول

اسكبي للأثير يا قبة الإبريز أحلى شعاعك المطلول
إسبحي في بحيرة الأفق الأزرق جولي من نجمة بحقول
وانشري في السماء تبراً شفيفاً ذائباً في عناق همس الأصيل
واخشعي بالضريح في صلوات عامرات بالذكر والتهليل
باركي رملة غدت حين ضمت بنت خير الأنام خير مقيل
إنها زينب العقيلة نجم من سماء وزهرة من خميل
ضاعفي الأجر في خطى زائريها في مسير مشوا به أو مثول
إنهم ينشدون ود ذوي القربى وعقد الولا لآل الرسول
وتقبل يا رب منا دموعاً عند أزكى فرع لخير أصول
رب هذي رحاب بنت نبي ويعز الرحاب قدر النزيل

مناجاة

١٥ شعبان ١٤١٨هـ

أمرغ أشعاري على عتباتكم فتصعد والمشدود بالنجم يصعدُ
وأسكبها دمعاً وشدوا فتارة نواح وأخرى ساجعات تغردُ
إذا لامست أمجادكم فسطورها فما هي إلا زفرة تترددُ
لقد حملتكم دمعةً وابتسامة وعاشت على محرابكم تتهجدُ
وحسب قريضي لو حباه محمد ببردته أو من نماه محمدُ
ومن منن الرحمان إني بفيئكم أعب من النعماء ما فيه أُحسدُ
أنام على أمن وأصحو على غنًى فتحرسني عين وتكرمني يدُ
ترضب يومي نبعكم فأرتوي به وآمل أن يسقى بحوضكم الغد
هبوني ما يبقى من القرب والرضا فكل الذي بالأرض يفنى وينفدُ
ولا تبعدوني عن وجوه يعيش في مخيلتي منها الكريم الممجدُ
سأرقد في حجر الحسين لأنني ابنه وبحجر الوالد الابن يرقدُ
وأسمع أنغام الجراح فإنها هدير يدوّي فيه شلو مقددُ
وأستاف طيباً من دم كلما مضى عليه زمان نفحه يتجددُ
ولا برحت بابن النبي مشاعري وأنت بها رمز الفداء المجسد
ولا زال من بيت النبوة والهدى على كل أفق كوكب يتوقد

في رثاء السيد عيسى كمال الدين

كـاس تـلـفـعـه أبـراده الـقـشـب ماضٍ نماه إليك الجد والحسب
ريـان أثـقـل بـالأمـجـاد طـافـحـة والدهر عريان من أهل النهى جدب
رفت عليه طيوف من علاً وتقًى ووشـحـتـه مـزايـاً دونـهـا الـشـهـب
وبـاركـتـه الـسـمـا فـاخـضـلَّ يـانـعـه فـكـان صـنـوان منه العلم والأدب
سـمـا فـفـاطـم وهـي الـطـهـر أمـهـة وحيدر وهو خير المنجبين أب

أَبا الحسين غفا النادي فلا سمر واطبقت شفة الشادي فلا طرب
فـم عـهـدنـاه يـسـتـوحـي مـلافـظـه من كوثر الخلد كأساً حفها الحبب
وبـسـمـة هـي عـنـوان الـربـيـع إذا شعت تلامس ثغراً ملؤه الشنب
وهمّة تحسب ابن الليل مدّ لها يداً فراحت من ابن الليل تنجذب
وعزمة لـو تـراهـا وهـي عـاصـفـة حـسبـت أن فـم الـبـركـان يـلـتـهـب
وفـكـرة سـددتـهـا فـهـي صـائـبـة عناية الله فانزاحت لها الحجب
ونبل نفس رعى حب الصديق وإجـ ـحاف العدّو فلا عتبى ولا عتب
خـلائـق نـفـخـتـهـا روح بـارئـهـا في جسم عيسى فذاتي ومكتسب

يا قاطع العمر أوراداً وورد ردًى تـبـارك الله أضـداداً وتـصـطـحـب
إن عسعس الليل فالمحراب سابغة وإن بدا الصبح فهي السبغ اليلب
قـيـثـارة الـلـيـل قـرآن وأدعـيـة ونغمة الصبح وقع عوده القضب

وبين هذا وهذا عفة زهدت بالمغريات حصان عودها صلب
وألمعية علم فيك مصدرها فقه الأئمة فهي المرتع الخصب
لحيدر هاطلات من سحائبه أرخت عليك عزاليها فلا عجب
وفي خصالك نفح من شمائله والغصن للدوحة المعطار ينتسب

أبا الجهاد وعند الدهر من دمنا شواهد ليس تمحو ذكرها الحقب
ففي الرميثة من هاماتنا سمة وفي الشعيبة من أشلائنا نصب
والعارضيات أمجاد مخلدة أضحى يحدّث عنها الدهر والكتب
قدت الفيالق والآفاق من حمم ترغو مدافعها والموت منتصب
فالجو طائرة والأرض قنبلة وبالجهات البواقي مدفع حرب
وخضت بحراً دماء الصيد ترقده وما السفائن إلا الضمّر العرب
ثم انجلت وحشود من أحبتنا صرعى على القاع تسفي فوقها الترب
فذا قوام وكان الغصن منكسر وذاك وجه وكان البدر محتجب
وتلك أم يلف الوجد أضلعها على جنين أبوه في العرا ترب
قد أفلت الأمل المنشود فهي على جمر من الألم المكبوت تضطرب
حتى احتضنا أمانينا وصار لنا بين الممالك من جاراتنا لقب
جاء الزعانف من حلف الفضول ومن أذنابه فأرانا أننا الذنب
أنحى بمنجله حصداً وخلّفها لا سلة يجتنى فيها ولا عنب

أبا الجهاد وما في الجو بارقة توحي بأنا من التحرير نقترب
إن الذين على عهد عهدتهم ثوابتاً ورجالا صلباً هربوا

رأوا سراباً على الأبواب فازدحموا حشداً عليه وأغراهم وما شربوا

أما الجديد من الأجيال فهو إذا بالغت بالوصف برق خلب كذب

ماعت طوائف منهم فهي من ترف تسيل إثماً فلا لحم ولا عصب

وسائر الشعب أردى الجوع نخوته فما له غير قرص حائل طلب

جوع وجهل وطرد عن مواطننا وفقد عزّ ويكفي أننا عرب

أبا الحسين على قبر حللت به سحائب اللطف والرضوان تنسكب

ما جئت أمجادك العليا أُأبنها وقد تقمصها أبناؤك النجب،

وإنما هي نجوى أستعيد بها لنائم الشعب ذكرى عله يثب

نم في جوار أبي السبطين مغتبطاً فنعم حامي الجوار المشفق الحدب



وله وعنوانها ليلة في بغداد قوله:

قال لي والظلام ألقى جرائنه صاحب كنت استلذ بيانه
قم معي فالزمان جد قصير نتملى مشاهداً ريّانة
صور بضة يداعبها الحسن تبدّت في ليلة أضحيانه
فخرجنا والبدر أسفر مرتا حاً وألقى من زهوه طيلسانه
لا نرى غير عاشق رنحته في ثنايا الطريق بنت الحانه
بين كفيه غادة أغرقتها قبلٌ وهي لم تزل ظمآنه
فيد قد سطت على خصل الشعر وأُخرى تطوّق الخيزرانه
وإذا بالعيون تفصح معنًى عجزت عنه خطبة رنانه
وعبرنا الطريق ثم ارتقينا سلماً نحو قاعة ملآنة
نضدوها بالورد نامٍ وحسا سٍ فأمست في بهجة مزدانه
وانتحى كل ذي غرامٍ بليلى ليقضي من الغرام لبانه
والتصقنا الصدور صدراً إلى صد ر ولفت سيقانها سيقانه
واحتوينا الأيدي الترائب يهـ ـصرن من الشوق قامة فينانه
وانتقلنا الأقدام في نغم العود يحاكين في الخطى ألحانه
وتخطى فتًى تداعب كفاه على نغمة الجميع (كمانه)
ومضى صاحبي يقول تأمل جلسة حلوة الرؤى فتانه
ها هو الحب أوتر القوس يرمي ناثلاً بين راحتيه كنانه
فاحذرنه وضع على القلب كفيـ ـك لئلا يغادرن مكانه
فلكم تاه قبل يومك صب ملك الحب والهيام جنانه
هيّمته ألحاظها فتولى ناشداً في جفونها سلوانه

فـرأى بـسـمـة أظـلـت شـفـاهـي كـنـت فـيـهـا مـفـنـداً بـرهـانـه
قـال مـاذا أرى فـقـلـت تـأمّـل لـست من يـمـلـك الـغـرام عنانه
مـا أنـا من طفت عـليه شـمول أثـقـلـتـه وطـفـفـت مـيـزانـه
أنـا مـن مـعـشـر إذا هـدأ الـسـا مـر أو أطـبـق الـدجـى أجـفـانـه
كـان إلـف الـكـتـاب في هـدأة اللـيـ ـل وكـانـت قـيـثـاره قـرآنـه
أنـا سـكـري طـرائـف مـن خـلـيـل تـخـذ الـعـلـم والـتـقـى عـنـوانـه



وله وعنوانها ذكرى قوله:

ذكرتك والذكريات العذب مناهل أشواقي الظاميه
فعادت لعيني الرؤى الماتعات تلفع بالسحر أجفانيه
وثارت رواسب ذاك الهيام تهدهد أحلامي الغافيه
تقول وقد نازعتني الزمام أُفٍ على المهجة الساليه
غفوت وقد رقص السامرون نشاوى على وقع ألحانيه
وألهب وقع الشفاه الأثير فحمَّ من القُبَل الحاميه
وخفّ الندي بأهل الندي فماج بأجسامه العاريه
وقد فقد الوتر الإتزان فعربد بالنوطة الساجيه
وظلّ الغناء بألحانه فتاه عن الوزن والقافيه
وعربدت الكأس ثم السقاة وعربدت الخمر والخابيه

أباعثتي بعد طول الركود لأحسو ثمالة أياميه
رويدك ليس غبار السنين وإن طال يمحق أحلافيه
ولكنها هجعة المستجم يمهّد للوثبة الثانيه
أأنسى ومنك بهذا الوجود على كل ما قد حوى ناحيه
ففي الروض حيث غناء الطيور تموّج ألحانك الشاديه
وحيث البراعم مفتوحة تراءى شبابك قداميه
وحيث النسائم عباقة تردد أنفاسك الذاكيه
وحيث رواعش تلك الغصون تبدّت نواهدك النائيه
وحيث يسيل لعاب الأصيل ترفُّ جدائلك الزاهيه

وحيث يشفُّ ازرقاق السماء يسيل بمقلتك الصافيه
فأنت بسمعي وفي ناظري وملء فمي وبأنحائيه
أأنسى وهل بارحتني الرؤى لأنساك يا كل آماليه
ليالٍ تكاد من الإقتراب تلف بهدينك أهدابيه
طبعت بها من سطور الهوى وساماً على الوجنة القانيه
أأنسى وما في الظلام البهيم إلاّك والنجم سماريه
أصلي وترفع كلتا يدي وردي لطلعتك الساميه
واسجد إما اعتراني الخشوع وما غير ذكرك محرابيه
وكم من صلاةٍ وتسبيحةٍ تظل النجوم لها راويه



وله يرثي الإمام علي عليه السلام وعنوانها مع النفس قوله:

أفيضي فبرد الليل مدَّ حواشيه وعيي فؤادي الكرم راقت دواليه
أيكفيك أن تقضي الحياة سجينة لدى قفص ضاقت عليك مجاليه
وأنت التي صدر الفضاء وإن نأى يغص بجزء منك رحب مغانيه
وأنت التي إن ألهبتك عزيمة فأقصى الفضا جيش لديك ودانيه
وأنت التي إن أورقت فيك شجنة فإن الدنا روض يعبق آذيه
وأنت التي إن صوحت فيك رغبة فما الأرض إلا صحصح جف جاريه
وأنت التي إن ساورتك هضيمة فما الدهر إلا الليث يشحذ ماضيه

أفيضي أما تصبيك في الليل هزّة وما الليل إلا الشعر يزجيه ساجيه
وما الليل إلا سابحات من الرؤى تطوف على الذهن الكليل فتحييه
وما الليل إلا نغمة شاء بعثها بريد الهوى للهائم الصب تشجيه
وما الليل إلا الانطلاق فحلقي على كل أرجاء الفضاء وجوبيه
أمهزاجة الليل الطروبة رددي على سمع هذا الدهر خير أغانيه
أريه صكاك المجد تكتب بالدما وما المجد إلا الدم حر مرائيه
لعل لدى الدهر العجوز رواسب من الذكريات البيض تبعث ماضيه
غداة استفزت وثبة هاشمية كساها الإباء المرّ أسمى معانيه
أهاب بها الحق السليب فجلجلت على صفحات الكون ترهب من فيه

أطل علي يحمل الهدي مشعلاً لشعب تمادى في الظلال وداجيه
أسفّ فأعطى لابن هند زمامه فضلَّ به في مهمهٍ من فيافيه

فهبَّ علي والدروب حوالك معتمة والأُفق غابت دراريه
بيمناه بتار ويسراه مشعلا الـ هدى وكتاب الله ينثال من فيه
رأى أن شعب المسلمين تلفه حوالك من ليل الفساد وداجيه
ففي الشعب ارهاق وفي المال إثرة وفي الحكم ارهاب وفي الدين مافيه
ولاة تعبُّ الكأس من ضرع شعبها وشعب يعب الدمع من جور واليه

بيوت تبناها النعيم فأترعت مقاصرها لهواً على الغيد تضفيه
تغابقها في الكأس كف خريدة تجر موشاة الغلائل من فيه
تهدهدها من صادح العود نغمة فيسكر بهو القصر من سكر أهليه
وأحلام رب القصر طافت لذيذة لتقتل ذاك الليل أُنساً وتطويه
إذا رنحته الكأس كان وساده صدور الغواني والسواعد تحويه
على حين راح البؤس ينشب مخلباً بعاري جسوم البائسين ويفريه
وباتت بيوت تنصب القدر فارغاً على النار كي تغري الصبي وتلهيه
ترفقها الغبرا وساداً من الضنا وتلحفها الخضرا غطاءً يحاكيه
فإن أرسل الصبح البغيض شعاعه إليها تردت داكن الثوب باليه
فتكدح حتى يلمس الكف درهماً ليمنحه جاب إلى القصر يجبيه
وإلا فأشلاء العراة رواقص على سوط جلاد ليرضي مواليه
رأى كل هذا فاستفز حفاظه فأشرع في صفين سمر عواليه
وكانت ضروساً ما جنى من نتاجها حليف الهدى ما كان للشعب يبغيه
وقد لعب التحكيم دوراً نتاجه خوارج أودت بالهدى ومباديه
أبا حسن والليل مرخ سدوله وأنت لوجه الله عان تناجيه

يراك الضنا من خوف باريك في غد وقد أمن المغرور من خوف باريه
على شفتيك الذكر يطفح سلسلاً فتنهل علاً من سمو معانيه
وغالتك كف الرجس فانفجع الهدى وهدت من الدين الحنيف رواسيه
أبا حسن من روحك الطهر هب لنا شعاعاً فركب الشعب ضلّ بهاديه
حنانيك حرّر في هداك نفوسنا فأنت أبو الأحرار حين نناديه



من مستشفى لندن إلى رحاب الإمام الحسين

أيها الرملة التي حضنت جسم الحسين ولفعته رداءا
بلغي عني السلام حسيناً واحمليني استغاثة ونداءا
واسكبيني دمعاً على رملك الأسمر واجري محبةً وولاءا
وامزجيني بآهة نفثتها زينب يوم قاست الأرزاءا
وبآهات نسوة منذ يوم الطف للآن ألهبت كربلاءا
خبريه بأنني لم أعد أقوى على حمل ذكراه لوعة وشجاءا
ويناغي بوجده ساجعات كم حملن الحنين والأصداءا
وأواسي به النبي وأشجى لعلي وأسعد الزهراءا
عشرات السنين وهو بثغري نغم عاش يسحر الأجواءا
ويحثَ الدنيا لتزرع أغلى تضحيات وتحصد الآلاءا
رغم أن المصائب شيء يفوق الوصف وقعاً ويعجز الإحصاءا
وسمار السراء لا تتأتى دون أن يحتسي الفتى الضراءا
سيدي إن لي إليك إنتماءً ولو أني لا أبلغ الإنتماءا
وطموحات الطين الحما المسنون هيهات تبلغ الجوزاءا
فيك.. وأمني النفس أن تسعد المنى الإدعاءا
فأعدني إلى رحابك يا من يحمل النبل كله والوفاءا
واسأل الله بالدما بارك الأرض وأرض بما توخى السماءا
سله دفع السّقام عني بلطف عنه عمّ الدنيا ويشفي الداءا

فـيـداه مـبـسـوطـتـان لـمـثـلـي ينفق الفضل فيهما كيف شاءا

يا حسيناً يا من شدوت به صبحاً ونـاديـتـه بـوجـدي مـسـاءا

لـك مـنـي رسـالـة مـن أنـيـن في تضاعيفه سكبت الرجاءا

أتـقـرّى بـهـا جـداك مـلـحّـا وأَرجـو مـن الـحـضـور الـدعـاءا

وأنادي يا من نفضت الضحايا سلّم المجد سادةً شهداءا

إنّ أجـواءنـا ظـلام فـعـلّـمـنـا بـأن نـسـرج الـدمـاء ضـيـاءا

وتـقـبّـل مـنـا مـواسـم قـامـت لـتـواسـي الأئـمـة الأصـفـيـاءا

وأعـدنـا لـلـصـاعـدات وألـهـمـنـا بـأن نـحـمـل الـحـسـيـن لـواءا

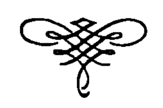
مستشفى لندن



عُمان

تملّكني عمقك المعنوي وتأريخ أمس بما يحتوي
ويوم تبلّج في افقه يعبّ الشعاع ولا يرتوي
(عُمان) برَمْلِكِ كلّ الزمان مقيم وها هو فيه ثوي
يضجّ بأحداثه الصاخبات بصمت وربة صمت دوي
ويروي التواريخ عبر السنين فسموه من أجل هذا روي
رؤوس جبال شوتها الشموس فعاشت بنيرانها تكتوي
كمثل الأسنة حتى الطيور تحاذرها حين تهوي هوي
بها للعروبة بيض السمات كدائم في نهجها التربوي
حلوم وعزم قوي المراس وفكر ومجتمع شوروي
أبى أن يذوب لدى الفاتحين وأن يستكين وأن ينضوي
تصدّت له الكتل العارمات من اليعربي إلى الكسروي
إلى جحفل الروم في بطشه وعنف مخططه التصفوي
فألوى بها كلها واشرأب وعربد في عزمه الشوروي
وتلك ملامح أهلي إذا تنمر عاد ولم يرعوي
عمان وبالأمس كنت العجوز تكاد لدى المشي لا تستوي
وعدت شباباً ببضع سنين فأدهشني جهدك التنموي
فيا جبلاً شامخاً يشمخر ويا شاطئاً دافئاً يلتوي
رسمت الفحولة فوق الجبال وفي الشاطىء الغنج الأنثوي

فـأنـت صـلالـة بـيـن الـزروع كـغـنـيـة شـعـرهـا فـوضـوي
كـأن شـذا الـود مـن نـفـحـهـا مـسـرٌ يـبـوح بـمـا يـنـتـوي
(عُـمـان) أسـاطـيـرك الـرائـعـات بـهـن الـسـوي وغـيـر الـسـوي
واسـتـاف رمـلـك كـهـف رهـيـب ولـلـجـان والـغـول فـيـه عـوي
وروض صـلالـة وعـد الـجـنـان تـعـجّـل عـن غـده الأخـروي
وهمس شواطيك خلف الصخور رسـائـل مـن عـاشـق مـنـزوي
تـذوق مـن طـعـمـك الـواجـفـون سـواء مـوالـيـك والـمـجـتـوي
(عُـمـان) سـلام امـرىء جـذره بـعـمـق رمـالـك جـذر قـوي
إذا شـمَّ رمـلـك شـم الـجـدود ولاقـى بـهـا إلـفـه (والـخـوي)
بـه مـن سـمـاتـك أنـف أشـم ورأس ومـرتـفـع جـبـهـوي





الفصل الخامس

الأرشيف الوثائق والصور

حمرة الغضب

عنوان ديوان شعري من شعر الأستاذ جاسم الصحيح ولفت منذ البداية انتباهي الديوان
وأنا متصور أن مضمون الديوان كله ربما جاء حماسيا أو ربما كان ثائرا ولكني ما كدت ألج
إلى داخل الديوان حتى تبينت أن العنوان اقتصر على بعض مضامينه وهو مضمون
الغضب المقدس الذي يصحب من أجل الحق والحقيقة وليصفع وجوه الظالمين ويقول
للباطل ولما جدير مثل هذا الغضب بأن يسمى بالغضب المقدس. أما باقي مضامين
الديوان فتوزعت وتنوعت فكان منها الحنين إلى أمسياته الرائعة وشذاه العابق
وكان منها التجربة الاجتماعية الناضجة المفرغة في قالب من الحكم ليس بالهين ولا الغامض
إلا نادرا أما في أكثر مقاطعه فهو متناسب وحجم التجربة أو حجم المضمون الذي قد يكون
في مجرد موضوع التجربة. وكان منها اللمحة التاريخية التي تحمل دلالة يراد توظيفها في
حالة من الحالات وكان منها غير ذلك مما حفل به هذا الديوان. وفي جميع هذه الجوانب
يتألق التصوير وتلتقي له المفردة المعبرة والجملة المسبوكة المتينة اللهم إلا القليل من
المفردات التي قد يكون لموقعها في الجملة وقع التعثر في ذهن الشاعر ولم ينتبه القارئ
لتزحزحها [illegible] فيها قلقا من ناحية المكان وانفصالا من ناحية المعنى وهذا الأمر لا يكاد
يسلم منه ديوان من الدواوين فما أكثر ما يخطر بخاطر الشاعر من معاني تلتحم في بعض
أجزاء جامع الصورة بينما القارئ لم يعش كل أجواء الصورة حتى يدرك موقع الالتحام بين
المفردة والجملة فيخال أن المفردة نابية أو قد تكون نابية بالفعل مع جملتها نفذت
خلسة من ذهن الشاعر دون أن ينتفض لها وهو في غمرة الصور المزدحمة بذهنه. وعلى
العموم فقد كانت من السمات البارزة في الديوان نصاعة الديباجة فما فيها شيء
من العتم وإن مرت بأجواء معتمة وذلك نتيجة لمعاناة في صقل الصورة وإبعادها
عن أسباب العتمة. كما كانت الحرارة في الأداء من سماته البارزة وكانت حرارتها تريد
أن تتكشف ولكنها تدركها الكلفة فتقف عند حدار يدلها يلمح القارئ ذلك بوضوح
فيتعقب الإقناع بأن أجواءنا لم تكن لتبقى منفتحة أمام الصور المتوحشة في ذهن شاعر مفكر
يريد أن يتفاعل مع مجتمعه بحرارة عالية. والصور بعد ذلك غنية بالتراكيب من الألفاظ
فالمفردات ليست عصية على الشاعر ولا يلدها ولادة قيصرية بل تنسكب من منابعها
هينة لينة وثرة فما فيها شيء كالزوائد يفضي بها إلى عدم التناسب في المزاوجة مع أخواتها
ولعل أجدر ما ينبغي أن يلفت له النظر أنه وإن احتفظ للصور بتنوعها وتميز بعضها
عن بعض ولكنها بأجمعها تسودها روح المشارع الذي يعالج صورة الثورة بالكلمة الغير
لينة والمتوثبة للصراع حتى بما قد لا يكون موضوعا للصراع أي أن المزاج المحتدم يغلب
على الشاعر حتى في مكان ينبغي أن يتسم فيه الأداء بالرقة والطراوة. وذلك فيما
أعتقد من إيحاءات البيئة الطبيعية التي عاشها الشاعر خشنة قاسية والبيئة الثقافية
والتراثية التي تفاعل معها وما يزال يتفاعل فتركته وتتركه متحفزا دائما للمطاولة
خصوصا وأن الشاعر من شريحة تعيش أجواء التراث المتشنج والذاكرة المكهربة التي

خص ٢

لا يقوم بها اديب ملتزم بريشات المصاولة دون ما يفتقد جزءًا من وجوب [illegible] الاعتقاد وبرهانا على صحة دلالة المحفول العقائدي الذي يدين به . وتأكيدا لما اجملناه من خصائص شعره قبل سطور نقول : ان القارئ يدرك بادنى تأمل الخصب الفكري في ادب هاشم الصحيح والقدرة على تحديد ابعاد الصورة التي يريد تصويرها على تفاوت في درك التمام ابتداء الصورة من حيث التناسب التام وعدمه ، كما ان الاطار العام لكل صورة طارف ذاهب واضافة : اسمعه يقول : قالوا وما اسلمه بالمناقمات انا سحابة شعر [illegible] هارون

لن يزدهي بجراحي قصر راقصة | في قصرة عزفها الحجاب مفتون
بيني وبين امير الراقصات دم | قد سقته عن طلال للفضل [illegible]

واستمع له يقول مخاطبا الامام علي ع

كاذب كل عاشق يتمنى | بلثم وصلا ولم يجز عن خلال
تحسن صبابتي في معابد | فكانت جريمتي في اعتقالي
وتعرفت من الى اخر الدرج | فشفت [illegible] اسمالي

وهكذا انت واجد هذه الروعة والشحنة الغزيرة من العاطفة في كل ابياته ما يصوره وفي الوقت ذاته الوصول الى نهاية المشهد مع المشهد والحالة التي يراد ايصالها مع ايما امامنا اشرت له من ان اطره فشعله من في اكثر تقتضي شيئا من البرودة والتئام تتناغم مع بيئة يقتضيها ذلك نمط الادب المحيط في شعره ، استمع له يقول في قصيدته ابتهال في حانة العشق : والجو هنا جو يدعو للرقة والابتهال يدعو للضعف والخشوع ولكنه في وسط هذا الجو يضيء بانفعال :

يا كتاب الاشواق ما زلت اتلو | طقوسا في مهرجان اشتعالي
ثورة الوجد وحدتني مع النار | ففاق النعيم دون انفصالي
فانا النار ما يزال محولي | نشاوى تاججي وانفعالي

في اخر هذه القصيدة وهي ثمانية ابيات عامرة يا رجل الرقة [illegible] غاية في الجودة واستمع له في التائية العصماء التي هي دون مبالغة من عيون الشعر في مضامينها وادائها وهي [illegible] في رحاب التراث الكريم) قال في بعضها :

نشأت في الافق العنيد با حثا | عن ثائر اني له ثوراتي
فاهاب بي اشعة تمرد وكدت ان | اسكو بشقوته على اللعنات
العمر وحدني به وتفرقت | في العمر عني ذاباته غاياتي

فهل تحس معي هذا الترتيب والغليان في داخله مع انه يطارد تسود فيه اجواء التشريع حتى في مجال العقاب ، واستمع له في قصيدته في ذكر الامام الصادق ع وهي لا تقل روعة عن رصيفاتها في كل المجالات : قال

يا فارس الخلد الذي كتبت له | سفر بحمراء العقول تفجر
اشرقت في روح الحياة فلم تجد | في الروح غير مدينة تتصحر
وحدت للصحراء حين تمردت | بالزيغ وانتفض الرعيل الاخضر الاخر ١/١

ص ٣

اجل ان هذه الظاهرة دون المعنى والصلابة في اجوائها الخاصة تتوضح في ابداع شعره في كثير من قصائده مما ينم عما اشرنا اليه من تنا على مع اهواء وتدفق ذلك.

وسيجد القارئ لشعره ملامح واسعة للجزيرة العربية بالهامها من عمق تاريخها وتراثها عروبة ولفتات تراثية يحتضن ذلك كله في عنايات الطفل الملهم لأمه تارة، وفي عنفوان المدلل بامجاده تارة اخرى، وفي اسى المتفجع من اذى نالها ونحن تلمست عليها فهو لم ينسلخ من جلده ولم يتنكر لتراثه، ولم يضعف ايمانه بان لها ما هو يتصف بالسمو والرفعة وتجدره على استعادة ذلك المجد ويبدو هذا المعنى منبثاً في اكثر من موضع ومن ذلك قصيدته اشتعالات في رماد الذكرى السنوية: قال:

الصحارى العرباء لم تتقلب ذات يوم على رمال شحاح
عزة العروبة الدم ما ماتت على كيد موجة من رماح
اقفلت باب حصنها ثم نامت في حنايات ورها بارتياح الاخرها

ولنستمع له في قصيدته تراتيل على نخيل يثرب: انها تراتيل جديدة وفيه مدعاة الى ابعد درجات الحرارة وغنية بعطائها وفيها ولناخذ منها مع فتح الملاحم قال:

ورنت لتطالعه الدهور فراعها فتح بها ضياء المجد معطب
ورنته طيفا بذاكرة المنى يزهو وطيبها شذا الفتوح مرحب
نسل العذارى عليه الف قبلة راحت تنازعه البريق وتشدب الازهار

ولا احتاج للتدليل على وجود ابعاد الجزيرة بيئة وحضارة منبثة في شعره متشابكة مع مواطن تنفسها تلقائيا بحكم كونه من احشائها ومن ابنائها الذين لم يتنصروا من انتمائهم على الدم واللحم بل هم لها استمراريه الجود انتماء وعاشوا نبضاتها بحرارة وشفقة.

اما الهموم الوطنية فليس نصيبها بقليل في شعر جاسم بل تكاد لا تخلو قصيدة من قصائده من لمحة في هذا الاتجاه. لقد قرأته في اكثر من نص يتحسس جراح المعذبين والمكادحين بحدة من محنة الاستلاب انه يقول في قصيدته (الحدس) من شتم التار:

اليمين نكلانا مصلوب من اجل النخام مصلوب من اجل الازهار
لا فرق شوى انك مصلوب الحسم داني مصلوب الاشعار
اليمين انا نا رغم الابعاد الزمنية ابكي احمد اد هدير الاحرار

وقرأته بما يحمل من اسى هادر مترقب لما اصاب دار السلام ولما انتهت اليه من مصير ماساوي دون المرء لقصيدته في رثاء الشيخ المفيد وفي ذكراه الالفية: قال مستطردا:

ياشيخ بغداد لو تدري بلوعتها لما استفرت على جنبات الترب دار السلام عشش في مناكبها ذالارهاب وانداس في جدرانها الزنب تلك الملاحم لا زهرت هياكلها وقوتها ثم في اعطافه الجرب

وفي غير قصيدة يبرز توجهه السياسي واهماله بصدد الرقي عنده الى الوطن الاوسع ويتمسك بالعقيدة والدم في ابعاده الى ابناءها وهناك مزيد لو وجد له مدى اوسع يلمس كل ذلك ليس في السطور فحسب، بل فيما تشعه السطور خارج الجمله مما يتبينه التامل الموهوب عند النقاد.

ص ٤

يبقى القدر المشترك الذي يعرب عنه مزاج متجذر في الدم واللحم ومتأصل بالروح ووقع على كل وسائل التعبير يدركه القارئ بدون جهد أو إعمال فكر بأنه ولائه لأهل البيت ولمن ترسم خطاهم وسار على هديهم وهو ولاء لا يقف عنده على حدود التقليد أو الميراث من الآباء والأهل بل ينبعث عن وعي أصيل بها ثم وفهم عميق لما يستوجب به وهو في الوقت ذاته ولاء مهذب غير متطرف ولا متوسل بي كما أنه يرقى إلى درجة العشق وأصيل لا مكان فيه لتصنع أو تقليد يبدو إلا في نطاق التلاقي والمسايرة والزمان على ذلك في الحظوة نفسها بما تحمله من صدق في الأداء وحرارة في الأجواء

وسأقتصر في لفت نظر القارئ على بعض الشواهد محيلاً له إلى نص الديوان لمن يرى بينة هذه الظاهرة الماثلة في أدبه ولنا خذ مثلاً قصيدته في رحاب الإمام علي:

ومطلعها: حيرتني نجواك من طوال فابتعثتني ملائك الخيال

وما أروع هذه المحاولة للتخلص من الحياة المشحونة والتمحض للروح حتى يدعم روحاً عمد به في سنخيته موحدة وفي لهم وإدراك إلى سمو من يخاطب وذلك منها فيقول

هكذا أينعت الهوى علويا في ترددات الغرام في أوصالي
وتشيع السنين والعمر بالزهو داعياً حيث راحة الأطفال
وأنا واحد الحقيقة في العشق سواء قربها رتبة وانحلالي

ومثال آخر قصيدته في الزهراء فاطمة عليها السلام التي قال في مطلعها:

حملت كل جراح الأرض في ذاتي وجئت أطرق أبواب السماوات ثم قال
هي الرسالات لم تضلع قوافيها في المسالك الوعر إلا بنت الرسالات
حملتها وانقضت الدهر صاعقة لم تثن خطوك ذات العزم العاتي الخ

ومثال ثالث: قصيدته في رحاب الإمام الحسين عليه السلام ذات المطلع:

توقفت فوق أوتاري تراتيلي بما تبقى لها من جهد صوتي حتى قال
في غرفة الوحي حيث المصطفى تعتمد أعضاءه يتلقى سورة الدين
وحيث زهراء في ظلمتها تحدثت بالغيب فعلق حمد والعالم الدوني
فأعلمت حرفة من أنف فاطمة لا إشارة من أنف جبريل

أنني هنا لا أريد في موضوع ولائه لأهل البيت لا تغنيني الديباجة ولا تراكيب الجمل وإنما يشدني هذا الولاء الصادق المتدفق وهو من سمات الأدب الشيعي — أنني أدرك أن هدوء خشوع سابعد في محراب الولاء يرسمون بانتظام مناجاة صوفية ودينية وعليه نبرة الاعتزاز بهذا الانتماء والعرفان من المنابع إلا الإيمان وما هو من ثمرات الإيمان كما ينم عن تمحيص احتقرت التيار الذي يرى في مثل ذلك تقوقعاً يؤدي إلى مذهبية تحول دون فتح النوافذ أمام الشاعر، وهؤلاء يحتقرون حملة المبادئ وأصحاب الرسالات خصوصاً ومن النجوم الذين علماء للإسلام وذخيرة للمؤمنين وهؤلاء إذا تفاعلت معهم الأفكار والإنسان شجونها ورصيف منه بعطاء بحر كمدد لقد وجدت نهاية الورد فأنه وجدت أيضاً قبل

ص ٥

ويصعب السيد الكلام فالقارئ هنا يقرأ شاعراً اجتمعت له من مقومات الشعر أكثرها وهو في
طريقه لاستيعابها وإن شئت قلت إن أهم المقومات تتوفر له [illegible]
عالية المضمون ودينامية مشرقة خلت مما يؤذي الحس أو يخدش السمع [illegible]
[illegible] وتحمس تترجم كلمات تثير النفوس ورسالة وتعرف الشعر في درب الشرق
وجهة [illegible] له الغاية النبيلة ورفعته عن الحضيض [illegible] به التواشيح [illegible]
وما أود أن أختم به هذه الإطلالة المختصرة على شعر الأستاذ جاسم [illegible] غير
منصفة لقلة ما فيه [illegible] في المقام مجال للأكثر ولكن ما يعيشه الإنسان أحياناً من التزامات
أكبر من جهده ووقته وقد تحمل جملة صغيرة من النقص ما لا يحمله كتاب إذا كانت معبرة
وقبل أن أختتم هذا التقديم المختصر أقول للشاعر إنك موهوب وعندك عطاء
ويتعين عليك أن تقطع الشوط إلى النهاية [illegible] من جديد [illegible] الناجح
مقدماً له الجهد والتعب كما أقول لقارئ هذا الديوان أن يكرر قراءته أكثر
من مرة فهو كما يقول الأديب [illegible] والمسك ما كررته يتضوع وصلى الله تعالى
على من قال إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة والحمد لله أولاً وآخراً

أحمد الداراني

دمشق ١٧ شوال ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم أبا حيدر دام محترماً

تحية طيبة وشوق لكم أرجو أن تكونوا
مع الأهل والأطفال بخير. ما أشد شوقي للقاء
نحن هنا بخير الأخوات يسلمون عليكم. سأكتب
لك القصائد في ذيل الرسالة فإذا لزمتك أية
حاجة أكون مسروراً لقضائها. أرجو الإبلاغ تحياتي
لكل من يكون في ناديك وخصوصاً السادة
[illegible] و[illegible] وأبو أركان مع ولده. تحياتي
للعلامة ابن علي الصدر الذي أرجو أن [illegible]
[illegible] وللسيدة الكريمة [illegible] و[illegible]
[illegible] السيد عبد الزهراء [illegible]
[illegible] أكون [illegible] الأشواق [illegible]
والعائلة يسلمون على الأهل [illegible] ودم موفقاً

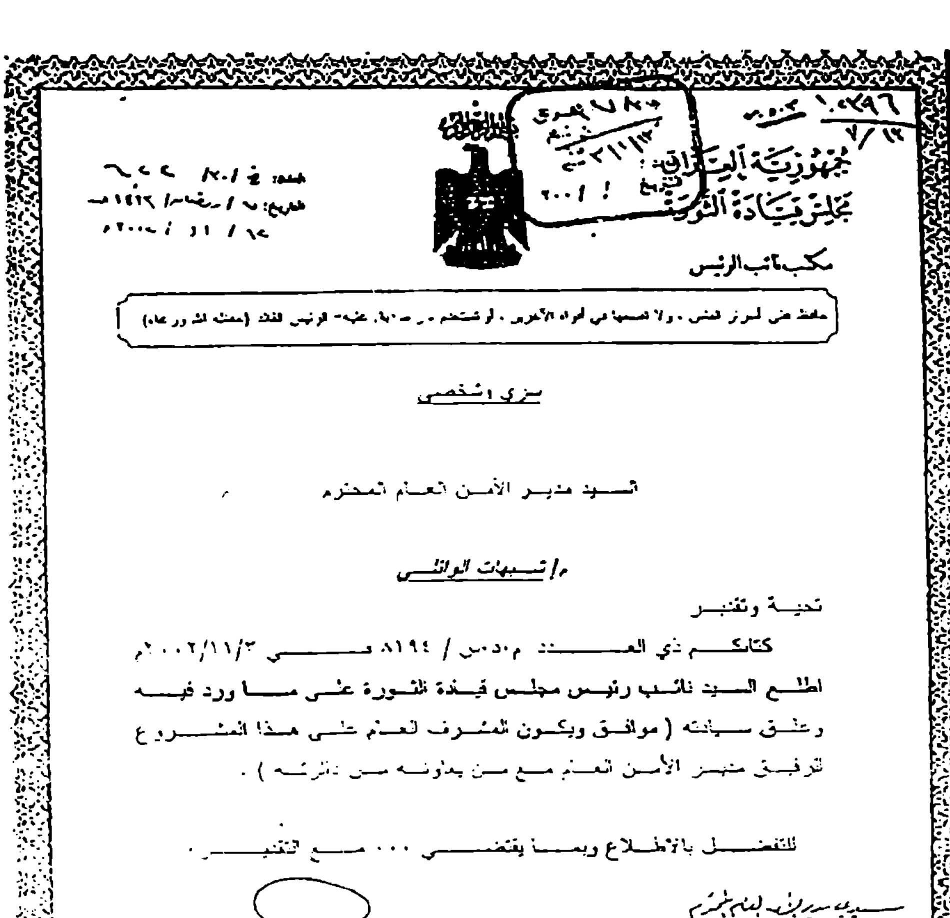
أخوك الوائلي

٩٥/٧/١٥

الأخ أبو حيدر [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] العائلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

أول سنة ١٩٩٤
بعد وفاة ابنها [illegible]

11 - Hyde PARK [illegible]
FLAT 5 W2 2LU
London . UK
ALWILI



الجمهورية العراقية
مجلس قيادة الثورة
مكتب نائب الرئيس

العدد: ٨٠١/ع ٢٠٢٦
التاريخ: ٥/ رمضان/ ١٤٢٣ هـ
١٠/ ١١/ ٢٠٠٢م

حافظ على السر المهني ، ولا تفشها في اوراد الآخرين ، لو تستخدم . . . (القائد صدام حسين)

سري وشخصي

السيد مدير الأمن العام المحترم

م/ شبهات الوائلي

تحية وتقدير

كتابكم ذي العدد م٥د٥س/ ٨١٩٤ في ٢٠٠٢/١١/٣م
اطلع السيد نائب رئيس مجلس قيادة الثورة على ما ورد فيه
وعلق سيادته (موافق ويكون المشرف العام على هذا المشروع
الرفيق مدير الأمن العام مع من يعاونه من دائرته) .

للتفضل بالاطلاع وبما يقتضي ... مع التقدير .

محمد إبراهيم خليل
المدير العام
١١/ ١١/ ٢٠٠٢

سري وشخصي

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
رئاسة الجمهورية - السكرتير
مديرية الأمن العامة



الطريق المجرب ليس هو الافضل دائما ، والحكمة ليست في اهماله دائماً .
من اقوال الرئيس القائد صدام حسين

العدد : م٠د٠س / ٩٤ / ٩١١٩٦
التاريخ : / / ١٤٢ هـ
٢ / ت٢ / ٢٠٠٦م

السيد نائب رئيس مجلس قيادة الثورة المحترم

م / تسجيلات الوائلي

نود أطلاع سيادتكم على الآتي :

١. انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة الاستماع الى احاديث المجرم الهارب (الدكتور أحمد الوائلي) في الأسواق العامة والدور السكنية وسيارات الأجرة وبعض السيارات الحكومية وذلك عن طريق اذاعة ايران الناطقة باللغة العربية والتي تبث برنامجه اليومي في ثلاثة اوقات ، اضافة الى انتشار اشرطة كاسيت مسجلة بصوته بين المواطنين داخل القطر والاستماع اليها في الدور وسيارات الاجرة (النقل الخارجي) العاملة على خطوط القطر الاوسط والمحافظات الجنوبية .

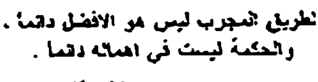
٢. ادخلت هذه المحاضرات الهدامة في الأشرطة الضوئية (C.D) وكذلك ضمن منظومة شبكة المعلومات الدولية (الانترنيت) لذلك توسع تداولها .

٣. المتابع لهذه المحاضرات يجدها تحتوي على معلومات طائفية بحتة واحاديث مكذوبة على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وتأويلات باطنية للآيات القرآن الكريم ، وذكر روايات محرفة ومكذوبة على آل البيت الأطهار ، ومتعمقا في أقوال

—

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
رئاسة الجمهورية - السكرتير
مديرية الأمن العام



الطريق المجرب ليس هو الأفضل دائماً،
والحكمة ليست في اهماله دائماً.
من أحاديث الرئيس القائد صدام حسين

العدد: ٨١٩٩
التاريخ: / / ١٤٢ هـ
٢ / ت / ٢٠٠٧ م

الصحابة الكرام والتابعين وعلماء السلف والخلف ومخالفة صريحة لإجماع المسلمين.

٤. يحاول المذكور من خلال ذلك زرع سموم الطائفية بين المسلمين وبث روحيا الصفراء في بلدنا الصابر المجاهد، وإن تنوع انتشار هذه المحاضرات المسموعة في وسائل متعددة ومختلفة له الأثر البالغ في ترسيخ هذه الأفكار الضالة في عقول المسلمين مما يزيد من حدة احتلافهم وابتعادهم عن النهج السليم الذي تهدف اليه الحملة الإيمانية، وبالتالي تحدث الفرقة ويزداد التنافر بينهم وبين ابناء المذاهب الأخرى وهذا ما يسعى اليه أعداء الدين والوطن الذين يحرصون على إدامة هذا الخلاف المفتعل وابعادهم عن انوار الوسطية الروحية التي شرعاها حملة الإيمان تلك التي يرفع لواءها عالياً السيد الرئيس القائد المجاهد صدام حسين حفظه الله ورعاه.

٥. من أجل مواجهة هذا النشاط الضال تمنا بفتح حوار مع بعض الأساتذة المختصين حول هذا الموضوع الخطير وكيفية معالجته بالطرق والوسائل الهادئة التي تتميز بالرقة والنفس الطويل والسرية التامة والتي تحدث

٢ — ٥

بسم الله الرحمن الرحيم



جمهورية العراق
رئاسة الجمهورية - السكرتير
مديرية الأمن العام

الطريق المجرب ليس هو الأفضل دائما ، والحكمة ليست في امهاله دائما .
من وصايا الرئيس القائد صدام حسين

العدد :
التاريخ : / / ١٤٢ هـ
/ / ٢٠٠ م

حسن المسلمين) ليقوم بالقائها الملاك المختص بهذا الموضوع وبإشراف مباشر من قبل مديريتنا ، ثم يتم تسجيلها في أشرطة صوتية خاصة لغرض نشرها في الجامعات والكليات وفي سيارات الأجرة والنقل العام وكذلك بيعها في الأسواق من خلال محلات التسجيل الصوتي لتأمين انتشارها .

د/ أعداد برنامج تلفزيوني يبث في القناة العامة والفضائية من قبل شخصية علمية مرموقة يتحدث عن تفسير كتاب الله سبحانه وتعالى بأسلوب علمي وروحي مؤثر يبث كل اسبوع بشكل منتظم لغرض استقطاب ابناء المذاهب الإسلامية جميعاً اليه واحداث التوازن المقبول ليقابل ما تبثه الإذاعة الإيرانية من محاضرات مسموعة للمذكور ولغيره من دعاة الطائفية الهدامة .

هـ/ توجيه بعض الخطباء الجيدين ممن يجيدون فن الخطابة بأسلوب رصين للرد على طروحات الوائلي بشكل هادئ دون الإشارة الى اسمه موضحين بذلك أقوال العلماء في مثل هذه الطروحات الهدامة بلين مرة وأخرى

و/ العمل على طبع كتاب خارج القطر يحمل عنواناً صريحاً

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العراقية
رئاسة الجمهورية - السكرتير
مديرية الأمن العام



الطريق المجرب ليس هو الأفضل دائماً، والحكمة ليست في امثاله دائماً.
من اقوال الرئيس القائد صدام حسين

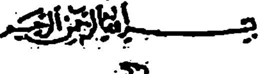
العدد:
التاريخ: / / ١٤٢ هـ
/ / ٢٠٠ م

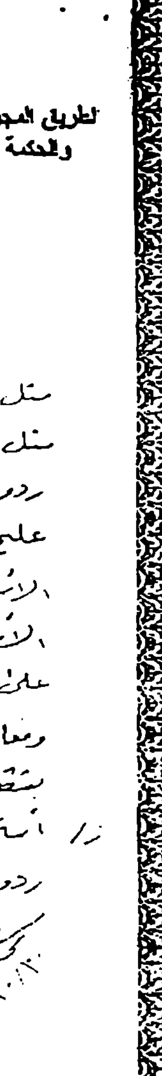
تغييراً مؤثراً بصورة تدريجية، مستفيدين من الأشرطة المسجلة والمتوفرة لدى هذه الدائرة، والخاصة بمحاضرات المذكور وكذلك وقوفنا على موقع المجرم المذكور في شبكة المعلومات الدولية (الأنترنيت) والتي أدخل فيها معظم محاضراته ومقالاته المشبوهة، ومن اجل مواجهة هذه الأفكار نقترح الآتي:

أ/ تشكيل لجنة من الأساتذة المختصين بالعلوم الإسلامية وبالاختصاصات المطلوبة وبإشراف مباشر من قبل مديريتنا لدراسة هذه المحاضرات بشكل دقيق وتسجيل الملاحظات السلبية للرد عليها لاحقاً.

ب/ قيام مديريتنا بالتنسيق مع الأساتذة المذكورين بإعداد المقالات الصحفية التي تنشر في الصحف اليومية والأسبوعية للرد على افكار وطروحات الوائلي بشكل هادئ وتفنيد اقواله دون الاشارة الى اسمه الصريح وإنما يشار الى عناوين هادفة مثل (اقوال السبئية المنحرفة أو مشعوذات وأباطيل يجب ان تمحى من التاريخ) وغيرها.

جـ/ إعداد محاضرات في اذاعة القرآن الكريم تحت عناوين هادفة مثل (دسائس اليهود وأثرها في تفرقة وحدة





جمهورية العراق
رئاسة الجمهورية - السكرتير
مديرية الأمن العام

الطريق المجرب ليس هو الأفضل دائماً ،
والحكمة ليست في أمثاله دائماً .
من أقوال الرئيس القائد صدام حسين

العدد :
التاريخ : / / ١٤٢ هـ
/ / ٢٠٠ م

مثل (مناقشات هادئة لأقوال الوائلي) وبأسم مستعار لمؤلفه
مثل (تأليف الدكتور حسن الكاتب) ويحتوي هذا الكتاب على
ردود قوية ودراسة علمية موضوعية لأقواله الهدامة والرد
عليها وتفنيدها بالأدلة المعتبرة من مصادر التشريع
الإسلامي، ويتم ترويجه في الأسواق ونشره من قبل مصادرنا
الأمنية بين الطلبة في الجامعات والكليات، وكذلك الاعتماد
على الملاك المتقدم في حزبنا القائد لترويجه بين أصدقائهم
ومعارفهم بأسلوب هادئ وبما يؤمن وصوله إلى المتأثرين بأقواله
بشكل فعال ومؤثر.

ز/ استمرار اللجنة المذكورة بمتابعة الموضوع لغرض الوقوف على
ردود الأفعال وتجاوز السلبيات من خلال نشاطها اللاحق.

يرجى التفضل بالاطلاع والتنسيب..

مع التقدير

مدير الأمن العام
شعبان ١٤٢٣هـ
/ ت٢ / ٢٠٠٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مديرية الأمن العام — مذكرة داخلية

سرية

الى/ السيد م. العام المحترم

من/ مدير د. س

الموضوع/ مشاهدات الوائلي

٢٦

التاريخ ١٨/ ١/ ٢٠٠٣

تحية وتقدير:

بناءً على توجيهات السيد العام المحترم خلال المذاكرة مع سيادته نود اطلاعكم على الاتي:-

١. تم الاتصال بالسادة العلماء والمفكرين الذين تم ترشيحهم للمساهمة في هذا المشروع وقد رحبوا جميعاً بهذا العمل الذكي ووصفوه بأنه عمل جهادي وعبروا عن رغبتهم بالمساهمة فيه بإمكانياتهم العلمية على وفق الصيغ التي سيعتمد عليها المشروع.

٢. من خلال اطلاعهم على الكتب والاشرطة الصوتية والاقراص الصوتية (C.D) والتي تتضمن احاديث ومحاضرات الوائلي والتي تم توفيرها من قبلنا فقد حددوا المحاور الرئيسية التي تتطلب الرد عليها من خلال المقالات الصحفية والبرامج الاذاعية وغيرها:-

٣. موضوع الخلافة وما يثار حولها من ... [illegible]

١ – ٤

ملاحظات وتوجيهات السيد العام المحترم	
	ب. عدالة الصحابة الكرام ومحاولات لبعض تشويه حقيقة الكثير من مواقف الصحابة. ج. التشكيك بالسيرة النبوية والطعن بالاحاديث النبوية الشريفة. د. التطرف في ادعاء حب آل البيت واتهام الاخرين بكرههم لهم. هـ. زيارة المراقد وكيف يجب ان تكون الزيارة الشرعية. و. عرض سيرة وحياة آل البيت الكرام بصورتها الحقيقية وازالة ما دخل فيها من اباطيل ومفاهيم خاطئة. ز. التركيز على موضوع تفسير بعض الآيات القرآنية من قبل الوائلي والتي تخدم توجهات اعداء الاسلام وتخالف اجماع علماء الامة من المفسرين. ح. التعرض لتاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر الاموي والعباسي، بشكل يسيء الى موقف العرب واذكاء نار الفتنة والتفرقة بين المسلمين. ط. توجيه موضوع زواج المتعة وتطهير المجتمع العراقي من الاخلاق الفاسدة التي تسعى الطلائعية التي زرعها فيه. ٢. الاساتذة الذين لم ترشيحهم في

ملاحظات وتوجيهات السيد العام المحترم	
	حول موضوع بث الاحاديث الدينية من
	خلال الاذاعة والتلفاز.
	٢: تحقيق لقاء مع بعض الاساتذة الذين
	تم تكليفهم بهذا المشروع مع السيد العام
	المحترم لسماع توجيهاته التي ستؤدي
	الى اندفاعهم في تنفيذ المشروع
	وتفضلكم مع التقدير
	[signature]
	عقيد أمن
	مدير الدراسات السياسية
	٢٠٠٦/١١/١٣
	السيد العام المحترم
	تحية وتقدير
	نرجو التفضل بالاطلاع، وامركم حول المفاتحة
	السيد مدير الاعلام حول ما ورد بالمقترح الاول
	وأرى ان ننتخب شخصيات تحظى بتأييد شرائح
	من المجتمع فيما يتعلق ببث الاحاديث المتوخاة
	ولسيادتكم الرأي فيما يتعلق بالمقترح الثاني
	مع التقدير
	[signature]
	م. العام
	٢٠٠٦/١١/١٥

الفقرة الاولى : لجنة من المختصين

١- الدكتور داود سلمان محمد الدليمي
٢- الدكتور زياد صالح العاني
٣- الدكتور فهمي القزاز
/ ١ اختصاص حديث نبوي شريف ٢ كومبيوتر.

٤- الدكتور محمد رمضان عبدالله
٥- الدكتور محمد بشار الفيضي
٦- الدكتور شاكر ابراهيم الشمري
/ اختصاص العقائد والفكر الاسلامي

٧- الدكتور محسن عبدالحميد
٨- الدكتور عبدالقادر عبدالله العاني
٩- الدكتور فيضي محمد امين الفيضي
/ علوم القرآن الكريم والتفسير

١٠- الاستاذ علاء المدرس / باحث اسلامي
١١- د. عبدالغفور محمد طه القيسي

الفقرة الثانية :

م- المقالات الصحفيه الهادفة :

١- الدكتور محمد رمضان
٢- د. محمد بشار الفيضي
٣- د. شاكر ابراهيم الشمري
٤- د. عبدالقادر عبدالله العاني
٥- د. فيضي محمد امين الفيضي
٦- د. زياد صالح العاني
٧- الاستاذ علاء المدرس

— ١ —

ب : المحاضرات في اذاعة القرآن الكريم :

١- د. محمد بشار الفيضي
٢- د. داود سلمان صالح محمد
٣- د. فهمي القزاز
٤- د ثائر ابراهيم خضير
٥- د. فيضي الفيضي
٦- الاستاذ علاء المدرس
٧- د. عبد الغفور محمد طه القيسي

* * *

ج : برنامج تلفزيوني :

١- الدكتور سعد الله احمد عارف
٢- الاستاذ عبد الحميد العبيدي [illegible]
٣- الاستاذ الدكتور محسن عبد الحميد

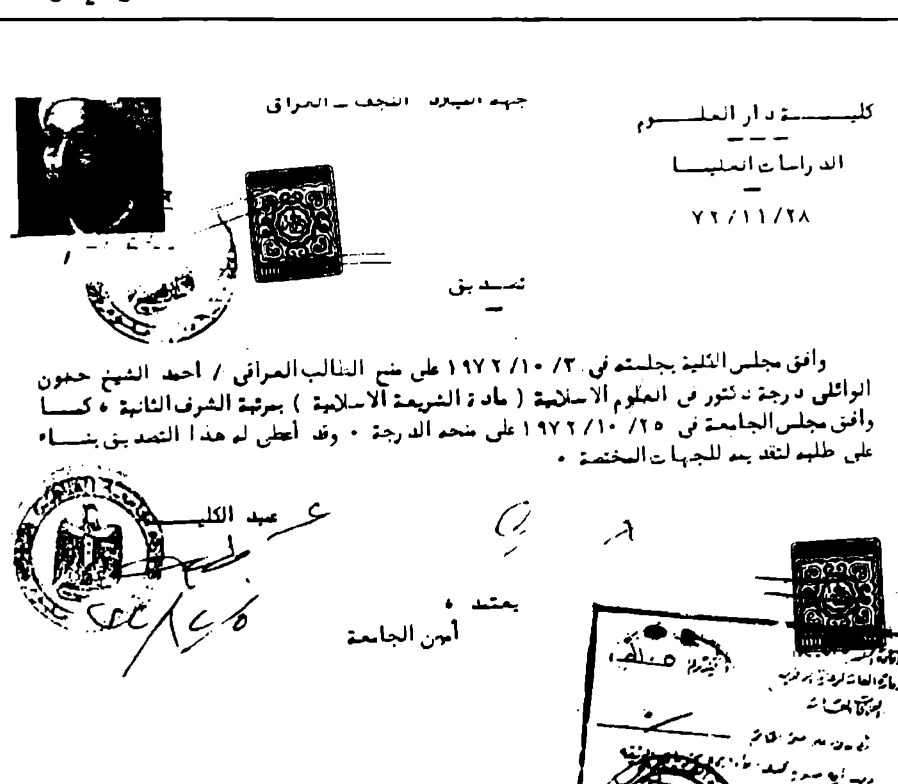
* * *

الفقرة الثالثة : اعداد كتاب باسم مستعار

١- الدكتور محسن عبد الحميد (١)
٢- الدكتور داود سلمان الدليمي .
٣- الاستاذ علاء المدرس (٢)

---

(١) زعيم الحزب الإسلامي العراقي معروف بالطائفية.
(٢) بعثي إسلامي من أهالي الأعظمية.



كليـــــة دار العلـــوم

الدراسات العليـــا

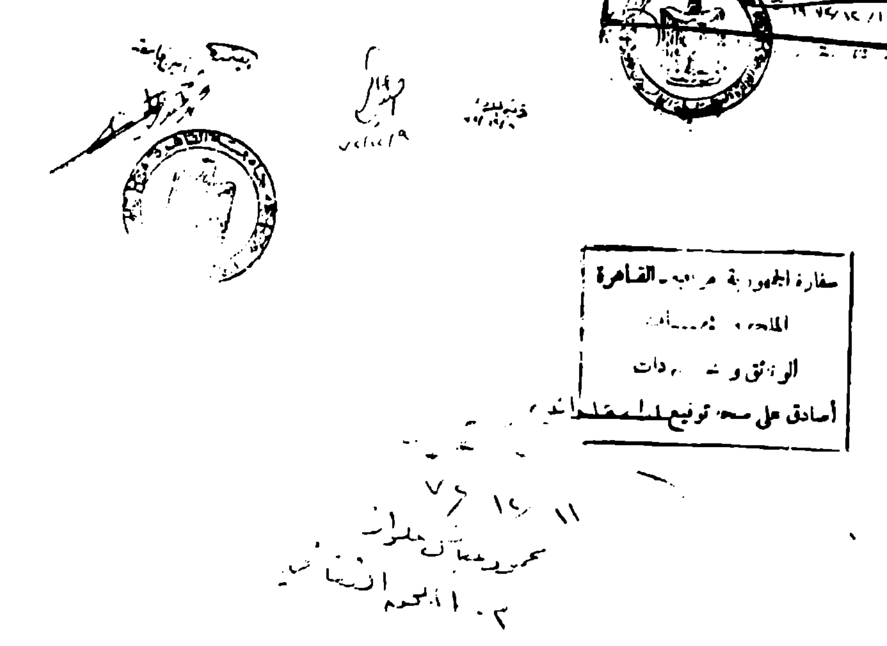
٧٢/١١/٢٨

جبهة الجبار النجف ـ العراق

تصـديق

وافق مجلس الكلية بجلسته في ٣/ ١٠/ ١٩٧٢ على منح الطالب العراقي / احمد الشيخ حسون الوائلي درجة دكتور في العلوم الاسلامية (مادة الشريعة الاسلامية) بمرتبة الشرف الثانية ، كما وافق مجلس الجامعة في ٢٥/ ١٠/ ١٩٧٢ على منحه الدرجة . وقد أعطى له هذا التصديق بنـاء على طلبه لتقديمه للجهات المختصة .

عميد الكلية



يعتمد ،

أمين الجامعة

سفارة الجمهورية العراقية ـ القاهرة

الملحقية الثقافية

الوثائق والشهادات

أصادق على صحة توقيع

٧٢/١٢/١١



المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

معهد البحوث والدراسات العربية

مكتب رئيس المعهد

القاهرة فى ١٧ يونيو ١٩٧٤

١٧٤٦

السيد الاستاذ الملحق الثقافى

بسفارة الجمهورية العراقية بالقاهرة

تحية طيبة وبعد

فبناء على ترشيح سيادتكم للسيد الدكتور احمد حسون الوائلي للقبول بالمعهد (قسم الاقتصاد) برقم ٢/٢٠٢٢ بتاريخ ١٧/١٢/١٩٧٣ أتشرف بالافادة بأن المعهد قد قبل سيادته على منحة تفرغ بقسم البحوث والدراسات الاقتصادية فى العام الدراسى ٧٤/١٩٧٥.

وتفضلوا بقبول فائق التحية ،،،

[توقيع]

الاستاذ الدكتور محمد صفى الدين أبو العز

رئيس المعهد

جامعة القاهرة
كليـــة دار العلـــوم
الدراسات العليـــا

بسم الله الرحمن الرحيـــم

" تقرير لجنـــة الحكـــم "

عن الرسالة المقدمة من السيد / احمد الشيخ حسون الوائلي / العراقي للحصول علـــى درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم جامعة القاهرة في العلوم الاسلامية (مادة الشريعـــة الاسلامية) وموضوعها :

" الاستغلال وموقف الاسلام منـــه "

بناء على قرار مجلس الكلية في ٧/ ٩/ ١٩٧٢ بالموافقة على تشكيل لجنة الحكم على الرسالة وموافقة سيادة الاستاذ الدكتور وكيل الجامعة لشئون الدراسات العليا والبحوث الجامعية في ١٩/ ٩/ ١٩٧٢ على التشكيل المقترح .

اجتمعت اللجنة في قاعة المحاضرات (ل) في تمام الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الاربعاء الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٧٢ . وبعد افتتاح الجلسة طلب الى السيد صاحب الرسالة أن يلخص موضوع رسالته حتى يتسنى لحضرات الحاضرين أن يلموا بموضوعات الرسالة الماما يساعدهم على متابعة المناقشة فشرع يشرح منهجه في بحثه وأنه يشتمل على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبـــواب وخاتمة . تناول في المقدمة الدافع لاختيار البحث وفي التمهيد مظاهر الاستغلال فـــي المجتمعات . ومثل له بنماذج وكيف كافح الاسلام الاستغلال وتناول في الباب الأول بفصوله : تعريف العمل وتقسيمه وتقسيم العمال . واستعرض بعض استعمالات القرآن والسنة للعمـــل بمفهومه الاقتصادي وغيره . وتناول مسئولية الدولة من اعالة العاطل وتوفير العمل له وعمـــل المرأة والصبي ودرس في الباب الثاني بفصوله : معنى الاستغلال وحماية العامل من السرقة والطرق التي يسرق منها وكيف عالج الاسلام ذلك ثم انتقل الى مجالات عمل الأجر وتضمين العامل وعدمه . وأما الباب الثالث بفصوله فقد درس فيه العناصر الاساسية للاقتصاد والاسلام وشرح بعض الجوانب البارزة فيه . وفي الخاتمة دعا العمال المسلمين الى الثقافات الاسلامية التي لها علاقة بالعمل والعمال ... الخ .

تناول الباحث ذلك كله في ايجاز وبأسلوب مركز في أناة وتمهل في الالقاء وبمنطق سوي ولسان طلق استهوى آذان السامعين وبعد أن انتهى من عرض موضوعه شرعت اللجنة في مناقشة الباحث من جميع النواحي : من ناحية التخطيط والترتيب والتقسيم ومن ناحية الاسلوب ومن ناحية بعض الاخطاء المطبعية التي لابد للباحث فيها ومن ناحية الموضوع فلم يترك صغيرة أو كبيرة الا كانت موضع نقاش وكان الباحث ملما بموضوعه فكان يجيب عن كل مايوجه اليه من أسئلة واستفسارات . وكانت المناقشة تشتد أحيانا وتهدأ أحيانا وكان جمهور الحاضرين يتابعون المناقشة باهتمام وشوق حتى اشرفت الساعة على الحادية عشرة والنصف وقد استغرقت المناقشة نحو أربع ساعات كاملة .

ثم بعد ذلك اجتمعت لجنة الحكم على الرسالة للمداولة والمشاورة فيما يستحقه صـــاحب الرسالة من تقدير وفي النهاية اتفقت منحه درجة دكتور في العلوم الاسلامية (مادة الشريعـــة الاسلامية) بمرتبة الشرف الثانية . ثم اعلنت ذلك امام الحاضرين . تحريرا في ١٢ من شعبان سنة ١٣٩٢ هـ يوافق ٢٠ من سبتمبر سنة ١٩٧٢ م .

اللجنـــة

توقيع (الشيخ عبد العظيم معاني) توقيع (د . مصطفى زيد) توقيع (الشيخ علي الخفيف)

صورة طبق الاصل :

١٩٧٢/٩/٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة بغداد

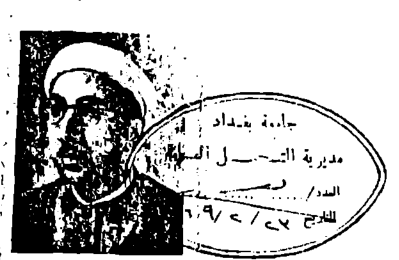
مديرية التسجيل العامة



ختم الواردة

الرقم و ثابته/ ١٢٥......

التاريخ ٢٧/ ٢/ ١٩٦٩



الى :- جامعـــة الازهــــــر

م/ وثيقــة تخــرج

نــؤيــد لكم بان السيد احمد حسون الوائلي المثبته صورته اعـــــــلاه قـــد اكمل كافة المتطلبات الدراسية للماجستير ــ في الشريعة الاسلاميه واجتـاز الامتحان بنجاح وبتقدير (جيـد) بتاريخ ٢/ ٢/ ١٦٩ وذلك بموجب الامـــــــر الجامعي المرقم ٦٦٥٣ والمؤرخ في ١٣/ ٢/ ١٩٦٩٠



مقبولـــه الحلـــــــــي

ع٠المسجل العام

نسخة منه الى /ـ

الدراسات العليا -

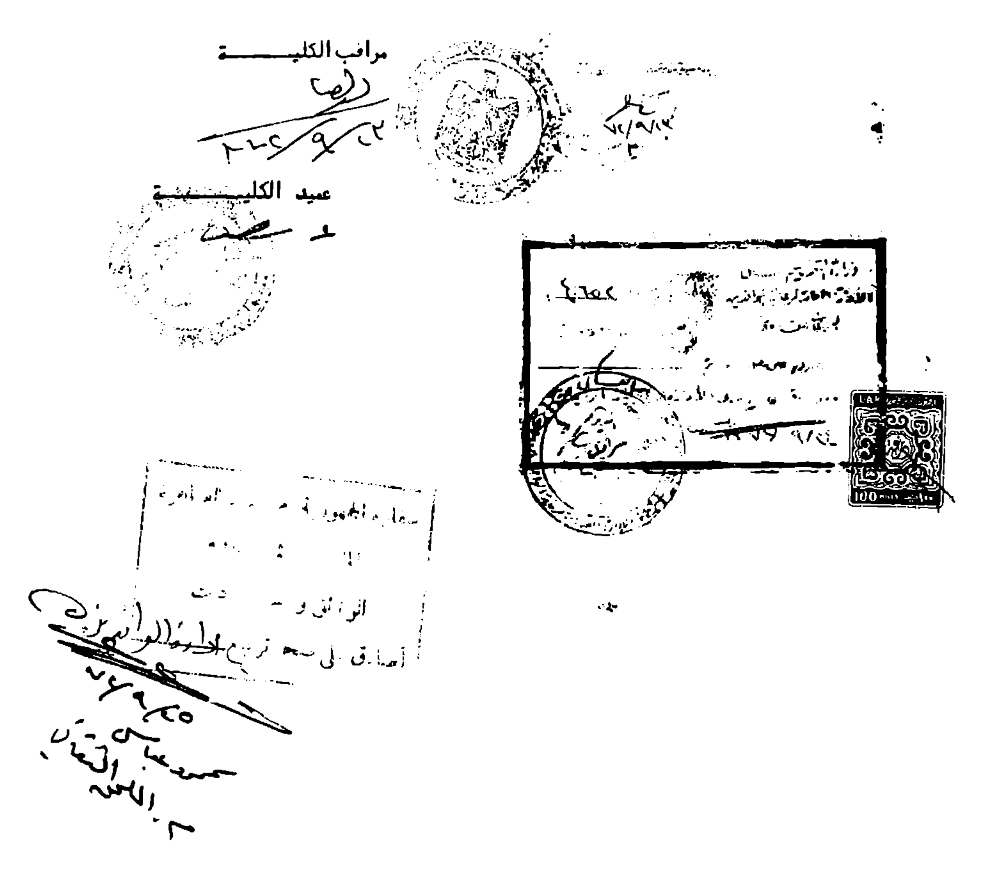
جامعة القاهرة
كليــــة دار العلـــوم
الدراسات العليـــا
٧٢/٩/٢٣

تصــديق

اجتمعت اللجنة المشكلة لمناقشة رسالة دكتوراه الطالب العراقي / احمد الشيخ حسون الوائلي في مساء يوم الاربعاء الموافق ٢٠/ ٩/ ١٩٧٢ وعنوانها : " الاستغلال وموقف الاسلام منه " باشراف الاستاذ الشيخ عبد العظيم معاني ،وقررت اللجنة بعد مناقشته منحه درجة دكتور في العلـــوم الاسلامية (مادة الشريعة الاسلامية) بمرتبة الشرف الثانية . وقد أعطي له هذا التصديق بنـــاء على طلبه لتقديمه للجهات المختصة .

مراقب الكليــــة

عميد الكليــــة



بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العراقية

رئاسة جامعة بغداد
الذاتية

العدد / ٦٦٥٢
التاريخ / ١٧/ ٢/ ١٩٦٩

امر جامعي

م/ منح درجة ماجستير

لما كان السيد احمد الوائلي قد انهى كافة المتطلبات الدراسية للماجستير في الفقه والشريعة واتم اطروحته (احكام السجون في الشريعة والقانون) واجتاز بنجاح حسب توصية لجنة الامتحان الخاصه المؤلفة بموجب الامر الجامعي المرقم ٣٩٢٧٣ والمؤرخ في ٣١/ ١٠/ ١٩٦٨ .

تقرر منحه درجة الماجستير في الفقه والشريعة بمرتبة جيد اعتبارا من ٢/ ٢/ ١٩٦٩ .

الدكتور جاسم محمد الخلف
رئيس جامعة بغداد

نسخة منه الى /-

مكتب السيد الرئيس
مكتب السيد مساعد الرئيس لشؤون البحث العلمي
معهد الدراسات الاسلامية العليا - كتابكم المرقم ٧٠/ظ والمؤرخ في ٩/ ٢/ ١٩٦٩.
عمادة كلية الاداب
عمادة كلية الشريعة
مديرية التسجيل العامه
ذاتية الجامعة
ملفة الكتب الصادرة
المومأ اليه /-...

فائقة / ١٦/ ٢/

صور الوائلي





الوائلي سنة ١٩٦٥



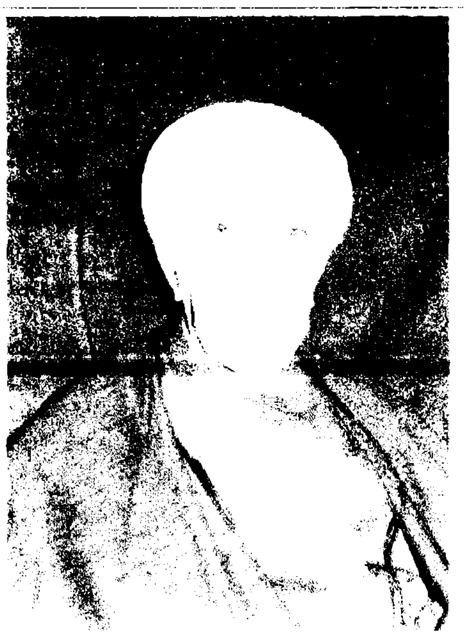
الوائلي عام ١٩٨٠



الوائلي ينظر إلى الكاميرا



الوائلي مع الزعيم العراقي
عبد الكريم قاسم بغداد ١٩٦١م



هكذا وإلا فلا



الوائلي في استديو المنار



الوائلي مقبلاً القرآن



الوائلي ساهماً في الكتاب العزيز

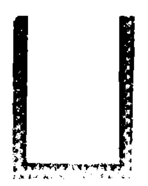


الوائلي عام ٢٠٠٠



هيهات أن يأتي الزمان بمثله







الوائلي بعد فراغه من الصلاة في محل السيد مضر الحلو



لسان الشيعة الناطق



الوائلي مع السيد عبد الزهراء الحسيني في دمشق



١٩٨٢ - من اليمن الحاج محمد رضا لطفي - والشيخ الوائلي - الشاكري - والشيخ مؤيّد



في إحدى حفلات النجف ويبدو في الصورة من اليسار: السيد مصطفى جمال الدين الشيخ أحمد الوائلي - الدكتور جواد العبادي - الشيخ محمد الحر العاملي.



أحمد الوائلي القاموسي مظفر الشذر



في إحدى الجلسات النجفية:

من اليمين: السيد علاء الدين، السيد أمير محمد القزويني، السيد محمد السيد عبد الكريم الصافي، الشيخ محمد مهدي الآصفي، الحاج سعيد عباس الشيخ، السيد مصطفى جمال الدين، الشيخ أحمد الوائلي، الشيخ محمد حسين الصغير.



في دار السيد عبد الله الغريفي



الوائلي والمفكر الدكتور جودت القزويني

لندن ١٩٩٩



المكتبة العامة في النجف - يوم الأربعاء ١٤/ ١٢/ ١٩٦٠م الشيخ أحمد الوائلي
وإلى يمينه السيد كاظم القزويني، وثلة من الشخصيات الإدارية



في المكتبة العامة في النجف ١٤/ ١٢/ ١٩٦٠م من اليمين السيد كاظم القزويني
مدير معارف لواء كربلاء، ويظهر الشيخ أحمد الوائلي في أقصى اليسار



السيد مهدي السويج
السيد المكي الوائلي دمشق



الوائلي
يتوسط محبيه الكويت



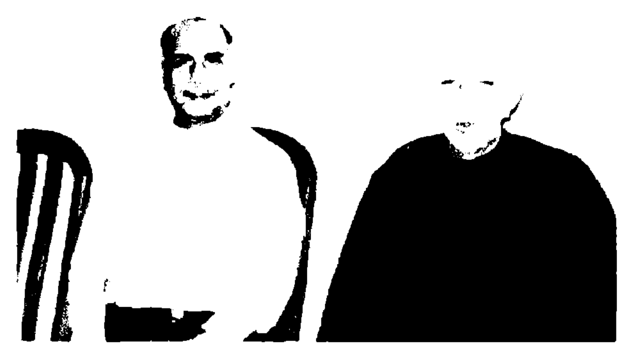
الوائلي حليف العلماء



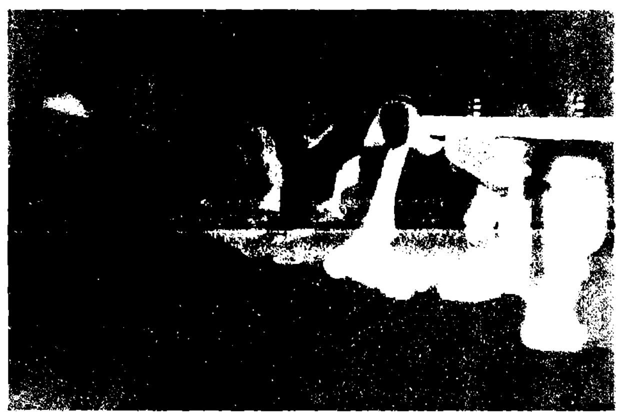
الوائلي مع الأستاذ السيد جعفر عبد الزهراء الحسيني والسيد غالب الحلو



السيد سعيد الحلو السيد عبد الحليم الحلو الوائلي السيد قاسم الغريفي والشيخ فندي الفرهود شيخ بني زريج السيد مضر الحلو. الجالسون حيدر الحلو صباح الخرسان أحمد خير الله هشام سعيد الحلو في منزل السيد مضر الحلو ٢٠٠١



الوائلي مع المرحوم
الحاج زكي ليلو البصري



الوائلي يؤم المصلين في مرقد حجر بن عدي ويبدو خلفه الحاج جواد الصفار والسيد مضر الحلو



في دمشق يودعه العراقيون



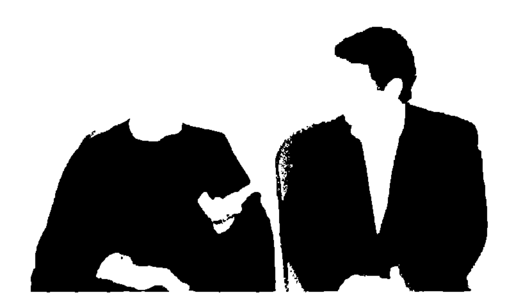
السيد المرتضى مع الشيخ الوائلي



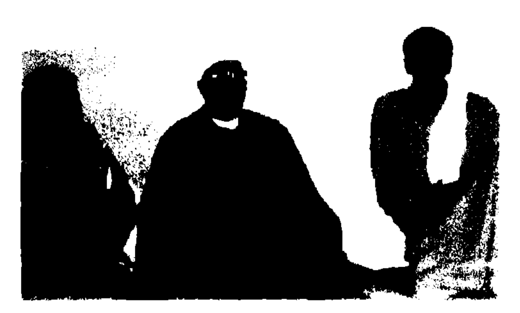
من اليمين السيد الصافي ثم الوائلي ثم الأستاذ ماجد الدهان - السيد ريسب (ع)



في شهادة الزهراء (ع) يتوسط ضيوفه في داره



الوائلي مع أبو حيدر الحلو



في الحسينية الخزعلية - الكويت



الوائلي في منزل العلامة السيد محمد الصافي



حامل لواء القران



من اليسار الوائلي ويبدو في حجره السيد محمد مضر الحلو والسيد عاشور والسيد ناصر الحلو



في تشييع السيد
المرعشي الرمزي
السيدة زينب (ع)



من اليسار الوائلي
السيد عامر الحلو
الشيخ الغروي السيد
داخل الشيخ المهاجر



الوائلي، السيد محمد بحر
العلوم، عبد الحليم الحلو في
[illegible]



الوائلي بين محبيه



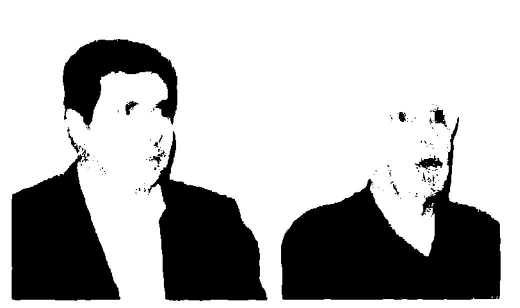
الوائلي
يصافح أحد المؤمنين العاجزين



في تشييع الكلبيكاني الرمزي
السيدة زينب (ع)

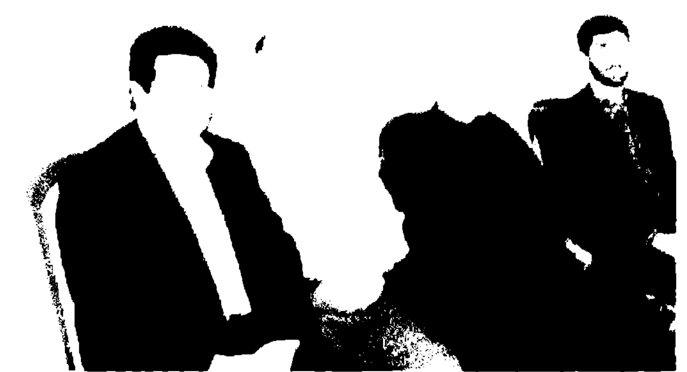


الوائلي يتوسط العلامة الصافي
والسيد مضر الحلو
٦



الوائلي
مع الوجيه السيد مضر الحلو

من اليسار السيد مضر الحلو ثم زكي ليلو ثم الشيخ الوائلي ثم السيد ناصر الحلو عام ١٩٩٦





الوائلي
متحدثاً إلى صحيفة كويتية



الوائلي اليوم قطب
وهم ما اخروا في القطب أو قدموا



الوائلي نازلاً من المنبر

الوائلي محاضراً

الوائلي ناعية الطف

ناعياً آل محمد

في الكويت



الوائلي يتحدث
إلى اعلامي كويتي







الملايين
تشيع الوائلي

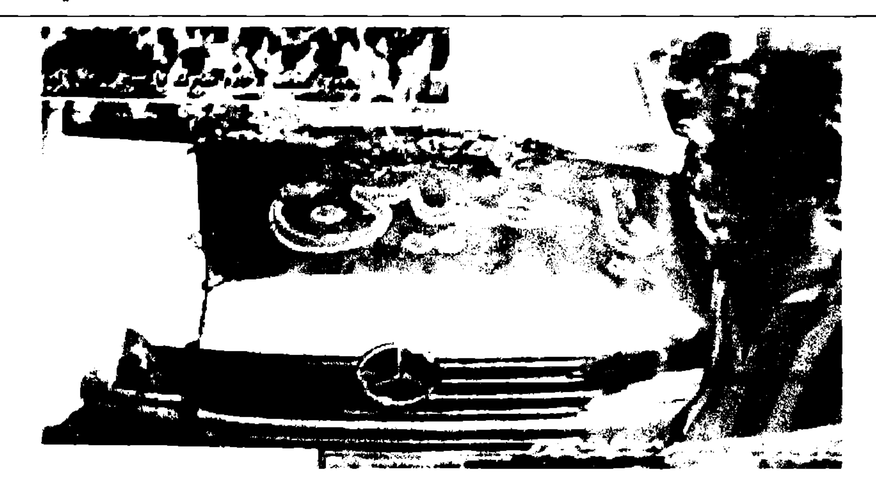




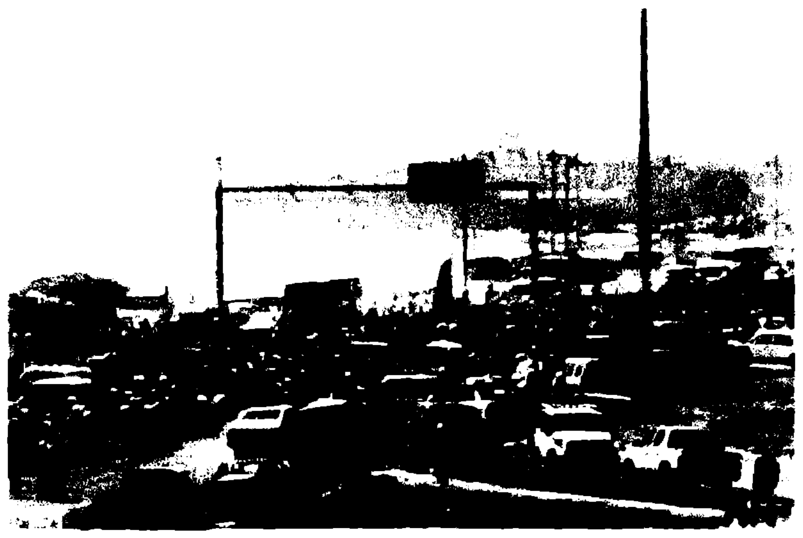




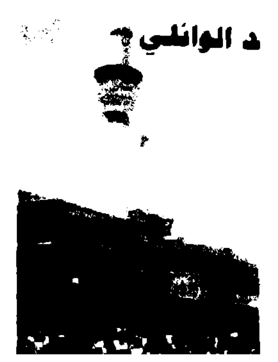
عدد من المواطنين ينتظرون جثمان الشيخ الفقيد عند مشارف مدينة المحمودية



سيارة الاسعاف التي كانت تحمل نعش الشيخ الراحل



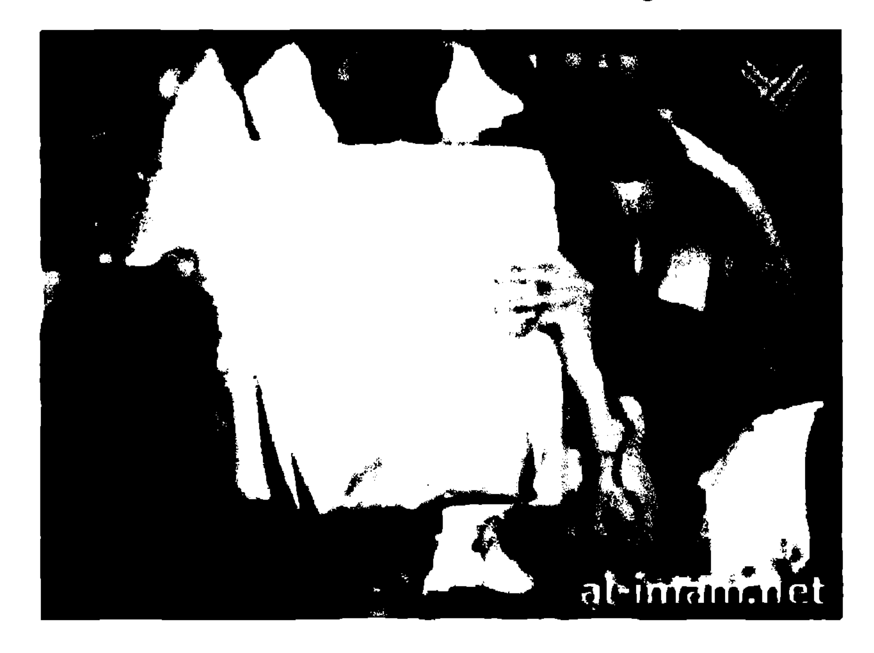
في طريق بغداد
وكربلاء يترقبون
جثمانه الطاهر



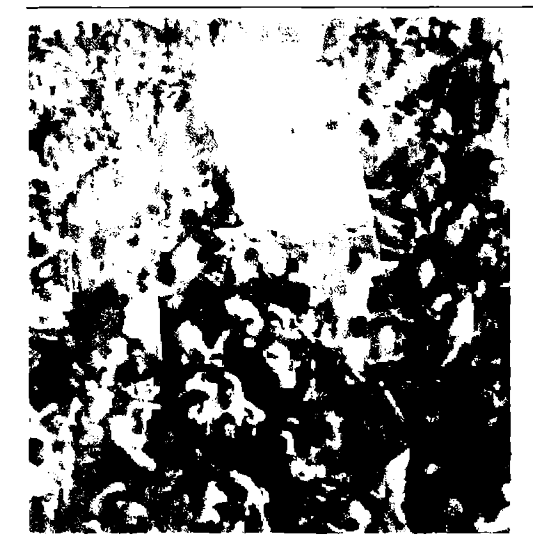


يا عباس يابن علي
كوم تلكه الوائلي

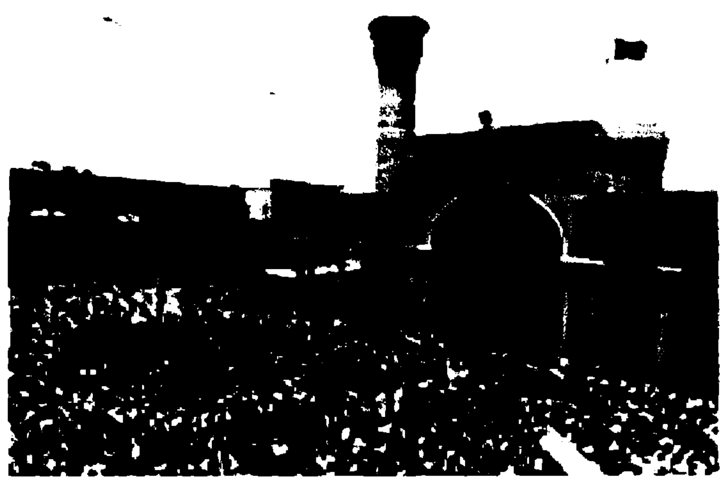
هذه الجموع كانت تنتظرك طوال هذه السنين



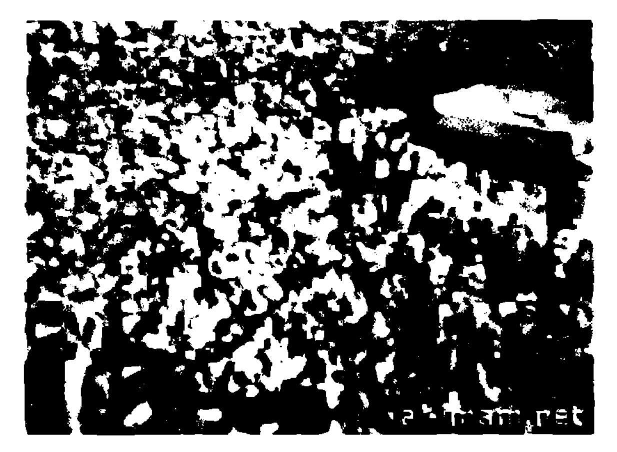
في يوم رحيله حمل محبّوه صوره على صدورهم



السيارة التي كانت تحمل جثمانه



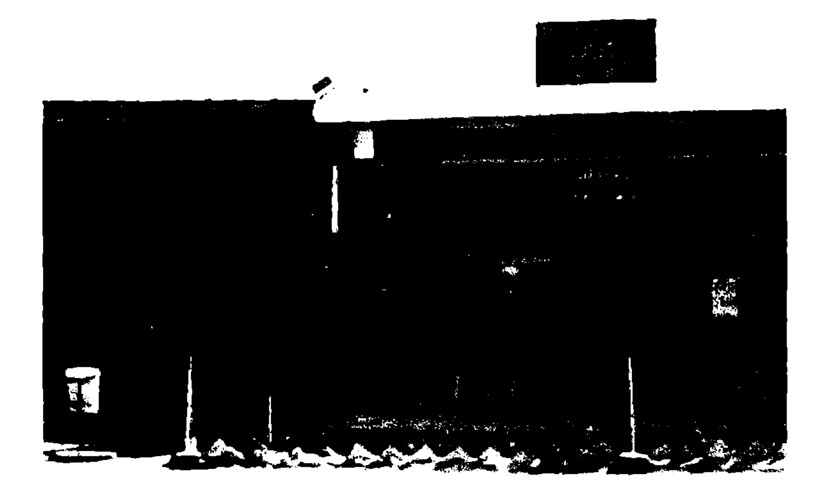
محروس بالله والنبي
يا حسين هذا الوائلي



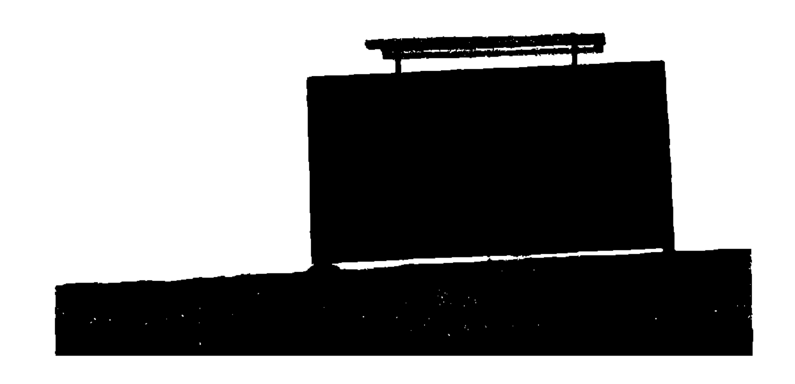
الله أكبر يا علي اليوم مات الوائلي

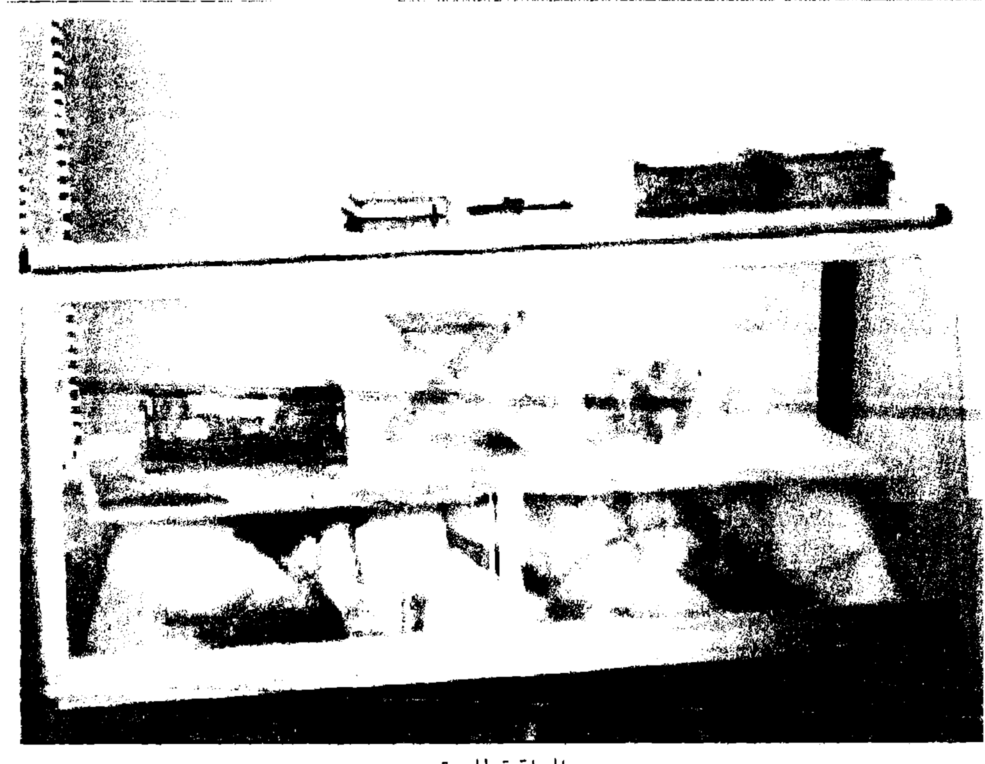


بعد سنين من التأمل
وافاهم الإحباط برحيله

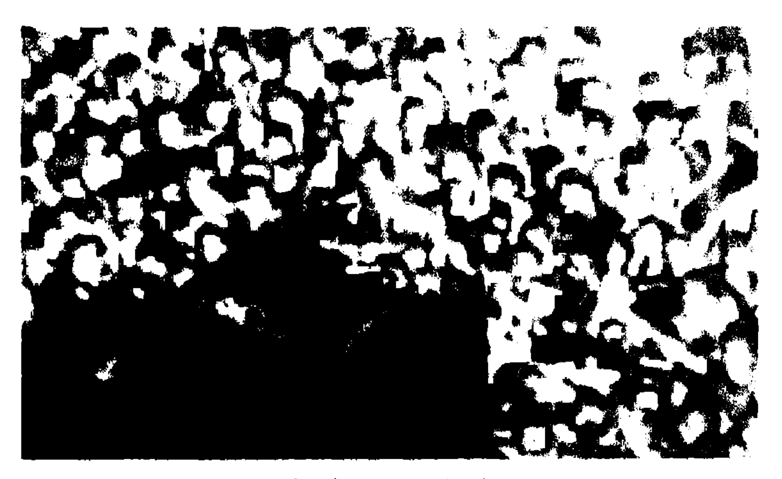


مرقد
الشيخ الوائلي





والعاقبة للمتقين



خادم قبرك يا حسين هذا اليوم نشيعه

المصادر والمراجع

حرف الألف

١ - الأصول العامة للفقه المقارن: محمد تقي الحكيم طبع بيروت ١٩٦٣.

٢ - أعيان الشيعة: محسن الأمين العاملي طبع دمشق ١٩٣٥.

٣ - أسد الغابة: علي بن محمد بن الأثير طبعة أوفست وطبعة دمشق ١٩٣٨.

٤ - الإستيعاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر طبع حيدر أباد ١٣٣٦.

٥ - إحياء العلوم: محمد أبو حامد الغزالي طبع مصر ١٣٤٦هـ.

٦ - الأحوال الشخصية: لمحمد أبو زهرة الطبعة الأولى.

٧ - أصول الفقه: محمد رضا المظفر طبع النجف ١٩٧١ ومصر ١٩٧٣.

٨ - الإمام علي: عبد الفتاح عبد المقصود الطبعة الأولى، طبع مصر.

٩ - الإمام الصادق: أسد حيدر طبع بيروت ١٩٦٦٩ وطبع النجف ١٣٧٧.

١٠ - الإمام الشافعي: محمد أبو زهرة طبع مصر الأولى.

١١ - أوائل المقالات: محمد بن محمد بن النعمان المفيد طبع النجف ١٩٧٣ وإيران ١٣٧١.

١٢ - أحسن التقاسيم: محمد بن أحمد الشاري طبع بريل ١٩٠٩.

١٣ - الإصابة: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني طبع مصر ١٩٥٨.

١٤ - إعتقادات فرق المسلمين: الفخر الرازي محمد بن عمر طبع مصر ١٩٣٨.

١٥ - الأربعين: الفخر الرازي محمد بن عمر طبع حيدر آباد ١٣٥٣هـ.

١٦ - الألفين: يوسف بن المطهر العلامة الحلي طبع النجف غير مؤرخ.

١٧ - أعلام الموقعين: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية طبع مصر ١٣٧٤هـ.

١٨ - أحكام القرآن: ابن العربي المالكي طبع مصر ١٣٣١.

١٩ - الإنتصار: عبد الرحيم بن محمد الخياط طبع مصر ١٣٤٤.
٢٠ - الأحوال الشخصية: محمد أبو زهرة طبع مصر الثانية غير مؤرخ.
٢١ - الإعتصام: إبراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي طبع مصر ١٣٣٢.
٢٢ - الأغاني: علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني طبع مصر الساسي غير مؤرخ.
٢٣ - ابن الفوطي: محمد رضا الشبيبي، طبع بغداد ١٩٥٠.
٢٤ - آراء وأحاديث في الوطنية والقومية: ساطع الحصري ١٩٤٤.
٢٥ - معجم رجال الفكر والأدب في النجف: محمد هادي الأميني بيروت.
٢٦ - اقتصادنا: محمد باقر الصدر، دار التعارف بيروت.
٢٧ - أصول العقيدة: السيد محمد سعيد الحكيم، دار الهلال بيروت.
٢٨ - ايقاع الفكر أحمد الوائلي: بيروت، دار الصفوة.
٢٩ - المؤسسة الدينية: جودت القزويني، دار الرافدين بيروت.
٣٠ - أدب الطف أو شعراء الحسين: بيروت.
٣١ - أمير المنابر: الروازق، دار المحجة البيضاء بيروت.

حرف الباء

٣٢ - البيان والتبيين: الجاحظ، مصر.
٣٣ - البيان والتعريف: إبراهيم بن محمد الحنفي طبع حلب ١٣٢٩هـ.
٣٤ - البيان في تفسير القرآن: أبو القاسم الخوئي طبع بيروت ١٩٧٤.
٣٥ - البحار: محمد باقر المجلسي، طبع إيران كمباني ١٣٠١هـ.
٣٦ - بدائع الصنائع: علاء الدين بن أبي بكر بن مسعود الكاساني طبع مصر ١٣٢٧.

حرف التاء

٣٧ - تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي طبع بيروت ١٩٦٦.
٣٨ - تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون طبع بيروت ١٩٥٦.

٣٩ - تاريخ الإسلام: الدكتور حسن إبراهيم طبع مصر ١٩٣٥ .
٤٠ - تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب طبع النجف ١٣٥٨ .
٤١ - تاريخ الشعوب الإسلامية: بروكلمان طبع بيروت ١٩٦٥ .
٤٢ - تاريخ الطبري: محمد بن جرير طبع مصر ١٩٣٢، ١٩٣٩ .
٤٣ - تاريخ ابن الأثير: علي بن محمد الجزري طبع مصر ١٣٠١ .
٤٤ - تاريخ أبي الفدا: إسماعيل بن علي بن محمود طبع مصر ١٣٢٣ .
٤٥ - تاريخ الخميس: حسين بن محمد الديار بكري طبع بيروت غير مؤرخ .
٤٦ - تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة طبع مصر دار الفكر العربي غير مؤرخ .
٤٧ - تاريخ الإمامية وأسلافهم: عبد الله الفياض طبع بغداد ١٩٧٠ .
٤٨ - تاريخ الخطيب البغدادي: أحمد بن علي طبع مصر ١٩٣١ .
٤٩ - ترتيب المدارك: القاضي عياض طبع بيروت ١٩٧٦ .
٥٠ - تفسير الطبري: محمد بن جرير طبع مصر ١٩٥٤ .
٥١ - تفسير الثعلبي: أحمد بن محمد طبع مصر غير مؤرخ .
٥٢ - تفسير الكشاف للزمخشري محمود بن عمر جار الله طبع مصر ١٢٨١ .
٥٣ - تفسير المنار: محمد رشيد رضا طبع مصر ١٣٦٧هـ.
٥٤ - التمهيد: الباقلاني أبو بكر بن الطيب طبع مصر ١٩٤٧ .
٥٥ - تهذيب التهذيب: ابن حجر أحمد بن علي طبع حيدر آباد ١٣٢٥ .
٥٦ - التمهيد والبيان: محمد بن يحيى طبع بيروت ١٩٦٤ .
٥٧ - توفيق التطبيق: علي بن فضل الله الجيلاني طبع مصر ١٩٧٤ .
٥٨ - تطور المجتمع الإسلامي: محمود حلمي طبع مصر ١٩٧٤ .
٥٩ - التشيع والشيعة: أحمد كسروي طبع طهران ١٣٦٤هـ.
٦٠ - التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد الملطي طبع لايبزك ١٩٣٦ .
٦١ - تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام: حسن الصدر طبع بغداد غير مؤرخ .

٦٢ - التراتيب الإدارية: عبد الحي الكتاني طبع بيروت غير مؤرخ.

٦٣ - تجاربي من المنبر: أحمد الوائلي دار الزهراء بيروت.

٦٤ - من تجاربي: محمد جواد مغنية بيروت.

حرف الحاء

٦٥ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع: آدم متز طبع مصر ١٣٧٧ هـ.

٦٦ - حياة محمد: لمحمد حسنين هيكل طبع مصر ١٣٥٤.

حرف الخاء

٦٧ - خطط الشام: محمد كرد علي طبع مصر ١٩٦٣.

٦٨ - خطباء المنبر: حيدر المرجاني النجف الأداب.

حرف الدال

٦٩ - دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي طبع مصر ١٩٢٤.

٧٠ - الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي طبع مصر ١٣١٤هـ.

٧١ - الدولة العربية: علي حسين الخربوطلي طبع مصر ١٩٦٠.

٧٢ - دائرة المعارف الإسلامية: تعريب خورشيد والشنيناوي طبع مصر غير مؤرخ.

٧٣ - دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية: عرفان عبد الحميد طبع بغداد ١٩٧٧.

٧٤ - دراسات في الكافي والصحيح: هاشم معروف طبع بيروت الأولى.

٧٥ - ديوان المرتضى: علي بن الحسين طبع مصر ١٩٥٨.

٧٦ - ديوان الرضي: محمد بن الحسين طبع بيروت ١٩٦١.

٧٧ - ديوان المتنبي: أحمد بن الحسين طبع مصر دار السعادة غير مؤرخ.

حرف الراء

٧٨ - روضات الجنات: للخونساري طبع إيران غير مؤرخ.

٧٩ - روح المعاني: محمود الألوسي طبع بيروت تصوير غير مؤرخ.

حرف الزاء

٨٠ - الزندقة والشعوبية: سميرة الليثي طبع مصر الأولى.
٨١ - زعماء الإصلاح في العصر الحديث: أحمد أمين طبع مصر ١٩٧١.

حرف السين

٨٢ - السيف اليماني: مصطفى البرلسي البولاقي طبع مصر ١٣٢٤هـ.
٨٣ - السيرة الحلبية: برهان الدين الحلبي طبع مصر الأولى.
٨٤ - انحلال الأمة العربية: لمحمد سعيد العرفي ط دمشق ١٩٦٦.

حرف الشين

٨٥ - شرح نهج البلاغة: عبد الحميد ابن أبي الحديد طبع مصر الأولى.
٨٦ - الشيعة والخوارج: فلهوزن طبع مصر الأولى.
٨٧ - الشيعة والرجعة: محمد رضا الطبسي طبع النجف ١٣٧٥هـ.
٨٨ - شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي طبع مصر ١٣٥٠هـ.
٨٩ - شرح عقائد الصدوق: محمد بن محمد بن النعمان المفيد طبع إيران الثانية غير مؤرخ.
٩٠ - شرح فتح القدير: محمد بن عبد الواحد بن الهمام طبع مصر ١٣٥٦هـ.
٩١ - شرح الشافية: أحمد فخري زادة طبع إيران ١٢٩٦هـ.
٩٢ - شعراء الغري: علي الخاقاني مكتبة المرعشي قم.

حرف الصاد

٩٣ - صحاح الجوهري: إسماعيل بن حماد طبع مصر دار الكتاب العربي غير مؤرخ.
٩٤ - الصلة بين التصوف والتشيع: الطبعة الأولى بغداد والثانية مصر ١٩٦٩.
٩٥ - الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيثمي طبع مصر ١٣٧٥هـ.

٩٦ - صفين: نصر بن مزاحم طبع مصر الأولى.

٩٧ - صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل طبع مصر ١٩١٤ واسطنبول ١٣١٥.

٩٨ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري طبع مصر الأولى.

٩٩ - صفوة البيان في تفسير القرآن: حسنين محمد مخلوف طبع مصر ١٩٥٦.

حرف الضاد

١٠٠ - ضحى الإسلام: أحمد أمين طبع مصر ١٩٣٨، و١٩٥٦.

حرف الطاء

١٠١ - طبقات ابن سعد: طبع مصر ١٣٠٨ وبيروت ١٩٥٧.

١٠٢ - طبقات الحنابلة: القاضي أبو يعلى طبع مصر غير مؤرخ.

١٠٣ - طبقات الفقهاء: الشيرازي طبع بغداد ١٣٥٦هـ.

حرف العين

١٠٤ - العقيدة والشريعة: جولد تسهير طبع مصر الأولى.

١٠٥ - عوامل وأهداف نشأة علم الكلام: يحيى فرغل طبع مصر ١٩٧٢.

١٠٦ - عالم الفكر: تصدرها جامعة الكويت العدد الخاص باللغة.

١٠٧ - العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي طبع مصر ١٩٥٦.

١٠٨ - عقيدة الشيعة: دونالدسن طبع مصر ١٩٤٦.

١٠٩ - عمدة التحقيق هامش روض الرياض: إبراهيم العبيدي طبع مصر ١٣١٥هـ.

١١٠ - عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر النجف.

حرف الفاء

١١١ - فجر الإسلام: أحمد أمين طبع مصر ١٩٥٥.

١١٢ - الفصل في الملل والنحل: علي بن أحمد بن حزم طبع مصر ١٣٢١هـ.

١١٣ - فرق الشيعة: الحسن بن موسى النوبختي طبع النجف غير مؤرخ.

١١٤ - الفهرست: ابن النديم طبع بيروت ١٩٦٤.

١١٥ - الفرق بين الفرق: عبد القاهر بن طاهر البغدادي طبع مصر ١٣٢٨هـ.

١١٦ - الفصول المهمة: عبد الحسين شرف الدين طبع النجف ١٩٥٦.

١١٧ - الفقه على المذاهب الأربعة: أحمد الجزيري طبع مصر غير مؤرخ.

١١٨ - فضائل الخمسة من الصحاح الستة: مرتضى الفيروزآبادي طبع النجف ١٣٨٣.

١١٩ - فلسفة العقوبة: محمد أبو زهرة طبع مصر ١٩٦٣.

١٢٠ - فلسطين في الشعر النجفي المعاصر: محمد حسين الصغير بيروت.

حرف القاف

١٢١ - القاموس الإسلامي: محمد عطية الله طبع مصر ١٩٧٠.

١٢٢ - القومية العربية: حازم زكي نسيبه طبع بيروت ١٩٦٢.

حرف الكاف

١٢٣ - الكامل هامش رغبة الأمل: المبرد طبع مصر ١٩٢٩.

١٢٤ - كنز العرفان: المقداد بن عبد الله السيوري طبع إيران ١٣٨٤.

١٢٥ - الكنى والألقاب: عباس القمي طبع صيدا لبنان ١١٢٥٨هـ.

١٢٦ - كشف المراد: جمال الدين بن المطهر العلامة الحلي طبع الهند ١٣١٠.

حرف اللام

١٢٧ - لسان العرب: ابن منظور: طبع بيروت دار صادر.

١٢٨ - لسان الميزان: ابن حجر طبع حيدر آباد ١٣٣٠هـ.

١٢٩ - اللمعة الدمشقية وشرحها: للشهيدين علي ومحمد طبع النجف ١٩٦٧.

حرف الميم

١٣٠ - منهاج الصالحين: أبو القاسم الخوئي طبع النجف ١٣٩٤هـ.
١٣١ - مقدمة في تاريخ صدر الإسلام: عبد العزيز الدوري طبع بغداد ١٩٤٩.
١٣٢ - مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل طبع بيروت ١٩٦٩.
١٣٣ - مفاتيح الغيب: محمد بن عمر الرازي طبع مصر الأول ١٣٢٧هـ.
١٣٤ - مدخل موسوعة العتبات المقدسة: جعفر الخليلي طبع بيروت ١٩٦٥.
١٣٥ - مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي طبع مصر ١٩٦٤.
١٣٦ - مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون طبع بيروت ١٩٦٦.
١٣٧ - مستدرك الحاكم: الحاكم النسيابوري طبع الرياض مطبعة النصر غير مؤرخ.
١٣٨ - معجم البلدان: ياقوت الحموي طبع بيروت ١٩٥٧.
١٣٩ - مناقب أبي حنيفة: الموفق بن أحمد المكي طبع حيدر آباد ١٣٢١هـ.
١٤٠ - مناقب الشافعي: محمد بن عمر الرازي: طبع مصر.
١٤١ - معجم المؤلفين: رضا كحالة طبع دمشق ١٣٨٠هـ.
١٤٢ - المناظرات: محمد بن عمر الرازي طبع حيدر آباد.
١٤٣ - الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني طبع مصر ١٣٢١هـ.
١٤٤ - المنخول: محمد الغزالي طبع دمشق تاريخ مقدمته ١٩٧٠.
١٤٥ - المقالات والفرق: سعد بن عبد الله الأشعري طبع طهران ١٩٦٣.
١٤٦ - منهاج السنة: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية طبع مصر ١٩٦٢.
١٤٧ - معالم الفلسفة: محمد جواد مغنية طبع بيروت ١٩٦٠.
١٤٨ - المستصفى: محمد الغزالي طبع مصر ١٣٢٢هـ.
١٤٩ - مظاهر الشعوبية: محمد نبيه حجاب طبع مصر ١٩٦١.
١٥٠ - ميزان الإعتدال: الذهبي طبع مصر ١٩٦٣.
١٥١ - مصباح الظلام: محمد بن عبد الله الجرداني طبع مصر ١٣٤٧.

١٥٢ - المحلى: علي بن أحمد بن حزم طبع مصر دار الكتاب العربي غير مؤرخ.
١٥٣ - المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة طبع مصر ١٣٦٧.
١٥٤ - مقتل الحسين: عبد الرزاق المقرم طبع النجف ١٩٥٦.
١٥٥ - مجمع البيان: علي بن الحسين الطبرسي طبع صيدا لبنان ١٣٧٩.
١٥٦ - المواقف: عبد الرحمن الإيجي طبع بيروت غير مؤرخ.

حرف النون

١٥٧ - نظرية الإمامة: أحمد محمود صبحي طبع مصر ١٩٦٩.
١٥٨ - النهاية: علي بن محمد بن الأثير طبع مصر الطبعة الأولى.
١٥٩ - نشأة الفكر الفلسفي: علي سامي النشار طبع مصر ١٩٦٥.
١٦٠ - نهاية الإقدام: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني طبع أكسفورد ١٩٣٤.
١٦١ - نحو الوحدة العربية: يوسف هيكل طبع مصر ١٩٤٣.
١٦٢ - نحو تفسير علمي للقرآن: أحمد الوائلي النجف.

حرف الهاء

١٦٣ - هوية التشيع: أحمد الوائلي بيروت دار الكتبي.
١٦٤ - هكذا عرفتهم: جعفر الخليلي بيروت.

حرف الواو

١٦٥ - وفيات الأعيان: ابن خلكان طبع إيران غير مؤرخ.
١٦٦ - وعاظ السلاطين: علي الوردي طبع بغداد ١٩٥٤.

الفهرس

الموضوع الصفحة

الفصل الثاني: قسم المقالات

الفصل الثالث: اللقاءات مع الصحف والمجلات

الفصل الرابع: الشعر

الفصل الخامس: الأرشيف الوثائق والصور